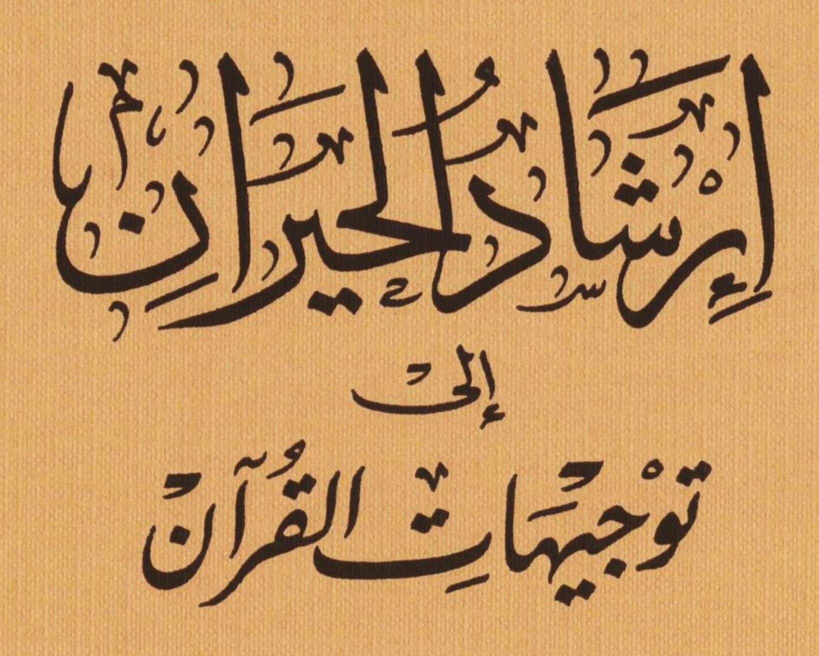
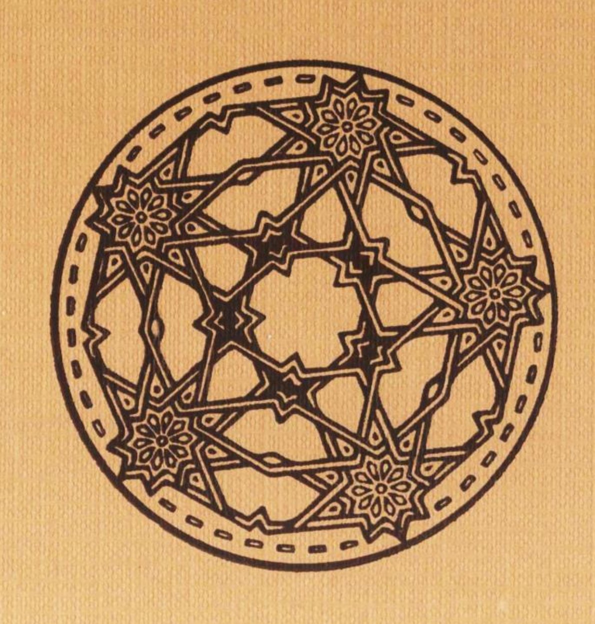


بقلم

فضيلة الشيخ

أحمد عبد السلام أبو مزيريق



دار المدار الاسلامي


إرشاد الحيران
إلى
توجيهات القرآن

إرشاد الحيران

إلى

توجيهات القرآن

5

بقلم

فضيلة الشيخ

أحمد عبد السلام أبو مزريق

دار المدار الإسلامي

إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن 12/1
الشيخ أحمد عبد السلام أبو مزيريق

الطبعة الأولى
كانون الثاني/يناير/أي النار 2011 إفرنجي

موضوع الكتاب تفسير قرآني
تصميم الغلاف دار المدار الإسلامي
الحجم 17 × 24 سم
التجليد فنّي

ردمك ISBN 9959-29-182-0
(دار الكتب الوطنية/بنغازي ـ ليبيا)

رقم الإيداع المحلي 2003/5680

دار المدار الإسلامي
الصنائع، شارع جوستينيان، سنتر أريسكو، الطابق الخامس،
هاتف 04 03 75 1 961 + **خليوي** 89 39 93 3 961 +
05 03 75 1 961 + **فاكس** 07 03 75 1 961 +
ص.ب. 14/6703 بيروت ـ لبنان
بريد إلكتروني szrekany@inco.com.lb
الموقع الإلكتروني www.oeabooks.com

توزيع دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع والتنمية الثقافية
زاوية الدهماني، شارع أبي داود، بجانب سوق المهاري، طرابلس ـ الجماهيرية العظمى
هاتف وفاكس: 013 07 34 21 218 + **نقّال** 463 45 21 91 218 +
بريد إلكتروني: oeabooks@yahoo.com

4 ـ عرض قضيّة التوحيد في إطار شيّق جديد

النص

وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّٰتِهِمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ
أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا
غَٰفِلِينَ ﴿172﴾ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا
ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿173﴾
وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأٓيَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿174﴾ وَٱتْلُ
عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ
ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿175﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ
بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ
كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث
ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱقْصُصِ
ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿176﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ
كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُواْ يَظْلِمُونَ ﴿177﴾ مَن يَهْدِ
ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿178﴾
وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ
بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا

أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴿179﴾ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿180﴾ وَمِمَّنۡ خَلَقۡنَآ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ ﴿181﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿182﴾ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ﴿183﴾ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿184﴾ أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ وَأَنۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقۡتَرَبَ أَجَلُهُمۡۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ﴿185﴾ مَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥۚ وَيَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿186﴾ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّيۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَۚ ثَقُلَتۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا تَأۡتِيكُمۡ إِلَّا بَغۡتَةٗۗ يَسۡـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنۡهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿187﴾

* قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿188﴾ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ فَلَمَّآ أَثۡقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ

رَبَّهُمَا لَئِنِ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحاً لَّنَكُونَنَّ مِنَ اَلشَّٰكِرِينَ ﴿189﴾
فَلَمَّا ءَاتَيٰهُمَا صَٰلِحاً جَعَلَا لَهُۥ شِرْكاً فِيمَا ءَاتَيٰهُمَا فَتَعَٰلَى اَللَّهُ
عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿190﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿191﴾
وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْراً وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿192﴾
وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى اَلْهُدَىٰ لَا يَتْبَعُوكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ
أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿193﴾ إِنَّ اَلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اِللَّهِ
عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ ﴿194﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا
أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا
قُلُ اُدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿195﴾
إِنَّ وَلِيِّيَ اَللَّهُ اُلَّذِے نَزَّلَ اَلْكِتَٰبَ وَهْوَ يَتَوَلَّى اَلصَّٰلِحِينَ ﴿196﴾
وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنفُسَهُمْ
يَنصُرُونَ ﴿197﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى اَلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُواْ وَتَرَىٰهُمْ
يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ * خُذِ اِلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ
وَأَعْرِضْ عَنِ اِلْجَٰهِلِينَ ﴿198﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ اَلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ
فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿200﴾ إِنَّ اَلَّذِينَ اَتَّقَوْاْ
إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ اَلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم
مُّبْصِرُونَ ﴿201﴾ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي اِلْغَيِّ ثُمَّ

لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾

البيان

مبحث المفردات اللغوية

﴿**وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريّاتهم**﴾: إذ هنا اسم للزمن الماضي، فهو مجرد من الظرفية. ومِن في قوله: من بني آدم، وقوله: من ظهورهم ابتدائية. والظهور: الحق أن الظهور هنا خروج الذرية إلى الحياة الدنيا. وهو ما يدل عليه النص. والذريات: جمع ذريّة، والذريّة اسم جمع لما يتولد من الإنسان. . . ﴿**وأشهدهم على أنفسهم**﴾: الإشهاد على الأنفس يطلق على ما يساوي الإقرار أو الحمل عليه، وهو هنا الحمل على الإقرار. وجملة ﴿**ألست بربّكم**﴾: مقول لقول محذوف هو بيان لجملة أشهدهم على أنفسهم. والاستفهام في ألست بربّكم تقريري. وجملة ﴿**قالوا بلى**﴾: جواب عن الاستفهام التقريري، وبلى حرف جواب لكلام فيه معنى النفي. . . ﴿**شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنَّا كنَّا عن هذا غافلين**﴾: فعلنا هذا منْعاً لاعتذاركم أو احتجاجكم يوم القيامة بأن تقولوا إذَا أنتم أشركتم إنَّا كنَّا غافلين عن هذا التوحيد للربوبية، وما يستلزمه من توحيد الإلهية بعبادة الرب وحده.

والمراد أنّه تعالى لا يقبل منهم الاعتذار بالجهل.. **﴿أو تقولوا إنَّما أشرك آباؤنا من قبل وكنَّا ذريّة من بعدهم﴾**: هذا نوع آخر من أنواع العذر الغير المقبول. والاستفهام في قوله... **﴿أفتهلكنا بما فعل المبطلون﴾**: إنكاري، والمبطلون: الآخذون بالباطل، وهو في هذا المقام الإشراك... **﴿وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون﴾**: بمثل هذا التفصيل نفصل لبني آدم الدلائل ليستعملوا عقولهم، ولعلهم يرجعون بها عن جهلهم وتقليدهم لآبائهم المشركين... **﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها﴾**: التلاوة: القراءة وإلقاء الكلام الذي يُعَادُ ويُكرّر للاعتبار به. والضمير في عليهم للناس المخاطبين بالدعوة، وأولهم كفار مكة. والنبأ الخبر الذي له شأن. والذي آتيناه آياتنا كل من سمع القرآن وفهم دعوته. والانسلاخ حقيقته خروج جسد الحيوان من جلده حينما يُسْلخ عنه جلده، والسلخ: إزالة جلد الحيوان الميت عن جسده، ومعناه هنا: الإقلاع عن العمل بما تقتضيه آيات القرآن... **﴿فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين﴾**: أتبعه لحقه متمكناً منه. والشيطان: إبليس. والمراد بالغاوين: المتصفين بالغيّ، وهو الضلال... **﴿ولو شئنا لرفعناه بها﴾**: لو شئنا لاكتسب بعمله بالآيات فضلاً وزكَاءً وتَمَيُّزاً بالفضل... **﴿ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه﴾**: لكنه اختار لنفسه التسفل المنافي لتلك الرفعة بأن أخلد ومال إلى الأرض.

واتّباع الهوى ترجيح ما يحس لدى النفس من النقائص المحبوبة على ما يدعو إليه الحق والرشد... **﴿فمثلُه كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث﴾**: استعمال القرآن لفظ المثل بعد كاف التشبيه مألوف بأنّه يراد به تشبيه الحالة بالحالة. والكلب حيوان من ذوات الأربع ذو أنياب ومخالب كثير النبح في الليل قليل النوم فيه، كثير النوم في النهار يألف من يعاشره، ويحرس مكانه من الطارقين الذين لم يألفهم، ويحرس الأنعام التي يعاشرها، ويعدو على الذئاب، ويقبل التعليم لما فيه من الانتباه، ويلهث إذا أتعب أو اشتد عليه الحر، ويلهث في حال الراحة واعتدال الجو؛ لأنّ في خلقته ضيقاً في مجاري التنفس يرتاح له باللهث. واللهث: سرعة التنفس مع امتداد اللسان وحركة الجسم... **﴿ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾**: الإشارة هنا إلى المثل المضروب بالكلب، والقوم المشركون المكذبون بالقرآن من أهل مكة... **﴿فاقصص القصص لعلهم يتفكرون﴾**: مفرع عما قبله من التمثيل. وقص القصص: الإعلام بما وقع من

الأحداث الجسام، وأصل القصّ: تتبع الأثر؛ فإنّ في القصص تفكُراً وموعظةً يرجى منه تفكرهم وموعظتهم... ﴿**ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون**﴾: كلمة (ساء مثلا القوم) كلمة ذم واحتقار!. والظلم هنا على حقيقته، فإنّهم ظلموا أنفسهم بما أحلّوه بها من الكفر الذي جعلهم مذمومين في الدنيا ومعذبين في الآخرة... ﴿**من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون**﴾: الهداية حقيقتها: إبانة الطريق، وتطلق على مطلق الإرشاد لما فيه النفع. والإضلال: عكس الهداية.

والخسران: ضياع رأس المال أو بعضه، والخسر النقص... ﴿**ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس**﴾: الذرء في أصل اللغة: بمعنى بث الأشياء وبذْرُها وتفريقها وتكثيرها، وأنّ إسنادها إلى الله تعالى بمعنى خلق ذلك. وجهنم: دار العقاب التي أعدّها الله للكافرين يوم القيامة. والجن: خلق غير مرئيّ لنا، وهم عقلاء مطبوعون على ما خلقوا لأجله من نفع أو ضر، وخير أو شر، ومنهم الشياطين؛ وهذا الخلق لا قبل لنا بتفصيل نظامه، ولا كيفيات تلقيه لمراد الله تعالى منه، وأبو الجن إبليس. والإنس: البشر، وأبوهم آدم عليه السلام... ﴿**لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها**﴾: القلوب: اسم لموقع العقول في اللغة العربية. والفقه في اللغة: هو معرفة الشيء والوصول إلى أعماقه، فمن لا يعرف من الأمور إلاّ ظواهرها لا يسمى فقيها، «يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون». وأكثر ما ورد في القرآن من مادة الفقه تدل على أنّ المراد به نوع خاص من دقّة الفهم، والتعمق في العلم، الذي يترتب عليه الانتفاع به.

ولهم أبصار وأسماع لا يوجبونها إلى التأمل والتفكر فيما يرون من آيات الله في خلقه، وفيما يسمعون من آيات الله المنزلة على رسله... ﴿**أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون**﴾: الإشارة ترجع إلى ما ذكر من عدم الاستفادة من القلب والبصر والسمع المطلوب منها ما يترتب عليها فصاروا مثل الأنعام، بل هم أضل. بل هنا للانتقال والترقّي في التشبيه في الضلال وعدم الانتفاع بما يمكن الانتفاع به. وجملة أولئك هم الغافلون تعليل لكونهم أضل من الأنعام. والغفلة: عدم الشعور بما يحق الشعور به... ﴿**ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها**﴾: الأسماء

جمع اسم، وهو اللفظ المجعول علما على الذات بالتخصيص أو الغلبة. والحسنى: مؤنث الأحسن، وهو المتصف بالحسن الكامل في ذاته المقبول لدى العقول السليمة المجردة عن الهوى فالحسن صفة ذاتية للشيء الحسن، والمعنى: ولله دون غيره جميع الأسماء الدالة على أحسن المعاني وأكمل الصفات، سمُّوه واذكروه ونادوه بها لمجرد الثناء عند السؤال وطلب الحاجات. وأسماء الله كثيرة، وكلها حسنى بدلالة كل منها على منتهى كمال معناه، وفي الحديث الصحيح: «إنّ لله تسعاً وتسعين اسماً مائة إلاّ واحداً من أحصاها دخل الجنة...» **﴿وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون﴾**: ذَرُوا فعل أمر لم يرد في اللغة استعمال ماضيه ولا مصدره، وهو بمعنى الترك والإهمال. وأمّا الإلحاد فمعناه العام: الميل والازورار عن الوسط حسّاً أو معْنًى، ومعناه هنا: اتركوا واهملوا بلا مبالاة جميع الذين يلحدون في أسمائه بالميل بألفاظها أو معانيها عن منهج الحق الوسط إلى بينات الطريق ومتفرق السبل من تحريف أو تأويل، أو تشبيه أو تعطيل، أو شرك أو تكذيب، أو زيادة أو نقصان، أو ما ينافي وصفها بالحسنى، وهو منتهى الكمال؛ ذروا هؤلاء الملحدين ولا تبالوا بهم...

سيجزون ما كانوا يعملون. **﴿وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾**: هذا بيان حال من هداهم الله تعالى، وهو أنّهم أمة - جماعة يَؤُمُّ بعضها بعضا - يهدون بالحق وبه يعدلون، وهؤلاء هم أمة محمد ﷺ... **﴿والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾**: استدرجه رقّاه من درجة إلى درجة، والمراد أنّهم يسترسلون في غيهم وضلالهم من حيث لا يدرون شيئا من عاقبة أمرهم... **﴿وأملي لهم إنّ كيدي متين﴾**: الإملاء: الإمهال والتأخير. والكيد لم يضبط تحديد معناه في كتب اللغة، وظاهره أنّه يرادف المكر والحيلة، وقد يكون مذموماً وممدوحاً. والمتين: القوي، وحقيقته في أصل اللغة القويّ المتين، وهو الظهر؛ لأنّ قوة متنه تُمكّنه من الأعمال الشديدة، ومتن كل شيء عموده وما يتماسك به... **﴿أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة﴾**: الاستفهام للتعجيب من حال المكذبين والإنكار عليهم. تفكّر: أعمل الفكر، وهو النظر والتأمل في الشيء لتظهر حقيقته. وما في قوله: ما بصاحبهم من جنة نافية. والصاحب الذي يلازم غيره في حالة من سفر أو غيره. والجِنّة: اسم للجنون، وهو الخبال الذي يعتري الإنسان... **﴿إن هو إلاّ نذير مبين﴾**: الإنذار: تعليمٌ وإرشاد مقترن بالتخويف من

مخالفته، وأصل النذير في اللغة الذي يخبر القوم بقدوم عدوّهم، ومنه المثل: أنا النذير العريان.

والمبين: اسم فاعل من أبان إذا أوضح... ﴿**أو لم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء**﴾: النظر في الشيء: التأمل فيه بالتدبُّر والتفكّر. والملكوت: المُلْكُ العظيم، وقسّم النظر هنا إلى نظر في عظيم ملك الله تعالى، وإلى نظر في مخلوقاته ودقائق أحوالها، الدالة على عظيم قدرة الله تعالى... ﴿**وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم**﴾: معنى النظر في توقع اقتراب الأجل: التخوف من ذلك، والأجل المضاف إلى ضمير المكذبين هو أجل الأمة لا أجل الأفراد... ﴿**فبأي حديث بعده يؤمنون**﴾: أيّ هنا أشرب معنى الاستفهام، وأصله: اسم مبهم يفسره ما يضاف هو إليه. وحقيقة الحديث أنّه الخبر والقصة الحادثة، والحديث هنا المراد به القرآن الذي جاء مبينا لدعوة محمد ﷺ... ﴿**من يضلل الله فلا هادي له ونذرهم في طغيانهم يعمهون**﴾: هذه الجملة تعليل للإنكار في قوله: فبأي حديث بعده يؤمنون لإفادة أنّ ضلالهم أمر قدَّر الله دوامه فلا طمع لأحد في هديهم. والطغيان: مجاوزة القدر في الشيء، ويطلق على الغلو في الكفر والتعدي، وطغيان الماء ارتفاعه وانصبابه بغزارة. والعمه: التردد في الضلال، والفعل منه عَمِهَ يعْمَه، ومصدره عَمَهاً وعمَهَاناً، وتعامَهَ فهو عمِهٌ وعامِهٌ، والجمع عَمِهون...

﴿**يسئلونك عن الساعة أيان مرساها**﴾: الساعة: علَم بالغلبة في اصطلاح القرآن على وقت فناء هذا العالم الدنيوي والدخول في العالم الأخروي، وتسمى يوم البعث، ويوم القيامة. وأيّان: اسم يدل على السؤال عن الزمان، مركب من أي الاستفهامية وآن، وهو الوقت، ثمّ خففت أيّ وقلبت همزة آن ياءً ليتأتى الإدغام، فصارت أيّان بمعنى أيّ زمان. والمُرْسى: مصدر ميمي من الإرساء وهو الإقرار، يقال: رسا الجبل ثبت، وأرساه أثبته وأقرّه، والإرساء: الاستقرار بعد السير، ومرسى السفينة استقرارها بعد المَخْر... ﴿**قل إنّما علمها عند ربيّ**﴾: علم الساعة هو علم تحديد وقتها كما ينبئ عنه السؤال... ﴿**لا يجليها لوقتها إلاّ هو**﴾: يقال: جَلاَ لِي الأمرُ وانجلا، وجلاّه فلان تجلية بمعنى كشفه وأظهره أتمّ الإظهار. واللام الداخلة على وقتها تسمى لام التوقيت... ﴿**ثقلت في السماوات**

والأرض﴾: ثقل وقعها وعظم أمرها في السماوات، والأرض على أهلهما من الملائكة والإنس والجن... **﴿لا تأتيكم إلاّ بغتة﴾**: البغتة: مصدر على زنة المرَّة من البغت، وهو المفاجأة بحصول الشيء بدون تهيُّئٍ له ولا توقع ولا انتظار، والمعنى: أنّها تبغت الناس وهم منهمكون في أمور معايشهم المعتادة...

﴿يسألونك كأنك حفيّ عنها﴾: الحفي: العالم يتعلم باستقصاء، والحفي: الملحّ في سؤاله، والحفي: المُكرِم المبالغ في إكرامه... **﴿قل إنّما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون. قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلاّ ما شاء الله﴾**: نفي المِلْك هنا: نفي الاستطاعة والتمكن من معرفة الغيب، وجعل نفي أن يملك لنفسه نفعاً أو ضراً مقدمة لنفي العلم بالغيب، والاستثناء مقصود به مطلق المشيئة لله تعالى، فمن أراد أن يطلعه على الغيب أطلعه عليه بالوحي... **﴿ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء﴾**: الخير: ما يرغب الناس فيه من المنافع المادية والمعنوية، كالمال والعلم. والسوء: ما يرغبون عنه مما يسوؤهم ويضرهم. والجملة استدلال على نفي علم النبيء ﷺ الغيْبَ... **﴿إن أنا إلاّ نذير وبشير لقوم يؤمنون﴾**: هذه الجملة من تمام القول المأمور به، فالمعنى: أنّ الرسالة منحصرة في النذارة على المفاسد وعواقبها، والبشارة بعواقب الانتهاء عنها واكتساب الخيرات... **﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة﴾**: المخاطبون هنا يحتمل أن يكون الكل المجموعي فتكون النفس الواحدة آدم الذي تولد منه جميع البشر، ويحتمل أن يكون الكل الجميعي، فتكون النفس هي الأب.

ولفظ نفس واحدة وحده يحتمل المعنيين؛ لأنّ في كلا الخلقين امتناناً وفي كليهما اعتباراً واتّعاظاً. والمقصود من الجعل هنا جعل الأنثى زوجاً للذكر. وقوله: **﴿ليسكن إليها﴾**: تعليل لما أفادته مِنْ التبعيضية، والمعنى: جعل من نوع الرجل زوجه ليألفها ولا يَجْفُو قربها، ففي ذلك مِنّةُ الإيناس بها، وكثرة ممارستها لينساق إلى غشيانها... **﴿فلما تغشاها حملت حملاً خفيفاً﴾**: تغشّاها: أتاها، والتغشية: التغطية، والغشاء: غطاء الشيء الذي يستره من فوقه. والحَمْل: يطلق على المصدر وعلى المحمول، والمراد هنا: حمل المرأة من زوجها، وهو يكون في أول العهد خفيفاً لا تكاد المرأة تشعر به. ومعنى **﴿فمرّت به﴾**: استمرت في أعمالها وقضاء حاجتها من غير مشقة ولا استثقال، ومعنى **﴿فلما أثقلت﴾**: حان

وقت ثقل حملها وقرُب وضعها. . . ﴿**دَعَوَا الله ربّهما لئن آتيتنا صالحاً لنكونن من الشاكرين**﴾: توجها إلى الله ربهما يدعوانه فيما انحصر همهما فيه بعد تمام الحمل على سلامته بأن يعطيهما ولداً صالحاً سوياً تام الخلق يصلح للقيام بالأعمال البشرية النافعة. . . دعواه مخلصين مُقْسمين له على ما وطّنا عليه أنفسهما من الشكر له على هذه النعمة. . .

﴿**فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاً فيما آتاهما**﴾: الشرك: مصدر شركه في كذا أي جعلا لله شركة، والشركة تقتضي شَرِيكاً، والمعنى: جعل الزوجان لله شريكاً فيما آتاهما من الولد الصالح، وهذا الشرك لا يخلو عنه أحد من الكفار في العرب، فإنّ بعض المشركين يجعل ابنه سادناً لبيوت الأصنام، وبعضهم يسمي ابنه عَبْدَ كذا مضافاً إلى اسم صنم. وجملة ﴿**فتعالى الله عما يشركون**﴾: يشمل ما ذكر هنا وما لم يذكر من أصناف إشراكهم في الولد والحرث والأنعام وكل عمل يعمله المشركون. . . ﴿**أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون**﴾: الاستفهام للإنكار والتجهيل، والمعنى: لا يليق بسليم العقل أن يجعل المخلوق العاجز شريكاً للخالق القادر. . .

﴿**ولا يستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون**﴾: فهي لا تستطيع لعابديها نصراً على أعدائهم، ولا لنفسها عند إهانتها. . . ﴿**وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم**﴾: المعنى: أنّ هذه الأصنام المعبودة لا تفيد ولا تستفيد؛ لأنّها جماد أو شبه جماد لا تبدي ولا تعيد. . . ﴿**سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون**﴾: سواء: اسم للشيء المساوي غيره، والهمزة التي بعد سواء يقال لها همزة التسوية، وأصلها همزة الاستفهام. والصامتون: جمع صامت، وهو الساكت عن الكلام، والمعنى: سواء عليكم أدعوتموهم دعوة متجددة أم لازمتم الصّمت. . . ﴿**إنْ الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إنّ كنتم صادقين**﴾: المراد بالذين تدعون من دون الله: الأصنام. والعباد: جمع عبد، وهو في الأصل المملوك، وقد أطلق في اللغة على المخلوق، والأصنام المعبودة كيفما كان نوعها هي من جملة العبيد. والدعوة المأمور بها: هي الدعوة للنصر والنجدة، والمعنى: أنّ هذه الأصنام مخلوقة مثلكم عاجزة عن استجابتكم فإن كنتم صادقين في زعمكم أنّهم يقدرون على ما لا تقدرون عليه بقواكم البشرية من نفع أو ضر بذواتكم فادعوهم فليستجيبوا لكم. . .

﴿ألهم أرجل يمشون بها﴾: الرِّجل: القدم، والجمع أرجُل. والمشيُ: انتقال الرجلين من موضع انتقالاً متوالياً... **﴿أم لهم أيد يبطشون بها﴾**: الأيدي: جمع يدٍ. والبطش: الأخذ باليد بقوّة... **﴿أم لهم أعين يبصرون بها﴾**: الأعين: جمع عين، وهي جارحة الإبصار، والإبصار رؤية الأشياء... **﴿أم لهم آذان يسمعون بها﴾**: الآذان: جمع أذن، وهو جارحة السماع، والسماع: إدراك الأصوات بحاسة الأذن... **﴿قل ادعوا شركاءكم ثم كيدونِ فلا تنظرون﴾**: نادوا أصنامكم لينصروكم عليّ فتستريحوا منّي. والكيد: الإضرار الواقع في صورة عدم الإضرار، والكيد: المكر والحيلة. ونظره وانتظره: تأنّى عليه، وأنظره: أخره، ومعناه هنا: إذا تمكنتم من إضراري فأعجلوا ولا تؤخّروني... **﴿إنّ وليي الله الذي نزّل الكتاب وهو يتولى الصالحين﴾**: الولي: الناصر والكافي والمحب، وتولاه: اتخذه وليا، والصالحون: هم الذين صلحت أنفسهم بالإيمان والعمل الصالح... **﴿والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون﴾**: الأصنام التي تدعونها من دون الله عاجزة عجزاً كاملاً فلا تستطيع أن تنصركم، ولا تستطيع أن تنصر نفسها ممن يريد بها أذًى...

﴿وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون﴾: يحتمل أن يكون الخطاب للرسول ﷺ والمدعو هنا المشركون. والهدى: دعوة الإسلام. وعدم سماع المشركين لما اعتراهم من التكذيب والاعتراض على الدعوة، فهم ينظرون إليك بأعينهم، ولكنهم لا يبصرون حقيقة الدعوة ولا حقيقة الداعي... صم بكم عُمْيٌ فهم لا يعقلون. **﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾**: العفو: يطلق في اللغة على خالص الشيء وجيّده، وعلى الفضل الزائد فيه أو منه، وعلى السهل الذي لا كلفة فيه، وعلى ما يأتي بدون طلب أو تعب. ومن معانيه السلبية إزالة الشيء كعفت الريحُ الديارَ والآثار، أو إزالة أثره كما يعفو عن الذنب؛ فمعاني العفو الموجبة والسالبة كلها إحسان ورفق. والعُرْف: ما تعارفه الناس من الخير، وهو اسم جامع لكل ما عُرف من طاعة الله والتقرب إليه والإحسان إلى الناس. والمعروف: النصفة وحسن الصحبة مع الأهل وغيرهم.

والإعراض: إدارة الوجه عن النظر للشيء، مشتق من العارض، وهو الخدّ؛ فإنّ الذي يلتفت لا ينظر إلى الشيء. والجهل هنا: ضد الحلم والرشد، وهو أشهر

إطلاق الجهل في كلام العرب قبل الإسلام، فالمراد بالجاهلين السفهاء. . . **﴿وإمّا ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنّه سميع عليم﴾**: النزغ ومثله النسغ والنخس والنخر والنغز والنكز والوكز والهمز ألفاظ متقاربة المعنى. وأصل النزغ: إصابة الجسد برأس شيء محدّد كالإبرة والمهماز، والمراد من نزغ الشيطان إثارته داعية الشر والفساد في النفس بداعية غضب أو شهوة. والاستعاذة: مصدر طلب العوذ فالسين والتاء فيها للطلب. والعوذ: الالتجاء إلى شيء يدفع مكروهاً عن الملتجئ، يقال: عاذ بفلان، وعاذ بالحرم، وأعاذه إذا منعه من الضر الذي عاذ من أجله، والعوذ بالله: هو الالتجاء إليه بالدعاء. . . **﴿إنّ الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾**: الذين اتقوا هم خيار المؤمنين الذين وصفوا بالأوصاف الحميدة، العاملين بكل الأعمال المفيدة. وحقيقة المسّ: وضع اليد على الجسم ويطلق على أول الإحساس بالشيء عند تناوله أو إصابته. والطائف: اسم فاعل، وهو الذي يمشي حول المكان ينتظر الإذن له، وأطلق هنا على الخاطر الذي يخطر في النفس يبعث على فعل شيء نهى الله عن فعله.

والتذكر: استحضار المعلوم السابق، والمراد هنا: تَذَكَّرُوا أوامر الله ووصاياه. والإبصار: الاهتداء إلى ما في الأمر من خير أو شر. . . **﴿وإخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون﴾**: الإخوان: جمع أخ، وحقيقة الأخ المشارك في بنوة الأم والأب أو في بنوة أحدهما، ويطلق على الصديق الودود، ويطلق الأخ على القرين، وعلى التابع الملازم، وعلى النسب والقرب. والإمداد: تقوية الشيء وزيادته بشيء خارج عنه. والغيّ: الضلال. والإقصار: التقصير، وأقصر عن الأمر تركه وكف عنه وهو قادر عليه. . . **﴿وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها﴾**: الآية هنا: المعجزة. ولولا حرف تحضيض مثل هلاّ. والاجتباء: الاختيار. . . **﴿قل إنّما أتبع ما يوحى إليّ من ربّي﴾**: الاتّباع هنا: مستعمل في معنى الاقتصار والوقوف عند الحد، وهو الوحي الذي يأتي من الله تعالى، فليس للرسول اختيار في إيجاد المعجزة. . . **﴿هذا بصائر من ربّكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾**: البصائر جمع بصيرة، وهي ما به اتّضاح الحق.

والهدى: الرشاد والدلالة. والمراد بالرحمة ما يشمل الرحمة في الدنيا، وهي استقامة أحوال الجماعة وانتظام الحياة، والرحمة في الآخرة، وهي الفوز بالنعيم

الدائم. . . ﴿**وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون**﴾: الاستماع: الإصغاء. والإنصات: الاستماع مع ترك الكلام. . . ﴿**واذكر ربّك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدوّ والآصال ولا تكن من الغافلين**﴾: المراد بالذكر هنا ذكر اللسان. والتضرع: التذلل والخشوع. والخيفة: اسم مصدر الخوف، والمراد هنا: الإسرار في الدعاء مع الخوف من الله. . . ودون الجهر من القول: هو الذكر المتوسط بين الجهر والإسرار. والغدو اسم لزمن الصباح. والآصال: جمع أصيل وهو العشيّ. . . ﴿**إن الذين عند ربّك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون**﴾: المراد بالذين عند ربّك الملائكة، وذكر هذه الأوصاف هنا لتكون للمؤمنين الصادقين أسوة وهديا يستنيرون به في حياتهم.

مبحث الإعراب

﴿**وإذ**﴾ مبنيّ على السكون في محل نصب معمول لفعل مقدر، والتقدير: واذكر إذْ، وهو معطوف على الجمل السابقة. ﴿**أخذ ربّك**﴾ فعل وفاعل ومضاف إليه، والجملة في محل جر مضاف إلى إذ. ﴿**من بني**﴾ متعلق بأخذ. ﴿**آدم**﴾ مضاف إلى بني مجرور بالفتحة لمنعه من الصرف. ﴿**من ظهورهم**﴾ بدل من بني آدم. ﴿**ذرياتهم**﴾ مفعول أخذ منصوب بالكسرة، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**وأشهدهم**﴾ معطوف على أخذ. ﴿**على أنفسهم**﴾ متعلق بأشهدهم. ألست الهمزة للاستفهام، والضمير في ﴿**ألست**﴾ اسم ليس. ﴿**بربّكم**﴾ خبر ليس جر بحرف الجر الزائد في محل نصب، والجملة في محل نصب مقول لقول مقدر. ﴿**قالوا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**بلى**﴾ حرف يؤتى به في السؤال المنفي ليتقرر إيجابه، وجملة قالوا بلى جواب لسؤال مقدر. ﴿**شهدنا**﴾ فعل وفاعل تأكيد لمضمون بلى. ﴿**أن تقولوا**﴾ فعل مضارع منصوب بأن، وواو الجماعة فاعل، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بلام التعليل المقدر. ﴿**يوم**﴾ متعلق بالقول. ﴿**القيامة**﴾ مضاف إلى يوم.

﴿**إنّا**﴾ إنّ واسمها. ﴿**كنّا**﴾ كان واسمها، وجملة كنّا في محل رفع خبر إنّ، وجملة إنّا كنا في محل نصب مقول القول. ﴿**عن هذا**﴾ متعلق بخبر كان بعدها وهو ﴿**غافلين**﴾. ﴿**أو تقولوا**﴾ معطوف على أن تقولوا. ﴿**إنّما**﴾ كافة ومكفوفة. ﴿**أشرك آباؤنا**﴾ فعل وفاعل ومضاف إليه. ﴿**من قبلُ**﴾ متعلق بأشرك، وقبلُ مبني

على الضم لحذف المضاف إليه ونية معناه، وجملة إنّما أشرك آباؤنا من قبل في محل نصب مقول القول. ﴿**وكنّا ذرية**﴾ معطوف على أشرك آباؤنا من قبل، واسم كان الضمير المتصل بها، وخبرها ذريّة. ﴿**من بعدهم**﴾ متعلق بمحذوف نعت لذريّة. ﴿**أفتهلكنا**﴾ الهمزة للاستفهام، والفاء للتعقيب، والضمير المتصل بالفعل مفعول به، والفاعل ضمير الخطاب (أنت). ﴿**بما**﴾ متعلق بأتهلكنا. ﴿**فعل المبطلون**﴾ فعل وفاعل، والجملة صلة ما. ﴿**وكذلك**﴾ الواو اعتراضية، واسم الإشارة في محل جر بكاف التشبيه. ﴿**نفصل**﴾ فعل مضارع، والفاعل نحن.

﴿**الآيات**﴾ مفعول به منصوب بالكسرة. ﴿**ولعلهم**﴾ لعل واسمها. ﴿**يرجعون**﴾ فعل وفاعل، والجملة في محل رفع خبر لعلّ، وهو معطوف على قوله: وكذلك... ﴿**واتل**﴾ فعل أمر مبني على حذف الواو، وفاعله أنت، وهو معطوف على قوله: وإذ أخذ ربّك المقدر فيه عامل اذكر. ﴿**عليهم**﴾ متعلق باتل. ﴿**نبأ**﴾ مفعول به. ﴿**الذي**﴾ في محل جر مضاف إلى نبأ. ﴿**آتيناه**﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة صلة الذي. ﴿**آياتنا**﴾ مفعول به منصوب بالكسرة، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**فانسلخ**﴾ مرتب على آتيناه. ﴿**منها**﴾ متعلق بانسلخ، وفاعل انسلخ ضمير يعود على الذي. ﴿**فأتبعه**﴾ مرتب على انسلخ. ﴿**الشيطان**﴾ فاعل أتبع، والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**فكان**﴾ مرتب على أتبعه، واسم كان ضمير يعود على الذي. ﴿**من الغاوين**﴾ متعلق بمحذوف خبر كان. ﴿**ولو**﴾ الواو للعطف ولو حرف امتناع لامتناع متضمنة معنى الشرط. ﴿**شئنا**﴾ فعل وفاعل، وهو فعل الشرط. ﴿**لرفعناه**﴾ فعل وفاعل ومفعول جواب الشرط لدخول اللام عليه. ﴿**بها**﴾ متعلق برفعنا. ﴿**ولكنه**﴾ لكن واسمها دخل عليها واو العطف. ﴿**أخلد**﴾ فعل ماض، وفاعله هو، والجملة في محل رفع خبر لكنّ. ﴿**إلى الأرض**﴾ متعلق بأخلد. ﴿**واتبع**﴾ معطوف على أخلد. ﴿**هواه**﴾ مفعول به منصوب بفتحة مقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر، والضمير فيه مضاف إليه.

﴿**فمثله**﴾ مبتدأ مرفوع بالضمة، والضمير فيه مضاف إليه، والفاء للتفريع. ﴿**كمثل**﴾ في محل رفع خبر المبتدإ. ﴿**الكلب**﴾ مضاف إلى مثل. ﴿**إن تحمل عليه يلهث**﴾ فعل الشرط وجوابه مجزومان بالسكون. ﴿**أو تتركه يلهث**﴾ معطوف على فعل الشرط وجوابه، وهما مجزومان كذلك، وجملة الشرط وجوابه بيان

وتوضيح للمثل المضروب فلا محل لها من الإعراب. **﴿ذلك﴾** في محل رفع مبتدأ. **﴿مثلُ﴾** خبره. **﴿القوم﴾** مضاف إلى مثل. **﴿الذين﴾** في محل جر نعت للقوم. **﴿كذّبوا﴾** فعل وفاعل، والجملة صلة الذين. **﴿بآياتنا﴾** متعلق بكذبوا، والضمير فيه مضاف إليه. **﴿فاقصص﴾** مرتب على ما قبله. **﴿القصص﴾** مفعول به. **﴿لعلهم﴾** لعل واسمها. وجملة **﴿يتفكرون﴾** خبر لعل. **﴿ساء﴾** فعل ماض. **﴿مثلاً﴾** تمييز، وفاعل ساء ضمير. **﴿القوم﴾** هو المخصوص بالذم. **﴿الذين﴾** نعت للقوم. **﴿كذبوا﴾** صلة الذين. **﴿بآياتنا﴾** متعلق بكذبوا. **﴿وأنفسهم﴾** الواو للعطف، أنفسهم مفعول مقدم، والضمير فيه مضاف إليه. **﴿كانوا﴾** كان واسمها. **﴿يظلمون﴾** فعل وفاعل، والجملة في محل نصب خبر كان، ومفعول يظلمون تقدم عليه وهو أنفسهم. **﴿مَنْ﴾** اسم شرط جازم.

﴿يهد﴾ فعل الشرط مجزوم بحذف الياء. **﴿اللهُ﴾** فاعل يهد. **﴿فهو﴾** الفاء رابطة للجواب، هو في محل رفع مبتدأ. **﴿المهتدي﴾** خبره مرفوع بضمة مقدرة على الياء منع من ظهورها الثقل، والجملة في محل جزم جواب الشرط. **﴿ومن يضللْ فأولئك هم الخاسرون﴾** مثلها في الإعراب. **﴿ولقد﴾** الواو للعطف، واللام للقسم، وقد للتحقيق. **﴿ذرأنا﴾** فعل وفاعل. **﴿لجهنم﴾** متعلق بذرأنا، جرّت جهنم بالفتحة للعلمية والتأنيث. **﴿كثيراً﴾** مفعول به. **﴿من الجن﴾** متعلق بمحذوف نعت لكثيراً. **﴿والإنس﴾** معطوف على الجن. **﴿لهم﴾** متعلق بمحذوف خبر مقدم. **﴿قلوب﴾** مبتدأ مؤخر، وجملة لهم قلوب نعت ثانٍ لكثيراً. **﴿لا يفقهون﴾** فعل مضارع منفي بلا، والواو فاعل. **﴿بها﴾** متعلق بالفعل، وجملة لا يفقهون بها في محل رفع نعت لقلوب. والجمل بعدها من قوله **﴿ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها﴾** مثلها في الإعراب. **﴿أولئك﴾** في محل رفع مبتدأ. **﴿كالأنعام﴾** في محل رفع خبر. **﴿بل﴾** حرف إضراب. **﴿هم﴾** في محل رفع مبتدأ. **﴿أضلُّ﴾** خبر. **﴿أولئك هم الغافلون﴾** مثل أولئك كالأنعام في الإعراب.

﴿ولله﴾ الواو للعطف، لله متعلق بمحذوف خبر مقدم. **﴿الأسماء﴾** مبتدأ مؤخر. **﴿الحسنى﴾** نعت للأسماء مرفوع بضمة مقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر. **﴿فادعوه﴾** مرتب على ما قبله، وواو الجماعة فاعل لفعل الأمر، والضمير

المتصل به مفعول. ﴿**بها**﴾ متعلق بفعل الأمر. ﴿**وذروا**﴾ معطوف على ادعوا. ﴿**الذين**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**يلحدون**﴾ فعل وفاعل، والجملة صلة الذين. ﴿**في أسمائه**﴾ متعلق بيلحدون، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**سيجزون**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول دخل عليه سين التنفيس، وواو الجماعة نائب الفاعل. ﴿**ما**﴾ اسم موصول في محل نصب مفعول ثانٍ ليجزون. ﴿**كانوا**﴾ كان واسمها. ﴿**يعملون**﴾ فعل وفاعل، والجملة في محل نصب خبر كان، وجملة كانوا يعملون صلة ما. ﴿**وممن**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**خلقنا**﴾ فعل وفاعل، والجملة صلة مَنْ. ﴿**أمّة**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**يهدون**﴾ فعل وفاعل، والجملة في محل رفع نعت لأمة. ﴿**بالحق**﴾ متعلق بيهدون، والجملة معطوفة على ما قبلها، وهو قوله: ولقد ذرأنا. ﴿**وبه**﴾ معطوف على يهدون، والجار والمجرور متعلق ﴿**بيعدلون**﴾. ﴿**والذين**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**كذبوا**﴾ فعل وفاعل صلة الذين. ﴿**بآياتنا**﴾ متعلق بكذبوا. ﴿**سنستدرجهم**﴾ فعل مضارع دخل عليه سين التنفيس، والفاعل نحن، والضمير المتصل بالفعل مفعول، وجملة سنستدرجهم في محل رفع خبر الذين، والجملة معطوفة على قوله: وممن خلقنا أمة.

﴿**من حيثُ**﴾ متعلق بسنستدرجهم. ﴿**لا يعلمون**﴾ الجملة من الفعل والفاعل في محل جر مضاف إلى حيث. ﴿**وأملي**﴾ معطوف على سنستدرجهم، وهو فعل مضارع، وفاعله أنا. ﴿**لهم**﴾ متعلق بأملي. ﴿**إنّ كيدي**﴾ إنّ واسمها. ﴿**متين**﴾ خبرها، والجملة تعليلية. ﴿**أولم**﴾ الهمزة للاستفهام، والواو للعطف، ولم حرف نفي وجزم. ﴿**يتفكروا**﴾ مجزوم، والواو فاعل. ﴿**ما**﴾ نافية. ﴿**بصاحبهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**من جنّة**﴾ مبتدأ مؤخر جُرّ بمن الزائدة لفظاً ورفع محلاً. ﴿**إن**﴾ حرف نفي. ﴿**هو**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**إلاّ**﴾ أداة استثناء مفرغ. ﴿**نذير**﴾ بدل من الخبر المقدر. ﴿**مبين**﴾ نعت له، وجملة إن هو إلاّ نذير مبين بيانية لا محل لها من الإعراب. ﴿**أولم ينظروا**﴾ مثل أولم يتفكروا. ﴿**في ملكوت**﴾ متعلق بينظروا. ﴿**السماوات**﴾ مضاف إلى ملكوت. ﴿**والأرض**﴾ معطوف على السماوات.

﴿**وما**﴾ معطوف على ملكوت. ﴿**خلق الله**﴾ فعل وفاعل، والجملة صلة ما. ﴿**من شيء**﴾ لفظ شيء مجرور بمن الزائدة، ومحلها نصب مفعول خلق. ﴿**وأن**﴾

الواو للعطف، وأن مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن. ﴿**عسى**﴾ من أفعال المقاربة من أخوات كاد ترفع الاسم وتنصب الخبر، واسم عسى ضمير. ﴿**أن يكون**﴾ اسم يكون ضمير الشأن. ﴿**قد اقترب أجلهم**﴾ فعل وفاعل دخلت عليه قد، والضمير فيه مضاف إليه، وجملة قد اقترب أجلهم خبر يكون، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب خبر عسى، وجملة عسى.. في محل رفع خبر أن المخففة، وأن عسى أن يكون.. في تأويل مصدر مجرور معطوف على ملكوت السماوات والأرض. ﴿**فبأي**﴾ الفاء للتعقيب، والباء للتعدية دخلت على أي الاستفهامية. ﴿**حديث**﴾ مضاف إلى أي. ﴿**بعده**﴾ ظرف، والجار والمجرور والظرف يتعلقان بقوله ﴿**يؤمنون**﴾. ﴿**من يضلل الله**﴾ فعل وفاعل، وهو فعل الشرط مجزوم، وحُرّك بالكسرة لالتقاء الساكنين. ﴿**فلا**﴾ الفاء رابطة للجواب، ولا نافية للجنس تعمل عمل إنّ. ﴿**هادي**﴾ اسم لا مبني على الفتح في محل نصب.

﴿**له**﴾ متعلق بمحذوف خبر لا، وجملة فلا هادي له في محل جزم جواب الشرط، وجملة من يضلل الله تعليلية. ﴿**ونذرهم**﴾ معطوف على قوله: من يضلل الله. ﴿**في طغيانهم**﴾ متعلق بنذرهم، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**يعمهون**﴾ فعل وفاعل، والجملة في محل نصب حال من الضمير المفعول في قوله: ونذرهم. ﴿**يسألونك**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**عن الساعة**﴾ متعلق بيسألونك. ﴿**أيان**﴾ اسم استفهام في محل رفع خبر مقدم. ﴿**مرساها**﴾ مبتدأ مؤخر مرفوع بضمة مقدّرة على الألف منع من ظهورها التعذر، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**قل**﴾ فعل أمر. ﴿**إنّما**﴾ كافة ومكفوفة. ﴿**علمها**﴾ مبتدأ مرفوع بالضمة، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**عند**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدأ. ﴿**ربّي**﴾ مضاف إلى عند مجرور بكسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة، وياء المتكلم في محل جر مضافة إلى رب، وجملة إنّما علمها...

في محل نصب مقول القول. ﴿**لا يجليها**﴾ فعل مضارع منفي بلا، والضمير المتصل به مفعول. ﴿**لوقتها**﴾ متعلق بيجليها، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**إلاّ**﴾ أداة استثناء مفرغ. ﴿**هو**﴾ في محل رفع بدل من الفاعل المقدر، والتقدير: لا يجليها أحدٌ إلا اللهُ تعالى، وجملة لا يجليها بيانية. ثقلت فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على الساعة. ﴿**في السماوات**﴾ متعلق بثقلت. ﴿**والأرض**﴾ معطوف

على السماوات. ﴿**لا تأتيكم**﴾ فعل مضارع منفي بلا. ﴿**إلاّ**﴾ أداة استثناء مفرغ. ﴿**بغتة**﴾ منصوب على الحال. ﴿**يسألونك**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**كأنك**﴾ كأن واسمها. ﴿**حفيٌّ**﴾ خبرها. ﴿**عنها**﴾ متعلق بحفيٌّ، والجملة مؤكدة لقوله: يسألونك عن الساعة. ﴿**قل إنّما علمها**﴾ مبتدأ، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**عند**﴾ متعلق بمحذوف خبره. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى عند. ﴿**ولكن**﴾ حرف استدراك دخل عليه واو العطف. ﴿**أكثر**﴾ اسم لكنّ. ﴿**الناس**﴾ مضاف إلى أكثر. ﴿**لا يعلمون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي، والجملة في محل رفع خبر لكنّ، وجملة إنّما علمها عند الله في محل نصب مقول القول، وجملة قل إنّما.. جوابية. ﴿**قل لا أملك**﴾ فعل مضارع منفيّ بلا، والفاعل أنا، والجملة مقول القول. ﴿**لنفسي**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**نفعاً**﴾ مفعول به.

﴿**ولا ضراً**﴾ معطوف عليه. ﴿**إلاّ**﴾ أداة استثناء. ﴿**ما شاء الله**﴾ مستثنى من أعم الأزمنة، والتقدير: لا أملك لنفسي شيئا في أي وقت من الأوقات إلاّ وقت مشيئة الله تعالى. ﴿**ولو**﴾ الواو للعطف، لو حرف امتناع لامتناع متضمنة معنى الشرط. ﴿**كنت**﴾ كان واسمها، وهو فعل الشرط. ﴿**أعلم**﴾ فعل مضارع، وفاعله أنا. ﴿**الغيب**﴾ مفعول به، وجملة أعلم في محل نصب خبر كان. ﴿**لاستكثرت**﴾ اللام واقعة في جواب الشرط، واستكثرت فعل وفاعل. ﴿**من الخير**﴾ متعلق باستكثرت. ﴿**وما مسني السوء**﴾ معطوف على استكثرت من الخير، والسوء فاعل مسني، وياء المتكلم مفعول، والنون للوقاية. ﴿**إن**﴾ نافية. ﴿**أنا**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**إلاّ**﴾ أداة استثناء مفرغ. ﴿**نذير**﴾ بدل من الخبر المقدر.

﴿**وبشير**﴾ معطوف على نذير. ﴿**لقوم**﴾ متعلق ببشير. ﴿**يؤمنون**﴾ فعل وفاعل، والجملة في محل جر نعت لقوم. ﴿**هو**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**الذي**﴾ في محل رفع خبره. ﴿**خلقكم**﴾ الضمير المتصل بالفعل مفعول، والفاعل ضمير يعود على الذي، والجملة صلة الذي. ﴿**من نفس**﴾ متعلق بخلق. ﴿**واحدة**﴾ نعت لنفس. ﴿**وجعل**﴾ معطوف على خلق. ﴿**منها**﴾ متعلق بجعل. ﴿**زوجها**﴾ مفعول جعل، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**ليسكن**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور باللام متعلق بجعل. ﴿**إليها**﴾ متعلق بيسكن. ﴿**فلما**﴾ ظرف متضمن معنى الشرط دخل عليه حرف

التعقيب. ﴿**تغشاها**﴾ فعل الشرط، والضمير المتصل به مفعول. ﴿**حملت**﴾ جواب الشرط، وفاعل حملت ضمير يعود على قوله: زوجها. ﴿**حملاً**﴾ مفعول حملت. ﴿**خفيفاً**﴾ نعت له. ﴿**فمرت**﴾ مرتب على حملت.. ﴿**به**﴾ متعلق بمرت. ﴿**فلما أثقلت**﴾ مثل فلما تغشاها.

﴿**دَعَوَا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**اللهَ**﴾ مفعول. ﴿**ربَّهما**﴾ عطف بيان، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**لئن**﴾ اللام موطئة للقسم، وإن حرف شرط. ﴿**آتيتنا**﴾ فعل الشرط. ﴿**صالحاً**﴾ مفعول ثانٍ. ﴿**لنكونن**﴾ جواب القسم مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد، واسم نكونن نحن. ﴿**من الشاكرين**﴾ متعلق بمحذوف خبر نكون، وجواب القسم سدّ مسدّ جواب الشرط. ﴿**فلما**﴾ مثل فلما السابقة. ﴿**آتاهما**﴾ فعل الشرط، والضمير المتصل بالفعل مفعول أول. ﴿**صالحاً**﴾ مفعول ثان. ﴿**جعلا**﴾ فعل وفاعل جواب الشرط. ﴿**له**﴾ متعلق بجعل. ﴿**شركا**﴾ مفعول به. ﴿**فيما**﴾ متعلق بشرك. ﴿**آتاهما**﴾ صلة ما. ﴿**فتعالى**﴾ مرتب على ما قبله. ﴿**الله**﴾ فاعل. ﴿**عما**﴾ متعلق بتعالى. ﴿**يشركون**﴾ فعل وفاعل، والجملة صلة ما. ﴿**أيشركون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف الاستفهام. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**لا يخلق**﴾ فعل مضارع منفي بلا، والفاعل ضمير يعود على ما، والجملة صلة ما. ﴿**شيئا**﴾ مفعول به. ﴿**وهم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**يُخلقون**﴾ في محل رفع خبر المبتدإ، والجملة معطوفة على ما لا يخلق شيئا.

﴿**ولا يستطيعون**﴾ معطوف على ما لا يخلق شيئا. ﴿**لهم**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**نصراً**﴾ مفعول به. ﴿**ولا أنفسهم ينصرون**﴾ معطوف على قوله لا يستطيعون. ﴿**وإن تدعوهم**﴾ فعل الشرط. ﴿**إلى الهدى**﴾ متعلق بتدعو. ﴿**لا يتبعوكم**﴾ جواب الشرط دخلت عليه لا النافية. ﴿**سواء**﴾ مبتدأ سوّغه العموم. ﴿**عليكم**﴾. ﴿**أدعوتموهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخلت عليه همزة الاستفهام. ﴿**أم أنتم**﴾ في محل رفع مبتدأ أُدْخِلَتْ عليه أم العاطفة. ﴿**صامتون**﴾ خبر أنتم، والجملة معطوفة على قوله: أدعوتموهم، وجملة أدعوتموهم أم أنتم صامتون في محل رفع خبر سواء عليكم. ﴿**إنّ الذين**﴾ إنّ واسمها. ﴿**تدعون**﴾ فعل وفاعل، والجملة صلة الذين. ﴿**من دون**﴾ متعلق بتدعون. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى دون. ﴿**عباد**﴾ خبر إنّ. ﴿**أمثالكم**﴾ نعت لعباد، والضمير فيه مضاف إليه، وجملة إنّ

الذين تدعون من دون الله. . بيانٌ وتعليل لجملة وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم. ﴿**فادعوهم**﴾ مفرع على المماثلة مستعمل في التعجيز باعتبار ما تفرع عليه من قوله: ﴿**فليستجيبوا لكم**﴾. ﴿**إن كنتم صادقين**﴾ جملة شرطية من كان واسمها وخبرها، وجوابها محذوف يدل عليه قوله: فادعوهم. ﴿**ألهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم، والهمزة للاستفهام. ﴿**أرجل**﴾ مبتدأ مؤخر.

﴿**يمشون**﴾ فعل وفاعل، والجملة نعت لأرجل. ﴿**بها**﴾ متعلق بيمشون. ﴿**أم لهم أيد يبطشون بها**﴾ معطوف على قوله: ألهم أرجل يمشون بها، وهو مثله في الإعراب. وكذلك ﴿**أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها**﴾. ﴿**قل: ادعوا**﴾ فعل أمر للجماعة. ﴿**شركاءكم**﴾ مفعول به، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**ثم كيدون**﴾ معطوف على ادعوا. ﴿**فلا تنظروني**﴾ مفرع على ما قبله، والنون في الفعلين للوقاية، وياء المتكلم فيهما في محل نصب مفعول به، وحذفت الياء تخفيفاً. ﴿**إنّ وليي الله**﴾ إنّ واسمها وخبرها. ﴿**الذي**﴾ في محل رفع عطف بيان. ﴿**نزّل**﴾ صلة الذي. ﴿**الكتاب**﴾ مفعول به. ﴿**وهو**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**يتولى**﴾ الجملة من الفعل والفاعل خبر المبتدإ. ﴿**الصالحين**﴾ مفعول به منصوب بالياء، والجملة تذييل لا محل لها من الإعراب. ﴿**والذين**﴾ مبتدأ. ﴿**تدعون من دونه**﴾ صلته. ﴿**لا يستطيعون**﴾ جملة منفية من الفعل والفاعل خبر الذين. ﴿**نصركم**﴾ مفعول به، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**ولا أنفسهم ينصرون**﴾ معطوف على قوله: لا يستطيعون نصركم. ﴿**وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا**﴾ جملة شرطية وجوابها، وتقدم إعراب مثلها قريباً. ﴿**وتراهم ينظرون**﴾ جملة ينظرون في محل نصب حال من الضمير المفعول. ﴿**إليك**﴾ متعلق بينظرون. ﴿**وهم لا يبصرون**﴾ جملة حالية معطوفة على قوله: ينظرون، فالواو هنا واو الحال. ﴿**خذ**﴾ فعل أمر.

﴿**العفو**﴾ مفعول به. ﴿**وأمُر**﴾ معطوف على خذ. ﴿**بالعرف**﴾ متعلق بأمُر. ﴿**وأعرض عن الجاهلين**﴾ مثلها. ﴿**وإمّا**﴾ شرطية ركبت من إنْ وما، فأدغمت واتصلت. ﴿**ينزغنك**﴾ مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد، وهو في محل جزم فعل الشرط، والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**من الشيطان**﴾ متعلق بينزغنك. ﴿**نزغ**﴾ فاعل ينزغنك. ﴿**فاستعذ**﴾ جواب الشرط قرن بالفاء لكونه فعل أمر.

﴿**بالله**﴾ متعلق باستعذ. ﴿**إنّه سميع عليم**﴾ الجملة من إنّ واسمها وخبرها تعليلية. ﴿**إنّ الذين**﴾ إنّ واسمها. ﴿**اتقوا**﴾ صلة الذين. ﴿**إذا مسهم طائف**﴾ جملة شرطية. ﴿**من الشيطان**﴾ متعلق بمسهم. ﴿**تذكروا**﴾ جواب الشرط. ﴿**فإذا هم**﴾ الفاء للتعقيب، إذا فجائية، هم في محل رفع مبتدأ. ﴿**مبصرون**﴾ خبره مرفوع بالواو، وجملة إذا مسهم طائف من الشيطان في محل رفع خبر إنّ. ﴿**وإخوانهم**﴾ معطوف على قوله: إنّ الذين، وهو مبتدأ. وجملة يمدونهم من الفعل والفاعل والمفعول خبرالمبتدإ. ﴿**في الغي**﴾ متعلق بيمدونهم. ﴿**ثم لا يقصرون**﴾ معطوف على قوله: يمدونهم. ﴿**وإذا**﴾ الواو للعطف، وإذا ظرف متضمن معنى الشرط. ﴿**لم تأتهم**﴾ فعل مضارع مجزوم ومنفي بلم، وفاعله أنت، والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**بآية**﴾ متعلق بالفعل قبله، وجملة لم تأتهم فعل الشرط، وهو في محل جر مضاف إلى إذا. ﴿**قالوا**﴾ فعل وفاعل جواب إذا. ﴿**لولا**﴾ حرف تحضيض. ﴿**اجتبيتها**﴾ فعل وفاعل ومفعول، وجملة لولا اجتبيتها في محل نصب مقول القول. ﴿**قل**﴾ فعل أمر. ﴿**إنّما**﴾ كافة ومكفوفة.

﴿**أتبع**﴾ فعل مضارع، وفاعله أنا. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**يوحى**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول، ونائب الفاعل ضمير يعود على ما. ﴿**إليّ**﴾ متعلق بيوحى. وكذلك ﴿**من ربّي**﴾، وجملة يوحى صلة ما، وجملة إنّما أتبع في محل نصب مقول القول. ﴿**هذا**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**بصائر**﴾ خبره مرفوع بالضمة. ﴿**من ربّكم**﴾ متعلق ببصائر، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**وهدى**﴾ معطوف على بصائر. ﴿**ورحمةٌ**﴾ كذلك. ﴿**لقوم**﴾ متعلق برحمة. ﴿**يؤمنون**﴾ فعل وفاعل، والجملة في محل جر نعت لقوم. ﴿**وإذا قرئ القرآن**﴾ الجملة من الفعل ونائب الفاعل في محل جر مضاف إلى إذا، وهو فعل الشرط. ﴿**فاستمعوا**﴾ جواب إذا دخل عليه الفاء لأنه فعل أمر. ﴿**له**﴾ متعلق باستمعوا. ﴿**وأنصتوا**﴾ معطوف على استمعوا. ﴿**لعلكم**﴾ لعل واسمها. ﴿**ترحمون**﴾ جملة الفعل ونائب الفاعل في محل رفع خبر لعل، والجملة تعليلية. ﴿**واذكر**﴾ فعل أمر. ﴿**ربّك**﴾ مفعول، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**في نفسك**﴾ متعلق باذكر، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**تضرعاً**﴾ مصدر بمعنى اسم الفاعل منصوب على الحال من فاعل اذكر. ﴿**وخيفة**﴾ معطوف على تضَرُّعاً. ﴿**ودون**﴾ كذلك.

﴿**الجهر**﴾ مضاف إلى دون. ﴿**من القول**﴾ متعلق بمحذوف حال من الجهر.

﴿**بالغدو**﴾ متعلق باذكر. ﴿**والآصال**﴾ معطوف على الغدو. ﴿**ولا تكن**﴾ مجزوم بلا الناهية، واسمها ضمير المخاطب. ﴿**من الغافلين**﴾ متعلق بمحذوف خبر تكن. ﴿**إنّ الذين**﴾ إنّ واسمها. ﴿**عند**﴾ متعلق بمحذوف صلة الذين. ﴿**ربّك**﴾ مضاف إلى عند، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**لا يستكبرون**﴾ الجملة من الفعل والفاعل في محل رفع خبر. ﴿**عن عبادته**﴾ متعلق بيستكبرون، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**ويسبحونه**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**وله**﴾ متعلق بما بعده. وهو ﴿**يسجدون**﴾.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**وإذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم...**﴾ الخ: اتصل الكلام بما قبله بالعطف لمناسبة ما ذكر قبل من أخذ الميثاق على بني إسراءيل في ظل الجبل المرفوع، فهذا الدرس الجديد يتابعه، فيبدأ بقضية الميثاق الأكبر الذي أخذ على البشر جميعاً. إنّها قضية يعرضها القرآن في هيئة مشهد، وإنّه تشخيص حيٌّ للقضية، يقصر عنه التعبير في أي أسلوب آخر غير أسلوب التصوير. والإشهاد على الأنفس يطلق على ما يساوي الإقرار أو الحمل عليه، وهو هنا الحمل على الإقرار. واستعير لحالة مغيبة تتضمن هذا الإقرار يعلمها الله، لاستقرار معنى هذا الاعتراف في فطرتهم. والضمير في ﴿**أشهدهم**﴾ عائد على الذريات. والقول في قالوا بلى: مستعار أيضاً لدلالة حالهم على الاعتراف بالربوبية لله تعالى.

وجملة ﴿**ألست بربّكم**﴾ مقول لقول محذوف هو بيان لجملة أشهدهم على أنفسهم. والاستفهام في ألست بربّكم تقريري، والكلام تمثيل حال من أحوال الغيب من تسلط أمر التكوين الإلهي على ذوات الكائنات وأعراضها عند إرادة تكوينها، لا تبلغ النفوس إلى تصورها بالكنه؛ لأنّها وراء المعتاد المألوف، فيراد تقريبها بهذا التمثيل. وجملة ﴿**قالوا بلى**﴾ جواب عن الاستفهام التقريري، وفصلت لأنها جاءت على طريقة المحاورة. وهذا القول مجاز على دلالة حالهم على أنهم مربوبون لله تعالى، فهو من المجاز الذي كثر في كلام العرب. وبلى حرف جواب لكلام فيه معنى النفي؛ فيقتضي إبطال النفي وتقرير المنفي، ولذلك كان الجواب بها بعد النفي أصرح من الجواب بحرف نعم؛ لأنّ نعم تحتمل تقرير النفي وتقرير المنفي. وقوله: ﴿**شهدنا**﴾ تأكيد لمضمون بلى...

﴿**أن تقولوا يوم القيامة إنّا كنا عن هذا غافلين**﴾: جاء هذا الكلام في موقع التعليل لفعل الأخذ والإشهاد، فهو على تقدير لام التعليل الجارة، وحذفها مع أن جار على المطرد الشائع. والمقصود التعليل بنفي أن يقولوا: إنّا كنا عن هذا غافلين. وقد حول الأسلوب من الغيبة إلى الخطاب، ثم من خطاب الرسول إلى خطاب قومه، تصريحاً بأن المقصود من قصة أخذ العهد تذكير المشركين بما أودع الله في الفطرة من التوحيد. والإشارة بهذا إلى مضمون الاستفهام وجوابه وهو الاعتراف بالربوبية لله تعالى على تقديره بالمذكور. . . ﴿**أو تقولوا إنّما أشرك آباؤنا من قبل وكنّا ذرية من بعدهم**﴾: عُطف عليه الاعتذار بالجهل دون الغفلة بأن يقولوا: إنّنا اتبعنا آباءنا وما ظننا الإشراك إلاّ حقاً. فلما كان في أصل الفطرة العلم بوحدانية الله بطل الاعتذار بالجهل به، وكان الإشراك إمّا عن عمد وإمّا عن تقصير وكلاهما لا ينهض عذراً. ومعنى وكنا ذرية من بعدهم: كنا على دينهم تبعاً لهم؛ لأنّنا ذرية لهم، وشأن الذرية الاقتداء بالآباء وإقامة عوائدهم، فوقع إيجاز في الكلام، وأُقيم التعليل مقام المعلّل.

ومن بعدهم نعت لذرية لما تؤذن به ذرية من الخَلفية والقيام في مقامهم. والاستفهام في أتهلكنا؟ إنكاري. والإهلاك هنا مستعار للعذاب. وجملة ﴿**وكذلك نفصل الآيات**﴾ معترضة بين القصتين، والواو اعتراضية، وتسمى واو الاستئناف. وجملة ﴿**ولعلهم يرجعون**﴾ عطف على جملة وكذلك نفصل الآيات فهي في موقع الاعتراض، وهذا إنشاء ترجّى رجوع المشركين إلى التوحيد. والرجوع مستعار للإقلاع عن الشرك؛ شبه الإقلاع عن الحالة التي هم متلبسون بها بترك من حل في غير مقرّه الذي هو به ليرجع إلى مقره.

وهذا التشبيه يقتضي تشبيه حال الإشراك بموضع الغربة؛ لأنّ الشرك ليس من مقتضى الفطرة، فالتبس به خروج عن أصل الخلقة كخروج المسافر عن موطنه، ويقتضي أيضا تشبيه حال التوحيد بمحل المرء وحيّه الذي يأوي إليه. . . ﴿**واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين**﴾: هذه الآية متصلة بما قبلها بالعطف لمناسبتها للتي قبلها؛ يمثل فيه مَشهَداً من المشاهد العجيبة الجديدة كل الجدة على ذخيرة هذه اللغة من التصورات والتصويرات. إنسان يؤتيه الله آياته ويخلع عليه من فضله ويكسوه من علمه، ويعطي الفرصة

للهدى والاتصال والارتفاع، ولكن ها هوذا ينسلخ من هذا كله، ينسلخ كأنّما الآيات أديمٌ له ملتبس بلحمه، فهو ينسلخ منها بعنف ومشقة وجهد، انسلاخ الحيّ من أَدِيمِهِ المخالط لكيانه، أوليست الفطرة الأولى ملتبسة بالإيمان تلبس الجلد باللحم والعظام؟. وضمير (عليهم) راجع للمشركين الذين وجهت إليهم العبر والمواعظ من أول هذه السورة، وقصّت عليهم قصص الرسل مع أممهم، فهو من قبيل رد العجز على الصدر.

والإيتاء هنا مستعار للاطلاع وتيسير العلم. واستعير الانسلاخ للانفصال المعنوي. وقوله فكان من الغاوين أشدّ مبالغة في الاتصاف بالغواية من أن يُقال: وَغَوَى أو كان غاوياً. وترتيب أفعال الانسلاخ والاتباع والكون من الغاوين بفاء العطف على حسب ترتيبها في الحصول... ﴿**ولو شئنا لرفعناه بها**﴾: الرفعة هنا مستعارة لكمال النفس وزكائها... ﴿**ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه**﴾: الاستدراك وقع على مضمون قوله: ولو شئنا لرفعناه بها، بذكر ما يناقض تلك المشيئة الممتنعة، وهو الاستدراك بأنّه انعكست حاله فأخلد إلى الأرض. والكلام تمثيل لحال المتلبس بالنقائص والكفر بعد الإيمان والتقوى بحال من كان مرتفعاً عن الأرض فنزل من اعتلاء إلى أسفل. والاتباع مستعار للاختيار والميل... ﴿**فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث**﴾: التمثيل بالكلب متفرع على ما حصل منه؛ لأنّ اتصافه بالحالة التي صيرته شبيها بحال الكلب اللاهث، هو إخلاده إلى الأرض واتباع هواه. وهذا التمثيل ابْتَكَرَهُ القرآن، وهو تمثيل مركب... ﴿**ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا**﴾: هذه الجملة تُبيّن وتُوضّح ما قبلها من قوله: واتل عليهم... الخ الآيتين، والإشارة إلى المثل المضروب. وفُرّع على ذلك الأمْرُ بقوله: ﴿**فاقصص القصص لعلهم يتفكرون**﴾. وهذا تذييل للقصة الممثل بها، يشملها وغيرَها من القصص التي في القرآن...

﴿**ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون**﴾: فصلت هذه الآية عما قبلها فلم تعطف لأنّها جعلت إنشاء ذم للمشركين الذي قصّ القرآن عليهم نبأ من آتاه الله الآيات البينات فأعرض عنها واتبع هواه. وهل أسوأ من المسخ في هيئة الكلب؟. وهل أسوأ من اللصوق بالأرض بدلاً من التحليق والارتفاع؟. وهل أسوأ من الضلال ودلائل الهدى حاضرة؟!. وهل يظلم الإنسان

نفسه كما يظلمها من يهبط بها إلى عالم الحيوان اللاصق بالأرض الحائر القلق اللاهث كالكلاب؟!. فتقديم المفعول في قوله: وأنفسهم.. للاختصاص، بمعنى: ما ظلموا إلاّ أنفسهم. وقوله: كانوا يظلمون أقوى في إفادة وصفهم بالظلم من أن يقال: وظلموا أنفسهم... ﴿**من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون**﴾: هذا تعقيب على ما سبق من ضرب المثل، وهو تقريرٌ لقاعدةٍ جرى القلم بها، فأجريت مجرى الْمَثَل، وهو من أعلى أنواع التذييل. والقصر المستفاد من تعريف جزئي الجملة الواقعة في جواب الشرط، قصر حقيقي ادعائي باعتبار الكمال واستمرار الاهتداء إلى وفاة صاحبه. وكذلك القول في ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون. وزيد في جانب الخاسرين الفصلُ باسم الإشارة لزيادة الاهتمام بتمييزهم بعنوان الخسران تحذيراً منه، فالقصر فيه مؤكّد. وجمع الوصف في الثاني مراعاة لمعنى مَنْ الشرطية، وإنّما روعي معنى من الثانية دون الأولى لرعاية الفاصلة، ولتبين أن ليس المراد بمن الأولى مفرداً.

وقد علم من مقابلة الهداية بالإضلال، ومقابلة المهتدي بالخاسر أنّ المهتدي فائز رابح فحذف ذكر ربحه إيجازاً. والخسران استعير لتحصيل ضد المقصود من العمل، كما يستعار الربح لحصول الخير من العمل... ﴿**ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس**﴾: وصلت الجملة بما قبلها بالعطف لمناسبة ما تقدم من قوله: من يهد الله فهو المهتدي... الخ الآية. وتأكيد الخبر بلام القسم وبحرف التحقيق لقصد تحقيقه؛ لأنّ غرابته تُنَزِّلُ سامعه خالي الذهن منه منزلة المتردد في تأويله، ولأنّ المخبر عنهم قد وصفوا بأوصاف يحتاج معها إلى التأكيد والتحقيق، وهو قوله: ﴿**لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها...**﴾ الخ الآية. واللام في قوله: لجهنم للتعليل. وجملة ﴿**أولئك كالأنعام**﴾ مستأنفة لابتداء كلام بتفظيع حالهم، فجُعِلَ ابتداءَ كلامٍ ليكون أدعى للسامعين.

وعرفوا بالإشارة لزيادة تمييزهم بتلك الصفات. و﴿**بل**﴾ للانتقال والترقي في التشبيه في الضلال وعدم الانتفاع بما يمكن الانتفاع به. وجملة ﴿**أولئك هم الغافلون**﴾ تعليل لكونهم أضل من الأنعام، وهو بلوغُهُم حدَّ النِّهَايَةِ في الغفلة. وبلوغهم هذا الحدِّ قُيِّدَ بصيغة القصر الادّعائي، إذ ادُّعي انحصار صفة الغفلة فيهم بحيث لا يوجد غافل غيرهم. وأطلق على ضلالهم لفظ الغفلة بناءً على تشبيه

الإيمان بأنّه أمر بيّن واضح، يُعَدُّ عدَمُ الشعور به غَفْلَة، ففي قوله: هم الغافلون استعارة مكنية ضمنية، والغفلة من روادف المشبه به. وقد وقع التدرج في وصفهم بهذه الأوصاف من نفي انتفاعهم بمداركهم، ثم تشبيههم بالأنعام، ثم الترقي إلى أنّهم أضل من الأنعام، ثم قصور الغفلة عليهم!.. **﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون﴾**: الآية متّصلة بما قبلها بالعطف تعقيب للآيات التي وَصَفَتْ ضَلاَلَ المشركين بتنبيه المسلمين للإقبال على دعاء الله بأسمائه الدالة على عظيم صفاته، فعطف هذه الآية على التي قبلها عطف الإخبار عن أحوال المشركين وضلالهم. والغرض منها قوله: وذروا الذين يلحدون في أسمائه. وتقديم المجرور المسند على المسند إليه لمجرد الاهتمام المفيد تأكيد استحقاقه إيّاها المستفاد من اللام.

والتفريع في قوله: فادعوه بها تفريع عن كونها أسماءً له سبحانه، وعن كونها حسنى. وإضافة الأسماء إلى الله تؤذن بأنّ المقصود أسماؤه التي ورد في الشرع ما يقتضي تسميته بها. ومعنى الإلحاد في أسماء الله جعلها مظهراً من مظاهر الكفر. وجملة سيجزون ما كانوا يعملون تنزل منزلة التعليل للأمر بترك الملحدين، فلذلك فصلت عما قبلها. وما موصولة عامة، والسين للاستقبال، وهي تفيد التأكيد. وقيل ما كانوا يعملون دون ما عملوا أو ما يعملون للدلالة على أنّ ذلك العمل سنة لهم ومتجدد منهم... **﴿وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾**: هذا بيان إجمالي لحال من عدا المذكورين من الثقلين الموصوفين بما ذكر من الضلال والإلحاد عن الحق. والمقصود التنويه بالمسلمين في هديهم واهتدائهم، وذلك مقابلة لحال المشركين في ضلالهم...

﴿والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾: هذا تمثيل بديع يشتمل على تشبيهات كثيرة؛ فإنّه مبنيٌّ على تشبيه حسن الحال برفعة المكان وضده بسفالة المكان. ومما يشير إلى مراعاة هذا التمثيل في الآية قولُه تعالى: من حيث لا يعلمون. ولما تضمن الاستدراج معنى الإيصال إلى المقصود علق بفعله مجرورٌ بمن الابتدائية، فحيث هنا للمكان على أصلها. وحذف مفعول يعلمون لدلالة الاستدراج عليه، والتقدير: لا يعلمون تدرجه، وهذا مؤذن بأنّه استدراج عظيم لا يظن بالمفعول به أن يتفطّن له... **﴿وأملي لهم إنّ كيدي متين﴾**: متصل بما قبله

بالعطف، مقصود منه المشاركة في الدخول تحت حكم الاستقبال. والمغايرة بيْنَ فِعْلَي نستدرج وأملي في كون ثانيهما بهمزة المتكلم وأولهما بنون العظمة مغايرة اقتضتها الفصاحة من جهة نقل الهمزة بين حرفين متماثلين في النطق في سنستدرجهم، وللتفنن والاكتفاء بحصول معنى التعظيم الأوّل، فجملة إنّ كيدي متين في موضع العلة للجملتين قبلها؛ فإنّ الاستدراج والإملاء ضرب من الكيد، فهو استدراج إلى ما يكرهونه وتأجيل لهم إلى حلوله. وإطلاقه هنا جاء على طريقة التمثيلية بتشبيه الحال التي يستدرج الله بها المكذبين مع تأخير العذاب عنهم إلى أَمَدٍ هُمْ بالِغُوه بحال مَنْ يُهَيِّئُ أَخْذاً لِعَدُوِّهِ مع إظهار المصانعة والمحاسنة ليزيد عدُوه غروراً، وليكون وقوع ضر الأخذ به أشد وأبعد عن الاستعداد لتلقّيه!. .

﴿**أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة**﴾: فصل الكلام عما قبله لكونه احتجاجاً عليهم وإنكاراً على عدم تفكرهم في شأن محمد ﷺ وهو صاحبهم عَاشَ معهم يعرفونه بشخصه معرفة تامّة، فالاستفهام للإنكار والتعجيب والتوبيخ، وإنّما أنكر عليهم وَعَجَّبَ مِنْ إعراضِهم عن النظر في شأن الرسول ﷺ أنّه غير مجنون رداً عليهم وصفهم إيّاه بالجنون. وجملة: ﴿**إن هو إلاّ نذير مبين**﴾ تقرير لحكم جملة ما بِصَاحِبكم من جنة ففصلت لكمال الاتصال بينهما الْمُغْنِي عَنِ العطف. والقصر المستفاد من النفي والاستثناء قصر موصوف على صفة، وهو يقتضي انحصار أوصاف الرسول ﷺ في النذارة والبيان، وذلك قصر إضافي، هو قصر قلب، بمعنى: هو نذير مبين لا مجنون كما يزعمون.

وفي هذا اسْتِغْبَاءٌ وتسفيه لهم بأنّ حاله لا يلتبس بحال المجنون، لِلْبَوْن الواضح بين حال النذارة البينة وحال هذيان المجنون، فدعواهم جنونَه غَبَاوَةٌ منهم بحيث الْتَبَسَتْ عليهم الحقائق المتمايزة، أو مكابرة وعناد وافتراء على الرسول!. .
﴿**أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض**﴾: هذا استئناف آخر مسوق للإنكار والتوبيخ بإخلالهم بالتأمل في الآيات التكوينية المنصوبة في الآفاق والأنفس الشاهدة بصحة مضمون الآيات المنزلة إثر ما نَعَى عليهم إخْلاَلَهُم بالتفكر في شأن صاحبهم محمد ﷺ، وهذا تَرَقٍّ في الإنكار والتعجيب من حالهم في الإعراض عن النظر فيما هو أعظم وأوضح من ذلك وأعمُّ. ودل بحرف الظرفية على أنّ هذا التفكر عميق متغلغل في أصناف الموجودات، وهي ظرفية مجازية. . . ﴿**وما خلق**

الله من شيء﴾: عطف على ملكوت، فقَسَّم النظر إلى نظرٍ في عظيم مُلكِ اللهِ تعالى، وإلى نظرٍ في مخلوقاته. . . **﴿وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم﴾**: معطوف على وما خلق الله من شيء.

وصيغ الكلام على هذا النظم لإفادة تهويل الأمر عليهم وتخويفهم، بجعل متعلق النظر من معنى الإخبار للدلالة على أنّه أمر من شأنه أن يخطر في النفوس، وأنْ يَتَحَدَّثَ به الناسُ، وأنّه قد صار حديثاً وخَبَراً، فكأنّه أمر مسلَّم مقرّر، ومن بديع نظم هذه الآيات: أنّه لما أريد التبصر والتفكر في ثبوت الحقائق والنسب في نفس الأمر جيء مع فعل القلب بصيغة القضية والخبر في قوله: أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة، وقوله: وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم، ولما أريد التبصر والتفكر في صفات الذات جعل فعل القلب متعلقاً بأسماء الذوات في قوله: أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء. ثم فرع على التهديد والوعيد توبيخهم والإنكار عليهم بطريقة الاستفهام التعجيبي المفيد للاستبعاد بقوله: **﴿فبأي حديث بعده يؤمنون﴾**؟. فهو تعجيب مشوب باستبعادٍ للإيمان بما أبلغ إليهم الله بلسان رسوله - عليه الصلاة والسلام - وما نصب لهم من الآيات في أصناف المخلوقات، فإنّ ذلك كله قد بلغ منتهى البيان قوْلاً ودَلاَلَةً بحيث لا مطمع أن يكون غيره أدلَّ منه!. . **﴿من يضلل الله فلا هادي له ونذرهم في طغيانهم يعمهون﴾**: هذه الجملة تعليل للإنكار في قوله: فبأي حديث بعده يؤمنون؛ لإفادة أنّ ضلالهم أمر قدّر الله دوامه فلا طمع لأحد في هديهم.

ولمّا كان هذا الحكم حاقّاً على من اتصف بالتكذيب وعدم التفكر في حال الرسول وعدم النظر في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله، وفي توقع اقتراب استئصالهم كان المحكوم عليهم بعدم الاهتداء فريقاً غير معروف للناس، وإنّما ينفرد الله بعلمه ويطلع عليه رسوله، وينكشف بعض ذلك عند موت بعضهم على الشرك. وعطف جملة ونذرهم في طغيانهم يعمهون على جملة من يضلل الله فلا هادي له للإشارة إلى استمرار ضلالهم وانتفاء هديهم في المستقبل كما وقع في الماضي. وفي الكلام التفات من الغيبة إلى التكلم. . . **﴿يسألونك عن الساعة أيان مرساها﴾**: استئناف ابتدائي يُذْكَرُ به شيء من ضلالهم ومحاولة تعجيزهم النبيء ﷺ بتَعْيينِ وقْت الساعة. وإطلاق الإرساء هنا استعارة للوقوع تشبيها لوقوع الأمر الذي

كان مترقبا أو متردّداً فيه بوصول السائر في البر أو البحر إلى المكان الذي يريده. . . **﴿قل إنّما علمها عند ربيّ لا يجليها لوقتها إلاّ هو﴾**: جواب عن سؤالهم، وهو جواب جدّ وإغضاء عن سوء قصدهم.

والحصر حقيقي؛ لأنّه الأصل. والتعريف بوصف الرب وإضافته إلى ضمير المتكلم إيماء إلى الاستدلال على استئثار الله تعالى بعلم الساعة دون الرسول المسؤول، ففيه إيماء إلى خطإهم. وفصلت جملة لا يجليها لوقتها إلاّ هو؛ لأنّها تنزل من التي قبلها منزلة التأكيد والتقرير. وقدم المجرور - لوقتها - على فاعل يجليها للاهتمام به تنبيها على أنّ تجلية أمرها تكون عند وقت حلولها لأنها تأتي بغتة. **﴿ثقلت في السماوات والأرض﴾**: الثقل هنا مستعار للمشقّة. ووصف الساعة بالثقل باعتبار ما هو مظروف في وقتها من الحوادث، فوصفها بذلك مجاز عقلي، والقرينة واضحة، ومن بديع الإيجاز تعدية فعل ثقلت بحرف الظرفية الدال على مكان حلول الفعل، وحذف ما حقه أن يتعدى إليه، وهو حرف إلى الذي يدل على ما يقع عليه الفعل ليعم كل ما تحويه السماوات والأرض، مما يقع عليه الثقل. . . **﴿لا تأتيكم إلاّ بغتة﴾**: جملة مستأنفة جاءت تكملة للإخبار عن وقت حلول الساعة؛ لأنّ الإتيان بغتة يحقق مضمون الإخبار عن وقتها بأنّه غير معلوم إلاّ لله، وبأنّ الله غيرُ مُظْهِره لأحد.

وجملة **﴿يسألونك كأنّك حفي عنها﴾** مؤكدة لجملة يسألونك عن الساعة، ومبينة لكيفيَة سؤالهم؛ فَلِذَلِكَ فُصِلَتْ. وكلمة حفيّ هنا وجهت لعدة معان وهي معتبرة كلها بدليل تأخير كلمة عنها للإيفاء بهذه الاعتبارات. . . **﴿قل إنّما علمها عند الله﴾**: تأكيد للحصر المتقدم، وهو إبطال لظن الذين يحسبون أنّ شأن الرسل أن يكونوا عالمين بكل مجهول. . . **﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾**: هذا تعريض بجهل الذين يسألون الرسول عن أمر ليس من اختصاصه. . . **﴿قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلاّ ما شاء الله﴾**: هذا شروع في الجواب عن السؤال ببيان عجزه عن علمها إثر بيان عجز الكل عنه وإبطال زعمهم الذي بَنَوْا عليه سؤالهم عن كون النبيء ﷺ ممن يعلمها. وإعادة الأمر لإظهار كمال العناية بشأن الجواب والتنبيه على استقلاله ومغايرته للأول، والتعرض لبيان عجزه عما ذكر من النفع والضر لإثبات عجزه عن علمها بالطريق البرهاني.

وهذا ارتقاء في التبرُّؤِ من معرفة الغيب، ومن التصرف في العالم، وزيادة من التعليم للأمة بشيء من حقيقة الرسالة والنبوءة، وتمييز ما هو من خصائصها عما ليس منها. والاستثناء من مجموع النفع والضر. والأوْلَى جعلُه متّصلاً. وحملُه على الاتصال يناسب ثبوت قدرةٍ بِجَعْلِ الله تعالى، وهي المسماة بالكسب. وقوله: ﴿**ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسّني السوء**﴾ تكملة للتبرؤِ من معرفة الغيب سواء منه ما كان يخص نفسه وما كان من شؤون غيره. وجملة ﴿**إن أنا إلاّ نذير وبشير لقوم يؤمنون**﴾ من تمام القول المأمور به. وهي مستأنفة استئنافاً بيانياً ناشئاً عن التبرؤِ من أنْ يَمْلِكَ لنفسه نفْعاً أو ضُرّاً. وفي نظم الكلام على هذا الأسلوب من التنازع في قوله: إن أنا إلاّ نذير وبشير لقوم يؤمنون. وإيلاء وصف التبشير بقوم يؤمنون إيهام أن البشارة خاصة بالمؤمنين، وأنّ متعلق النذارة المتروك ذكره في النظم هو لأضداد المؤمنين. وهذه المعاني المستتبعات مقصودة من القرآن، وهي من وجوه إعجازه؛ لأنّ فيها اسْتِفَادَةَ مَعَانٍ وَافِرَةٍ من ألفاظ وجيزة. . .

﴿**هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها**﴾: هذه جملة مستأنفة استئنافاً ابتدائياً عادَ بها الكلام إلى تقرير دليل التوحيد وإبطال الشرك من الذي سلف ذكره في قوله: وإذ أخذ ربّك من بني آدم. وضمير الخطاب في خلقكم للمشركين من العرب؛ لأنّهم المقصود من هذه الحجج والتذكير، وإن كان حكم هذا الكلام يشمل جميع البشر. والنفس الواحدة: نفس آدم، وهو أبو البشر جميعاً، أو نفس كل أبٍ، وهو أبو كل فرد من أفراد البشر، واللفظ يحتمل المعنيين. ومن قوله: وجعل منها زوجها للتبعيض، وهي متعلقة بمحذوف صفة لزوجها قُدّمت على الموصوف للاهتمام بالامتنان. وقوله: ليسكن إليها تعليل لما أفادته مِنْ التبعيضية. والسكون مجاز في الاطمئنان والتأنّس. . . ﴿**فلما تغشاها حملت حملاً خفيفاً فمرت به**﴾: هذا تعقيب وتفريع على ما يحصل من سكون الزوج إلى زوجه. وصيغت هذه الكناية بالفعل الدال على التكلف لإفادة قوة التمكن من ذلك؛ لأنّ التكلف يقتضي الرغبة.

وذُكّر الضمير المرفوع في فِعْلَيْ يسكن وتغشّى باعتبار كون ما صدق المعاد، وهو النفس الواحدة، ذكرا. وأُنّث الضمير المنصوب في تغشّاها والمرفوع في

حملت ومرت باعتبار كون ما صدق المعاد، وهو زوجها، أنثى، وهو عكس بديع في نقل ترتيب الضمائر. ووصف الحمل بخفيفا إدماج ثان، وهو حكاية للواقع وحقيقة المرور الاجتياز، ويستعار للتغافل وعدم الاكثرات للشيء، فمعنى مرت به لم تتفطن له ولم تفكر في شأنه... ﴿**فلما أثقلت دَعَوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحاً لنكونن من الشاكرين**﴾: فيه تفريع وتعقيب وترتيب. وقد سلك في وصف تكوين النسل مسلك الإطناب؛ لما فيه من التذكير بتلك الأطوار الدال على دقيق حكمة الله وقدرته وبلطفه بالإنسان... ﴿**فلما آتاهما صالحا جعلا له شركا فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون**﴾: تفريع على ما ذكر من قوله: لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين. والمعنى لما آتاهما ما طلباه أصالة واستتباعا من الولد وولد الولد جعلاه شريكا لله حيث نسباه إلى غير الله. والخبر مراد منه مع الإخبار التعجيب من سفه آرائهم؛ إذ لا يَجْعل رَشِيدُ الرَّأيِ شريكا لأحد في ملكه وصنعه بدون حق، فلذلك عرف المشروك فيه بالموصولية، لما تؤذن به الصلة من فساد ذلك الجعل، وظلم جاعله، وعدم استحقاق المجعول شريكا لما جعل له، وكفران نعمة ذلك الجاعل، إذ شكر لمن لم يعطه، وكفر من أعطاه، وإخلاف الوعد المؤكَّد.

وجعل الموصول (ما) دون (مَنْ) باعتبار أنّه عطية، وهذا الشرك لا يخلو عنه أحد من الكفار من العرب، وبخاصة أهل مكة، حيث سموا أبناءهم عبدالعُزّى وعبد مناة وعبد اللاّة. وجملة فتعالى الله عما يشركون مترتبة على ما قبلها، وهو تنزيهٌ فيه معنى التعجيب. وصيغة الجمع تعيّن القصد من الغرض في الآية... ﴿**أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يُخلقون**﴾: استئناف مسوق لتوبيخ كافة المشركين واستقباح إشراكهم على الإطلاق، أو إبطاله بالكلية ببيان شأن ما أشركوه به سبحانه وتفصيل أحواله القاضية ببطلان ما اعتقدوه في حقه. وصيغة المضارع في أيشركون دالة على تجدد هذا الإشراك منهم، ونفي المضارع في قوله: ما لا يخلق للدلالة على تجدد نفي الخالقية عنهم... ﴿**ولا يستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون**﴾: هذه الجملة متصلة بما قبلها بالعطف.. وهي مثل ما قبلها... وتقديم المفعول في قولهم ولا أنفسهم.. للاهتمام بنفي هذا النصر عنهم؛ لأنّه أدل على عجز تلك الآلهة... ﴿**وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم**﴾: الجملة متصلة بما قبلها بالعطف على جملة الصلة، وفيه التفات من الغيبة إلى الخطاب؛ لأنّ

الخطاب أوقع في الدمغ بالحجّة. وجملة **﴿سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون﴾** موكّدة لجملة وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم، ولذلك فصلت، ومقرر لمضمون ما قبله، ومُبَيّن لكيفية عدم الاتباع.

والمعنى: مُسْتَوٍ عليكم في عدم الإفادة دعاؤكم لهم وسكوتكم عنه؛ فإنّه لا يتغير حالكم في الحالين كما لا يتغير حالهم بحكم الجماديّة، ووقع قوله أم أنتم صامتون مُعادل أدعوتموهم مع اختلاف الأسلوب بين الجملتين بالفعلية والاسمية للمبالغة في عدم إفادة الدعاء ببيان مساواته للسكوت الدائم المستمر... **﴿إنّ الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين﴾**: هذه الجملة بيان وتعليل لجملة وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم. وإطلاق العباد عليهم مجاز بعلاقة الإطلاق على التقييد، رُوعِي فيه حُسْنُ المشاكلة التقديرية؛ لأنّه لمّا ماثلهم بالمخاطبين في المخلوقية وكان المخاطبون عباد الله أطلق العباد على مُمَاثِلِيهم مشاكلة. وفرع على المماثلة أمر التعجيز بقوله: فادعوهم؛ فإنّه مستعمل في التعجيز باعتبار ما تفرع عليه من قوله: فليستجيبوا لكم المتضمن إجابة الأصنام إيّاهم، وفيه تعجيز وتبكيث للمشركين...

﴿ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها﴾: هذا تأكيد لما تضمنته الجملة قبلها من أمر التعجيز وثبوت العجز؛ لأنّه إذا انتفت عن الأصنام أسباب الاستجابة تحقّق عجْزُها عن الإجابة وتأكد معنى أمر التعجيز المُكنّى به عن عجز الأصنام وعجز عبدتها. والاستفهام إنكاري. وتقديم المسند على المسند إليه للاهتمام بانتفاء الملك الذي دلت عليه اللام، ووصف الأرجل بيمشون، والأيدي بيبطشون، والأعين بيبصرون، والآذان بيسمعون؛ إما لزيادة تسجيل العجز عليهم فيما يحتاج إليه الناصر، وإما لأن بعض تلك الأصنام كانت مجعولة على صُوَر الآدميين. وخص الأرجل والأيدي والأعين والآذان لأنّها آلات العلم والسعي والدفع للنصر. وأم هنا حرف بمعنى أوْ يختص بعطف الاستفهام، وهي منقطعة هنا فتكون بمعنى بَلْ الانتقالية، ويكون التقدير: بل ألهم أيد يبطشون بها... الخ.

وترتيب هذه الجوارح الأربع على حسب ما في الآية ملحوظ فيه أهميتها بحسب الغرض الذي هو النصر والنجْدَة... **﴿قل ادعوا شركاءكم ثم كيدوني فلا**

تنظروني﴾: هذا إذْن من الله لرسوله أن يتحدَّاهم بأنّهم إن استطاعوا أن يستصرخوا أصنامهم لتتألب على الكيد للرسول ﷺ والأمر والنهي في قوله: كيدونِ فلا تنظروني للتعجيز... **﴿إنّ وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين﴾**: فصلت هذه الجملة عن جملة ادعوا شركاءكم لوقوعها موقع العلة لمضمون التحدي، وهو تعليل لعدم الاكثرات بتألبهم عليه واستنصارهم بشركائهم، ولثقته بأنّه منتصر عليهم بما دل عليه الأمرُ والنهيُ التعجيزيَّانِ. والتأكيد لرد الإنكار. وإجراء الصفة لاسم الله بالموصولية لِما تدل عليه الصلة من علاقات الولاية. والتعريف في الكتاب للعهد، ومجيء المسند - يتولى - فعلا مضارعا لقصد الدلالة على استمرار هذا التولي وتجدّده وأنّه سنّة إلهية فكما تولى النبيء يتولى المؤمنين أيضا. والصالحون هم الذين صلحت أنفسهم بالإيمان والعمل الصالح. وجملة **﴿والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون﴾** متصلة بما قبلها بالعطف على قوله: إنّ وليي الله. وسلوك طريق الموصولية في التعبير عن الأصنام للتنبيه على خطإ المخاطبين في دعائهم إيّاها من دون الله مع ظهور عدم استحقاقها للعبادة بعجزها عن نَصْر أَتْباعِها وعن نصر أنفسها. والقول في (لا يستطيعون نصركم) كالقول في نظيره السابق آنفا. وأعيد لأنّه هنا خطاب للمشركين، وهنالك حكاية عنهم للنبيء والمسلمين، ولإبانَة المضادَّة بين شأن ولي المؤمنين وحال أولياء المشركين، وليكون الدليل مستقلا في الموضِعَيْنِ مع ما يحصل في تكريره من تأكيد مضمونه...

﴿وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون﴾: هذا الخطاب جاء بعد نهاية الكلام على الأصنام يخاطب به الرسولُ والمؤمنون، وهو يبين عدم جدوى النصيحة والموعظة لهؤلاء المشركين الذين عميت أبصارهم عن رؤية الحقيقة في دعوة الرسول. والخطاب في قوله: وتراهم للنبيء ﷺ بطريق التجريد بأنّك تراهم ينظرون إليك والحال أنّهم لا يبصرونك حق الإبصار تنبيها على أنّ ما فيه من شواهد النبوءة ودلائل الرسالة من الجلاء بحيث لا يكاد يخفى على الناظرين. وهذا التوجيه أوقع من التوجيه الآخر الذي يقول: إنّ الخطاب للمشركين؛ لأنّ هذا الخطاب تقدم عند قوله: وإن تدعوهم إلى الهدي لا يتبعوكم... **﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾**: أشبعت هذه السورة من أفانين قوارع المشركين، وإقامة الحجة عليهم، وبعَثْتُهُم على التأمّل

والنظر في دلائل وحدانية الله تعالى، وصدق رسوله ﷺ وهدى دينه وكتابه، وفضح ضلال المشركين، وفساد معتقدهم، والتشويه بشركائهم. وقد تخلّل ذلك كله التسجيل بمكابرتهم، والتعجيب منهم كيف يركبون رؤوسهم؟ وكيف ينأوْن بجانبهم؟ وكيف يصمّون أسماعهم ويغمضون أبصارهم عما دُعوا إلى سماعه وإلى النظر فيه؟!.

ونُظرت أحوالُهم بأحوال الأمم الذين كذبوا من قبلهم، وكفروا نعمة الله فحلّ بهم ما حلّ من أصناف العذاب، وأنذر هؤلاء بأن يحل بهم ما حل بأولئك، ثم أعلن باليأس من ارعوائهم، وبانتظار ما سيحل بهم من العذاب بأيدي المؤمنين، وبِتَثْبِيتِ الرسول والمؤمنين وتبشيرهم والثناء عليهم بما هم عليه من الهدى، فكان من ذلك كله عبرةٌ للمتبصرين، ومسلاة للنبيء وللمسلمين، وتنويه بفضلهم. وإذ قد كان من شأن ذلك أنْ يُثِيرَ في أنفس المسلمين كراهية أهل الشرك، وتحفزهم للانتقام منهم ومجافاتهم والإعراض عن دعائهم إلى الخير، لا جرم شرع في استئناف غرض جديد يكون ختاماً لهذا الخَوْضِ البديع، وهو غرض أمر الرسول والمؤمنين بقلة المبالاة بجفاء المشركين وصلابتهم، وبأن يسعوهم من عفوهم والدأب على محاولة هديهم والتبليغ إليهم بقوله: خذ العفو وأمر بالعرف... إلى آخر الآيات الخاتمات في هذه السورة. استُعْمل الأخذُ هنا مجازاً فاستعير للتلبّس بالوصف، والمعنى: خذ العفو وتلبس به قولاً وفعلا وعامل به واجعله وصفا ولا تتلبّس بضده. وقد عمّت الآيةُ صِوَرَ الْعَفْوِ كلَّها؛ لأنّ التعريف في العفو تعريف الجنس.

والعرف اسم مرادف للمعروف، والأمر بالعرف نهي عن ضده، فالاجتزاء بالأمر بالعرف عن النهي عن المنكر من الإيجاز، وحذف مفعول الأمر لإفادة عموم المأمورين؛ أمر اللهُ رسوله بأن يأمر الناس كلَّهم بكل خير وصلاح، فيدخل في هذا العمومِ المشركون دخولاً أوليا؛ لأنّهم سَبَبُ الأمْر بهذا العموم. والإعراض هنا مستعار لعدم المؤاخذة بما يسوء من أحد؛ شبه عدم المؤاخذة على العمل بعدم الالتفات إليه في كونه لا يترتب عليه أثر العلم به؛ لأنّ شأن العلم به أن تترتب عليه المؤاخذة. والجهل هنا ضد الحلم والرشد وهو أشهر إطلاق الجهل في كلام العرب قبل الإسلام، فالمراد بالجاهلين السفهاء كلهم لأنّ التعريف فيه للاستغراق وأعظم الجهل هو الإشراك، وقد جمعت هذه الآية مكارم الأخلاق...

﴿وإمّا ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنّه سميع عليم﴾: هذه الآية متصلة بالآية قبلها بالعطف، وهو أمر للرسول ﷺ جاء على صيغة الشرط لما فيه من القوّة والتأكيد، ويشمل الأمْرُ كلَّ الأمة. وإطلاق النزغ هنا على وسوسة الشيطان استعارة؛ شبّه حدوث الوسوسة الشيطانية في النفس بنزغ الإبرة ونحوها في الجسم بجامع التأثير الخفيّ، وشاعت هذه الاستعارة بعد نزول القرآن حتى صارت كالحقيقة. والاستعاذة مصدر طلب العوذ، فالسين والتاء فيها للطلب. وجملة إنّه سميع عليم في موقع العلة للأمر بالاستعاذة من الشيطان بالله. والمراد التعليل بلازم هذا الخبر، وهذا كناية عن دفاع الله عن رسوله، وأنّ أمره بالاستعاذة وقوف عند الأدب والشكر وإظهار الحاجة إلى الله تعالى... **﴿إنّ الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾**: هذا تأكيد وتقرير للأمر بالاستعاذة من الشيطان، فيكون الأمر بالاستعاذة قد عُلّل بعلتين: أولاً - أنّها منجاة من نزغ الشيطان. وثانياً - أنّها تذكير للواجب من مجاهدة الشيطان والتيقظ لكيده، وأنّ ذلك التيقظ سنة المتقين. وقد جاءت العلة هنا أعم من المُعَلَّل؛ لأنّ التذكر أعم من الاستعاذة.

واستعير المس هنا للإصابة. والطائف أطلق هنا على الخاطر الذي يخطر في النفس ليبعث على فعل شيء نَهَى اللهُ عن فعله؛ شبه ذلك الخاطر في مبدإ جَولانه في النفس بحلول الطائف قبل أن يستقر. والتذكر هنا تذكر أوامر الله، والفاء لتفريع الإبصار على التذكر. وأكد معنى فاء التعقيب بإذا الفجائية الدالة على حصول مضمون جملتها دفعة بدون تريُّثٍ. وقد استعير الإبصار للاهتداء، كما يستعار ضده العمى للضلال. ووَصْفُهم باسم الفاعل دون الفعل للدلالة على أنّ الإبصار ثابت لهم من قبل، وليس شيئا متجدداً؛ ولذلك أخبر عنهم بالجملة الإسمية الدالة على الدوام والثبات... **﴿وإخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون﴾**: اتصلت هذه الآية بالآية قبلها بالعطف عليها، عطف الضد على ضده؛ فإنّ الضدية مناسبة يحسن بها عطف حال الضد على ضده؛ فلما ذكر شأن المتقين في دفعهم طائفَ الشيطانِ ذَكَر شأْنَ أضدادهم من أهل الشرك والضلال. وأُطلق لفظ الإخوان هنا مجازاً على أهل الصداقة والود والولاء.

والإمداد هنا استعارة تهكمية؛ لأنّ مادة الإمداد تستعمل في جانب الخير،

والقرينة قوله في الغيّ، وفي (في) استعارة تبعية بتشبيه الغي بمكان المحاربة، وثمَّ للترتيب الرتبي، وهو زيادة الغي دائما دون إبطاء ولا إقصار!.. ﴿**وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها**﴾: هذا معطوف على جملة وأعرض عن الجاهلين، والمناسبة أنّ مقالتهم هذه من جهالتهم، فهم يلِحُّونَ على الرسول أن يأتيهم بما اقترحوا من المعجزات التي ليست من اختصاص الرسول ﷺ ولهذا جاء الجواب بقوله... ﴿**قل إنّما أتبع ما يوحى إليّ من ربّي**﴾: فالاتباع هنا مستعمل في معنى الاقتصار والوقوف عند الحدّ. وفي التعرض لوصف الربوبية المنبئة عن المالكية والتبليغ إلى الكمال اللائق مع الإضافة إلى ضمير الرسول ﷺ من تشريفه والتنبيه على تأييده...

﴿**هذا بصائر من ربّكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون**﴾: هذه إشارة إلى القرآن الكريم المدلول عليه بما يوحى إليّ، والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضمير المخاطبين لتأكيد وجوب الإيمان بها، وهدى ورحمة عطف على بصائر، وتقديم الظرف عليهما، وتعقيبهما بقوله: لقوم يؤمنون للإيذان بأنّ كون القرآن بمنزلة البصائر للقلوب متحقّق بالنسبة إلى الكل وبه تقوم الحجة على الجميع، وأمّا كونه هدى ورحمة فمختص بالمؤمنين به؛ إذ هم المقتبسون من أنواره، والمغتنمون بآثاره. والجملة من تمام القول المأمور به... ﴿**وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون**﴾: هذه الآية معطوفة على ما قبلها فهي من جملة ما أمر الرسول - عليه الصلاة والسلام - بأن يقوله لهم. وذكر اسم القرآن إظهار في مقام الإضمار، فنكتة هذا الإظهار التنويه بهذا الأمر، وجعل جملته مستقلة بالدلالة غير متوقفة على غيرها، وهذا من وجوه الاهتمام بالكلام، ومن دواعي الإظهار في مقام الإضمار. وهذه الآية تشير إلى ما ابتدأت به السورة من قوله: «كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لِتُنْذِرَ به وذكرى للمؤمنين»، تختم هذه السورة بالتوجيه إلى حسن الاستماع لهذا القرآن لعله يؤدي إلى المغفرة والرحمة...

﴿**واذكر ربّك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين**﴾: الآية متصلة بما قبلها بالعطف، وفيها إقبال بالخطاب على النبيء ﷺ فيما يختص به، بعد أن أمر بما أُمر بتبليغه من الآيات المتقدمة. والمناسبة في هذا الانتقال أنَّ أمْر الناس باستماع القرآن يستلزم أمر الرسول بقراءة القرآن عليهم قراءة جهرية يسمعونها، فلما فرغ الكلام من حظ الناس نحو قراءة

الرسول، أَقْبَلَ على الكلام في حظ الرسول من القرآن وغيره، فأمر بأن يذكر الله ما استطاع، وفي أوقات النهار المختلفة. . . ﴿**إنّ الذين عند ربّك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون**﴾: فصلت هذه الآية عن العطف لتنزلها منزلة التعليل لما قبلها من الأمر بالذكر والدوام عليه. والمراد بالذين عند ربّك الملائكة. ووجه العدول عن لفظ الملائكة إلى الموصولية ما تؤذن به الصلة من رفعة منزلتهم، فيتذرع بذلك إلى إيجاد المنافسة في التخلق بأحوالهم. و (عند) مستعمل مجازاً في رفعة المقدار. واختيار صيغة المضارع في قوله: لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون للدلالة على التجديد والاستمرار. وتقديم المعمول من قوله: وله يسجدون للدلالة على الاختصاص.

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

التوجيه الأول: ﴿**وإذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم. . .**﴾ الخ هذا على ظاهر أن ذرياتهم في ظهورهم. ولكن الظاهر أن ذرياتهم حين خروجها إلى الحياة حالة الصغر ـ ذرياتهم. لو سئلن في هذا الوقت وقت الخروج من بطون الأمهات لاستجبن بلا ولكن عندما تكلف الذرية بهذا الخطاب لفهمت أنها تحت رعاية الرب وإن هذا القرآن يبين هذه الحقيقة. في هذا توجيه للرسول ﷺ ولكل سامع إلى الحقيقة الماثِلَةِ في فطرة كل إنسان، وهي قضية يعرضها القرآن في هيئة مشهد، وهي مشهد الذرية المكنونة في عالم الغيب السحيق، المستكنة في ظهور بني آدم جميعاً، تؤخذ في قبضة الخالق المربي فيسألها: ﴿**ألست بربكم**﴾؟، فتعترف بالربوبية، وتشهد بالعبودية، وتقر بالوحدانية، وهي منثورة كالذر مجموعة في قبضة الخالق العظيم.

إنّها مشهد عجيب حين يتمثله الخيال البشري جَهْدَ طاقته، وحينما يتصور تلك الخلايا الذرية التي لا تحصى، وهي تجمع وتُقبض، وهي تُخَاطَبُ خطابَ العقلاء، بما ركب فيها من الخصائص الكاملة المستكنّة، وحين تستجيب استجابة العقلاء فتعترف وتقر وتشهد ويؤخذ عليها الميثاق في الأصلاب، فلا سبيل إلى الاحتجاج بعد ميثاق الفطرة وشهادتها، لا سبيل لأن يقول أحد: إنه غفل عن كتاب الله الهادي إلى التوحيد، أو أن يقول: إنّنا خرجنا إلى هذا الوجود فوجدنا آباءنا قد أشركوا فلم يكن أمامَنا لمعرفة التوحيد سبيلٌ، وآباؤنا أضلُّونا فهم المسؤولون وحدهم، ولسنا

نحن بمسؤولين. ثم ختمت الآية بهذا التعقيب العجيب... ﴿**وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون**﴾: لعلهم يرجعون إلى فطرتهم، وما استكنّ فيها من ميثاق، وإلى خلقتهم وما كمُن فيها من ناموس، فالرجوع إلى الفطرة السليمة القويمة كفيل وحده بانتفاض عقيدة التوحيد في القلوب، وردها إلى بارئها الواحد الذي فطرها على عقيدة التوحيد. وكمثل للانحراف عن الفطرة والانحراف عن الهدى، ذلك الذي آتاه الله آياته فكانت في متناول نظره وفكره، ولكنه انسلخ منها، وتعرى عنها، واتبع الهوى، ولم يستمسك بالميثاق الأوّلِ، ولا بالآيات الهادية، فاستولى عليه الشيطان وأمسى مطروداً من حمى الله، لا يهدأ ولا يطمئن ولا يسكن إلى قرار... ﴿**واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون. ساء مثلاً القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون**﴾: إنّه نموذج شاخص لكل من انحرف عن فطرة الله ولم ينتفع بما أنزل الله، وهو مثل يضربه الله لمشركي قريش ومن لف لفهم من العرب وغيرهم، وهو مَثَلٌ حيٌّ يسير مع البشرية أينما حلت وكيفما ظهرت... ﴿**من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون**﴾.

﴿**ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون**﴾: هاتان الآيتان مقرّرتان لمضمون المثل في الآيات قبلها، فيعقّب السياق على هذا المثل الشاخص في هذا المشهد، بأنّ من يهديه الله هو المهتدي حقًّا، وأنّ من يضله الله فهو الخاسر الذي لا يربح شيئاً، وأنّ هناك أقواماً من الجن والإنس مخلوقون لجهنم. إنّ القضية هنا هي قضية تقرير واقع، فالذي يهديه الله - حسب سنته المقررة - هو الذي يفتح بصيرته لدلائل الهدى الكونية، ويُقبل على دلائل الهدى في الرسالات، عندئذ يتصل بهدى الله، وينتفع به. وهذا هو المهتدي حقاً، الواصل صدقاً، الذي يعرف الطريق ويسير على الصراط. والذي يضله الله هو الذي لا يفتح قلبه ولا يستخدم عينه وأذنه، وعندئذ يُضل لأنّه لا يرى النور ولا يعرف الطريق: إنّهم أولئك الذين لهم قلوب لا يفقهون بها، ولهم أعين لا يبصرون بها، ولهم آذان لا يسمعون بها. إنّهم أولئك الذين لا

يفتحون قلوبهم ليفقهوا - ودلائل الإيمان مبثوثة في ثنايا الكون تدركها القلوب المفتوحة والبصائر المكشوفة -، والذين لا يفتحون أعينهم ليبصروا آيات الله في الكون - وهي معروضة على الأبصار مكشوفة للأنظار -، والذين لا يفتحون آذانهم ليسمعوا ما يتلى عليهم من توجيهات وعظات، وفي الرسالات ما يهدي الذين يستمعون في تدبر ويقظة، والذين يغفلون عما حولهم من آيات الله في الكون والحياة، والذين يغفلون عما يمر بهم من الأحداث والعبر فلا يرون فيها يدَ الله أولئك كالأنعام بل هم أضل.

إنّ للأنعام استعداداتٍ فطرية تهديها، أمّا الإنسان فقد زُوّد إلى جانب الفطرة، بالقلب الواعي، والعين المبصرة، والأذن المدركة، وزُوِّد بالقدرة على اتباع الهدى أو اتباع الضلال، فإذا لم يفتح قلبُه وبصرُه وسمعه، إذا مرّ بالحياة غافلاً لا تلتقط عينه أضواءها وظلالها، ولا تلتقط أذنه إيقاعاتها وأنغامها، ولا يلتقط قلبه معانيها ومدركاتها، فإنّه يكون أضل من الأنعام الموكولة إلى استعداداتها الفطرية الهادية، ومتى انتفع الإنسان بما زوده الله به من استعدادات، هداه الله وما لَهُ مِن مُضِلٍّ، ومتى ما أغفل ما ركب في كيانه من القوى أضله الله، وما لَهُ مِنْ هادٍ، والله لا يظلم أحداً، وما كان الله ظلوماً للعباد. وبعد استعراض مشهد الميثاق الكوني بالتوحيد، واستعراض مشهد المثل المنحرف عن هذا الميثاق، يعقب السياق بالتوجيه الآمر بإهمال المنحرفين الذين يلحدون في أسماء الله ويحرفونها فيسمون بها الشركاء المزعومين. . . **﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون﴾**: وقد حرّف قوم من المشركين اسم الله فسموا به (اللات) واسم العزيز فسموا به (العزّى)، فالآية تقرر هنا أنّ لله الأسماء الحسنى، وتأمر أن يدعوه المؤمنون بها دون تحريف ولا تصحيف، وأن يدعُوا المُنْحَرفين المحرّفين، فأمْرُهم موكول إلى الله، وهم ملاقون جزاء ما يعملون!. ويمضي السياق يفصّل صنوف الخلق، فمنهم جماعة يستمسكون بالحق، ويدْعُون الناسَ إليه، ويحكمون به ولا ينحرفون عنه، ومنهم جماعة ينكرون الحق، ويكذّبون بآيات الله.

فأمّا الأولون فيقرر وجودهم في الأرض وجوداً ثابتاً لا شك فيه، وهم حرّاسٌ على الحق حين ينحرف المنحرفون ويزيغ الزائغون، وحين يكذّب الناسُ بالحق وينبذونه، يبقون هم عليه صامدين. وأما الآخرون فيكشف عن مصير لهم مخيف

لأنّ كيد الله لهم متين. . . ﴿**ومِمن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون. والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون. وأملي لهم إنّ كيدي متين**﴾: وما كانت البشرية لتستحق التكريم لو لم تكن فيها هذه الأمة الثابتة على الحق العاملة به في كل حين، فهذه الأمة هي الحارسة لأمانة الله في الأرض حين يتنكّر لها المتنكّرون. وأما المكذبون بآيات الله فيهددهم النص بأنّ الله سبحانه سيرخي لهم العِنان ويُملي لهم في التكذيب والعصيان، استدراجاً لهم في طريق الهلكة، وإمعاناً في الكيد لهم، وكيد الله متين. والمقصود بالكيد نتيجته، فكيف إذا كان العزيز الجبار هو الذي يكيد لهؤلاء الضعفاء العاجزين. إنّه التهديد المفزع بالمصير المرهوب. ثم يمضي السياق - وقد لمس القلوب هذه اللمسة القوية - يستنكر موقف القوم ويعجب من حالهم، ودلائل الإيمان من حولهم ناطقة وهم لا يدركون الحق الصريح. . .

﴿**أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنّة إن هو إلاّ نذير مبين. أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون. من يضلل الله فلا هادي له ونذرهم في طغيانهم يعمهون**﴾. إنّ المشركين من قريش يقولون عن الرسول الذي يدعوهم إلى الهدى، ويبصّرهم بالحق، ويأمرهم بعبادة الله الواحد، وينهاهم عن الشرك ويخوفهم عاقبته، إنّهم يقولون عن هذا الرسول الذي يعرفونه ذاتاً وصفة: إنّه مجنون. أولم يتفكروا؟!. أفهذا قول مجنون؟ أفهذا هدى مجنون؟ كلاَّ، ما بصاحبهم من جنّة. إن هو إلاّ نذير مبين: يفصح لهم عن سوء المصير، وينذرهم عاقبة الشرك والتكذيب. . . أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء: والنظر بالقلب المبصر والعين المفتوحة في هذا الملكوت يكفي وحده لإدراك الحق الكامن فيه، والإبداع الذي يشهد به، والإعجاز الذي يدل على الصانع الواحد القدير.

والنظر إلى ما خلق الله من شيء - وكم في الأرض من شيء - يُدْهشُ الحسَّ ويُحيّر الفكر، ويُلْجئُ العقل إلى البحث عن العلة الأولى والمصدر الأول والإرادة التي أوجدت الخلق على نظام معين مقصود. لماذا كانت الخلائق على النحو الذي كانت به، ولم تكن على أيِّ نَحْوٍ آخر؟. لماذا سارت في هذا الطريق ولم تسر في أيّ طريق آخر؟. ما سرُّ هذه الوحدة السارية في طبيعتها إن لم يكن هذا هو الناموس الواحد الصادر عن الإرادة الواحدة إرادة الخالق الواحد؟. إنّ

الجسم الحي لا بل الخلية الحية لمعجزة لا ينقضي منها العجب: وجودها، تركيبها تصرفها، عمليات التحول الدائمة التي تتم في داخلها كل لحظة، فمن ذا الذي ينظر إلى هذه الخلية الواحدة، ثم يطمئن عقله - بل ضميره وفطرته - إلى أنّ هذا الكون بلا إله! أو أنّ هنالك شركاء لله؟!.

أولم ينظروا..؟. أولم يتفكروا..؟. وما يدريهم أن يكون قد اقترب أجلهم، قد اقترب وهم غافلون عن التدبر والتفكّر، وهم لاهون عن المصير المحتوم، فبأي حديث بعده يؤمنون، إنّهم لا يؤمنون لأنّهم غافلون عن النظر، ومن يغفل عن النظر في آيات الله يضله الله ومن يضلل الله فلا هادي له. فإذا عَمِهَ الإنسانُ عن هذا كله تُرِكَ في عماه، وإذا طغا بعد هذا كله تُرِكَ في طغيانه... ﴿**يسألونك عن الساعة أيّان مرساها قل إنّما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلاّ هو**﴾: هؤلاء الغافلون عمّا حوْلَهم، العمي عما يحيط بهم، يسألون الرسول ﷺ عن الساعة البعيدة المغيبة في المجهول، كالذي لا يبصر عما تحت قدميه ويريد أن يرى الأفق البعيد!. إنّ الساعة غيب لا يعلمها إلاّ الله، ولكنّ المشركين يسألون الرسول عنها، إمّا سؤال المُخْتَبِرِ الممتَحِن، وإما سؤال المستهين المستهتر: أيّان مرساها، ومستقرّها الذي إليه تنتهي؟. والرسول ﷺ بشر، وهو مأمور أن يَكِلَ الغَيْبَ إلى صاحب الغيب: قل إنّما علمها عند ربّي، لا يجليها لوقتها إلاّ هو، لا يكشف عنها في حينها إلاّ هو، فهو مالكُ أمْرِها، وليس لأحد من البشر بها من علم، وليس له فيها من أمر، ألاَ إنّ أمْرَها لعظيم، ألاَ وإنّ عِبْئَها لثقيل، ألا وإنّها لتثقل في السماوات والأرض، وهي مع ذلك لا تأتي إلاّ بغتة والناس عنها غافلون...

﴿**ثقلت في السماوات والأرض لا تأتيكم إلاّ بغتة**﴾: لا ينفع معها الحذر، ولا تُجْدِي عندها الحيطة ما لم يأخذ الناس حذرهم من قبلُ، وما لم يسْتَعِدُّوا لها وفي الوقت مُتَّسَعٌ، وما يدري أحدٌ متى تجيء، فأوْلَى أن يبادر وأن يسارع ولا يضيع ساعة قد تفْجَأه بعدها الساعة. ثم يَسْخَرُ السياق من السائلين الذي لا يدركون وظيفة الرسول ولا يعرفون حدوده في جانب الخالق العظيم... ﴿**يسألونك كأنّك حفي عنها**﴾: كأنّك دائم السؤال عنها والاستفسار، مكلّف أن تكشف عنها الأستار. والرسول ﷺ لا يسأل ربَّه عن موعدها لأنّه يعرف حدوده، ويعلم ما هو مُخَوَّلٌ لَه، وما هو مفوّض إلى ربه: ﴿**قل إنّما علمها عند الله**﴾. وقد اختص سبحانه به، ولم يُطْلع أحداً من خلقه عليه، ﴿**ولكن أكثر الناس لا يعلمون**﴾. وليس الأمرُ أمرَ الساعة وحده، إنّما هو الغيب كله، فلله وحده الغيب، لا يطلع

عليه إلاّ من شاء الله أن يطلعه على شيء منه في الوقت الذي يريده، وبالقدر الذي يريده، لذلك لا يملك الناس لأنفسهم نفعاً ولا ضراً، فقد يفعلون الأمر يريدون به جلب الخير لأنفسهم، ولكن عاقبته المغيبة تكون هي الأذى والشر، وقد يفعلون الأمر يريدون به دفع الضر عن أنفسهم، ولكن عاقبته المغيبة تجر عليهم ما اتقوه من الضر، والرسول ﷺ وهو من هو، وقربه من ربه هو قربه، مأمور أن يعلن للناس أنّه أمام الغيب بشر من البشر، لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً؛ لأنّه لا يطلع على الغيب، ولا يملك أن يختار عاقبة أمره، فإن رأى العاقبة المغيبة خيراً أقدم، وإن رآها سوءاً أحجم، إنّما هو يعمل والعاقبة تجيء كما قدر الله أن تجيء. . .

﴿قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلاّ ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إنّ أنا إلاّ نذير وبشير لقوم يؤمنون﴾: وبهذا الإعلان تتم العقيدة الإسلامية كلّ خصائص التجريد المطلق من الشرك في أيّ صُورَةٍ من صِوَرِه. وتنفرد الذات الإلهية بخصائص لا يُشاركها فيها بشر - ولو كان هذا البشر محمداً رسول الله وحبيبَه ومجتباه عليه صلوات الله - فَعِنْدَ عُتَبَةِ الغيْب تقف الطاقة البشرية، ويقف العلم البشري، وتقف القدرة البشرية، وتتجرد شخصية الرسول وتتحدد وظيفته: إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون، والرسول نذير وبشير للجميع، ولكن الذين يؤمنون هم خلاصة الجميع، وهم الحصيلة الحقيقية للبشرية، وهم الذين يدركون معنى الإنذار والتبشير، وهم الذين يخلص بهم الرسول من الناس أجمعين!.

التوجيه الثاني: ﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين فلما آتاهما صالحا جعلا له شركا فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون﴾: في هذا التوجيه خط قصصي آخر عن حالة تمثيلية للإيضاح؛ حالة الزوجين يرجوان الخير في الجنين القادم إلى هذه الدنيا، ويقطعان لله العهود لئن آتاهما مولوداً صالحا ليكونان من الشاكرين، ثم تزيغ قلوبهما بعد أن يستجيب الله لهما؛ فإذا هما يجعلانه شريكا لله على أي وجه من الوجوه. المثل المضروب هنا للفطرة البشرية التي فطر الناس عليها أن يتوجّهوا إلى ربّهم عند الخوف وعند الطمع، ولكن الفطرة تنحرف غالبا عند قضاء الحاجة وفي ساعات الرخاء. إنّهاقصة الكثيرين ممن يشركون بالله، والشرك صنوف وأشكال،

وإذا كان المشركون على عهد الرسول ﷺ وقبله كانوا ينذرون بعض أبنائهم للآلهة أو لمعابد الآلهة أو لكهنة المعابد، وكانوا يسمونهم مضافين إلى أصنامهم وأوثانهم، فإنّ الكثيرين اليومَ يشركون بالله حين يسمون أبناءهم عبيداً لغير الله سبحانه!.

والكلام موجه من الله إلى المشركين لإقامة الحجة عليهم بفساد عقولهم في إشراكهم وإشراك آبائهم. وعندما ينتهي المثل يأخذ السياق في استنكار ما كان عليه المشركون على عهد الرسول ﷺ وتقريعهم على اتخاذ الأصنام التي لا تعقل ولا تهتدي، ولا تتحرك ولا تبصر ولا تسمع، وهي مخلوقة ولا تملك أن تخلق... **﴿أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يُخلقون؟. ولا يستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون﴾**؟.

﴿وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون﴾. ثم ينبه فيهم الوعي والتعقل... **﴿إنّ الذين تدعون من دون الله عبادٌ أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين﴾**: ويسائلهم عن البديهي الظاهر... **﴿ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها؟. أم لهم أعين يبصرون بها؟. أم لهم آذان يسمعون بها﴾**؟!. فذلك أقل ما ينبغي للعبّاد، فكيف بالمعبودين؟!. ثم يأمر الرسول ﷺ بتحديهم وتحدّي آلهتهم أن ينازلوه اللحظة، ولا ينظروه للاستعداد... **﴿قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون﴾**: إنّه يتحدّاهم معتزّاً بالله وليّه وناصره الذي نزل عليه الكتاب والذي ينصر الصالحين ويتولاهم، بينما آلهتهم لا تملك نصر عبادها، ولا نصر ذواتها... **﴿إنّ وليي الله الذي نزّل الكتاب وهو يَتولّى الصالحين﴾**.

﴿والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون!. وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون﴾: الذي يظهر من السياق أنّ التوجيه هنا للرسول والمؤمنين بناء على أنّ الكلام في الأصنام قد تم فيما قبلها، وعاد الكلام في عابديها، وعليه يكون المعنى وإن تدعوا أيّها المؤمنون هؤلاء الأغبياء من المشركين الذي لم يعقلوا هذه الحجج والبراهين إلى التوحيد والإسلام لا يسمعوا دعوتكم سماع فهم واعتبار، وتراهم أيُّها الرسول ينظرون إليك وهم لا يبصرون ما أوتيت من سمت الجلال والوقار، الذي يميز به صاحبُ البصيرة بين أولي الجد والعزم، والصدق في القول والفعل، وبين أهل العبث والهزل؟!. ولقد كان بعض ذوي الفطرة السليمة ينظر إلى النبيء ﷺ فيعرف

من شمائله وسِيماهُ في وجهه، أنّه حرٌّ صادق غير مخادع ولا مماذق، فيقول: واللهِ ما هذا الوجهُ وجه كاذب!. ومازال من المعهود بين الناس أنّ أصحاب البصيرة والفضيلة من الناس يعرف بعضهم بعضاً بذلك من أول العهد بالتلاقي فيما يتوسمون من ملامح الوجه ومعارفه، ثم من موضوع الحديث وتأثيره في نفس المتكلم والسامع، ثم يكمل ذلك بالمعاشرة، كما يعرفون حال الأشرار والمنافقين بذلك.

التوجيه الثالث: **﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾**: في هذا التوجيه يأمر الله نبيئه بثلاثة أشياء، هي أصولٌ كلية للقواعد الشرعية والآداب النفسية والأحكام العملية. الأصل الأول - العفو: وهو يطلق في المتعارف على خالص الشيء وجيّده، وعلى الفضل الزائد فيه أو منه، وعلى السهل الذي لا كلفة فيه، وعلى ما يأتي بدون طلب، أو بدون إلحاح ومبالغة في الطلب، وهذه المعاني متقاربة، وهي وجودية. ومن معانيه السلبية إزالة الشيء كعفت الرياح الديار والآثار، وإزالة أثره، كالعفو عن الذنب، وهو منع ما يترتب عليه من العقاب، فمعاني العفو الوجودية والسلبيّة، أو الموجبة والسالبة، كلها إحسان ورفق. الأصل الثاني - الأمر بالعرف: وهو ما تعارفه الناس من الخير، وهو اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب إليه، والإحسان إلى الناس، وكل ما ندب إليه ونهى عنه من المحسنات والمقبّحات. الأصل الثالث - الإعراض عن الجاهلين: وهم السفهاء، بترك معاشرتهم، وعدم مماراتهم، ولا علاج أوقى لأذاهم من الإعراض عنهم... **﴿وإمّا ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنّه سميع عليم﴾**: الخطاب في هذه الآية وأمثالها من آيات التشريع والتأديب، وجّه إلى كل مكلف يبلغه، وأولهم الرسول ﷺ، لكن حظ غيره من المكلفين أقوى؛ لأنّ نزغ الشيطان إياهم أكثر، فإنّ النبيء ﷺ مؤيَّدٌ بالعصمة، فليس للشيطان عليه سبيل.

وأمرُ اللهِ رسولَه بالاستعاذة من الشيطان وقُوفٌ عند الأدب والشكر وإظهار الحاجة إلى الله تعالى... **﴿إنّ الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون وإخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون﴾**: هذه قاعدة عامة تفرق بين الموصولين بالله وبين من يبتعد عنه فيستحوذ عليه الشيطان. إنّ الذين اتقوا ليرتدون مبصرين حين يستعيدون صلتهم بالله، ويذكرون ما بينهم وبينه من وشيجة، على حين أنّ إخوان الشياطين - وهم الجاهلون غير المتقين - تتمكّن

الشياطين من أهوائهم فيمدونهم في غيهم وفسادهم؛ لأنّهم لا يذكرون الله إذا شعروا في أنفسهم بالنزوع إلى الشر والباطل والفساد في الأرض، ولا يستعيذون بالله سبحانه وتعالى من نزغ الشيطان ومسّه فيبصروا ويتقوا.

إمّا لأنّهم لا يؤمنون بالله، وإمّا لأنّهم لا يؤمنون بأنّ للإنسان شيطاناً من الجن يوسوس إليه ويُغريه بالشر. ثم هؤلاء الذين استحوذ عليهم الشيطان فأعماهم وأضلهم يطلبون من الرسول ﷺ أن يأتيهم بالمعجزات الخارقة، غير ناظرين إلى معجزة القرآن. ومن لا يرى آيات الله الكونية، ثم لا يجد في القرآن وآياته ما يغني، ثم يطلب من الرسول آيَةً غَيْرَهَا، لا جرم يقول له: ﴿**لولا اجتبيتها**﴾، فهم لا يدركون وظيفة الرسول ولا يفهمون أدبه مع ربه، وأنّه يتقبل منه ما يعطيه، ولا يطلب إليه شيئا، ولا يتقدم إليه بسؤال في شأن رسالته... ﴿**قل إنّما أتبع ما يوحى إليّ من ربي**﴾: وفيما أعطاه كفايته، وفيه ما وهب البشرية بصائر تهديها...

﴿**هذا بصائر من ربّكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون**﴾: وتختم السورة التي بُدِئَت بالإشارة إلى هذا القرآن: «كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين» يختم بالتوجيه إلى حسن الاستماع لهذا القرآن لعله يؤدي إلى المغفرة والرحمة. وإذا نظر الباحث إلى ما قيل في هذا الموضوع يرى بعض الآراء تتجه إلى اعتبار هذا الأمر خاصّاً بقراءة القرآن في الصلاة أو في خطبة الجمعة، وبعضها يتجه إلى اعتباره عامّاً كُلّما قُرِئ القرآن، وهو المختار عند الباحث المدقّق؛ فأدب الإيمان يقتضي الاستماع لكلام الله سبحانه حين يتلى، ويقتضي الإنصاتُ إليه حينما يُسمع، ليؤثّر تأثيره في القلوب، وليقودها إلى الطاعة والتقوى فتنال المغفرة والرحمة.

واعلم أنّ قوة الدين وكمال الإيمان واليقين لا يحصلان إلاّ بكثرة قراءة القرآن واستماعه مع التدبر بنية الاهتداء به والعمل بأمره ونهيه، فالإيمان الإذعاني الصحيح يزداد ويقوى وينمى، وتترتب عليه آثاره من الأعمال الصالحة وترك المعاصي والفساد بقدر تدبُّر القرآن، وينقص ويضعف على هذه النسبة من ترك تدبُّره، وما آمن أكثر العرب إلاّ بسماعه وفهمه، ولا فتحوا الأقطار ومصروا الأمصار، واتسع عمرانُهم وعظم سلطانهم إلاّ بتأثير هدايته، وما كان الجاحدون المعاندون من زعماء مكة يجاهدون النبيء ويصدونه عن تبليغ دعوته إلاّ بمنعه من قراءة القرآن على الناس «وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون».

وما ضعُف المسلمون بَعْدَ أولئك الأفذاذ إلاّ بترك تدبر القرآن وجعله كالرقي والتعاويذ التي تتخذ للتبرُّك أو لشفاء أمراض الأبدان. . . ﴿**واذكر ربّك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين**﴾: بعد الأمر بالاستماع والإصغاء لتلاوة القرآن في سياق حصانة الأنفس من مسّ الشيطان أمر الله رسوله ومعه المؤمنون الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه بالذكر في النفس أوّلاً، ثم باللسان ثانياً مع التضرّع والتذلل والإخفاء والخوف، فإذا تحرك اللسان مع القلب، وإذا نبست الشفاه مع الروح، فليكن ذلك في صورة لا تخدش الخشوع ولا تناقض الضراعة؛ وليكن ذلك في صوت خفيض لا مكاء ولا تصدية، ولا صُراخَ ولا ضجّة!. فالقلب الخاشع المستحضر لهيبة الله لا يلجأ إلى الصراخ باسم الله، فليذكر الإنسان ربّه دائما ولا يغفل عنه، فالإنسان أحوج إلى أن يكون على اتصال بربّه، ليتّقي الانحراف ويقاوم نزغات الشيطان، أحوج إلى هذا من الملائكة الذين لا تستبدّ بهم نزوة ولا تغلبهم شهوة، ومع هذا فهم دائبون على تسبيح الله وذكره والسجود له. . . ﴿**إنّ الذين عند ربّك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون**﴾: وهذا موضع سجود من سجود القرآن، وهو أولها في ترتيب المصحف، وهو من المتفق على السجود فيه بين علماء الأمة. ومقتضى السجدة هنا أنّ الآية جاءت للحظ على التخلق بأخلاق الملائكة في الذكر، فلما أخبرت عن حالة من أحوالهم في تعظيم الله، وهو السجود لله، أراد الرسول ﷺ أن يبادر بالتشبه بهم تحقيقاً للمقصد الذي سيق هذا الخبر لأجله.

5 ـ أحكام سورة الأنفال تبين أوصاف المؤمنين وما يتعلق بهم من أمر القتال



النص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ ۖ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ
وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿1﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ
وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿2﴾
الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿3﴾ أُولَٰئِكَ
هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ
كَرِيمٌ ﴿4﴾ * كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ
الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ﴿5﴾ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا
يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿6﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى
الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ
اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿7﴾
لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿8﴾

إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم
بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿9﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ
وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿10﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم
مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ
وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿11﴾ * إِذْ يُوحِي رَبُّكَ
إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي
فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ
وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿12﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ
وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿13﴾
ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴿14﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا
فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ﴿15﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ
إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ
بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿16﴾
فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ
وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿17﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ ﴿18﴾

إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ
لَّكُمْ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا
وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿19﴾ يَـٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ
تَسْمَعُونَ ﴿20﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿21﴾
* إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ
لَا يَعْقِلُونَ ﴿22﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ
وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿23﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ
وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ
إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿24﴾ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ
مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿25﴾
وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ
تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ
وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿26﴾ يَـٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ
وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿27﴾ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ
فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿28﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ

إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿29﴾ وَإِذْ يَمْكُرُ
بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ
وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴿30﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا
قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَآ ۙ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ
ٱلْأَوَّلِينَ ﴿31﴾ ۞ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ
عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا
بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿32﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ
وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿33﴾
وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ
ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ
إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿34﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ
عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا
كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿35﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ
لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ
عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟
إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿36﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ
ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا

فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿37﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿38﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿39﴾ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿40﴾

البيان

هذه السورة تسمى سورة الأنفال لذكر الأنفال في أولها، وهي مدنية، وعدد آياتها ست وسبعون. ابتدأت ببيان أحكام الأنفال، وفيها الأمر بتقوى الله في ذلك وغيره، والأمر بطاعة الله ورسوله، والأمر بإصلاح ذات البين، وبيان خروج المسلمين إلى غزوة بدر، وما حصل لهم فيه من توقعات نتائجه. وكل أغراض السورة يتعلق بأمر القتال وما يجري فيه من عدة واستعداد.

مبحث المفردات اللغويّة

﴿**يسألونك عن الأنفال**﴾: السؤال حقيقته الطلب، فإذا عدي بعن فهو طلب معرفة المجرور بعن، وإذا عدي بنفسه فهو طلب إعطاء الشيء. والأنفال: جمع نفَل - بالتحريك -، والنفل مشتق من النافلة، وهي الزيادة في العطاء، والمراد بالأنفال هنا ما حصل عليه المسلمون من مغانم بدر، وهي أول غنيمة غنموها من عدوهم فحصل نزاع في كيفية توزيعها... ﴿**وأصلحوا ذات بينكم**﴾: الإصلاح: جعل الشيء صالحا، وهو مؤذن بأنّه كان غير صالح. وذات بينكم: حقيقة شأنكم... ﴿**الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم**﴾: ذكر الله حقيقته التلفظ باللسان بذكر اسم الله، أو ما يدل على اسم الله من أمره ونهيه. والوجل: خوف مع رهبة

تؤذن بعظمة من يُخاف منه. . . ﴿**وإذا تليت عليهم آياته**﴾: التلاوة: القراءة واستظهار ما يحفظه التالي من كلام له أو لغيره يحكيه لسامعه. وآيات الله: القرآن، سميت بهذا الاسم لإعجازها ودلالتها على صدق الرسول. . . ﴿**زادتهم إيماناً**﴾: قَوِيَ يَقِينُهم واشتدّ واستمر فلا يزعزعه مُزَعْزِعٌ. . .

﴿**وعلى ربّهم يتوكلون**﴾: التوكل: الاعتماد والتفويض في الأحوال والمساعي إلى من يُعتمد عليه في ذلك. . . ﴿**أولئك هم المؤمنون حقاً**﴾: الحق: أصله مصدر حق بمعنى ثبت، واسْتُعْمِل استعمال الأسماء للشيء الثابت الذي لا شك فيه، ويطلق كثيراً على الكامل في نوعه، ويطلق على الصواب والحكمة، فاسم الحق يجمع معنى كمال النوع. . . ﴿**لهم درجات عند ربّهم ومغفرة ورزق كريم**﴾: اللام في لهم للاستحقاق. وحقيقة الدرجات: ما يُتَّخَذُ من بناء أو أعواد لإمكان تخطي الصاعد إلى مكان مرتفع. والرزق: اسم لما يُعطى للانتفاع به من مطعوم وملبوس ورياش وأثاث، والكريم النفيس في نوعه. . . ﴿**كما أخرجك ربّك من بيتك بالحق**﴾: إخراج الرسول من بيته: المقصود منه الإخراج المعيّن الذي خرج به النبيء ﷺ غازياً إلى بدر. . . ﴿**وإنّ فريقاً من المؤمنين لكارهون**﴾: المعنى أنّ الله تعالى أمر رسوله بالخروج إلى المشركين ببدر أمراً موافقاً للمصلحة في حال كراهة فريق من المؤمنين ذلك الخروج. . . ﴿**يجادلونك في الحق بعد ما تبين**﴾: الْجَدَلُ والجدال: اللدد في الخصومة والقدرة عليها، والمجادل: المخاصم. والحق هنا: ضد الباطل. وتبيّن: وضُح وعُرِف معرفة تامة. . . ﴿**كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون**﴾: السوق إلى الموت: الدفع إلى ما فيه المضرّة والهلاك، ساقه يسوقه سوقاً دفعه بما يحرك ساقه إلى الأمام. . . ﴿**وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنّها لكم**﴾: إحدى الطائفتين: العير وما فيه من المال أو النفير وما يترتب عليه من شدة النضال. . .

وتودّون أن غير ذات الشوكة تكون لكم: تحبون وتختارون غنيمةً بدون حرب. وذات الشوكة: ذات القوة، وأصل الشوكة الواحدة من الشوك، وهو ما يخرج في بعض النبات من أعواد حادّة. . . ﴿**ويريد الله أن يحق الحق بكلماته**﴾: المراد من الإرادة هنا إرادة خاصة وهي المشيئة، ومعنى يحق الحق يثبت ما يُسمّى الحق، والمراد بالحق هنا دين الإسلام. وقوله: بكلماته يعم أنواع الكلام الذي

يُوحِي به الله الدال على إرادته تثبيت الحق. . . **﴿ويقطع دابر الكافرين﴾**: قطعُ دابرِ الشيء: إزالة الشيء كله؛ إزالة تأتي على آخر فرد منه يكون في مؤخرته من ورائه. . . **﴿إذ تستغيثون ربّكم فاستجاب لكم﴾**: الاستغاثة «طلب الغوث»، وهو الإعانة على رفع الشدة والمشقة. ومعنى استجاب لكم: حقق لكم مطلوبكم من الاستغاثة. . . **﴿أنّي مُمِدُّكم بألف من الملائكة مردفين﴾**: الإمداد: إعطاء المَدَدِ، وهو الزيادة من الشيء النافع. والإرداف: الاتباع والإلحاق. . . **﴿وما جعله الله إلاّ بشرى﴾**: البشرى: ما يكون للإنسان بها فرح وسرور. . .

﴿ولتطمئن به قلوبكم﴾: طمأنينة القلب: سكونه بإزالة ما يعتريه من الخوف. . . إذ يغشيكم النعاس أمنة منه: الغشي والغشيان: كون الشيء غامّاً ومغطيا، والإغشاء جعله كذلك. والنعاس: النوم الخفيف، ويُسمى الوَسَنَ والسِّنَة. والأَمَنةُ: الأمْنُ، والأمنة مصدر الفعل أمِنَ. . . **﴿وينزل عليكم من السماء مَاءً ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان﴾**: رجز الشيطان: القذرِ الحِسِّي والمعنوي، والمراد به هنا: ما لحق الجيش من الوسخ والجنابة التي تعتريه غالبا. . . **﴿وليربط على قلوبكم﴾**: ربط الله على قلبه: ألهمه الصبر وقوّاه ثقة بنصر الله. . . **﴿ويثبت به الأقدام﴾**: تثبيت الأقدام: هو التمكن من السير في الرمل، بأن لا تسوخ في ذلك الدهس الأرجل، لأنّ هذا المعنى هو المناسب حصوله بالمطر. . . **﴿إذ يوحي ربّك إلى الملائكة أنّي معكم﴾**: إيحاء الله إلى الملائكة: إعلامهم بما يكون منه تعالى من النصر والتأييد. . .

﴿فثبتوا الذين آمنوا﴾: التثبيت هنا: إزالة الاضطراب النفساني مما ينشأ عن الخوف، وتثبيت المؤمنين: إيقاع ظَنٍّ في نفوسهم بأنّهم منصورون. . . **﴿سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب﴾**: إلقاء الرعب في القلب: جَعْلَهُ فَزعاً مضطرباً لا يستطيع أن يثبت أمام خصمه. . . **﴿فاضربوا فوق الأعناق﴾**: الضرب فوق الأعناق: قطع الرؤوس. . . **﴿واضربوا منهم كل بنان﴾**: البنان: أطراف الأصابع. . . **﴿ذلك بأنّهم شاقوا الله ورسوله﴾**: شاقوا عصوا وعاندوا، والمشاقّة مشتقة من الشِق وهو الجانب، ولمّا كان المخالف والمعادي متباعداً عن عدوه فقد جُعِلَ كأنّه في شقٍّ آخر. . . **﴿ياأيُّها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار﴾**: اللقاء: غُلِب استعماله في كلام العرب على مناجزة العدوّ في

الحرب، وأصل اللقاء الحضور لدى الغير. والزحف: مَشْيُ المقاتل إلى عدوه في ساحة القتال، والزحف أصله مصدر زحف إذا انبعث من مكانه متنقلاً على مقعدته يجرّ رجليه كما يزحف الصبي. والأدبار: جمع دبر، وهو ضدُّ قُبُل. وتولية الأدبار: الرجوع عن الاستقبال، ومعناه هنا الفرار من العدو في ميدان القتال...

﴿ومن يولهم يومئذ دبره إلاّ متحرفا لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير﴾: التحرف: الانصراف إلى الحرف، وهو التحول من مكان إلى مكان، ويعبر عنه بالفر والكر. والتحيز: طلب الحيز، وهو الرجوع إلى الوراء ليلتحق بطائفة من أصحابه. والفئة: الجماعة. وباء بغضب: رجع مُلاَبساً لغضب الله تعالى عليه... **﴿فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم﴾**: القتل المنفي هنا: لنفي أسبابه الظاهرة. والاستدراك إثبات القتل الواقع من الله معجزة لرسوله ﷺ... **﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾**: مثل سابقه في المعنى. والرمي: حقيقته إلقاء شيء أمسكتهُ اليد، ويطلق الرمي على الإصابة بسوء من فعل أو قول... **﴿وليبلى المؤمنين منه بلاء حسناً﴾**: يُبلى مضارع أبْلى إذا أحسن إليه، فالفعل الرباعي يدل على إصابة الخير، والثلاثي يدل على إصابة الشر، نحو: بلوته أبلوه بلاءً... **﴿ذلكم وأنّ الله موهن كيد الكافرين﴾**: مُضَعِّفٌ كَيْدَهُم ومكْرَهم بالنبيء والمؤمنين ومحاولتهم القضاء على دعوة التوحيد... **﴿إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح﴾**: الفتح: حقيقته إزالة شيء مجعولٍ حاجزاً دون شيء آخر، حفظاً له من الضياع أو الافتكاك والسرقة، والاستفتاح هنا طلب النصر المعبر عنه بالفتح... **﴿وإن تنتهوا فهو خير لكم﴾**: الانتهاء: الكف والامتناع، والمراد هنا الكف عن محاربة الرسول...

﴿وإن تعودوا نعد﴾: العود: الرجوع إلى الشيء بعد تركه، والمراد هنا العود إلى محاربة الرسول... **﴿ولن تغني عنكم فئتكم شيئاً ولو كثرت﴾**: لن تدفع عنكم جماعتكم من المشركين شيئاً من بأس الله وبطشه ولو كثرت عدداً... **﴿إنّ شرّ الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون﴾**: شر هنا أفعل تفضيل حذفت منه الهمزة لكثرة الاستعمال. والدواب: جمع دابة، وهو كل ما يدب على الأرض من الحيوان. والصم: جمع أصم، وهو فاقد السمع. والبكم: جمع أبكم، وهو فاقد الكلام. والذين لا يعقلون: مَنْ فقدوا فائدة العقل... **﴿ولو علم الله فيهم**

خيراً لأسمعهم﴾: لو جبلهم الله على قبول الخير لجعلهم يسمعون. . . **﴿ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون﴾**: لما في نفوسهم من التخلق بالباطل على ما خالطها من إدراك الخير، فحال ذلك التخلق بينهم وبين العمل بما عملوا فتولوا وأعرضوا. وتولى: أدبر. وأعرض: صدّ، ويقال: تولى عنه وأعرض عنه بمعنى واحد. . **﴿ياأيُّها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾**: الاستجابة: إجابة طلب معين. والاستجابة هنا معناها الإجابة بعناية واستعداد وعزيمة وقوة. ومعنى دعاكم لما يحييكم لأجل ما هو سبب حياتكم الرُّوحية، فالحياة تطلق على حياة الجسد، وتطلق على الإدراك بالاختيار، كحياة العقل بالعلم وسداد الرأي، وضدها الموت في المعاني الحسيّة والمعنوية. . .

﴿واعلموا أنّ الله يحول بين المرء وقلبه وأنّه إليه تحشرون﴾: يحول: مضارع حال، ومصدره الحول، وهو الفصل والحجز بين شيئين متصلين، مثل «وحال بينهما الموج»، «وحيل بينهم وبين ما يشتهون. . .» **﴿واتقوا فتنة لا تصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أنّ الله شديد العقاب﴾**: حاصل معنى الفتنة هنا يرجع إلى اضطراب الآراء واختلال السير وحلول الخوف والحذر في نفوس الناس. . . **﴿واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس﴾**: الذكر هنا تذكّر الماضي بما فيه من قلة العدد وضعف المدد. والأرض: أرض مكة. والتخطّف: أخذهم وسلب أموالهم عندما كانوا لقمة سائغة. . . **﴿فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون﴾**: الإيواء: الحفظ والرعاية. والتأييد: التقوية. . .

﴿يا أيُّها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون﴾: الخوْنُ والخيانة: إبطالُ ونقْضِ ما وقع عليه تعاقُدٌ من دون إعلان بذلك النقض، وهي ضد الوفاء، وأصل معنى الخون: النقص، كما أنّ أصل الوفاء التمام، فالإيمان والطاعة لله ورسوله عهد بين المؤمن وبين الله ورسوله، وتشمل الخيانة كل معصية خفيّة. والأمانة: اسم لما يحفظه المرء لغيره، مشتقة من الأمن، والأمين الذي يحفظ حقُوقَ مَنْ يُواليه. . . **﴿واعلموا أنّما أموالكم وأولادكم فتنة﴾**: الفتنة: هي الاختبار والامتحان بما يشق على النفس فعله أو تركه أو قبوله أو إنكاره. . . **﴿ياأيُّها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفر عنكم سيآتكم**

ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم﴾: إن تتقوا الله في كل ما يجب أن يتقى بمقتضى دينه وشرعه، يجعل لكم بمقتضى هذه التقوى مَلَكَةً من العلم والحكمة تفرقون بها بين الحق والباطل. والفرقان: مصدر مِثْلَ الغُفران والشكران. . . **﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يُخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾**: المكر: إيقاع الضر خفية. ومعنى ليثبتوك: ليحبسوك، يقال: أثبته إذا حبسه ومنعه من الحركة وأوثقه. ومكر الكافرين: تآمرهم على الرسول بحبسه أو بإخراجه أو بقتله. ومكر الله بهم: إفساد ما دبّروه وخيبتهم فيما أمّلوه. والله خير الماكرين حيث يُنَفِّذُ ما يُريدُ، ويُهْلِكُ كلَّ جبَّار عنيد. . .

﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إنْ هذا إلاّ أساطير الأولين﴾ تلاوة الآيات ترتادها على الأسماع، والآيات: آيات القرآن، وأساطير الأولين ما سُطّرَ من خرافات الأمم الماضية، والقصد من هذا استهزاؤهم بالقرآن. . . **﴿وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾**: إن كان هذا القرآن وما يدعوا إليه هو الحق منزلاً من عندك ليدين به عبادك كما يَدَّعِي محمد فافعل بنا كذا وكذا؟. . **﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾**: هذا نَفْيٌ لما طلبوه من إنزال العذاب بهم؛ لأنّ رسول الله فيهم، وكذلك لا يُعَجِّلُ لهم العذاب لما يُرْجَى من بعضهم من التوبة والاستغفار وترك الشرك والإصرار، وإنّما يستحق العذاب من يُصِرُّ على الكفر والعناد ويصد الناس عن المسجد الحرام. . .

﴿وما لهم ألاّ يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه. وما كان صلاتهم عند البيت إلاّ مكاءً وتصدية﴾: المكاء: التصفير بالفم مع وضع اليد عليه ليكون صوتاً قوياً حادّاً. والتصدية: التصفيق مشتقاً من الصدى وهو الصوت الذي يرده الهواء عندما يصطدم بجبل أو نحوه. . . **﴿إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون﴾**: مفردات الآية واضحة. . . **﴿ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً فيجعله في جهنم﴾**: الميز: الفرز والعزل والفصل بين شيئين متنافرين، وهو فصل الخبيث عن الطيب. والركم: جمع شيء فوق آخر حتى يصير ركاماً مركوماً كركام الرمل،

وتراكم الشيء: اجتمع. . . ﴿**قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإنّ الله بما يعملون بصير. وإن تولوا فاعلموا أنّ الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير**﴾: المراد بالانتهاء: الانتهاء عن شيء معلوم دلّ عليه وصف الكفر هنا، وما تقدمه من أمثاله وآثاره من الإنفاق للصد عن سبيل الله. وما قد سلف: ما أسلفوه من الكفر وآثاره.

ولفظ الغفران حقيقة شرعية في العفو عن جزاء الذنوب في الآخرة، والمراد بالعود الرجوع إلى ما هم فيه من مناواة الرسول. والسنة: العادة المألوفة والسيرة. ومعنى مضت: تقدمت وعرفها الناس. والأولون: السابقون المتقدمون من الأمم التي كذبت الرسل فلقوا عذاب الاستئصال. والفتنة هنا: اضطراب أمر الناس ومرجهم بإثارة بث الرعب بينهم.

مبحث الإعراب

﴿**يسألونك**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**عن الأنفال**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**قل**﴾ فعل أمر. ﴿**الأنفال**﴾ مبتدأ مرفوع بالضمة. ﴿**لله**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. ﴿**والرسول**﴾ معطوف على الله، والجملة في محل نصب مقول القول. ﴿**فاتقوا**﴾ الفاء للتفريع، واتقوا فعل أمر، وواو الجماعة فاعل. ﴿**اللهَ**﴾ مفعول به. ﴿**وأصلحوا**﴾ معطوف على اتقوا، وهو مثله في الإعراب. ﴿**ذات**﴾ مفعول به منصوب بالفتحة. ﴿**بينكم**﴾ مضاف إلى ذات، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**وأطيعوا**﴾ معطوف كذلك. ﴿**الله**﴾ مفعول به. ﴿**ورسوله**﴾ معطوف على الله، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**إن كنتم مؤمنين**﴾ جملة شرطية من كان واسمها وخبرها، وجوابها محذوف يدل عليه قوله: فاتقوا الله. ﴿**إنّما**﴾ كافة ومكفوفة. ﴿**المؤمنون**﴾ مبتدأ مرفوع بالواو. ﴿**الذين**﴾ في محل رفع خبر المبتدإ. ﴿**إذا**﴾ ظرف متضمن معنى الشرط.

﴿**ذكر**﴾ فعل ماض مبني للمجهول. ﴿**الله**﴾ نائب الفاعل، والجملة فعل الشرط في محل جر مضافة إلى الظرف. ﴿**وجلت**﴾ فعل ماض. ﴿**قلوبُهم**﴾ فاعل، والضمير فيه مضاف إليه، والجملة جواب إذا، والجملة الشرطية صلة

الذين. ﴿**وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً**﴾ جملة شرطية معطوفة على الجملة الشرطية قبلها. ﴿**وعلى ربّهم**﴾ الجار والمجرور متعلق بـ ﴿**يتوكلون**﴾ وهو فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، وواو الجماعة فاعل، وهو معطوف على الصلة المتقدمة. ﴿**الذين**﴾ في محل رفع بدل من الذين السابق من قوله تعالى: الذين إذا ذكر الله... الخ. ﴿**يقيمون الصلاة**﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة صلة الذين. ﴿**ومما رزقناهم ينفقون**﴾ الجار والمجرور متعلق بينفقون، وجملة رزقناهم صلة ما، وجملة ينفقون معطوفة على يُقيمون. ﴿**أولئك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**هم**﴾ ضمير فصل. ﴿**المؤمنون**﴾ خبر أولئك مرفوع بالواو. ﴿**حقاً**﴾ مفعول مطلق منصوب بالفتحة، وهو نعت لمصدر مقدر، والتقدير: أولئك هم الذين آمنوا إيماناً حقّاً. ﴿**لهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**درجات**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**عند**﴾ متعلق بمحذوف نعت لدرجات. ﴿**ربّهم**﴾ مضاف إلى عند، والضمير فيه مضاف إليه، وجملة لهم درجات خبر ثانٍ لأولئك.

﴿**ومغفرة ورزق**﴾ معطوفان على درجات. ﴿**كريم**﴾ نعت لرزق. ﴿**كما**﴾ الكاف للتشبيه، وهي في محل رفع خبر لمبتدإ محذوف، أي: هذا الحال شبهُ حال إخراج ربّك إيّاك من بيتك، وما مصدرية. ﴿**أخرجك ربّك**﴾ مؤول بمصدر مسبوك مع ما، والضمير المتصل بالفعل في محل نصب مفعول به، وربّك فاعل أخرج، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**من بيتك**﴾ متعلق بأخرجك. ﴿**بالحق**﴾ متعلق بمحذوف حال من الإخراج. ﴿**وإنّ فريقاً**﴾ إنّ واسمها دخلت عليها واو الحال. ﴿**من المؤمنين**﴾ متعلق بمحذوف نعت لفريقاً. ﴿**لكارهون**﴾ خبر إنّ مرفوع بالواو، واللام لتأكيد الخبر، والجملة في محل نصب حال من الإخراج. ﴿**يجادلونك**﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة بيانية. ﴿**في الحق**﴾ متعلق بيجادلونك. ﴿**بعد**﴾ كذلك. ﴿**ما**﴾ مصدرية. ﴿**تبيّن**﴾ فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على الحق، وما وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بإضافته إلى بعد. ﴿**كأنّما**﴾ كافة ومكفوفة.

﴿**يساقون**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول، وواو الجماعة نائب الفاعل، والجملة في محل نصب حال من الضمير المرفوع في قوله يجادلونك. ﴿**إلى الموت**﴾ متعلق بيساقون. ﴿**وهم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**ينظرون**﴾ الجملة من

الفعل والفاعل في محل رفع خبر المبتدإ، وجملة وهم ينظرون حال من نائب فاعل يساقون. ﴿**وإذ**﴾ الواو حرف عطف، وإذْ ظرف للزمان الماضي، وهو في محل جر بالعطف على المجرور بالكاف في قوله: كما أخرجك. ﴿**يعدكم**﴾ فعل مضارع، والكاف المتصل به مفعول. ﴿**الله**﴾ فاعل يعدكم. ﴿**إحدى**﴾ مفعول ثانٍ منصوب بفتحة مقدرة على الألف. ﴿**الطائفتين**﴾ مضاف إلى إحدى مجرور بالياء. ﴿**أنّها**﴾ أنّ واسمها. ﴿**لكم**﴾ متعلق بمحذوف خبر أنّ، وأنّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب على البدلية من إحدى الطائفتين. ﴿**وتودون**﴾ فعل وفاعل معطوف على يعدكم. ﴿**أنّ غير**﴾ أنّ واسمها. ﴿**ذات**﴾ مضاف إلى غير. ﴿**الشوكة**﴾ مضاف إلى ذات. ﴿**تكون لكم**﴾ في محل رفع خبر أنّ، واسم تكون ضمير يعود على ذات الشوكة، وخبرها متعلق لكم، وأنّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول تودون. ﴿**ويريد الله**﴾ فعل وفاعل، معطوف على تودون. ﴿**أن يحق**﴾ فعل مضارع منصوب بأن، والفاعل ضمير يعود على الله، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعول يريد.

﴿**الحق**﴾ مفعول يُحق. ﴿**بكلماته**﴾ متعلق بيُحق، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**ويقطع**﴾ معطوف على يحق. ﴿**دابر**﴾ مفعول يقطع. ﴿**الكافرين**﴾ مضاف إلى دابر مجرور بالياء. ﴿**ليحق**﴾ اللام للتعليل، ويحق فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل ضمير يعود على الله، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور باللام متعلق بفعل مقدر. ﴿**الحق**﴾ مفعول به. ﴿**ويبطل**﴾ معطوف على يحق. ﴿**الباطل**﴾ مفعول به. ﴿**ولو**﴾ وصلية. ﴿**كره**﴾ فعل ماض. ﴿**المجرمون**﴾ فاعل كره، والجملة معطوفة على قوله: يريد الله. ﴿**إذ تسْتغيثون**﴾ الظرف متعلق بيريد الله، وتستغيثون فعل وفاعل. ﴿**ربّكم**﴾ مفعول به منصوب بالفتحة، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**فاستجاب**﴾ فعل ماض دخلت عليه فاء الترتيب العاطفة، والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**لكم**﴾ متعلق باستجاب. ﴿**أنّي**﴾ أنّ واسمها.

﴿**ممدكم**﴾ خبرُ أنّ، وأنّ وما دخلت عليه تفسير للاستجابة. ﴿**بألف**﴾ متعلق بممدكم. ﴿**من الملائكة**﴾ متعلق بمحذوف نعت لألف. ﴿**مردفين**﴾ حال من الملائكة منصوب بالياء. ﴿**وما**﴾ الواو للعطف، وما للنفي. ﴿**جعله**﴾ فعل ماض،

والضمير المتصل به مفعول. ﴿**الله**﴾ فاعل جعل. ﴿**إلاّ**﴾ أداة استثناء. ﴿**بشرى**﴾ منصوب بفتحة مقدرة على الألف بدل من المستثنى المقدر المفعول الثاني لجعل. ﴿**ولتطمئن**﴾ الواو للعطف، واللام للتعليل، وتطمئن فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل. ﴿**به**﴾ متعلق بتطمئن. ﴿**قلوبُكم**﴾ فاعل تطمئن، والضمير فيه مضاف إليه، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بالعطف على بشرى. ﴿**وما**﴾ الواو للعطف، وما للنفي. ﴿**النصر**﴾ مبتدأ. ﴿**إلاّ**﴾ أداة استثناء. ﴿**من عِند**﴾ متعلق بمحذوف بدل من الخبر المقدر بعد إلاّ، والتقدير: وما النصر كائن من عند أحد إلاّ من عند الله. ﴿**إنّ الله عزيز حكيم**﴾ جملة إنّ واسمها وخبرها تعليلية لا محل لها من الإعراب.

﴿**إذ يغشيكم النعاس**﴾ فاعل يغشيكم ضمير يعود على الله، والضمير المتصل بالفعل مفعول أول، والنعاس مفعول ثانٍ، والجملة مضافة إلى الظرف، وجملة الظرف بدل من قوله: وإذ يعدكم الله.. ﴿**أمنة**﴾ مفعول لأجله منصوب بالفتحة. ﴿**منه**﴾ متعلق بمحذوف نعت لأمنة. ﴿**وينزل**﴾ معطوف على يغشيكم. ﴿**عليكم من السماء**﴾ متعلقان بينزل. ﴿**ماء**﴾ مفعول به. ﴿**ليطهركم**﴾ الفعل منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل الداخل على مصدر مجرور به متعلق بينزل. ﴿**به**﴾ متعلق بيطهر. ﴿**ويذهب**﴾ معطوف على يطهر، وهو مصدر مجرور كذلك. ﴿**عنكم**﴾ متعلق بيذهب. ﴿**رجز**﴾ مفعول به. ﴿**الشيطان**﴾ مضاف إلى رجز. ﴿**وليربط**﴾ مثل ليطهركم. ﴿**على قلوبكم**﴾ متعلق بيربط. ﴿**ويثبت**﴾ مثل ما سبقه. ﴿**به**﴾ متعلق بيثبت. ﴿**الأقدام**﴾ مفعول. ﴿**إذ يوحي ربّك**﴾ فعل وفاعل مضاف إلى الظرف، والظرف متعلق بقوله: فاستجاب لكم أني ممدكم، ويجوز أن يتعلق بفعل مقدر، والتقدير: اذكر إذ يوحي ربّك. ﴿**إلى الملائكة**﴾ متعلق بيوحي. ﴿**أنّي**﴾ أنّ واسمها. ﴿**معكم**﴾ متعلق بمحذوف خبر أنّ وجملة أنّي معكم تفسير ليوحي. ﴿**فثبتوا**﴾ فعل أمر لجماعة الملائكة، والفاء للترتيب. ﴿**الذين**﴾ في محل نصب مفعول به.

﴿**آمنوا**﴾ فعل وفاعل صلة الذين. ﴿**سألقي**﴾ فعل مضارع دخلت عليه سين التنفيس، والفاعل ضمير المتكلم يعود على الله. ﴿**في قلوب**﴾ متعلق بسألقي. ﴿**الذين**﴾ في محل جر مضاف إلى قلوب. ﴿**كفروا**﴾ صلة الموصول. ﴿**الرعب**﴾

مفعول به. ﴿**فاضربوا**﴾ فعل أمر موجه لجمع الملائكة، والفاء للتفريع. ﴿**فوق**﴾ ظرف متعلق باضربوا. ﴿**الأعناق**﴾ مضاف إلى فوق مجرور بالكسرة. ﴿**واضربوا منهم**﴾ معطوف على ما قبله، وهو مثله في الإعراب. ﴿**كل**﴾ مفعول به. ﴿**بنان**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**ذلك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**بأنّهم**﴾ أنّ واسمها دخلت عليها باء السببية الجارة للمصدر المقدر، وهو متعلق بمحذوف خبر المبتدإ (ذلك). ﴿**شاقوا**﴾ فعل وفاعل، والجملة في محل رفع خبرُ أنَّ. ﴿**الله**﴾ منصوب بالفتحة مفعول. ﴿**ورسوله**﴾ معطوف على الله، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**ومن**﴾ الواو للعطف، ومَنْ اسم شرط جازم. ﴿**يشاقق**﴾ فعل الشرط مجزوم، وحرك بالكسرة لالتقاء الساكنين. ﴿**الله**﴾ مفعول يشاقق. ﴿**ورسوله**﴾ معطوف على الله، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**فإنّ الله شديد العقاب**﴾ الجملة من إنّ واسمها وخبرها تعليل للجواب، والجواب: يعاقبه الله. ﴿**ذلكم**﴾ في محل رفع خبر لمبتدإ مقدر، والتقدير: حكم الله ذلكم.

﴿**وأنّ**﴾ الواو للعطف، وأن حرف توكيد ونصب. ﴿**للكافرين**﴾ متعلق بمحذوف خبر أنّ مقدم. ﴿**عذابَ**﴾ اسمها. ﴿**النار**﴾ مضاف إلى عذاب، وقوله: فذوقوا جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه. ﴿**ياأيُها**﴾ يا حرف نداء، وأيُّ منادى مبني على الضم في محل نصب، وها للتنبيه. ﴿**الذين**﴾ في محل رفع بيان لأيُّ. ﴿**آمنوا**﴾ فعل وفاعل صلة الذين. ﴿**إذا**﴾ ظرف لما يستقبل من الزمان خافض لشرطه منصوب بجوابه. ﴿**لقيتم**﴾ فعل وفاعل، وهو في محل جر مضاف إلى الظرف. ﴿**الذين**﴾ في محل نصب مفعول لقيتم. ﴿**كفروا**﴾ صلة الذين. ﴿**زحفاً**﴾ منصوب على الحال. ﴿**فلا**﴾ الفاء رابطة لجواب إذا، ولا ناهية. ﴿**تولوهم**﴾ فعل مضارع مجزوم بلا الناهية وعلامة جزمه حذف النون، وواو الجماعة فاعل، والضمير المتصل بالفعل مفعول أول. ﴿**الأدبار**﴾ مفعول ثانٍ منصوب بالفتحة. ﴿**ومَنْ**﴾ الواو للعطف، ومَنْ اسم شرط جازم. ﴿**يولهم**﴾ فعل الشرط مجزوم بحذف الياء، والضمير المتصل بالفعل مفعول أول. ﴿**يومئذ**﴾ متعلق بيولهم. ﴿**دبره**﴾ مفعول ثانٍ، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**إلاّ**﴾ أداة استثناء. ﴿**متحرفاً**﴾ منصوب على الحال أو بالاستثناء. ﴿**لقتال**﴾ متعلق بمتحرفاً. ﴿**أو متحيزاً إلى فئة**﴾ معطوف على متحرفاً، وهو مثله في الإعراب. ﴿**فقد**﴾ الفاء رابطة للجواب، وقد للتحقيق. ﴿**باء**﴾ فعل ماض وفاعله هو.

﴿بغضب﴾ متعلق بباء. ﴿من الله﴾ متعلق بمحذوف نعت لغضب، وجملة فقد باء في محل جزم جواب قوله: ومن يولّهم. ﴿ومأواه﴾ مبتدأ مرفوع بضمة مقدرة على الألف، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿جهنم﴾ خبر المبتدإ، والجملة معطوفة على قوله: فقد باء.. ﴿وبئس المصير﴾ فعل وفاعل عطف على مأواه جهنم. فلم الفاء فاء الفصيحة، وهي تقدر في جواب شرط كما هو معلوم، لم حرف نفي وجزم وقلب. ﴿تقتلوهم﴾ مجزوم بحذف النون، والواو فاعل، والضمير بعده مفعول به. ﴿ولكنّ﴾ الواو للعطف، ولكنّ للاستدراك، حرف ينصب الاسم ويرفع الخبر. ﴿الله﴾ اسم لكنّ منصوب بالفتحة. ﴿قتلهم﴾ فعل ماض، والفاعل ضمير يعود على الله، والضمير المتصل بالفعل مفعول به، وجملة قتلهم في محل رفع خبرُ لكنّ. ﴿وما﴾ الواو للعطف، وما للنفي. ﴿رميت﴾ فعل وفاعل. ﴿إذ رميت﴾ ظرف متعلق برميت، وجملة رميت الثانية في محل جر مضافة إلى إذ. ﴿ولكنّ الله رمى﴾ مثل ولكنّ الله قتلهم. ﴿وليبلي﴾ الواو للعطف، واللام للتعليل، والفعل المضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل هو يعود على الله، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بلام التعليل متعلق بفعل مقدر، والتقدير: فعل ما فعل لمحق الكافرين ولإبلاء المؤمنين بلاء حسناً. ﴿المؤمنين﴾ مفعول به.

﴿منه﴾ متعلق بمحذوف حال من قوله بلاء حسناً. ﴿بلاء﴾ مفعول مطلق. ﴿حسناً﴾ نعت له. ﴿إنّ الله سميع عليم﴾ الجملة من إنّ واسمها وخبرها تعليل للجمل التي قبلها. ﴿ذلكم﴾ في محل رفع مبتدأ، وخبره محذوف. ﴿وأنّ الله موهن﴾ أنّ واسمها وخبرها معطوفة على اسم الإشارة. ﴿كيد﴾ مفعول لاسم الفاعل موهّن. ﴿الكافرين﴾ مضاف إلى كيد. ﴿إن﴾ حرف شرط جازم. ﴿تستفتحوا﴾ فعل الشرط مجزوم بحذف النون، والواو فاعل. ﴿فقد﴾ الفاء لربط الجواب، وقد للتحقيق. ﴿جاءكم﴾ فعل ماض، وضمير المخاطبين مفعول. ﴿الفتحُ﴾ فاعل جاء، وجملة فقد جاءكم الفتح في محل جزم جواب الشرط، وربطت بالفاء لوجود قد. ﴿وإن تنتهوا﴾ معطوف على قوله: إن تستفتحوا، وهو مثله في الإعراب. ﴿فهو خير﴾ مبتدأ وخبر في محل جزم جواب الشرط، ولما كانت الجملة اسمية ربطت بالفاء. ﴿لكم﴾ متعلق بخير. ﴿وإن تعودوا﴾ فعل الشرط. ﴿نعد﴾ جوابه مجزوم بالسكون، وجملة الشرط معطوفة على جملة الشرط

قبلها. ﴿**ولن تغني**﴾ الفعل منصوب بلن النافية. ﴿**عنكم**﴾ متعلق بتغني. ﴿**فئتكم**﴾ فاعل تغني، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**شيئا**﴾ مفعول به.

﴿**ولو كثرت**﴾ الجملة في محل نصب على الحال من فئتكم. ﴿**وأنّ الله**﴾ أنّ واسمها. ﴿**مع**﴾ متعلق بمحذوف خبر أنّ. ﴿**المؤمنين**﴾ مضاف إلى مع، وأنّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بلام التعليل المقدر، وهو معطوف على قوله: وأنّ الله موهن كيد الكافرين. ﴿**ياأيُّها الذين آمنوا**﴾ تقدم إعراب مثلها قريبا. ﴿**أطيعوا**﴾ فعل أمر، وواو الجماعة فاعل. ﴿**الله**﴾ مفعول به منصوب بالفتحة. ﴿**ورسوله**﴾ معطوف على الله، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**ولا**﴾ الواو للعطف، ولا ناهية. ﴿**تولوا**﴾ مجزوم بلا الناهية وعلامة جزمه حذف النون، وواو الجماعة فاعل. ﴿**عنه**﴾ متعلق بتولوا. ﴿**وأنتم**﴾ الواو واو الحال، وأنتم في محل رفع مبتدأ. ﴿**تسمعون**﴾ فعل وفاعل في محل رفع خبر المبتدإ، والجملة في محل نصب حال من الضمير المرفوع في تولوا. ﴿**ولا**﴾ الواو عاطفة، ولا ناهية. ﴿**تكونوا**﴾ مجزوم، وواو الجماعة اسم تكون. ﴿**كالذين**﴾ الكاف في محل نصب خبر تكون، والذين في محل جر بالكاف. ﴿**قالوا**﴾ فعل وفاعل صلة الذين. ﴿**سمعنا**﴾ فعل وفاعل، وجملة سمعنا في محل نصب مقول القول. ﴿**وهم**﴾ الواو واو الحال، هم في محل رفع مبتدأ. ﴿**لا يسمعون**﴾ فعل وفاعل دخلت عليه لا النافية، والجملة في محل نصب حال من الضمير المرفوع في سمعنا. ﴿**إنّ شرّ**﴾ إنّ واسمها. ﴿**الدّواب**﴾ مضاف إلى شر.

﴿**عند**﴾ متعلق بشر. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى عند. ﴿**الصم**﴾ خبر أول لإنّ. ﴿**البكم**﴾ خبر ثانٍ. ﴿**الذين**﴾ خبر ثالث، وهو في محل رفع. ﴿**لا يعقلون**﴾ فعل وفاعل منفي بلا صلة الذين. ﴿**ولو**﴾ الواو للعطف، ولو حرف امتناع لامتناع متضمنة معنى الشرط. ﴿**علم الله**﴾ فعل وفاعل، وهو فعل الشرط. ﴿**فيهم**﴾ متعلق بعلم. ﴿**خيراً**﴾ مفعول به منصوب بالفتحة. ﴿**لأسمعهم**﴾ اللام رابطة لجواب الشرط، أسمع فعل ماض، والفاعل هو ضمير يعود على الله، وضمير الغائبين المتصل بالفعل مفعول به. ﴿**ولو أسمعهم لتولوا**﴾ معطوف على قوله: ولو علم الله، وهو مثله في الإعراب. وجملة ﴿**وهم معرضون**﴾ من المبتدإ والخبر حال من الضمير المرفوع في تولوا. ﴿**ياأيُّها الذين آمنوا**﴾ معلوم إعرابها مما تقدم.

﴿**استجيبوا**﴾ فعل أمر. ﴿**لله**﴾ متعلق باستجيبوا. ﴿**وللرسول**﴾ معطوف على الله. ﴿**إذا**﴾ في محل نصب ظرف متعلق باستجيبوا. ﴿**دعاكم**﴾ فاعل دعا يعود على الرسول، وضمير المخاطبين في محل نصب مفعول به.

﴿**لما**﴾ متعلق بدَعا. ﴿**يحييكم**﴾ فاعل يحييكم ضمير يعود على ما، وضمير المخاطبين مفعول به، وجملة يحييكم صلة ما. ﴿**واعلموا**﴾ معطوف على استجيبوا، وهو فعل أمر مثله. ﴿**أنّ الله**﴾ أنّ واسمها. ﴿**يحول**﴾ فعل مضارع، والفاعل هو يعود على الله، والجملة في محل رفع خبرُ أنَّ، وأنّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب سدّ مسدّ مفعولي علِم. ﴿**بين**﴾ منصوب على الظرفية متعلق بيحول. ﴿**المرء**﴾ مضاف إلى بين. ﴿**وقلبه**﴾ معطوف على المرء، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**وأنّه**﴾ معطوف على أنّ الله. ﴿**إليه تحشرون**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول، ونائب الفاعل واو الجماعة، والجملة في محل رفع خبرُ أنّ، وإليه متعلق به تقدم عليه أي: تحشرون إليه، والجملة معطوفة على قوله: أنّ الله يحول بين المرء وقلبه. ﴿**واتقوا**﴾ معطوف على قوله: استجيبوا لله وللرسول. ﴿**فتنة**﴾ مفعول به منصوب بالفتحة. ﴿**لا تصيبن**﴾ لا ناهية، والفعل مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد، والفاعل هي يعود على الفتنة، وهو في محل جزم بلا الناهية، والجملة مؤكدة للأمر. ﴿**الذين**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**ظلموا**﴾ فعل وفاعل صلة الذين. ﴿**منكم**﴾ متعلق بظلموا. ﴿**خاصة**﴾ منصوب على الحال من ضمير تصيبن. ﴿**واعلموا**﴾ معطوف على الأوامر السابقة. ﴿**أنّ الله**﴾ أنّ واسمها. ﴿**شديد**﴾ خبرها.

﴿**العقاب**﴾ مضاف إلى شديد، وأنّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب سدّ مسدّ مفعولي علم كما تقدم نظيره. ﴿**واذكروا**﴾ معطوف على الأوامر السابقة. ﴿**إذ**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**أنتم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**قليل**﴾ خبر. ﴿**مستضعفون**﴾ خبر ثانٍ. ﴿**في الأرض**﴾ متعلق بمستضعفون. ﴿**تخافون**﴾ خبر ثالث. ﴿**أن يتخطفكم**﴾ منصوب بأنْ، والضمير المتصل بالفعل مفعول به. ﴿**الناس**﴾ فاعل، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول تخافون، أي: تخافون تخطيف الناس إياكم. ﴿**فآواكم**﴾ فعل ماض، والفاعل هو يعود على الله، وضمير المخاطبين في محل نصب مفعول به، والفاء الداخلة على الفعل

للتعقيب. ﴿**وأيدكم**﴾ معطوف على آواكم، وهو مثله في الإعراب. ﴿**بنصره**﴾ متعلق بأيدكم، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**ورزقكم من الطيبات**﴾ مثله. ﴿**لعلكم**﴾ لعل واسمها.

﴿**تشكرون**﴾ فعل وفاعل، والجملة في محل رفع خبر لعل، وجملة لعلكم تعليلية لا محل لها من الإعراب. ﴿**ياأيُّها الذين آمنوا**﴾ تقدم إعراب مثلها. ﴿**لا تخونوا**﴾ الفعل مجزوم بلا الناهية. ﴿**اللهَ**﴾ مفعول به منصوب بالفتحة. ﴿**والرسولَ**﴾ معطوف على الله. ﴿**وتخونوا**﴾ معطوف على النهي مجزوم به. ﴿**أماناتكم**﴾ مفعول به منصوب بالكسرة، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**وأنتم تعلمون**﴾ الواو واو الحال، وأنتم في محل رفع مبتدأ، وجملة تعلمون خبره، والجملة في محل نصب حال من الضمير المرفوع في تخونوا. ﴿**واعلموا**﴾ الواو للعطف على ما قبلها من الأوامر. ﴿**أنّما**﴾ كافة ومكفوفة. ﴿**أموالكم**﴾ مبتدأ مرفوع بالضمة، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**وأولادكم**﴾ معطوف على أموالكم. ﴿**فتنة**﴾ خبر المبتدإ مرفوع بالضمة. ﴿**وأنّ الله**﴾ أنّ واسمها. ﴿**عنده**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**أجر**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**عظيم**﴾ نعت لأجر، وهو معطوف على قوله أنّما أموالكم، وأنّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب على المفعولية سد مسد مفعولي اعلموا. ﴿**ياأيُّها الذين آمنوا**﴾ تكرر كثيراً هذا النداء في هذه السورة فعلم إعراب هذه فيما تقدم. ﴿**إن تتقوا**﴾ جملة شرطية. ﴿**الله**﴾ مفعول تتقوا. ﴿**يجعل**﴾ جزم الفعلُ جواباً للشرط، وفاعل يجعل ضمير هو يعود على الله. ﴿**لكم**﴾ متعلق بيجعل. ﴿**فرقاناً**﴾ مفعول به منصوب بالفتحة.

﴿**ويكفر**﴾ معطوف على يجعل مجزوم مثله. ﴿**عنكم**﴾ متعلق بيكفر. ﴿**سيّآتكم**﴾ مفعول به منصوب بالكسرة، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**ويغفر**﴾ معطوف على الجواب السابق. ﴿**لكم**﴾ متعلق بيغفر. ﴿**واللهُ**﴾ مبتدأ. ﴿**ذو**﴾ خبره مرفوع بالواو. ﴿**الفضل1 مضاف إلى ذو**. ﴿**العظيم**﴾ نعت للفضل. ﴿**وإذ**﴾ معطوف على قوله: واذكروا إذ أنتم. ﴿**يمكر**﴾ فعل مضارع مرفوع بالضمة. ﴿**بك**﴾ متعلق بيمكر. ﴿**الذين**﴾ في محل رفع فاعل يمكر. ﴿**كفروا**﴾ صلة الذين. ﴿**ليثبتوك**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، وواو الجماعة فاعل، وضمير المخاطب مفعول. ﴿**أو يقتلوك أو يخرجوك**﴾ معطوف على قوله:

ليثبتوك، والفعل بعد لام التعليل مؤول بمصدر مجرور به يتعلق بالفعل المقصود من أجله التعليل، وهو كثير في القرآن. ويمكرون فعل وفاعل. ﴿**ويمكر الله**﴾ كذلك، وجملة ويمكرون في محل نصب حال من الذين كفروا، وجملة ويمكر الله معطوفة على ويمكرون.

﴿**والله**﴾ مبتدأ. ﴿**خيرُ**﴾ خبره. ﴿**الماكرين**﴾ مضاف إلى خير، والجملة تذييلية لا محل لها من الإعراب. ﴿**وإذا**﴾ الواو للعطف، إذا ظرف للزمان المستقبل متضمنة معنى الشرط. ﴿**تتلى**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول فعل الشرط. ﴿**عليهم**﴾ متعلق بتتلى. ﴿**آياتنا**﴾ نائب فاعل تتلى، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**قالوا**﴾ جواب الشرط. ﴿**لو**﴾ حرف امتناع لامتناع متضمن معنى الشرط. ﴿**نشاء**﴾ فعل الشرط، وفاعله نحن. ﴿**لقلنا**﴾ جواب الشرط. ﴿**مثل**﴾ مفعول به. ﴿**هذا**﴾ في محل جر مضاف إلى مثل، وجملة لو نشاء لقلنا في محل نصب مقول القول. ﴿﴿**إن**﴾ نافية. ﴿**هذا**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**إلاّ**﴾ أداة استثناء. ﴿**أساطير**﴾ خبر مرفوع بالضمة. ﴿**الأولين**﴾ مضاف إلى أساطير. ﴿**وإذ قالوا**﴾ معمول لفعل مقدر. ﴿**اللهم**﴾ منادى حذفت منه ياء النداء، وعوض عنها الميم المشددة، وهو استعمال شائع عند العرب. ﴿**إن**﴾ شرطية جازمة. ﴿**كان**﴾ في محل جزم فعل الشرط. ﴿**هذا**﴾ في محل رفع اسم كان. ﴿**هو**﴾ ضمير فصل.

﴿**الحق**﴾ خبر كان منصوب بالفتحة. ﴿**من عندك**﴾ متعلق بمحذوف حال من الحق، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**فأمطر**﴾ فعل دعاء، وهو جواب الشرط لدخول الفاء عليه. ﴿**علينا**﴾ متعلق بأمطر. ﴿**حجارة**﴾ مفعول به منصوب بالفتحة. ﴿**من السماء**﴾ متعلق بمحذوف نعت لحجارة. ﴿**أو ائتنا**﴾ معطوف على أمطر. ﴿**بعذاب**﴾ متعلق بائتنا. ﴿**أليم**﴾ نعت لعذاب مجرور بالكسرة. ﴿**وما**﴾ الواو للعطف، وما للنفي. ﴿**كان الله**﴾ كان واسمها. ﴿**ليعذبهم**﴾ اللام لام الجحود، والفعل منصوب بأن مضمرة بعد اللام، والضمير المتصل بالفعل مفعول، والفاعل هو يعود على الله، ولام الجحود جارة للمصدر المقدر متعلقة بخبر كان، والتقدير: وما كان الله مريداً لتعذيبهم. وجملة ﴿**وأنت فيهم**﴾ حال من الضمير المنصوب. ﴿**وما كان اللهُ مُعَذّبهم**﴾ معطوف على قوله: وما كان الله ليعذبهم. وجملة ﴿**وهم يستغفرون**﴾ حال من ضمير معذّبهم. ﴿**وما**﴾ الواو للعطف، وما

اسم استفهام في محل رفع مبتدأ. ﴿**لهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. ﴿**أن لا يعذبهم**﴾ فعل مضارع منصوب بأن منفيّ بلا. ﴿**الله**﴾ فاعل، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بحرف مقدر، والتقدير: أيُّ شيء ثبت لهم في عدم تعذيبهم؟. وقوله: ﴿**وهم يصدون عن المسجد الحرام**﴾ حال من الضمير المنصوب.

﴿**وما كانوا أولياءه**﴾ الجملة من كان واسمها وخبرها حال من ضمير الرفع في يصدّون. ﴿**إنْ**﴾ نافية. ﴿**أولياؤه**﴾ مبتدأ مرفوع بالضمة، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**إلاّ**﴾ أداة استثناء. ﴿**المتقون**﴾ خبر. ﴿**ولكنّ**﴾ الواو للعطف، لكن حرف استدراك ونصب. ﴿**أكثرهم**﴾ اسم لكنّ منصوب بالفتحة، والضمير فيه مضاف إليه. وجملة ﴿**لا يعلمون**﴾ خبر لكنّ. ﴿**وما**﴾ الواو للعطف، ما نافية. ﴿**كان صلاتهم**﴾ كان واسمها، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**عند**﴾ متعلق بصلاتهم. ﴿**البيت**﴾ مضاف إلى عند. ﴿**إلاّ**﴾ أداة استثناء. ﴿**مكاءً**﴾ خبر كان. ﴿**وتصدية**﴾ معطوف على مكاءً. ﴿**فذوقوا**﴾ فعل أمر دخلت عليه فاء التعقيب، وواو الجماعة فاعل. ﴿**العذاب**﴾ مفعول به منصوب بالفتحة. ﴿**بما**﴾ الباء سببية، وما مصدرية. ﴿**كنتم**﴾ كان واسمها. وجملة ﴿**تكفرون**﴾ في محل نصب خبر كان، وما وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بالباء متعلق بذوقوا، والتقدير: فذوقوا العذاب بسبب كونكم كافرين.

﴿**إنّ الذين**﴾ إنّ واسمها. ﴿**كفروا**﴾ صلة الذين. ﴿**ينفقون أموالهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة في محل رفع خبرُ إنّ. ﴿**ليصدوا**﴾ اللام للتعليل، ويصدوا منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، وواو الجماعة فاعل. ﴿**عن سبيل**﴾ متعلق بيصُدوا. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى سبيل، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بلام التعليل متعلق بينفقون، والتقدير: إنّ الذين كفروا ينفقون أموالهم لأجل الصد عن سبيل الله. ﴿**فسينفقونها**﴾ الفاء تفريع على العلة، وسينفقونها فعل وفاعل ومفعول. ﴿**ثم**﴾ حرف عطف يفيد التراخي. ﴿**تكون**﴾ اسم تكون هي يعود على الأموال. ﴿**عليهم**﴾ متعلق بقوله: ﴿**حسرةً**﴾ خبر تكون منصوب بالفتحة. ﴿**ثم يغلبون**﴾ معطوفة على ما قبلها، يغلبون فعل مضارع مبني للمجهول، وواو الجماعة نائب الفاعل. ﴿**والذين**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**كفروا**﴾ صلة الموصول.

﴿**إلى جهنم**﴾ متعلق بما بعده. ﴿**يحشرون**﴾ والجملة من الفعل ونائب الفاعل في محل رفع خبرُ الذين كفروا. ﴿**ليميز الله**﴾ فعل وفاعل، والفعل منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور باللام متعلق بيحشرون. ﴿**الخبيث**﴾ مفعول به. ﴿**من الطيب**﴾ متعلق بيميز. ﴿**ويجعل**﴾ معطوف على يميز منصوب مثله. ﴿**الخبيث**﴾ مفعول به. ﴿**بعضَه**﴾ بدل من الخبيث.

﴿**على بعض**﴾ متعلق بمحذوف مفعول ثانٍ. ﴿**فيركمه**﴾ معطوف على يجعل، والضمير المتصل بالفعل مفعول به. ﴿**جميعاً**﴾ حال من الضمير المنصوب. ﴿**فيجعله**﴾ مثل فيركمه. ﴿**في جهنم**﴾ متعلق بمحذوف مفعول ثانٍ ليجعله. ﴿**أولئك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**هم**﴾ ضمير فصل. ﴿**الخاسرون**﴾ خبر أولئك مرفوع بالواو. ﴿**قل**﴾ فعل أمر. ﴿**للذين**﴾ متعلق بقل. ﴿**كفروا**﴾ صلة الذين. ﴿**إن**﴾ حرف شرط جازم. ﴿**ينتهوا**﴾ فعل وفاعل فعل الشرط. ﴿**يغفر**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول مجزوم بجواب الشرط. ﴿**لهم**﴾ متعلق بيغفر. ﴿**ما**﴾ في محل رفع نائب الفاعل. ﴿**قد سلف**﴾ فعل ماض دخل عليه حرف التحقيق، وجملة قد سلف صلة ما. ﴿**وإن يعودوا**﴾ معطوف على قوله: إن ينتهوا، وهو مجزوم مثله. ﴿**فقد مضت**﴾ الفاء رابطة للجواب، وقد مضت مثل قد سلف. ﴿**سنة**﴾ فاعل مَضَتْ. ﴿**الأولين**﴾ مضاف إلى سنة. ﴿**وقاتلوهم**﴾ فعل أمر. ﴿**حتى لا تكون فتنة**﴾ حتى للغاية، ولا للنفي، تكون تامة منصوبة بأن مضمرة بعد حتى، وفتنة فاعل تكون. ﴿**ويكون الدين**﴾ معطوف على قوله: حتى لا تكون. ﴿**كلُّه**﴾ توكيد لفظي للدين مرفوع بالضمة، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**لله**﴾ متعلق بيكون. ﴿**فإن انتهوا**﴾ تعقيب على ما قبله، والجملة فعل الشرط. وجملة ﴿**فإنّ الله بما يعملون بصير**﴾ من إنّ واسمها وخبرها في محل جزم جواب الشرط.

﴿**وإن تولوا**﴾ معطوف على قوله: فإن انتهوا. وجملة ﴿**فاعلموا أنّ الله مولاكم**﴾ جواب الشرط. ﴿**نعم**﴾ فعل ماض. ﴿**المولى**﴾ فاعل مرفوع بضمة مقدرة على الألف. ﴿**ونعم النصير**﴾ معطوف على نعم المولى، وجملة نعم المولى في محل رفع خبر مبتدإ مقدر، والتقدير مولاكم نعم المولى، ونصيركم نعم النصير، وهي جملة تذييلية لا محل لها من الإعراب.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**يسألونك عن الأنفال**﴾: جاءت الجملة مفصولة لأنّها وقعت في أول السورة، فهي مستقلة عما قبلها. وجيء بالفعل المضارع ليدل على تكرر السؤال إما بإعادته المرة بعد المرة من سائلين متعددين، وإما بكثرة السائلين عن ذلك حين المحاورة في موقف واحد. والكلام يُؤذن بوقوع تنازع بين الجيش في استحقاق الأنفال، وقد كانت لهم عوائد متّبعة في الجاهلية في الغنائم والأنفال أرادوا العمل بها وتخالفوا في شأنها فسألوا. وضمير جمع الغائب يعود إلى معروف عند النبيء وبين السامعين. . . ﴿**قل الأنفال لله والرسول**﴾: جواب عن السؤال. واللام في قوله هنا: لله لام الملك. وعطف الرسول على الله لأنّ الرسول هو المتصرّف في الأنفال بأمر الله. . .

﴿**فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم**﴾: هذا تفريع على قوله: قل الأنفال لله والرسول؛ لأنّ في تلك الجملة رفعاً للنزاع بينهم في استحقاق الأنفال، وقدم الأمر بالتقوى لأنّها جامع الطاعات. . . ﴿**وأطيعوا الله ورسوله**﴾: توسيط الأمر بإصلاح ذات البين بين الأمر بالتقوى والأمر بالطاعة لإظهار كمال العناية بالإصلاح بحسب المقام، وليندرج الأمر به بعينه تحت الأمر بالطاعة. . . ﴿**إن كنتم مؤمنين**﴾: متعلق بالأوامر الثلاثة، والجوابُ يدُلُّ عليه ما قبله، والمقصود تحقيق المعلق بناء على تحقق المعلق به، وفيه تنشيط للمخاطبين، وحثٌّ لهم على المسارعة إلى الامتثال، والمراد بالإيمان كمالُه، فإنّ كمال الإيمان يدُور على هذه الخصال الثلاث: طاعة الأوامر، واتقاء المعاصي، وإصلاح ذات البين بالعدل والإحسان. . .

﴿**إنّما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم**﴾: موقع هذه الجملة وما عطف عليها موقع التعليل لوجوب تقوى الله وإصلاح ذات بينهم، وطاعتهم لله ورسوله؛ لأنّ ما تضمنته هذه الجمل التي بَعْد إنّما من شأنه أن يحمل المتصفين به على الامتثال لما تضمنته جمل الأمر الثلاث السابقة، وفُصلت الجملة عما قبلها لاستغنائها عن الربط، فكأنها جملة مُستقلّة، والقصر فيها ادّعائي، باعتبار أنّ من لم يتصف بهذه الصفات لا يسمى مؤمنا حقّاً. وأسند الوجل إلى القلوب؛ لأنّ القلب يكثر إطلاقه في كلام العرب على إحساس الإنسان وقرارة إداركه. وقد

أجملت الآية ذكر الله إجمالاً بديعاً ليناسب معنى الوجل. . . ﴿**وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً**﴾: إسناد زيادة الإيمان إلى الآيات من المجاز العقلي؛ لأنّها هي السبب. . . ﴿**وعلى ربّهم يتوكلون**﴾: قدم المجرور لإرادة الحصر ولرعاية الفواصل وللتعريض بالمشركين. . . ﴿**الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون**﴾: فصلت الجملتان عمّا قبلهما وجيء بموصول آخر للدلالة على الانتقال في وصفهم إلى غرض آخر غير الغرض الذي اجتلب الموصول الأول لأجله، للتخلص به إلى المدح الخالص. وجيء بالفعلين المضارعين في يقيمون وينفقون للدلالة على تكرر ذلك وتجدُّدِهِ. . . ﴿**أولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربّهم ومغفرة ورزق كريم**﴾: جُمْلَةٌ مُؤَكِّدَةٌ لمضمون جملة إنّما المؤمنون الذين إذا ذكر الله. . . الخ ولذلك فصلت. وعُرّف المسند إليه بالإشارة لوقوعه عقب صفات لتدل الإشارة على أنهم أحرياء بالحكم المسند إلى اسم الإشارة من أجل تلك الصفات، فكأنّ المُخْبَر عنهم قد تميزوا للسامع بتلك الصفات فصاروا بحيث يُشارُ إليهم، وما في اسم الإشارة من البعد للدلالة على رفعة منزلتهم.

وحقاً هو تحقيق لمعنى القصر المستفاد من الجمل السابقة. وفي قوله: لهم درجات عند ربهم استعارة للشرف والكرامة عند الله بدليل قوله: عند ربّهم. وتنوين درجات للتعظيم، ومثلها مغفرة ورزق، وكريم زيادة في وصف الرزق، وكرم الرازق، وكرامة المرزوق. . . ﴿**كما أخرجك ربّك من بيتك بالحق وإنّ فريقاً من المؤمنين لكارهون**﴾: تشبيه حال إخراج الرسول من بيته بحال سؤالهم عن الأنفال، ووجه الشبه هو كراهية المؤمنين في بادئ الأمر لما هو خير لهم في الواقع، والتشبيه تمثيلي. وجملة وإنّ فريقا في موضع الحال، دالٌ على ما في الكلام من معنى مخالفة مشتهاهم. والمقصود من هذا الأسلوب الانتقال إلى تذكيرهم بالخروج إلى بدر وما ظهر فيه من دلائل عناية الله تعالى برسوله وبالمؤمنين. والإخراج من البيت هو الإخراج المعين الذي خرج به النبيء غازياً إلى بدر.

والباء في بالحق للمصاحبة، والحق هنا الصواب، والمعنى: أنّ الله أمره بالخروج إلى المشركين ببدر أمراً موافقاً للمصلحة في حال كراهة فريق من المؤمنين ذلك الخروج. . . ﴿**يجادلونك في الحق بعدما تبين**﴾: صيغة المضارع

لحكاية حال المجادلة زيادة في التعجيب منها. وقوله: بعدما تبيّن لَوْمٌ لهم على المجادلة في الخروج الخاص. وقوله... ﴿**كأنّما يساقون إلى الموت وهم ينظرون**﴾: تشبيه لحالهم في حين المجادلة في اللحاق بالمشركين بحال من يجادل ويمانع من يسوقه إلى ذات الموت... ﴿**وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنّها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم**﴾: متصل بما قبله داخل في التشبيه. وشاع استعارة الشوكة للبأس، يقال: فلان ذو شوكة... ﴿**ويريد الله أن يحقّ الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين**﴾: داخل فيما قبله لوصله بالعطف، والمقصود من الإخبار بهذه الجمل الثلاث إظهارُ أنّ ما يودّونه ليس فيه كمال مصلحتهم، وأنّ الله اختار لهم ما فيه كمال مصلحتهم، والمعنى: أردتم الغنيمة وأراد الله إظهار أمركم وقطع دابر عدوّكم، وذلك كله ﴿**ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون**﴾. وهذه الجملة جاءت لبيان الحكمة الداعية إلى اختيار ذات الشوكة ونصرهم عليها مع إرادتهم لغيرها...

﴿**إذ تستغيثون ربّكم فاستجاب لكم**﴾: إظهار الحال التي كان عليها النبيء والمسلمون عندما رأوا من قوة عدوهم ما رأوا، فاستغاثوا فاستجاب لهم... ﴿**أنّي ممدكم بألف من الملائكة مردفين. وما جعله الله إلاّ بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلاّ من عند الله إنّ الله عزيز حكيم**﴾: هذا بيان لحكمة الإمداد بالملائكة، وقد تقدم نظير هذا في سورة آل عمران. والفرق بين ما هنالك وبين ما هنا: أنّ ما في آل عمران جاءت لبيان الامتنان، وما في هذه السورة جاءت لبيان العتاب على ما حصل من بعضهم، ومن أجل هذا حذف كلمة لكم. وقدم المجرور في قوله: ولتطمئن به قلوبكم للاختصاص، وفيه تعريض بما حصل من الخوف من ذات الشوكة. وجاءت صيغة إنّ الله عزيز حكيم بالخبر المؤكَّدِ ليزول خوفهم من ذات الشوكة...

﴿**إذ يُغشِيكم النعاس أمنة منه**﴾: فصلت هذه الجملة عما قبلها لأنّها مِنَّةٌ من الله خالصة لم يكن فيها شوبُ لَوْم. والظرف متعلق بفعل مقدر، والتقدير: اذكروا إذ يغشيكم الله النعاس، وصيغة المضارع لاستحضار الحالة... ﴿**وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام**﴾: هذه منّة أخرى جاءت في وقت الحاجة، وقد بيّن فوائدها بذكر

أنواعها: وهي التطهير، وإذهاب رجز الشيطان، والربط على القلوب، وتثبيت الأقدام... **﴿إذ يوحي ربّك إلى الملائكة أنّي معكم﴾**: فصلت الجملة عما قبلها لما فيها من تخصيص الخطاب للنبيء ﷺ، والظرف متعلق بفعل اذكر. وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره ﷺ من التنويه والتشريف ما لا يخفى. والمعنى: اذكر يا محمد وقت إيحاء ربّك إلى الملائكة أنّي معكم... **﴿فثبتوا الذين آمنوا﴾**: مرتب على قوله: أنّي معكم، والتثبيت هنا مجاز في إزالة الاضطراب النفساني...

﴿سأُلقي في قلوب الذين كفروا الرعب﴾: جملة مستأنفة جاءت خبراً من الله بياناً لما يحصل للذين كفرا مقابلاً لما يحصل للذين آمنوا، ولهذا أسند الفعل إلى الله وحده في قوله: سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب... **﴿فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان﴾**: تفريع على ما سبق من تثبيت المؤمنين وترعيب الكافرين. والمأمور بالضرب المخاطبون، وهم النبيء وأصحابهُ والملائكةُ... **﴿ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله﴾**: تعليل للأمر بالضرب، فالإشارة إلى الضرب الواقع على الكافرين، والمخاطب هنا فرد من أفراد المخاطبين، ويترجح أن يكون الرسول ﷺ. وجملة... **﴿ومن يشاقق الله ورسوله فإنّ الله شديد العقاب﴾**: تذييل يعم كل من يشاقق الله... ويلم أصناف العقائد. والمراد من قوله: فإنّ الله شديد العقاب الكناية عن عقاب المشاقين، وبذلك يظهر الارتباط بين الجزاء وبين الشرط باعتبار لازم الخبر...

﴿ذلكم فذوقوه وأنّ للكافرين عذاب النار﴾: الإشارة إلى ما تقدم من الوعيد الحائق واللاحق بالمشاقين. والمخاطبون هم المشاقّون المتورطون في العقاب أو المترقبون حلوله بهم، فالمشار إليه عقاب الدنيا، والمعطوف عليه عقاب الآخرة... **﴿ياأيُّها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار﴾**: فُصِلَ الكلام عما قبله لكونه مستأنفا جيء به لبيان حكم الفرار. واللقاء غُلِبَ استعمالُه في كلام العرب على مناجزة العدوّ في الحرب. وأطلق الزحف هنا على مشي المقاتل إلى عدوه في ساحة القتال باحتراس وترصد فرصة فكأنّه يزحف إليه. ومعنى فلا تولوهم الأدبار: لا توجهوا إليهم أدباركم. وتولية الأدبار كناية عن الفرار من العدو، بقرينة ذكره في سياق لقاء العدوّ، فهو مستعمل في لازم معناه

مع بعض المعنى الأصلي. . . ﴿**ومن يولهم يومئذ دبره إلاّ متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير**﴾: عبّر بلفظ تولية الدبر في وعيد كل فرد كما عبّر به في نهي الجماعة لتأكيد حُرْمَةِ جَرِيرَةِ الفرار من الزحف، وكون الفرد فيها كالجماعة. وآثر هذا اللفظ مفرداً وجمعاً على لفظ الظهور والظهر، أو القفا والأقفية زيادة في تشنيعها؛ لأنّه لفظ يكنى به عن السوأة. ثم استثنى حالتين من عموم الأحوال: حالة التحرف، وهي حيلة حربية، وحالة الانحياز إلى فئة للاستنجاد بها أو لإنجادها. . . ﴿**فلم تقتلوهم ولكنّ الله قتلهم**﴾: رجوع إلى بيان بقية أحكام الواقعة وأحوالها وتقرير ما سبق منها. والفاء واقعة في جواب شرط مقدّر يستدعيه ما مر من ذكر إمداده تعالى وأمره بالتثبيت وغير ذلك، كأنّه قيل: إذا كان الأمر كذلك فلم تقتلوهم أنتم بقوتكم وقدرتكم، ولكنّ الله قتلهم بنصركم وتسليطكم عليهم وإلقاء الرعب في قلوبهم. . .

﴿**وما رميت إذ رميت ولكنّ الله رمى**﴾: بالعطف على ما قبله داخل في حُكْمِهِ؛ غير أنّ القتل كان ظاهراً منهم وتأثيره كان من الله، أما الرمي فلم يكن له تأثير أصلاً فكان معجزةً خالصة خاصَّة بالرسول ﷺ ولهذا حذف مفعول الرمي في العبارات الثلاث. . . ﴿**وليبلي المؤمنين منه بلاء حسناً**﴾: هذه الجملة معطوفة على تعليل مستفادٍ مما قبله، وهو أنّ الله تعالى فعلَ ما ذُكِرَ لإقامة حجّته وتأييد رسوله وإبلائه المؤمنين بلاءً حسناً بالنصر والغنيمة وحسن السمعة. . . ﴿**إنّ الله سميع عليم**﴾: تعليل مستأنف للبلاء الحسن. . . ﴿**ذلكم وأنّ الله موهنُ كيد الكافرين**﴾: الأمر في المؤمنين وفائدتهم مما تقدم هو ذلكم الذي سمعتم، ويضاف إليه تعليل آخر وهو أنّ الله تعالى مضعف كيد الكافرين ومكرهم بالنبيء والمؤمنين. والإشارة هنا لمجرد تأكيد المقصود من البلاء الحسن، وأنّ ذلك البلاء علّة للتوهين وخذلان المشركين. . .

﴿**إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح**﴾: الخطاب هنا قد يكون موجهاً للمشركين وهو ظاهر السياق ويكون ذلك تهكماً بهم، وقد يكون موجهاً للمؤمنين بالتحريض على الطاعة، والتحذير من المخالفة. ولا يُبْعِدُ السياقُ أن يكون مقصوداً به الفريقين. ويكون الخطاب تهكماً في جانب المشركين، وتلطفاً في جانب المؤمنين، فجملة ﴿**وأنّ الله مع المؤمنين**﴾ زيادة في تأييس المشركين من النصر،

وتنويه بفضل المؤمنين بأنّ النصر الذي انتصروه هو من الله لا بأسبابهم؛ فإنّهم دون المشركين عَدَداً وعُدّة... ﴿**ياأيُّها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون**﴾: في هذا الكلام رجوع إلى الأمر بالطاعة التي افتتحت بها السورة في قوله: وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين... الخ، وذلك كله يقتضي فصل الجملةعما قبلها. وافتتاح الخطاب بالنداء للاهتمام بما سيلقي إلى المخاطبين قَصْداً لإحضار الذهن لوعي ما سيقال لهم، فنزل الحاضر منزلة البعيد فطلب حضوره بحرف النداء الموضوع لطلب الإقبال.

والتعريف بالموصولية للتنبيه على أنّ الموصوفين بهذه الصفة من شأنهم أن يتقبلوا ما يؤمرون به، فقوله هنا: ياأيُّها الذين آمنوا يساوي قوله في الآية المردود إليها «إن كنتم مؤمنين»، مع الإشارة هنا إلى تحقّق وصف الإيمان فيهم، وأنّ إفراغه في صورة الشرط في الآية السابقة ما قصد منه إلاّ شحذ العزائم، وبذلك انتظم هذا الأسلوب البديع في المحاورة من أول السورة إلى هنا انتظاماً بديعاً معجزاً. والتولي هنا مستعار للمخالفة والعصيان، والضمير المفرد راجع إلى الرسول ﷺ وقد علم أنّ النهي عن التولي عن الرسول نهي عن الإعراض عن أمر الله لقوله: من يطع الرسول فقد أطاع الله. وجملة وأنتم تسمعون في موضع الحال من ضمير تولوا، والمقصود من هذه الحال تشويه التولي المنهي عنه، فإنّ العصيان مع توافر أسباب الطاعة أشدُّ منه في حين انخرام بعضها. ثم زاد في تشويه التولي عن الرسول ﷺ في التحذير من التشبه بفئة ذميمة تقول للرسول: سمعنا وهم لا يصدّقونه ولا يعملون بما يأمرهم وينهاهم.

وإنّ للتمثيل والتنظير في الحسَنِ والقبيح أثراً عظيماً في حثّ النفس على التشبه أو التجنب. وأصحاب هذه الصلة معروفون عند المؤمنين بمشاهدتهم وبإخبار القرآن عنهم. وتقديم المسند إليه على المسند الفعلي في قوله: وهم لا يسمعون للاهتمام به ليتقرر مفهومه في ذهن السامع فيرسخ اتصافه بمفهوم المسند. وصِيغَ فعلُ لا يسمعون بصيغة المضارع لإفادة أنّهم مستمرون على عدم السمع... ﴿**إنّ شرّ الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون**﴾: كلام مستأنف يبين كمال سوء حال المشبه بهم مبالغة في التحذير؛ وُصِفوا بالصمم والبكم لأنّ ما خلق له

الأذن واللسان سماعُ الحق والنطق به، وحيث لم يوجد فيهم شيء من ذلك صاروا كأنّهم فاقدون للجارحتين رأساً. وتقديم الصم على البكم لما أن صممهم متقدم على بكمهم فإنّ السكوت عن النطق بالحق من فروع عدم سماعهم له، ثم وصفوا بعدم التعقل فقيل: الذين لا يعقلون تحقيقاً لكمال سوء حالهم، فإنّ الأصم الأبكم إذا كان له عقل ربما يفهم بعض الأمور، ويُفَهِّمُه غيرُه بالإشارة، ويهتدي بذلك إلى بعض مطالبه، وأمّا إذا كان فاقداً للعقل أيضاً فهو الغاية في الشرّيّة وسوء الحال، وبذلك يظهر كونهم شرّاً من البهائم حيث أبطلوا ما به يمتازون عنها، وبه يُفضّلُون على كثير من خلق الله عزّ وجل، فصاروا أَخَسَّ من كل خسيس.

وشرٌّ اسم تفضيل، وأصله أشرُّ فحذفت همزته تخفيفاً، كما حذفت همزة خير. وقوله: عند الله، هو قَيْدٌ أريد به زيادةُ تحقيق كونهم أشر الدواب، بأنّ ذلك مقرر في علم الله. والموصوفون بالصم والبكم هنا هم الذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون. . . ﴿**ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم**﴾: جملة لو الشرطية تفيد دائماً عدم مضمون الشرط لعدم مضمون جوابه، والمعنى: لو جبلهم الله على قبول الخير لجعلهم يسمعون، ولكن انتفى عنهم الخير بالكلية فانتفى عنهم السماع له. فالكلام استدلال بانتفاء فرد من أفراد جنس الخير على انتفاء جنس الخير من نفوسهم. وجملة ﴿**ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون**﴾: معطوفة على جملة: ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم، وهو ارتِقَاءٌ في الإخبار عنهم بانتفاء قابلية الاهتداء عن نفوسهم في أصل جبلتهم، فالجملتان كل واحدة منهما مستقلة عن الأخرى ولا تجمع بينهما إلاّ مناسبة المعنى والغرض. وجملة وهم معرضون حال من ضمير تولوا وهي مُبَيِّنَةٌ للمراد من التولي، وهو معناه المجازي. والجملة الاسمية هنا تفيد تمكن الإعراض منهم واستمرارهم عليه حسبما هو مبيّن في علم المعاني. . .

﴿**ياأيُّها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم**﴾: تكرير النداء مع وصفهم بنعت الإيمان لتنشيطهم إلى الإقبال على الامتثال بما يَرِدُ بَعْدَهُ من الأوامر، وتنبيههم على أنّ فيهم ما يوجب ذلك. والاستجابة: الإجابة، فالسين والتاء فيها للتأكيد، وإعادة حرف بعد واو العطف في قوله: وللرسول للإشارة إلى استقلال المجرور بالتعلق بفعل الاستجابة، تنبيهاً على أن استجابة الرسول أعم من

استجابة الله؛ لأنّ الاستجابة لله لا تكون إلا بمعنى الطاعة وهي مجاز في الاستجابة بخلاف الاستجابة للرسول فإنها بالمعنى الأعم الشامل للحقيقة بها هو استجابة ندائه، والمجاز وهو طاعة أمره، فأريد أمرهم بالاستجابة للرسول بالمعنيين. واللام في قوله: لما يحييكم لام التعليل. والإحياء هنا مستعار لما يشبه إحياء الميت، وهو إعطاء الإنسان ما به كمال الإنسان، فيعم كل ما به ذلك الكمال في العقل والخلق والصلاح في كل ما به صلاح الدين والدنيا... ﴿**واعلموا أنّ الله يحول بين المرء وقلبه**﴾: هذا تمثيل لغاية قرب الله تعالى من العبد، وتنبيه على أنّه تعالى مطلع من مكنونات القلوب، على ما عسى أن يغفل عنه صاحبها.

وافتتحت الجملة باعلموا للاهتمام بما تضمنته، وحث المخاطبين على التأمل فيما بعده، وذلك من أساليب الكلام البليغ أن يفتتح بعض الجمل المشتملة على خبر أو طلب فَهْم باعلم أو تعلَّم لفْتاً لذِهن المخاطب، وفيه تعريض غالباً بغفلة المخاطب عن أمْرٍ مُهِم. وجيء بصيغة المضارع (يحول) للدلالة على أنّ ذلك يتجدد ويستمر. والمقصود من هذا تحذير المؤمنين من كل خاطر يخطر في النفوس: من التراخي في الاستجابة إلى دعوة الرسول ﷺ والتنصل منها، أو التستر في مخالفته، وبهذا يظهر وقْعُ قَوْلِه: ﴿**وأنّه إليه تحشرون**﴾ عقّبه فكان ما قبله تحذيراً، وكان هو تهديداً... ﴿**واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة**﴾: عُقّب تحريض جميعهم على الاستجابة المستلزم تحذيرهم من ضدها بتحذير المستجيبين من إعراض المعرضين، ليعلموا أنّهم قد يلحقهم أذى من جراء فعل غيرهم إذا هم لم يُقَوِّمُوا عِوَجَ قومهم كيلا يحسبوا أنّ امتثالهم كافٍ إذا عصى دهماؤهم، فحذّرهم فِتْنَةً تلحقهم فتعم الظالمَ وغيْرَه.

وجملة لا تصيبن نهي مستأنف تأكيد للأمر باتقاء الفتنة مع زيادة التحذير بشمولها من لم يكن من الظالمين. وافتتاح جملة ﴿**واعلموا أنّ الله شديد العقاب**﴾ بفعل الأمر بالعلم للاهتمام لقصد شدة التحذير كما تقدم في جملة واعلموا أنّ الله يحول بين المرء وقلبه... ﴿**واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون**﴾: اتصلت هذه الآية بما قبلها بالعطف على الأمر بالاستجابة لله فيما يدعوهم إليه،

وعلى إعلامهم بأنّ الله لا تخفى عليه نيّاتُهم، وعلى التحذير من فتنة الخلاف على الرسول ﷺ، تذكيرهم بنعمة الله عليهم بالعزة والنصر بعد الضعف والقلة والخوف. ومجيء هذه الخطابات بعد وصفهم بالإيمان إيماءً إلى أنّ الإيمان هو الذي ساق لهم هذه الخيرات كلها. فمن ذا الذي يتأمل هذه النقلة البعيدة، ثم لا يستجيب إلى صوت الحياة الآمنة القوية الغنية!. صوت الرسول الأمين الكريم؟. ثم يشكر الله على نعمائه ويعترف لله بآلائه، وهو الناصر الرازق المعين...

﴿ياأيُّها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون﴾: هذه الآية جاءت مفصولة عما قبلها؛ لأنّها استئناف خطاب للمؤمنين يحذرهم من العصيان الخفي بعد أن أمرهم بالطاعة والاستجابة لله وللرسول. ومناسبتها لما قبلها ظاهرة، فالإيمان والطاعة لله ورسوله عهد بين المؤمن وبين الله ورسوله، فكما حذروا من المعصية العلنية حُذِّروا من المعصية الخفية. وقوله: وتخونوا.. عطف على قوله: لا تخونوا الله.. فهو في حيز النهي، وإنّما أعيد فعل تخونوا ولم يُكتف بحرف العطف للتنبيه على نوع آخر من الخيانة، والمقصود من قوله: وأنتم تعلمون تشديد النهي وتشنيع المنهي عنه... **﴿واعلموا أنّما أموالكم وأولادكم فتنة وأنّ الله عنده أجر عظيم﴾**: الآية متصلة بما قبلها بالعطف، وابتداؤها بفعل اعلموا للاهتمام كما تقدم، وهذا تنبيه على الحذر من الخيانة التي يحمل عليها المرءَ حُبُّ المال. وعطف عليه حب الولد لاستيفاء أقوى دواعي الخيانة، وجعل نفس الأموال والأولاد فتنة لكثرة حدوث فتنة المرْء من جرّاء أحوالهما مبالغة في التحذير من تلك الأحوال وما ينشأ عنها، فكأنّ وجود الأموال والأولاد نفس الفتنة. وعطف قوله: وأنّ الله عنده أجر عظيم على قوله: أنّما أموالكم وأولادكم...

للإشارة إلى أنّ ما عند الله من الأجر على كف النفس عن المنهيات هو خير من المنافع الحاصلة من اقتحام المناهي لأجل الأموال والأولاد... **﴿ياأيُّها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفر عنكم سيآتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم﴾**: هذه الآية آخر وصايا المؤمنين في هذا السياق، وهي أعمها والأصل الجامع لها ولغيرها. وكلمة الفرقان فيها كلمة جامعة ككلمة التقوى في مجيئها هنا مطلقة، فالتقوى هي الشجرة، والفرقان هو الثمرة. والمراد بالفرقان هنا

العلم الصحيح. وتنوين الفرقان للتنويع التابع لأنواع التقوى، ولقد بدا حسْنُ المناسبة إذ رتبت على المنهيات تحذيرات من شرور وأضرار من قوله: إنّ شر الدواب عند الله الصم البكم... وقوله: واتقوا فتنة... ورتب على التقوى الوعد بالنصر ومغفرة الذنوب وسعة الفضل. والإجمال هنا مقصود للحثّ على كل نوع من أنواع التقوى الدينية والدنيوية، والتعريض بالتحذير من التفريط فيها. وقوله: والله ذو الفضل العظيم تذييل وتكميل، وهو كناية عن حصول منافع أخرى لهم من جرّاء التقوى...

﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾: عطفت هذه الآية على قوله: واذكروا إذ أنتم قليل، مسوقة لتذكير النعمة الخاصة برسول الله ﷺ بعد تذكير النعمة العامة لكل المؤمنين. والإتيان بالمضارع في موضع الماضي الذي هو الغالب مع إذ استحضار للحالة التي دبّروا فيها المكر، وكذلك قوله: ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك. وأشارت الآية إلى تردد الكفار في مكة في أمر النبيء حين اجتمعوا للتشاور في ذلك بدار الندوة في الأيام الأخيرة قبيل هجرته، والمضارع في يمكرون ويمكر الله لاستحضار حالة المكر. وإسناد المكر إلى الله مشاكلة لفظية. والصورة التي يرسمها قوله: ويمكرون ويمكر الله صورة عميقة التأثير، ذلك حين تتراءى للخيال ندوة قريش وهم يتآمرون ويتذاكرون ويدبرون ويمكرون، والله من ورائهم محيط يمكر بهم ويبطل كيدهم وهم لا يشعرون. إنّها صورة ساخرة، وهي في الوقت نفسه مفزعة، فأين هؤلاء البشر الضعاف المساكين من تلك القدرة المطلقة؛ قدرة رب العالمين.

والتعبير يخرج في هذا المعنى في صورة على طريقة القرآن في التصوير، فيلمس الوجدان ويحرك بها أعماق الشعور... **﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلاّ أساطير الأولين﴾**: يمضي السياق في وصف أحوال الكفار قولاً وفعلاً، مما يكشف عن طبيعةٍ منحرفةٍ جاحدةٍ غريبةِ التفكير!. إنّه التبجّح الذي لا يصدر عن طبع مؤدب، والادعاء الذي لا يصدر عن إنسان يحترم نفسه ويحترم الواقع. هذا ما قالوه بألسنتهم أمّا ما كان عجيباً حقاً فهو هذا الدعاء الغريب: **﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة**

من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾: ولم؟ لم لا يكون هذا الدعاء طلباً للهداية؟ بدل أن يكون تمسكاً بالغواية؟. ولكن حين تنحرف الفطرة تأخذها العزة بالإثم، حتى لتفضل الهلاك والعذاب على أن تخضع للحق حين يظهر لها واضحاً، فما كان هذا منهم إلاّ عناداً فاضحاً. وبمثل هذا العناد كانوا يواجهون دعوة الرسول ﷺ، وبمثل هذا العناد تقابل دعوات الحق في كل زمان ومكان. ويعقب السياق على هذا العناد بأنّهم مع استحقاقهم لإمطار الحجارة عليهم من السماء، وللعذاب الأليم الذي طلبوه إن كان هذا هو الحق، وإنّه للحق، مع هذا فإنّ الله يمسك عنهم عذابه؛ لأنّ الرسول ﷺ فيهم وما يزال يدعوهم، وما يزال يحاول أن يردهم إلى الهدى وقد يرجعون ويتوبون، ذلك إذا استغفروا مما يذنبون... **﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾**.

﴿وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه.. إن أولياؤه إلاّ المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون. وما كان صلاتهم عند البيت إلاّ مكاءً وتصديةً فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾: إنّها رحمة الله تمهلهم فلاتأخذهم بعنادهم عسى أن يستجيب منهم للرسول من تخالط بشاشة الإيمان قلوبهم ولو بعد حين، فأمّا لو عاملهم الله بحاضرهم فهم مستحقون للعذاب، وهم يصدون عن المسجد الحرام، وما كانوا أولياء المسجد الحرام، فأولياؤه الشرعيون هم المؤمنون بالبيت وربه. إنّهم ليسوا بأولياء لهذا البيت، وإن كانوا يتعبدون فيه ويصلون عنده، فما صلاتهم هذه بصلاة، إنّما كانت صفيراً بالأفواه وتصفيقاً بالأيدي، وهرجاً ومرجاً لا وقار فيه، ولا استشعار لحرمة البيت، ولا خشوع لهيبة الله. وإنّ هذا ليخطر بالبال صور العازفين المصفقين الصاخبين الهائجين عندما ترسم حفلات الأذكار اليوم في كثير من بلاد الإسلام. إنّها الجاهلية تبرز من جديد يقودها بعض من يسمونهم مشايخ الطرق ويلبسونها ثوب الدين، والدين منها بريء!. فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون: دل هذا على العذاب الذي حل بهم يوم بدر، وهو يدل كذلك على استمراره بكل من يعمل عمل الجاهلية، ويترك دين الحق وراءه ظهريا؛ لأنّ كان إذا جعل خبرها جملة مضارعية أفادت الاستمرار والعادة والتكرار...

﴿إنّ الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله﴾: لما ذكر صدهم

المسلمين عن المسجد الحرام الموجب لتعذيبهم، عُقّب بذكر محاولتهم استئصال المسلمين وصدهم عن الإسلام، فجعلت الجملة مستأنفة غير معطوفة، اهتماماً بها. وأتى بصيغة المضارع في (ينفقون) للإشارة إلى أنّ ذلك دأبُهم، وأنّ الإنفاق مستمر لإعداد العدد لغزو المسلمين، فإنفاقهم حصل في الماضي، ويحصل في الحال والاستقبال. وأشعرت لام التعليل بأنّ الإنفاق مستمر لأنّه منوط بعلة ملازمة لنفوسهم، وهي بُغض الإسلام وصدهم الناسَ عنه. وجمع الأموال وإضافتها يجعلها من صيغ العموم، فكأنّه قيل ينفقون أموالهم كلها مبالغة، وإلاّ فإنّهم ينفقون بعض أموالهم. والفاء في قوله: ﴿**فسينفقونها**﴾ تفريع على العلة... ﴿**ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون**﴾: ثم للتراخي الحقيقي الرتبي. وأسندت الحسرة إلى الأموال؛ لأنّها سبب الحسرة بإنفاقها، ثم إنّ الإخبار عنها بنفس الحسرة مبالغة مثل الإخبار بالمصادر.

وقوله: ثم يغلبون ارتقاء في الإنذار بخيبتهم وخذلانهم... ﴿**والذين كفروا إلى جهنم يحشرون**﴾: عُدل عن الإضمار هنا إلى الإظهار تخريجاً على خلاف مقتضى الظاهر للإفصاح عن التشنيع بهم في هذا الإنذار حتى يُعادَ استحضار وصفهم بالكفر بأصْلَح عِبَارَةٍ، وعُرِّفوا بالموصولية إيماء إلى أنّ علة استحقاقهم الأمرين في الدنيا بالهزيمة والحسرة، وفي الآخرة بالحشر إلى النار، وبئس القرار! هو وصف الكفر... ﴿**ليميز الله الخبيث من الطيب**﴾: بيان لحكمة حشرهم إلى جهنم. والخبيث يطلق مجازاً على خسِّةِ النفوس الصادر عنها مفاسد الأعمال، ومقابلة الطيب يطلق مجازاً كذلك على كرم النفوس الصادر عنها محاسن الأعمال... ﴿**ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً فيجعله في جهنم**﴾: هذه علة أخرى لحشر الكافرين إلى جهنم، فالمقصود جمع الخبيث وإن اختلفت أصنافه في مجمع واحد لزيادة تمييزه عن الطيب، ولتشهير من كانوا يسرون الكفر ويظهرون الإسلام.

وفي جمعه بهذه الكيفية تذليل لهم وإيلام، إذ جُعل بعضُهم على بعض حتى يصيروا رُكاماً فوق رُكام!. ﴿**أولئك هم الخاسرون**﴾: جيء باسم الإشارة للتنبيه على أنّ استحقاقهم الخبر الواقع عن اسم الإشارة كان بسبب الصفات التي ذكرت قبله، وأشير به إلى البعيد لبعدهم في الهلاك والخسران. والقصر في الجملة

ادعائي للمبالغة في اتصافهم بالخسران، حتى يُعدُّ خسرانُ غيرهم كَلاَ خُسْرَانٍ!..
﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين﴾: هذا الكلام مستأنف يصح أن يكون بيانيا لأنّ ما تقدم بين يديه من الوعيد وقلة الاكتراث بشأنهم وذكر خيبة مساعيهم مما يثير في أنفس بعضهم والسامعين أن يتساءلوا عما إذا بقي لهم مخلص ينجيهم من ورطتهم التي تورطوا فيها فأُمِرَ الرسول بأن يقول لهم هذا المقال ليريهم أنّ باب التوبة مفتوح. وهذا الخبر تعريض بالوعيد بأنّهم سيلقون ما لقيه الأولون.

والقرينة على إرادة التعريض بالوعيد أنّ ظاهر الإخبار بمضيّ سنّة الأولين هو من الإخبار بشيء معلوم للممترين به، وبهذا الاعتبار حسُن تأكيدُه بقد؛ إذ المراد تأكيد المعنى التعريضي، وبهذا الاعتبار صحّ وقوعُ قوله: فقد مضت سنة الأولين جزاء للشرط، ولولا ذلك لما كان بين الشرط وجوابه ملازمة في شيء...
﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله﴾: هذه الجملة متصلة بما قبلها بالعطف على قوله: فقد مضت سنة الأولين، فهي داخلة في حكم جواب الشرط، والتقدير: فإن يعودوا فقاتلوهم. والضمير عائد إلى مشركي مكة وما حولها من العرب الذين لم يذعنوا للدعوة... **﴿فإن انتهوا فإنّ الله بما يعملون بصير. وإن تولوا فاعلموا أنّ الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير﴾**: وعْدٌ بالنصر للمؤمنين، ووعيد بالقهر للكافرين. «ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين»!.

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

التوجيه الأول: ﴿يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول﴾: في هذا التوجيه لفت النظر إلى ما حصل في أول غزوة من غزوات الإسلام، وهي غزوة بدر، التي قدّر المسلمون أن تكون غايتها غنيمة أموال المشركين، وقدّر ربُّ المسلمين أن تكون فصلا بين الحق والباطل، والتي ظهرت فيها الآماد البعيدة بين تدبير البشر لأنفسهم فيما يحسبونه الخير، وتدبير ربّ البشر لهم، ولو كرهوه في أول الأمر!. وحكمة افتتاح السورة بكلمة: يسألونك عن الأنفال لما حصل بعد انتهاء المعركة من النزاع بين الجيش في استحقاق الأنفال، وقد كانت لهم عوائد متبعة في الجاهلية في الغنائم..

أرادوا العمل بها وتخالفوا في شأنها فسألوا، فجاء الحكم بأنّها ملك لله ورسوله، بمعنى أن الحكم من الله، والرسول هو الذي يقسمها بين المجاهدين، فلا اعتبار للعادات السابقة، وهذا حكم جديد لم يألفه الناس: ﴿**فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين**﴾: يَسْتَشِفُّ الواقف على المقصود من هذا التوجيه هو التربية الجديدة والمِرآة على نظام الإسلام الجديد، فالمِرَانُ العملي ضروري فيما يختص بالعادات الاجتماعية وبمنطق البئة الواقعي، وهذه كانت الأولى في تاريخ القلة المؤمنة، ومن هنا نعلم حكمة الإجمال في الحكم دون تفصيل، ولا يأتى التفصيل إلاّ بعد ما يتحكم رباط المؤمنين بينهم وبين الله، وبينهم وبين أنفسهم، ويظهر واضحاً جليّاً في نفوسهم وعلى سماتهم وفي أقوالهم وأفعالهم: ﴿**إنّما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربّهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربّهم ومغفرة ورزق كريم**﴾: فالتقوى وإصلاح ذات البين وطاعة الله ورسوله لا تكون إلاّ من مؤمن كملت صفات الإيمان فيه، وذكر خمس صفات:

الأولى: وجل القلب عند ذكر الله تعالى.

الثانية: زيادة الإيمان عند سماع تلاوة القرآن.

الثالثة: تفويض الأمر إلى خالق الإنسان.

الرابعة: إقامة الصلاة بما لها من الشروط والآداب والأركان.

الخامسة: إنفاق المال على وجه البر والإحسان.

وبذلك تتحقق في المؤمن صفاتُ الإيمان، ونتيجة ذلك الفوز بالدرجات العلى والرزق الحسن والغفران. ثم ضرب الله للمؤمنين مثلا من إرادتهم لأنفسهم، ومن إرادة الله لهم، ليستيقنوا أنّ الخيرة فيما اختاره الله في الأنفال وغير الأنفال، وأنّ الناس لا يعلمون إلاّ ما بين أيديهم، والغيب عنهم محجوب. فضرب لهم هذا المثل من واقعهم الذي بين أيديهم، من المعركة ذاتها تلك التي يتقاسمون أنفالها، فما الذي كانوا يريدونه لأنفسهم، وما الذي أراده الله لهم فيها؟. وأين ما أرادوه مما أراده الله: ﴿**كما أخرجك ربّك من بيتك بالحق وإنّ فريقاً من المؤمنين لكارهون**﴾.

﴿يجادلونك في الحق بعد ما تبيّن كأنّما يساقون إلى الموت وهم ينظرون. وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنّها لكم وتودُّون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون﴾: إنّ رد الأنفال لله والرسول وتوزيعها بينهم على السواء، وكراهة بعض المؤمنين لهذه التسوية، إنّها حادثة تشبه حادثة إخراج الله إيّاك من بيتك - في المدينة - لمقاتلة قريش وكراهة بعض المؤمنين للقتال، وبين أيديهم العاقبة التي أنتجت هذه الأنفال. أراد المؤمنون شيئا وأراد الله شيئا آخر، أراد الله أن تكون ملحمة لا غنيمة، وأن تكون موقعة بين الحق والباطل ليحق الحق ويثبته، ويبطل الباطل ويزهقه؛ وأراد أن يقطع دابر الكافرين فيُقتل منهم فريق، ويُوسر منهم فريق، وتُذَلَّ كبرياؤهم، وتخضد شوكتهم، وتدول دولتُهم، وتخفق راية الإسلام عالية جهاراً نهاراً!، عن استحقاق لا عن مصادفة، وبالجهد والجهاد لا بالمال ولا بالأنفال. وما كان هذا المعنى ليستقر في القلوب كما استقر بالمعركة الفاصلة بين قوة الإيمان وقوة الطغيان.

وينظر الناظر اليوم وبعد اليوم، ليرى الآماد المتطاولة بين ما أراده المسلمون لأنفسهم يومذاك وما أراده لهم الله. بين ما حسبه المسلمون خيراً، وما قدره الله من الخير. ينظر فيرى هذه الآماد المتطاولة، ويعلم كم يخطئ الناس حين يحسبون أنّهم قادرون على أن يختاروا لأنفسهم الخير ما لم يوفقهم الله إليه، وحين يتضررون بما يريده الله لهم، وقد يكمن وراءه الخير الذي لا يخطر لهم ببال ولا بخيال. وهذه الغزوة بملابساتها لتمضي مثلا في التاريخ، وهي تقرر دستورَ النَّصْرِ والهزيمة، وهي كتاب مفتوح تقرؤه الأجيال في كل زمان وفي كل مكان، لا تتبدل دلالتُها ولا تتغير طبيعتُها.

التوجيه الثاني: ﴿إذ تستغيثون ربّكم فاستجاب لكم أنّي ممدكم بألف من الملائكة مردفين وما جعله الله إلاّ بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلاّ من عند الله إنّ الله عزيز حكيم﴾: في هذا التوجيه تذكير المسلمين بموقفهم في المعركة، وكيف تم لهم النصر، وكيف تحقق تدبير الله لهم فيها.. عندما وجدوا أنفسهم قلة أمام عدوهم الكثير، فاستغاثوا ربّهم فاستجاب لهم بأن أمدهم بألف من الملائكة مردفين بغيرهم، فقد ذكر في سورة آل عمران عدداً من الملائكة أكثر من

ألف، في قوله تعالى لنبيه ﷺ: «إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربّكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين، بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربُّكم بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين». والحكمة في إمداد الملائكة في هذه المعركة: البشرى بالنصر وقهر العدو فتطمئن به القلوب وتزول به الكروب، والنصر من عند الله علام الغيوب. . .

﴿إذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام﴾: هذه منّة أخرى من منن الله تعالى على المؤمنين التي كانت من أسباب ظهورهم على المشركين، وهي إلقاؤه تعالى النعاس عليهم حتى غشيهم، لقد فزع المسلمون وهم يرون أنفسهم قلّة، ويرون قريشاً في عَددها وعُددها، فإذا النعاس يُغشاهم، ثم يصحون منه فإذا السكينة تسري في نفوسهم، وإذا الطمأنينة تتمشى في قلوبهم، فكانت هذه الغشية وهذه الطمأنينة مدداً من إمداد الله للمسلمين يوم بدر. وزيادة على منة النعاس منة إنزال الماء عليهم من السماء في وقت أحوج ما يكون فيه إلى الماء والمدد على هذا النحو مدد مزدوج؛ مادي وروحيّ، فالماء في الصحراء مادة الحياة، فضلاً على أن يكون أداة النصر، والجيش الذي يفقد الماء في الصحراء يفقد أعصابه قبل أن يفقد حياته.

ثم هذه الحالة النفسية التي لابست الموقف حالة التحرج من أداء الصلاة على غير طهر بالماء لعدم وجود الماء، ولم يكن رخص لهم بعد في التيمّم، وهذه تثير الهواجس والوساوس، ويدخل الشيطان من باب الإيمان ليزيد حرج النفوس وَوَجَل القلوب، والنفوس التي تدخل المعركة في مثل هذا الحرج وفي مثل هذا القلق تدخلها مزعزعة مهزومة من داخلها. وهنا يجيء المدد وتأتي النجدة: ماء من السماء يطهر الأجساد ويذهب رجز الشيطان، ويربط على القلوب ويثبت به الأقدام، فيتم بذلك المدد الروحي والماديّ. . . **﴿إذ يوحي ربّك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا﴾**: هذا راجع إلى ما قبله من قوله: إذ تستغيثون ربّكم فاستجاب لكم أنّي ممدكم بألف من الملائكة مردفين، فيه تحديد موقف الملائكة من المعركة، وهو إعلامهم أنّ الله مع المؤمنين فيجب على الملائكة تثبيتهم بإلقاء الطمأنينة في قلوبهم. . . **﴿سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق**

الأعناق واضربوا منهم كل بنان﴾: مقتضى السياق أنّ وحي الله للملائكة قد تم بأمره إياهم بتثبيت المؤمنين، كما يدل عليه الحصر في قوله عن إمداد الملائكة: وما جعله الله إلاّ بشرى. . . الخ.

وقوله تعالى: سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب. . . الخ بدء كلام خوطب به النبيء والمؤمنون تتمة للبشرى فيكون الأمر بالضرب موجهاً إلى المؤمنين قطعاً. ثم بيّن لهم كيفية الضرب بقوله: فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان، وأنّهم في هذا الضرب على حق؛ لأنّ المشركين شاقوا الله ورسوله، وكل من يشاقق الله ورسوله يستحق العقاب اللائق به تمشياً مع القاعدة المقررة في وعده ووعيده: **﴿ذلكم فذوقوه، وأنّ للكافرين عذاب النار﴾** في الآخرة زيادة على عذاب الدنيا الذي ذقتم فَظَاعَةَ هَوْلِهِ

التوجيه الثالث: ﴿ياأيُّها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار ومن يولهم يومئذ دبره إلاّ متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير﴾: في هذا التوجيه يجيء الأمر للذين آمنوا أن يثبتوا عند لقاء الكفار، وألاّ تأخذهم الهزيمة فيولوا الأدبار، مادام النصر والهزيمة موكولَيْن إلى إرادةٍ فوق إرادة الناس، وإلى أسباب غير الأسباب الظاهرة التي يعرفها الناس. وما دام الله هو الذي يدبر أمر المعركة، بعد أن يبذل المؤمنون ما في طوقهم، فالتولي مع هذا من تسرب الشك في وعد الله للأمة المؤمنة بالنصر.

إنّ قلب المؤمن ينبغي أن يكون راسخٌ ثابتٌ لا تهزمه قوة في الأرض لأنّه متصل بقوة السماء، والآجال بيد الله فما يجوز أن يولي المؤمن خوفٌ على الحياة. ثم يأتي الحكم القاطع الشامل العام: ومن يولهم يومئذ دبره إلاّ متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير. والاستثناء هنا يخرج الذين يولون لا عن هزيمة ولكن عن خدعة من خدع الحرب ليعاودوا القتال في ظرف أحسن، أو ليقوّوا فئة من المقاتلين رأوها في حاجة إلى نجدة، أو ليسدوا ثغرةً رأوها قد انكشفت، فالهزيمة الروحية هنا غير قائمة، وهي التي يحذّر القرآن منها نفوس المسلمين. ثم يمضي السياق في تعليل هذا الحكم بعد التمهيد له بالنموذج الواقعي للنصر، لقد كان تدبير الله للمعركة هو سبيل النصر لا تدبير البشر، ولقد كان تدبير الله هو الذي قتل الكفار لا تدبير البشر. . .

﴿فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكنّ الله رمى﴾: ففيم إذنْ يفر المؤمن ويُولّى الأعداء الدبر؟.

والرمي إشارة إلى التدبير لإصابة غاية وهدف، والله هو الذي يرسم الغاية وهو الذي قيّض للمؤمنين هذا البلاء الحسن. **﴿وليبلي المؤمنين منه بلاءً حسناً إنّ الله سميع عليم﴾**: ولم يكن ذلك شأن غزوة بعينها، ولا حادثة بذاتها، إنّما هي القاعدة الدائمة والسنّة الماضية. **﴿ذلكم وأنّ الله موهن كيد الكافرين﴾**: ومضعف تدبيرهم، فلا ينجح ولا يفلح أمام كيد الله وتدبيره، وأمام رميه وتسديده، فلا مجال إذنْ للخوف، ولا مجال إذنْ للهزيمة، ولا مجال إذنْ لأن يولي المؤمنون الأدبار عند لقاء الكفار. وعندما يصل السياق إلى أنّ الله موهن كيد الكافرين، يتجه الخطاب إلى الكافرين الذين استفتحوا قُبيْل المعركة فدعوا الله أن يجعل الدائرة على أضل الفريقين وأقطعهما للرحم، فدارت الدائرة على المشركين. يتوجه إليهم بالخطاب متهكماً على استفتاحهم ذاك، مؤكداً لهم أنّ ما حدث إنّما هو نموذج للقاعدة، وأنّ جموعهم وكثرتهم لن تغيّر من الأمر شيئاً، ولن تجديَهم فتيلاً؛ لأنّ الله مع المؤمنين...

﴿إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وإن تنتهوا فهو خير لكم وإن تعودوا نعد ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت وأنّ الله مع المؤمنين﴾: إنّ المعركة على هذا النحو لن تكون متكافئة أبداً، لأنّ المؤمنين ومعهم الله سيكونون في جانب، والكفار ليس معهم إلاّ أنفسهم سيكونون في الجانب الآخر، وما أضعفَ وما أخسرَ جانباً يحاربه الله!. وما أقوى وما أربحَ جانباً يتولاه الله!. وأنّ الله مع المؤمنين. ثم يرجع السياق بالخطاب إلى المؤمنين عقب ذكرهم وتقرير أنّ الله معهم، يرجع إليهم ليأمرهم بطاعة الله ورسوله، ويحذّرهم التولي عنه، والتشبه بأولئك الذين يحاربون الله ويحاربهم الله. أولئك الذين يسمعون الآيات فيقولون: قد سمعنا، وما سمعت إلاّ آذانهم، أما قلوبهم فلم تسمع ولم تستوعب. أولئك الصم البكم، وإن كانت لهم آذان تسمع الأصوات، وألسنة تنطق بالكلمات. أولئك الدواب، بل شر الدواب. أولئك الذين علم الله أن لا خير فيهم، فلم يفتح قلوبهم للسماع، لأنّهم غَلَفُوا هذه القلوب وطمسوها، فختم الله عليها وأغلقها دون الخير والهدى... **﴿ياأيُّها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون**

ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون إنّ شرّ الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون. ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون﴾.

التوجيه الرابع: ﴿ياأيُّها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾: في هذا التوجيه يتكرر النداء للذين آمنوا يدعوهم فيه أن يستجيبوا لله وللرسول مع الترغيب في الاستجابة والترهيب من الإعراض. إنّ الاستجابة لله وللرسول إنّما هي استجابة لدواعي الحياة فالرسول لا يدعو الناس إلى الإيمان بالله والعمل بشريعته، تحكُّماً فيهم، ولا استعباداً لهم، إنّما هو يدعوهم إلى الحياة بكل معنى من معاني الحياة، يدعوهم إلى عقيدة تُحْيي القلوب والعقول، وتطلقها من أوهام الجهل والخرافة، ومن ضغط الأوهام والأساطير، ومن رق التقليد وجمود التقاليد، ويدعوهم إلى شريعة تحيي الأفراد والجماعات، وتهيئ للجميع حياة كريمة متكافئة عادلة، يأمن فيها كلُّ إنسان على دمه وعرضه وماله.. ويطمئن فيها على عدالة التشريع والقضاء، وكفالة المجتمع والدولة، وسعادة الدنيا والآخرة.

إنّ الإسلام دينُ حياة لا عقيدةُ انعزال، دِينٌ إيجابيّ تنمو الحياة في ظله وترتقي؛ لأنّه يسبق خطى البشرية دائماً، ويقودها في مدارج التعمير والإنشاء والتطوُّر والارتقاء، إنّه نظام كامل لحياة كاملة، إنّه يأخذ من الحياة ويعطي، ويدفع بالحياة إلى الأمام مدفوعة بنظامه الذي لم تعرف له البشرية نظيراً منذ كان الإنسان... **﴿واعلموا أنّ الله يحول بين المرء وقلبه﴾**: استجيبوا لله متطوّعين مُلبيّن، وإن كان الله سبحانه قادراً على قهركم وإرغامكم لو أراد، ولكنه يدعوكم لتستجيبوا عن طواعية وإدراك للمعنى العظيم الذي يدعوكم إليه الرسول، وللهدف الكريم الذي يحدوكم إليه بدعائه الكريم... **﴿وأنّه إليه تحشرون﴾**: مالكم منه من مفر، وهو مع هذا يدعوكم لتستجيبوا استجابة الحرِّ المُدْرِكِ، لا إذعان الذليل المُجْبَرِ...

﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾: هذا تحريض على الاستجابة، وتحذير المستجيبين من إعراض المعرضين، ليعلموا أنّهم قد يلحقهم أذًى من جرّاء فعل غيرهم إذا هم لم يُقَوِّمُوا عوج قومهم، كيلا يحسبوا أنّ امتثالهم

كَافٍ إذا عصى دُهَمَاؤُهُمْ، فحذرهم فتنةً تلحقهم فتعم الظالم وغيرَه، فإنّ المسلمين إن لم يكونوا كلمةً واحدةً في الاستجابة لله وللرسول دبّ بينهم الاختلاف واضطربت أحوالهم، واختل نظام جماعتهم باختلاف الآراء، وذلك الحال هو المعبر عنه بالفتنة. ومن هذا يُعلم أنّ الفتنة قد تكون عقاباً من الله تعالى في الدنيا، فهي تأخذ حكم العقوبات الدنيوية التي تصيب الأمم، فإنّ من سُنَّتِهَا أن لا تخص المجرمين إذا كان الغالب على الناس هو الفساد.

فالإسلام نظام تكافل، ومن التكافل أن تنهض الجماعة بواجباتها وتكاليفها، وأن تحمي شريعة الله فيها، وأن تضرب على أيدي الخارجين المفسدين، وإلاّ حقّت عليهم العقوبة: **﴿واعلموا أنّ الله شديد العقاب!. واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون﴾**: هذا الخطاب موجه للعرب المسلمين فيدخل فيه المهاجرون دخولاً أولياً، يذكرهم بما كان من ضعف العرب أمام الدول القوية من الروم والفرس؛ ليذكروا كيف يسّر الله لهم أسباب النصر من غير مظانّها حتى أوصلهم إلى مكافحة عدوهم، وأن يتقي أعداؤهم بأسهم، فكيف لا يستجيبون لله فيما بعد ذلك، وهم قد كثروا وعزوا وانتصروا. فمن ذا الذي يتأمل هذه النقلة البعيدة..

ثم لا يستجيب إلى صوت الحياة الآمنة القوية الغنية، صوت الرسول الأمين الكريم؟!. ثم يشكر الله على نعمائه، ويعترف لله بآلائه؟. وهو الناصر الرازق المعين... **﴿ياأيُّها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون﴾**: النهي عن خيانة الله والرسول بعد الأمر بالاستجابة لله وللرسول تحذير المؤمنين من المخالفة عما عاهدوا عليه الله والرسول من الأمانات التي اؤتمنوا عليها. إنّ التخلي عن تكاليف الأمة المؤمنة في الأرض خيانة للأمانة التي عاهدت الله عليها، يوم بايعت رسوله على الإسلام. فالإسلام ليس كلمة تقال باللسان، وليس عبادات مجردة وأدعية، إنّما هو رسالة حياة كاملة شاملة تعترضها العقبات والمشاق، وإنّما هو جهاد لرد الناس إلى طريق الله، ورد القلوب إلى تقوى الله، ورد المجتمع إلى شريعة الله، ورد الطغاة عن الطغيان، ورد المعتدين عن العدوان، وتأمين الحق والعدل للناس جميعاً، وإقامة القسط بالميزان الثابت لا يزعزعه وُدّ ولا شنآن...

﴿واعلموا أنّما أموالكم وأولادكم فتنة وأنّ الله عنده أجر عظيم﴾: هذا تنبيه على الحذر من الخيانة التي يحمل عليها المرءَ حبُّ المال، وغريزةُ العطف على الولد؛ فالأموال والأولاد قد تُقْعِدُ عن الاستجابة خوفاً وبُخلاً. والحياة التي يدعو إليها الإسلام حياةٌ كريمةٌ غالية المهر، لا بُدَّ لَهَا من تكاليف، ولا بدّ لها من تضحيات، لذلك يعالج القرآن الكريم هذا الحرصَ بالتنبيه إلى فتنة الأموال والأولاد، وبالتحذير من التخلف عن دعوة الجهاد، واعتبار هذا التخلف خيانة لله وللرسول بالتخلي عن دعوته، وبالتذكير بما عند الله من أجر يرجح الأموال والأولاد التي قد تُقْعِدُ المؤمنين عن الجهاد. . . **﴿ياأيُّها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفر عنكم سيآتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم﴾**: هذا النداء الأخير للأمة المؤمنة في هذا السياق المملوء بالترغيب والترهيب والتحريض والتحذير. وجاء في هذا الأخير الهتاف بالتقوى، وهو الزاد الذي تتقوى به القلوب في طريق الجهاد. زاد التقوى الذي يحيي القلوب ويقويها، وزاد الهدى الذي يفرق بين الحق والباطل، وزاد المغفرة الذي يكفر الخطايا، وزاد الأمل في فضل الله العظيم؛ ذلك يوم تنفذ الأزواد، «يوم لا ينفع مال ولا بنون إلاّ من أتى الله بقلب سليم».

التوجيه الخامس: ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾: في هذا التوجيه تذكير النبيء ﷺ بما كان بعد أن تغير الحال، وبعد أن تبدّل الموقف، وإنّه ليوحي بالثقة واليقين في الحاضر وفي المستقبل إذا ما تدبره المتدبر فنظر إلى الماضي وما فيه من خوف وقلق، ثم إلى الحاضر وما فيه من أمن وطمأنينة؛ وإذا ما استعرض تدبير الكفار ومكرهم بالرسول ﷺ وإلى جواره غلبة الرسول عليهم لا مجرد نجاته منهم. لقد كانوا يمكرون ليحبسوا الرسول موثوقاً في زنزانة، أو ليقتلوه، أو ليخرجوه مغلوباً على أمره فارّاً بنفسه. ولقد ائتمروا بهذا كله فاختاروا قتله، على أن يتولى ذلك الإثم فتيةٌ من القبائل جميعاً، ليتفرق دمه في القبائل، ويعجز بنو هاشم عن قتال العرب كلها، فيرضوا بالدية وينتهي الأمر.

والصورة التي يرسمها قوله: ويمكُرون ويمكر الله صورة عميقة التأثير، ذلك حين تتراءى للخيال ندوة قريش وهم يتآمرون ويتذاكرون ويُدبّرون ويمكرون، والله

من ورائهم محيط، يمكر بهم ويُبْطِلُ كيدهم وهم لا يشعرون. إنّها صورة ساخرة، وهي في الوقت نفسه مفزعة، فأين هؤلاء البشر الضعاف المساكين من تلك القدرة المطلقة؛ قدرة رب العالمين... ﴿**وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلاّ أساطير الأولين**﴾: انتقال إلى ذكر بهتان آخر من حجاج هؤلاء المشركين، وهذا القول مقالة المتصدين للطعن على رسول الله ﷺ ومحاجته والتشغيب عليه، ومن عجيب بهتانهم أنّ الرسول تحدّاهم بأقصر سورة من القرآن فعجزوا عن ذلك وأُفحموا!. وقولهم: لو نشاء لقلنا مثل هذا إيهام بأنّهم ترفّعوا عن معارضتِهِ، وأنّهم لو شاءوا لنقلوا من أساطير الأولين إلى العربية ما يوازي قصص القرآن، وهذه وقاحة ما بعدها وقاحة!. وإلاّ فما منعهم أن يشاءوا معارضةَ مَنْ تَحَدَّاهم وقرعهم بالعجز الفاضح الذي ما بعده فضاحة!..

﴿**وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم**﴾: هذه هي القباحة التي ما بعدها قباحة!. ويعقب السياق على هذا العناد بأنّهم مع استحقاقهم لإمْطَارِ الحجارة عليهم من السماء، وللعذاب الأليم الذي طلبوه إن كان هو الحق - وإنّه للحق -، مع هذا فإنّ الله يمسك عنهم عذابه؛ لأنّ الرسول ﷺ فيهم وما يزال يدعوهم، وما يزال يحاول أن يَرُدَّهم إلى الهدى، وقد يرجعون ويتوبون، ذلك إذا استغفروا مما يذنبون... ﴿**وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون**﴾!. أمّا لو عاملهم بحاضرهم فهم مستحقون للعذاب... ﴿**وما لهم ألاّ يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلاّ المتقون ولكنّ أكثرهم لا يعلمون**﴾: وقد أفادت الآية أنّهم استحقوا العذاب، ونبّهت على أنّ ما أصابهم يوم بدر من القتل والأمر هو من العذاب، ولكن الله قد رحم هذه الأمة تكرمة لنبيئه محمد ﷺ فلم يأخذ عامتهم بظلم الخاصة، بل سلط على كل أحد من العذاب ما يُجازي كفره وظلمه وإيذاءه النبيء والمسلمين، ولذلك عذب بالقتل والأسر والإهانة نفرٌ عُرِفُوا بالغلوّ في كفرهم...

﴿**وما كان صلاتهم عند البيت إلاّ مكاءً وتصديةً فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون**﴾: هذا سبب ثان لاستحقاقهم العذاب، وهو كالدليل المقرر لانتفاء ولايتهم للمسجد الحرام، فالمسجد الحرامُ أولياؤه المتقون، وليس هؤلاء الذين

اتخذوا دينهم لعباً ولهواً وغرتهم الحياة الدنيا، وهؤلاء يجابههم القرآن مشافهة، فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون. . . **﴿إنّ الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون. والذين كفروا إلى جهنم يحشرون﴾**: فالكفار ينفقون أموالهم ليتعاونوا على الكفر، هكذا كانوا يوم بدر، وهكذا ظلوا بعد بدر، والله ينذرهم بالحسرة على ما ينفقون من أموال ويعدهم الهزيمة والخذلان. وبذلك يتميز الخبيث من الطيب، ويتراكم الخبيث بعضه على بعض، ويصير ذلك إلى جهنم. . . **﴿ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون﴾**!. وعندما يصل السياق إلى هذا التقرير الحاسم عن مصير الكفار المتعاون ونهاية الخبث المتراكم يتجه بالخطاب إلى الرسول لينذر الكافرين إنذاره الأخير. . .

﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين﴾!. ثم يتجه بالخطاب إلى المؤمنين؛ لأنّهم أداة القدرة لتنفيذ هذه السنة. . . **﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير. وإن تولوا فاعلموا أنّ الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير﴾**: هذه هي الغاية التي ينتهي إليها المؤمن بجهاده ونضاله، وهو المطلوب الذي يطلبه الإسلام من حُمَاتِهِ. لقد جاء الإسلام لتحرير الضمير البشري من كل عبودية لغير الله، ومن كل دَيْنُونةٍ إلاّ لله؛ جاء الإسلام ليسوي الرءوس فلا تطأطئ إلاّ لخالقها، ويرفع الجباه فلا تعنوا إلاّ لبارئها، ويحرر النفوس فلا تدين إلاّ لمن يستحق الدينونة، ويحترم العقول فلا تجبر على الكفر بعد الإيمان. وأن تنال البشرية الكرامة التي قدرها الله لها إلاّ حين يكون الدينُ كله لله؛ حين لا تعنو الجباه لأحد من خلقه، ولا تنحني الهامات لآلهة من دونه، ولا يملك أحد أن يَسْطُوَ على حرية الضمير بالقهر والسلطان: وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله. فإن انتهوا بعد القتال فقد تحققت غاية الجهاد، ودعوهم لله فإنّ الله بما يعملون بصير، وهو أدرى بالنوايا وأبصر بالقلوب. وإن تولوا ولجُّوا في الضلال والعناد فلا تتراجعوا ولا تتخاذلوا فإنّكم منصورون ومؤيَّدُون فاعلموا أنّ الله مولاكم وناصركم في الجهاد لإعلاء كلمته ونصرة دينه، نعم المولى ونعم النصير، وقد تحقق ذلك كله على أيدي المؤمنين الصادقين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، نشروا راية الإسلام في كل البلدان والأمصار!.

1 ـ تفصيل الكلام لما أجمل من الأحكام

النص

* وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (41) إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا (42) لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ (43) إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (44) وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (45) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (46)

وَأَطِيعُواْ اُ۬للَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ
رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوٓاْ إِنَّ اَ۬للَّهَ مَعَ اَ۬لصَّٰبِرِينَ ﴿47﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَالَّذِينَ
خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَراً وَرِئَآءَ اَ۬لنَّاسِ وَيَصُدُّونَ
عَن سَبِيلِ اِ۬للَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿48﴾ وَإِذْ زَيَّنَ
لَهُمُ اُ۬لشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ اُ۬لْيَوْمَ مِنَ
اَ۬لنَّاسِ وَإِنِّي جَارٞ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ اِ۬لْفِئَتَانِ نَكَصَ
عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِےٓءٞ مِّنكُمُۥٓ إِنِّيَ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ
إِنِّيَ أَخَافُ اُ۬للَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ اُ۬لْعِقَابِ ﴿49﴾ * إِذْ يَقُولُ اُ۬لْمُنَٰفِقُونَ
وَالَّذِينَ فِے قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ وَمَن
يَتَوَكَّلْ عَلَى اَ۬للَّهِ فَإِنَّ اَ۬للَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿50﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ
يَتَوَفَّى اَ۬لَّذِينَ كَفَرُواْ اُ۬لْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ
وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ اَ۬لْحَرِيقِ ﴿51﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ
أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اَ۬للَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلْعَبِيدِ ﴿52﴾ كَدَأْبِ
ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ اِ۬للَّهِ
فَأَخَذَهُمُ اُ۬للَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اَ۬للَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ اُ۬لْعِقَابِ ﴿53﴾
ذَٰلِكَ بِأَنَّ اَ۬للَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ
يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اَ۬للَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿54﴾ كَدَأْبِ ءَالِ
فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم

بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿55﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿56﴾ الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿57﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿58﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴿59﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿60﴾ * وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿61﴾ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿62﴾ وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿63﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿64﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿65﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن تَكُن

مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفاً مِّنَ اَ۬لذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ
لَّا يَفْقَهُونَ ﴿66﴾ اَ۬لْـَٰٔنَ خَفَّفَ اَ۬للَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ
ضُعْفاً فَإِن تَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ وَإِن تَكُن
مِّنكُمُ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اِ۬للَّهِ وَاللَّهُ مَعَ اَ۬لصَّٰبِرِينَ ﴿67﴾
مَا كَانَ لِنَبِےٓءٍ اَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِے اِ۬لْأَرْضِ
تُرِيدُونَ عَرَضَ اَ۬لدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ اُ۬لْأٓخِرَةَ وَاللَّهُ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿68﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ اَ۬للَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ
فِيمَا أَخَذتُّمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿69﴾ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ
حَلَٰلاً طَيِّباً وَاتَّقُواْ اُ۬للَّهَ إِنَّ اَ۬للَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿70﴾
يَٰٓأَيُّهَا اَ۬لنَّبِےٓءُ قُل لِّمَن فِےٓ أَيْدِيكُم مِّنَ اَ۬لْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ
اِ۬للَّهُ فِے قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُوتِكُمْ خَيْراً مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿71﴾ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ اُ۬للَّهَ
مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿72﴾ * إِنَّ اَ۬لذِينَ
ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِے سَبِيلِ
اِ۬للَّهِ وَالذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ
وَالذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَےْءٍ
حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ وَإِنِ اِ۪سْتَنصَرُوكُمْ فِے اِ۬لدِّينِ فَعَلَيْكُمُ اُ۬لنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ
قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿73﴾ وَالذِينَ

كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿74﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿75﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿76﴾

البيان

مبحث المفردات اللغويّة

﴿**واعلموا أنّ ما غنمتم من شيء**﴾: أصل الغنيمة: إصابة الغنم من العدو، ثم اتسع وأطلق على ما أصيب منهم كائناً ما كان مما يقع عليه اسم الشيء حتى الخيط والمخيط. والخمس: جزء الخمسة. ﴿**وذوا القربى**﴾: نسب الآباء دون الأمهات، والمراد بها قرابة النبيء ﷺ، وهم بنو هاشم. ﴿**واليتامى**﴾: جمع يتيم، وهو في اللغة الفرد، وكل شيء يعزّ نظيرُه، وفي الشرع: فقدان الأب قبل البلوغ في الذكر، وقبل الزواج في الأنثى. والمسكين: من لا شيء له، ويطلق على الذليل العاجز، وعلى الضعيف لقلة حركته لسكونه إلى الأرض. ﴿**وابن السبيل**﴾: المنقطع عن الأهل أو البلد، فنسب إلى السبيل وهي الطريق... ﴿**إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان**﴾: العبد هنا: محمد ﷺ.

يوم الفرقان: يوم بدر عندما التقى المؤمنون بالكافرين، وهما الجمعان... ﴿**إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم**﴾: العُدوة: شط الوادي، ويطلق على المكان المرتفع. والدنيا: التي تلي المدينة. والقصوى: التي تلي مكة من مكان المعركة. والركب أسفل منكم: قافلة أبي سفيان عندما أخذَت

نَاحِيَة البَحْر. . . ﴿**ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد**﴾: التواعد: ضرب الموعد المحدد في الزمان والمكان بين الجمعين. والاختلاف: ضد الاتفاق. . . ﴿**ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً**﴾: يقضي: يحقق وينجز. ومعنى أمراً هنا: الشيء العظيم. ومعنى كان مفعولاً: أنّه ثبت له في علم الله أنّه يُفْعَلُ. . . ﴿**ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيى عن بينة**﴾: الهلاك: الموت والاضمحلال، وتقابله الحياة، وهي أنفع شيء في طبع الإنسان.

والبيّنة: الحجّة الظاهرة. . . ﴿**إذ يريكهم الله في منامك قليلاً**﴾: الإراءة هنا: إراءة رؤيا منامية، وكانت رؤياه من الله؛ لأنّ رؤيا الأنبئاء وحي من الله. . . ﴿**ولو أراكهم كثيراً لفشلتم ولتنازعتم في الأمر**﴾: الفشل: الجبن والوهن. والتنازع: الاختلاف. . . والمراد بالأمر الخطة التي يجب اتباعها، ﴿**ولكن الله سلم**﴾: سلمكم من آفة الفشل والتنازع ﴿**إنّه عليم بذات الصدور**﴾: ذات الصدور: الخواطر والنوايا وما يَهِمُّ به المرء وما يدبره ويكيده. . . ﴿**وإذ يريكموهم إذا التقيتم في أعينكم قليلاً ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمراً كان مفعولاً وإلى الله ترجع الأمور**﴾: هذه رؤية بصر أراها الله الفريقين على خلاف ما في نفس الأمر. والالتقاء: افتعال من اللقاء، وهما في الأصل الحضور لدى الغير، وقد كثر إطلاقه على الحضور مع الأعداء في الحرب. . . ﴿**ياأيُّها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون**﴾: اللقاء: أصله مصادفة الشخص ومواجهته باجتماع في مكان واحد، وقد غلب إطلاقه على لقاء خاص، وهو لقاء القتال، فهو يرادف القتال والنزال.

والفئة: الجماعة من الناس. والثبات: أصله لزوم المكان دون تحرك ولا تزلزل، والمراد منه: الدوام على القتال وعدم الفرار. وذكر الله المأمور به هنا: هو ذكره باللسان. . . ﴿**وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إنّ الله مع الصابرين**﴾: تقدم معنى التنازع، ومعنى الفشل قريباً. والريح: حقيقتها تحرك الهواء وتموُّجه. وذهابها: ركودها، والمراد هنا: ذهاب القوة والقدرة على غلبة العدو. والصبر: تحمل المكروه وما هو شديد على النفس. . . ﴿**ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط**﴾: الذين خرجوا من ديارهم هم: أبوجهل وأصحابُه.

والبطر: إعجاب المرء بما هو فيه من النعمة، والاستكبار والفخر بها. والرئاء: مراآتُ الغير ليعجبوا من عمله... ﴿**وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم**﴾: التزيين: إظهار الشيء حسنا، والمعنى: أنّه أراهم حُسْنَ ما يعملونه من الخروج إلى إنقاذ العير، ثم من إزماع السير إلى بدر.

ومعنى ﴿**لا غالب لكم اليوم من الناس**﴾: فليس أحد يغلبكم. والجار: الحليف والناصر، وهو معنى ﴿**وإني جار لكم...**﴾ ﴿**فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه**﴾: تراءت: مفاعلة من الرؤية، والمعنى: رأت كل فئةٍ الفئةَ الأخرى. ونكص: رجع من حيث جاء. والعَقبان: تثنية العقب، وهو مؤخر القدم... ﴿**وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب**﴾: تنكر وتخلص من قوله لهم، واعتذر بأنّه يرى أمْراً لا يرونه هُمْ، وتعلل بالخوف الذي اعتراه من عظمة الله وشدة عقابه... ﴿**إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غرّ هؤلاء دينهم**﴾: القول هنا من طائفتين المنافقون يقولون بألسنتهم، والذين في قلوبهم شك يقولون في أنفسهم. والغرور: الإيقاع في المضرة بإيهَامِ المنفعة. والدين: هو الإسلام... ﴿**ومن يتوكل على الله فإنّ الله عزيز حكيم**﴾: التوكل على الله: تفويض الأمر إليه، والتسليم له فيما يريد... ﴿**ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق**﴾: المخاطب هنا: كل سامع. والتوفي: قبض الروح. والذين كفروا: كل كافر.

والملائكة: الموكلون بقبض أرواح الناس. والوجوه والأدبار جميع أجسادهم. والذوق: مستعمل في مطلق الإحساس. والحريق: هو اضطرام النار... ﴿**ذلك بما قدمت أيديكم وأنّ الله ليس بظلام للعبيد**﴾: الإشارة إلى ما يشاهدونه من العذاب. ومعنى قدمت أيديكم: أسلفته من الأعمال فيما مضى. وأنّ الله ليس بظلام للعبيد: الجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبلها، ونفي الظلم عن الله تعالى كناية عن عدله. والتعريف في العبيد: عوض عن المضاف إليه. ﴿**كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم إنّ الله قوي شديد العقاب**﴾: الدأب: العادة والسيرة المألوفة. وآل فرعون: قومه.

والذين من قبلهم: الأمم التي كذبت الرسل كقوم عاد وثمود. والأخذ بالذنوب: سببه الكفر بآيات الله. إنّ الله قوي شديد العقاب: تعليل للأخذ...

﴿ذلك بأنّ الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾: التغيير: تبديل شيء بما يضاده. والتغيير: يكون في الصورة، ويكون في الصفة؛ فتغيير النعمة إبدالها بضدها، وهو النقمة وسوء الحال... **﴿كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين﴾**: تكرير للجملة السابقة، وبيان لما حصل للأقوام من الإهلاك والفناء، وإغراق آل فرعون بوجه خاص... **﴿إنّ شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون﴾**: تقدم مثله في قوله: إنّ شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون... **﴿الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون﴾**: هم الذين أخذ الرسول منهم العهد على الإيمان والوفاء به فنقضوه.

فيدخل في هذا المنافقون واليهود وبعض العرب الذين خانوا... **﴿فإمّا تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون﴾**: الثقف: الظفر بالمطلوب. والتشريد: التطريد والتفريق. ومن خلفهم: الذين يترقبون ماذا يحصل لمن نقض عهد الرسول... **﴿وإمّا تخافنّ من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إنّ الله لا يحب الخائنين﴾**: الخوف: توقع ضرٍّ من شيء، والمراد بالخيانة هنا: نقض العهد. والنبذ: الطرح وإلقاء الشيء. ومعنى على سواء: على وضوح مُعْلَنٍ مكشوف... **﴿ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا إنّهم لا يعجزون﴾**: لا تظنهم فاتوا وأفلتوا من أن يُظْفَرَ بهم، فهم مغلوبون لا غالبون... **﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾**: الإعداد: التهيئة والإحضار، ودخل في ما استطعتم كل ما يدخل تحت قدرة الناس اتّخاذه من العُدّة... **﴿ومن رباط الخيل ترهبون به عدوّ الله وعدوكم﴾**: رباط الخيل: احتباسها وربطها للغزو عليها وقت الحاجة.

والإرهاب: جعل الغير خائفاً. وعدو الله وعدوكم: المشركون، ويدخل فيهم كل كافر يريد إهانة الإسلام... **﴿وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم. وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون﴾**: سبيل الله: هو الجهاد لإعلاء كلمته. والتوفية: أداء الحق كاملاً. والظلم هنا: مستعمل في النقص من الحق... **﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها﴾**: الجنوح: الميل، وهو مشتق من جناح الطائر. والسلم: ضد الحرب... **﴿وإن يريدوا أن يخدعوك فإنّ حسبك الله﴾**: الخدْع: الختل وإرادة المكروه بالغير من حيث لا يعلم.

والخداع: الحيلة. وحسبك الله: بمعنى كافيك... ﴿**هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين**﴾: التأييد: التقوية على العدو بالنصر وبزيادة المؤمنين يوماً بعد يوم... ﴿**وألّف بين قلوبهم**﴾: التآلف بين القلوب: إلقاء المحبة والمودة فيها بدل البغضاء والنفرة... ﴿**ياأيُّها النبيء حرض المؤمنين على القتال**﴾: التحريض: المبالغة في الطلب، ومعناه هنا: الحثّ على القتال... ﴿**إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن تكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنّهم قوم لا يفقهون**﴾: حرض المؤمنين على القتال بهذه الكيفية.

ومعنى صابرون: ثابتون في القتال، وأصل الصبر: تحمل المشاق. ومعنى الفقه هنا: فهم الأمور الخفيّة، وانتفاء الفقه عن الكافرين لأنّهم قوم لا يؤمنون إلاّ بالأسباب الظاهرة المحسوسة... ﴿**الآن خفف الله عنكم وعلم أنّ فيكم ضعفاً فإن تكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين**﴾: الآن: اسم ظرف للزمان الحاضر. والتخفيف: التيسير والرفق بالمؤمنين حيث صاروا كثيرين بعْدَ أن كانوا قليلين. والضعف هنا: عدم القدرة على الاستمرار في الأعمال الشديدة والشاقة... ﴿**ما كان لنبيء أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض**﴾: ما صح وما استقام لنبيء من الأنبئاء أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض.

والإثخان: الشدة والغلظة في الأذى حتى يقل ويذل أهل الكفر... ﴿**تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم**﴾: الإرادة هنا: بمعنى المحبة. وعرض الدنيا: هو المال، وإنّما سُمّي عرضاً لأنّ الانتفاع به قليل اللبث... ﴿**لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم**﴾: لولا حكم من الله تعالى سبق إثباته عنده، وهو أن لا يُعَاقَبَ المُخْطِئُ في اجتهاده لأصابكم فيما أخذتم من الفداء عذاب عظيم... ﴿**فكلوا مما غنمتم**﴾: الأمر بالأكل هنا: هو الأمر بالانتفاع مما غنموا من الأعداء... ﴿**حلالاً طيباً**﴾: مأذوناً في الانتفاع به... ﴿**ياأيُّها النبيء قل لمن في أيديكم من الأسرى: إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم**﴾: في أيديكم: في قبضتكم من الأسرى: أسرى بدر. إن يعلم الله في قلوبكم خيراً: خُلُوصَ إيمان وصِحَّةَ نيّة يعطكم خيراً مما أُخذ منكم من الفداء... ﴿**وإن يريدوا خيانتك فقد**

خانوا الله من قبل فأمكن منهم والله عليم حكيم﴾: الخيانة هنا: نقض العهد الذي أعطوه بأن لا يعودوا إلى القتال مرة أخرى.

وقوله: فقد خانوا الله من قبل عندما اندفعوا مع المشركين يوم بدر. فأمكن منهم: عندما قُتِلُوا وأُسروا في ذلك اليوم... **﴿إنّ الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله﴾**: المهاجرة: ترك البلاد؛ فأصل الهجرة الترك، واشتق منه صيغة المفاعلة لخصوص ترك الدار والقوم، وأطلقت هنا على المؤمنين الذين هاجروا إلى المدينة، ومن أجل ذلك سُمّوا بالمهاجرين... **﴿والذين آووا ونصروا﴾**: هم الأنصار الذين آووا ونصروا النبيء والمهاجرين... **﴿أولئك بعضهم أولياء بعض﴾**: في المؤازرة والمعاونة والمناصرة... **﴿والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا﴾**: فريق ثالث لا حق لهم في المناصرة ماداموا لم يهاجروا... **﴿وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق﴾**: فعلى المؤمنين المهاجرين والأنصار أن يساعدوا إخوانهم الذين لم يهاجروا إن خافوا الفتنة في دينهم، إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق يقتضي الوفاء به... **﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلاّ تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير﴾**: هذه الآية وما بعدها إلى آخر السورة ليست في حاجة إلى بيان مفرداتها؛ لأنّ أكثرها ظاهر مما سبقه.

مبحث الإعراب

﴿واعلموا﴾ عطف على قوله: وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة. **﴿أنّ ما﴾** اسم موصول في محل نصب اسم أنَّ. **﴿غنمتم﴾** فعل وفاعل صلة ما، والعائد محذوف. **﴿من شيء﴾** متعلق بمحذوف حال من الضمير العائد على الموصول، وأنّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب سدّ مسدّ مفعولي اعلموا. **﴿فأنّ لله خمسه﴾** الفاء لربط الخبر، لله متعلق بمحذوف خبرُ أنّ، وخمسَه اسمها مؤخر، والضمير فيه مضاف إليه، وأنَّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر مرفوع خبرُ أنَّ ما غنمتم. **﴿وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾** معطوفات على الله. **﴿إن كنتم﴾** كان واسمها، وهي فعل الشرط، وجواب الشرط محذوف.

وجملة **﴿آمنتم﴾** في محل نصب خبرُ كان. **﴿بالله﴾** متعلق بآمنتم. **﴿وما﴾**

في محل جر معطوف على الله. وجملة ﴿**أنزلنا**﴾ صلة ما. ﴿**على عبدنا**﴾ متعلق بأنزلنا، والضمير في عبدنا مضاف إليه. ﴿**يوم**﴾ ظرف منصوب بالفتحة متعلق بأنزلنا. ﴿**الفرقان**﴾ مضاف إلى يوم مجرور بالكسرة. ﴿**يوم**﴾ بدل من يوم الفرقان. ﴿**التقى الجمعان**﴾ فعل وفاعل، وجملة التقى الجمعان في محل جر مضاف إلى يوم. ﴿**والله**﴾ مبتدأ. ﴿**على كل**﴾ متعلق بالخبر بعده. ﴿**شيء**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**قدير**﴾ خبر المبتدإ، والجملة تذييل. ﴿**إذ**﴾ ظرف بدل من يوم التقى الجمعان. ﴿**أنتم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**بالعدوة**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإ، وجملة المبتدإ والخبر في محل جر مضافة إلى إذ. ﴿**الدنيا**﴾ نعت للعدوة مجرور بكسرة مقدرة على الألف. ﴿**وهم بالعدوة القصوى**﴾ معطوفة على الجملة قبلها، وهذه الجملة مثل الجملة السابقة في الإعراب.

﴿**والركب**﴾ مبتدأ دخلت عليه واو الحال. ﴿**أسفل**﴾ مبني على الفتح في محل رفع خبر المبتدإ. ﴿**منكم**﴾ متعلق بأسفل، والجملة في محل نصب حال من الظرف قبله. ﴿**ولو تواعدتم**﴾ جملة شرطية. جوابها ﴿**لاختلفتم في الميعاد**﴾ متعلق به، وجملة ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد محلها النصب على الحال من الجمعان. ﴿**ولكن**﴾ استدراك معطوف على ما قبله. ﴿**ليقضي**﴾ اللام للتعليل، يقضي فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل. ﴿**الله**﴾ فاعل. ﴿**أمراً**﴾ مفعول به. ﴿**كان**﴾ اسمها ضمير يعود على أمراً. ﴿**مفعولاً**﴾ خبرُ كان، وجملة كان مفعولاً في محل نصب نعت لأمْراً. ﴿**ليهلك**﴾ بدل من قوله: ليقضي.. ﴿**مَنْ**﴾ اسم موصول في محل رفع فاعل هلك، وجملة ﴿**هلك**﴾ صلة من. ﴿**عن بينة**﴾ متعلق بهلك.

﴿**ويحيى من حيى عن بينة**﴾ مثل ما قبلها في الإعراب، وهي معطوفة عليها. ﴿**وإنّ الله**﴾ إنّ واسمها. ﴿**لسميع عليم**﴾ خَبَرَان لإنَّ، والجملة تذييل. ﴿**إذ**﴾ بدل من قوله إذ أنتم بالعدوة الدنيا. ﴿**يريكهم**﴾ ضمير الخطاب وضمير الغائبين في محل نصب مفعولان ليري. ﴿**الله**﴾ فاعل يُرِي. ﴿**في منامك**﴾ متعلق بيُري، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**قليلاً**﴾ حال من المفعول الثاني. ﴿**ولو أراكهم كثيراً**﴾ جملة شرطية، وإعراب أراكهم كثيراً مثل إعراب يريكهم الله في منامك قليلاً. وجملة ﴿**لفشلتم**﴾ جواب الشرط. ﴿**ولتنازعتم في الأمر**﴾ معطوف على لفشلتم.

﴿**ولكنّ الله**﴾ لكنّ واسمها. وجملة سَلّم في محل رفع خبرُ لكنّ. ﴿**إنّه عليم بذات الصدور**﴾ جملة تعليلية. ﴿**وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلاً**﴾ معطوف على قوله: إذ يريكهم الله، وهي مثلها في الإعراب. ﴿**ويقللكم**﴾ الضمير المتصل مفعول به، والفاعل ضمير يعود على الله.

﴿**في أعينهم**﴾ متعلق بيقلل، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**ليقضي الله أمراً**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**كان مفعولاً**﴾ الجملة من كان واسمها وخبرها في محل نصب نعت لأمْراً. ﴿**وإلى الله**﴾ متعلق بـ﴿**ترجع**﴾ وهو فعل مضارع مبني للمجهول. ﴿**الأمور**﴾ نائب الفاعل، والجملة تذييلية معطوفة على ما قبلها عطفاً اعتراضياً. ﴿**ياأيُّها الذين آمنوا**﴾ إعرابها معلوم مما سبق. ﴿**إذا لقيتم فئة**﴾ جملة شرطية جوابها فاثبتوا واذكروا الله كثيراً. ﴿**لعلكم تفلحون**﴾ تعليلية. ﴿**وأطيعوا**﴾ فعل أمر. ﴿**الله**﴾ مفعول به. ﴿**ورسوله**﴾ معطوف على الله، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**ولا تنازعوا**﴾ الفعل مجزوم بلا الناهية، وهو معطوف على أطيعوا. ﴿**فتفشلوا**﴾ الفعل منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية. ﴿**وتذهبَ**﴾ معطوف على قوله: فتفشلوا منصوب بالفتحة.

﴿**ريحكم**﴾ فاعل تذهب، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**واصبروا**﴾ معطوف على أطيعوا. ﴿**إنّ الله**﴾ إنّ واسمها. ﴿**مع**﴾ متعلق بمحذوف خبرُ إنّ. ﴿**الصابرين**﴾ مضاف إلى الظرف، والجملة تعليلية. ﴿**ولا تكونوا**﴾ ضمير الجماعة اسم تكون، ولا ناهية، والواو للعطف. ﴿**كالذين**﴾ الكاف في محل نصب خبرُ تكون، والذين في محل جر بالكاف. ﴿**خرجوا**﴾ فعل وفاعل صلة الذين. ﴿**من ديارهم**﴾ متعلق بخرجوا، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**بطراً**﴾ منصوب على الحال من ضمير الجماعة. ﴿**ورئاءَ**﴾ معطوف على بَطَراً. ﴿**الناس**﴾ مضاف إلى رئاء. ﴿**ويصدون**﴾ فعل وفاعل في محل نصب على الحال معطوف على بطراً. ﴿**عن سبيل**﴾ متعلق بيصدون. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى سبيل. ﴿**والله**﴾ مبتدأ. ﴿**بما يعملون**﴾ متعلق بالخبر بعده. وهو ﴿**محيط**﴾ بما يعملون، وجملة يعملون صلة ما، وجملة والله بما يعملون محيط في محل نصب على الحال من اسم الجلالة الأول.

﴿**وإذ**﴾ معطوفة على قوله: إذ يريكهم الله. ﴿**زين**﴾ فعل ماض. ﴿**لهم**﴾ متعلق بزين. ﴿**الشيطان**﴾ فاعل. ﴿**أعمالهم**﴾ مفعول، والضمير فيه مضاف إليه.

﴿وقال﴾ معطوف على زين، والفاعل ضمير يعود على الشيطان. **﴿لا غالب﴾** مبني على الفتح في محل نصب اسم لا النافية للجنس. **﴿لكم﴾** متعلق بمحذوف خبر لا. **﴿اليوم من الناس﴾** الظرف والجار والمجرور متعلقان بالخبر المتعلق به لكم، وجملة لا غالب لكم اليوم من الناس في محل نصب مقول القول. **﴿وإنّي﴾** إنّ واسمها. **﴿جار﴾** خبرها. **﴿لكم﴾** متعلق بالخبر، والجملة في محل نصب معطوفة على قوله: لا غالب لكم. **﴿فلما﴾** الفاء للتعقيب، ولما ظرفية شرطية. **﴿تراءت الفئتان﴾** فعل وفاعل، وهو فعل الشرط وجوابه. **﴿نكص﴾** فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على الشيطان.

﴿على عقبيه﴾ متعلق بنكص، والضمير فيه مضاف إليه. **﴿وقال﴾** معطوف على نكص. **﴿إنّي﴾** إنّ واسمها. **﴿بريء﴾** خبرها. **﴿منكم﴾** متعلق ببريء، والجملة في محل نصب مقول القول. **﴿إنّي﴾** إنّ واسمها. **﴿أرى﴾** فعل مضارع، والفاعل ضمير يعود على الشيطان. **﴿ما﴾** اسم موصول في محل نصب مفعول أرى. **﴿لا ترون﴾** فعل وفاعل دخلت عليه لا النافية، وجملة لا ترون صلة ما، وجملة أرى ما لا ترون في محل رفع خبرُ إنَّ، وجملة إنّي أرى تعليلية. **﴿إنّي أخاف اللهَ﴾** بيان لقوله إنّي أرى ما لا ترون. **﴿والله﴾** مبتدأ. **﴿شديد﴾** خبره. **﴿العقاب﴾** مضاف إليه والجملة تذييلية. **﴿إذ﴾** ظرف متعلق بزيّن. **﴿يقول المنافقون﴾** فعل وفاعل، والجملة في محل جر مضافة إلى الظرف. **﴿والذين﴾** في محل رفع معطوف على الفاعل.

﴿في قلوبهم﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. **﴿مرض﴾** مبتدأ مؤخر، والجملة صلة الذين. **﴿غرّ﴾** فعل ماض. **﴿هؤلاء﴾** مبني على الكسر في محل نصب مفعول غرّ **﴿دينُهم﴾** فاعل غرّ، والضمير فيه مضاف إليه، وجملة غرّ هؤلاء دينهم في محل نصب مقول القول. **﴿ومن يتوكل﴾** الواو للعطف، ومن اسم شرط، يتوكل فعل الشرط مجزوم بالسكون، وفاعله ضمير يعود على مَنْ. **﴿على الله﴾** متعلق بيتوكل. **﴿فإنّ الله﴾** الفاء رابطة لجواب الشرط، إنّ الله إنّ واسمها. **﴿عزيز حكيم﴾** خبرَانِ لإنّ، والجملة في محل جزم جواب الشرط. **﴿ولو ترى﴾** الواو للعطف، ترى فعل مضارع دخل عليه حرف الشرط، والفاعل ضمير المخاطب. **﴿إذ﴾** ظرف متعلق بترى. **﴿يتوفى﴾** فعل مضارع مرفوع بضمة مقدرة

على الألف. ﴿**الذين**﴾ في محل نصب مفعول يتوفى. ﴿**كفروا**﴾ صلة الذين.

﴿**الملائكةُ**﴾ فاعل يتوفى، وجواب لو محذوف، أي: لأمر عظيم. ﴿**يضربون**﴾ فعل وفاعل، والجملة حال من الذين كفروا ومن الملائكة. ﴿**وجوههم**﴾ مفعول به، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**وأدبارهم**﴾ معطوف على وجوههم. ﴿**وذوقوا عذاب**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**الحريق**﴾ مضاف إلى عذاب، وجملة الأمر في محل نصب مقول القول المقدر. ﴿**ذلك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**بما**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. ﴿**قدّمت أيديكم**﴾ فعل وفاعل، والجملة صلة ما. ﴿**وأنّ الله**﴾ أنّ واسمها. ﴿**ليس**﴾ اسم ليس ضمير يعود على الله. ﴿**بظلام**﴾ خبر ليس دخل عليه حرف الجر الزائد فجُرَّ لفظاً ونُصِبَ محلاً، وأنّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر مرفوع خبر لمبتدإ مقدر، والتقدير: والأمرُ عدم ظلم الله لعباده. ﴿**كدأب**﴾ الكاف في محل رفع خبر لمبتدإ مقدر، والتقدير: مثلُهم مثل دأب. ﴿**آل**﴾ مضاف إلى دأب. ﴿**فرعون**﴾ مضاف إلى آل مجرور بالفتحة للعلمية والعجمة. ﴿**والذين**﴾ معطوف على آل فرعون.

﴿**من قبلهم**﴾ متعلق بمحذوف صلة الذين. ﴿**كفروا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**بآيات**﴾ متعلق بكفروا. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى آيات. ﴿**فأخذهم الله**﴾ الجملة مفرعة عما قبلها. ﴿**بذنوبهم**﴾ متعلق بأخذ، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**إنّ الله**﴾ إنّ واسمها. ﴿**قوي شديد**﴾ خبران لإنّ. ﴿**العقاب**﴾ مضاف إلى شديد، وجملة إنّ الله تعليلية. ﴿**ذلك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**بأنّ الله**﴾ أنّ واسمها دخلت عليها باء السببية. ﴿**لم يك**﴾ مجزوم بلم، وحذفت النون الساكنة تخفيفاً. ﴿**مغيراً**﴾ خبر يك، واسمها ضمير يعود على الله. ﴿**نعمة**﴾ مفعول باسم الفاعل. ﴿**أنعمها**﴾ الجملة في محل نصب نعت لنعمة. ﴿**على قوم**﴾ متعلق بأنعم، وجملة لم يك مغيراً في محل رفع خبر أنّ، وأنّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بالباء متعلق بمحذوف خبر ذلك. ﴿**حتى يغيروا**﴾ منصوب بأن مضمرة بعد حتى، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بحتى التي هي بمعنى إلى. ﴿**ما**﴾ اسم موصول في محل نصب مفعول به. ﴿**بأنفسهم**﴾ متعلق بمحذوف صلة ما. ﴿**وأنّ الله**﴾ أنّ واسمها.

﴿**سميع عليم**﴾ خبرَانِ لأنّ، والجملة معطوفة على قوله: بأنّ الله لم يك

مغيراً داخلة في حيز التعليل. ﴿**كدأب آل فرعون والذين من قبلهم**﴾ مثل قوله: كدأب آل فرعون والذين من قبلهم السابق. ﴿**كذبوا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**بآيات**﴾ متعلق بكذبوا. ﴿**ربّهم**﴾ مضاف إلى آيات، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**فأهلكناهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول، مرتب على قوله: كذبوا. ﴿**بذنوبهم**﴾ متعلق بأهلكنا، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**وأغرقنا**﴾ معطوف على أهلكناهم. ﴿**آل**﴾ مفعول به. ﴿**فرعون**﴾ مضاف إلى آل مجرور بالفتحة للعلمية والعجمة. ﴿**وكل**﴾ مبتدأ. ﴿**كانوا ظالمين**﴾ الجملة من كان واسمها وخبرها في محل رفع خبر المبتدإ. ﴿**إنّ شرّ**﴾ إنّ واسمها. ﴿**الدواب**﴾ مضاف إلى شر. ﴿**عند**﴾ ظرف متعلق بشرّ. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى عند. ﴿**الذين**﴾ في محل رفع خبر إنّ. ﴿**كفروا**﴾ صلة الذين. ﴿**فهم**﴾ مبتدأ. ﴿**لا يؤمنون**﴾ فعل وفاعل منفي بلا، والجملة في محل رفع خبر المبتدإ. ﴿**الذين**﴾ بدل من الموصول السابق.

﴿**عاهدت**﴾ فعل وفاعل صلة الذين. ﴿**منهم**﴾ متعلق بعاهدت. ﴿**ثم ينقضون**﴾ معطوف على عاهدت. ﴿**عهدهم**﴾ مفعول به، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**في كل**﴾ متعلق بينقضون. ﴿**مرة**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**وهم لا يتقون**﴾ مثل قوله فهم لا يؤمنون. ﴿**فإمّا**﴾ الفاء للتعقيب، إن شرطية جازمة، ما صلة. ﴿**تثقفنهم**﴾ فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد، والفاعل ضمير المخاطب، والضمير المتصل بالفعل مفعول به، وتثقفن فعل الشرط في محل جزم. ﴿**في الحرب**﴾ متعلق بفعل الشرط.

﴿**فشرد**﴾ فعل أمر جواب الشرط لدخول فاء الربط عليه. ﴿**بهم**﴾ متعلق بشرد. ﴿**مَنْ**﴾ اسم موصول في محل نصب مفعول به. ﴿**خلفهم**﴾ ظرف متعلق بمحذوف صلة مَنْ، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**لعلهم**﴾ لعل واسمها. ﴿**يذكرون**﴾ فعل وفاعل في محل رفع خبر لعل. ﴿**وإن ما تخافن**﴾ مثل فإما تثقفنهم. ﴿**من قوم**﴾ متعلق بتخافنّ. ﴿**خيانة**﴾ مفعول به. ﴿**فانبذ**﴾ مثل فشرد. ﴿**إليهم**﴾ متعلق بانبذ. ﴿**على سواء**﴾ متعلق بمحذوف نعت لمصدر مقدّر، والتقدير: فانبذ إليهم نبذاً كائناً على سواء. ﴿**إنّ الله**﴾ إنّ واسمها. ﴿**لا يحب**﴾ فعل مضارع منفي بلا، والفاعل ضمير يعود على الله، والجملة في محل رفع خبر إنّ. ﴿**الخائنين**﴾ مفعول به، والجملة تعليلية.

﴿**ولا تحسبنّ**﴾ فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد في محل جزم بلا الناهية، والفاعل ضمير المخاطب. ﴿**الذين**﴾ في محل نصب مفعول أول. ﴿**كفروا**﴾ صلة الذين. ﴿**سبقوا**﴾ فعل وفاعل، والجملة في محل نصب مفعول ثانٍ. ﴿**إنّهم**﴾ إنّ واسمها. ﴿**لا يعجزون**﴾ فعل وفاعل منفي بلا، والجملة في محل رفع خبرُ إنَّ، وجملة إنّهم لا يعجزون تعليلية. ﴿**وأعدوا**﴾ متصل بما قبله معطوف بالواو. ﴿**لهم**﴾ متعلق بالأمر قبله. ﴿**ما**﴾ اسم موصول في محل نصب مفعول أعدوا. ﴿**استطعتم**﴾ فعل وفاعل صلة ما. ﴿**من قوة**﴾ بيان لما. ﴿**ومن رباط**﴾ معطوف على قوله: من قوة. ﴿**الخيل**﴾ مضاف إلى رباط. ﴿**ترهبون**﴾ فعل وفاعل في محل نصب حال من الضمير المرفوع في أعدوا. ﴿**به**﴾ متعلق بترهبون. ﴿**عدوَّ**﴾ مفعول به. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى عدوّ. ﴿**وعدوَّكم**﴾ معطوف على عدو الله. ﴿**وآخرين**﴾ كذلك.

﴿**من دونهم**﴾ متعلق بمحذوف نعت لآخرين، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**لا تعلمونهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخلت عليه لا النافية، والجملة في محل نصب نعت آخَرَ لآخَرِين. ﴿**الله**﴾ مبتدأ. ﴿**يعلمهم**﴾ الجملة من الفعل والفاعل والمفعول خبر المبتدإ. ﴿**وما تنفقوا**﴾ جملة شرطية معطوفة على قوله: وأعدوا.. ﴿**من شيء**﴾ بيان لما. ﴿**في سبيل**﴾ متعلق بتنفقوا. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى سبيل. ﴿**يوف**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول مجزوم بحذف الألف جواب الشرط. ﴿**إليكم**﴾ متعلق بيوف، ونائب الفاعل ضمير يعود على ما. ﴿**وأنتم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**لا تظلمون**﴾ الجملة خبر المبتدإ، وجملة وأنتم لا تظلمون في محل نصب حال من ضمير الجماعة. ﴿**وإن جنحوا**﴾ جملة شرطية معطوفة على ما تقدم. ﴿**للسلم**﴾ متعلق بجنحوا.

﴿**فاجنح**﴾ فعل أمر جواب الشرط لدخول الفاء عليه. ﴿**لها**﴾ متعلق باجنح. ﴿**وتوكل**﴾ معطوف على قوله: فاجنح. ﴿**على الله**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**إنّه**﴾ إنّ واسمها. ﴿**هو**﴾ ضمير فصل. ﴿**السميع العليم**﴾ خبرَانِ لإنَّ، وجملة إنّه.. تعليلية. ﴿**وإن يريدوا**﴾ جملة شرطية معطوفة على ما تقدم. ﴿**أن يخدعوك**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخلت عليه أن المصدرية الناصبة، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول بقوله: وإن يريدوا. ﴿**فإنّ حسبك**﴾ إنّ واسمها، والضمير

فيه مضاف إليه. ﴿**اللهُ**﴾ خبر إنّ، وجملة فإنّ حسبك الله في محل جزم جواب الشرط. ﴿**هو**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**الذي**﴾ في محل رفع خبره. ﴿**أيدك**﴾ فعل ماض، والضمير المتصل به مفعول، والجملة صلة الذي. ﴿**بنصره**﴾ متعلق بأيدك، والضمير فيه مضاف إليه.

﴿**وبالمؤمنين**﴾ معطوف على بنصره. ﴿**وألّف**﴾ معطوف على أيّدك. ﴿**بين**﴾ ظرف متعلق بألّف. ﴿**قلوبهم**﴾ مضاف إلى بين والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**لو أنفقت**﴾ جملة شرطية. ﴿**ما**﴾ اسم موصول في محل نصب مفعول أنفقت. ﴿**في الأرض**﴾ متعلق بمحذوف صلة ما. ﴿**جميعاً**﴾ منصوب على الحال من ما في الأرض. ﴿**ما ألّفت**﴾ جواب الشرط. ﴿**بين**﴾ ظرف متعلق بألّفت. ﴿**قلوبهم**﴾ مضاف إلى بين، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**ولكنّ الله**﴾ لكنّ واسمها. ﴿**ألّف**﴾ فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة في محل رفع خبر لكنّ، والجملة استدراك على ما تقدم. ﴿**بينهم**﴾ متعلق بألّف، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**إنّه**﴾ إنّ واسمها. ﴿**عزيز حكيم**﴾ خبرَانِ لإنّ، والجملة تعليلية. ﴿**ياأيُّها النبيء**﴾ تقدم إعراب مثلها. ﴿**حسبك**﴾ مبتدأ. ﴿**الله**﴾ خبره. ﴿**ومَن**﴾ معطوف على الله. ﴿**اتبعك**﴾ صلة من. ﴿**من المؤمنين**﴾ متعلق باتبعك.

﴿**ياأيُّها النبيء**﴾ مثل سابقتها. ﴿**حرّض**﴾ فعل أمر، وفاعله ضمير المخاطب يعود على النبيء. ﴿**المؤمنين**﴾ مفعول به منصوب بالياء. ﴿**على القتال**﴾ متعلق بحرّض. ﴿**إن يكن**﴾ مجزوم بإن الشرطية. ﴿**منكم**﴾ متعلق بمحذوف خبر يكن. ﴿**عشرون**﴾ اسمها مرفوع بالواو. ﴿**صابرون**﴾ نعت لعشرون. ﴿**يغلبوا**﴾ جواب الشرط. ﴿**مائتين**﴾ مفعول به منصوب بالياء. ﴿**وإن تكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا**﴾ إعراب هذه الجملة مثل إعراب الجملة السابقة. ﴿**بأنّهم**﴾ أنّ واسمها دخلت عليه باء السببية. ﴿**قوم**﴾ خبرُ أنّ. ﴿**لا يفقهون**﴾ جملة في محل رفع نعت لقوم، وأنّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بالياء متعلق بيغلبوا. ﴿**الآن**﴾ ظرف منصوب متعلق بـ﴿**خفّف الله**﴾. ﴿**عنكم**﴾ متعلق بخفّف. ﴿**وعلم**﴾ معطوف على خفّف. ﴿**أنّ فيكم ضعفاً**﴾ خبرُ أنّ متعلق الجار والمجرور، وضعفاً اسمها، وأنّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب بعلم.

﴿**فإن تكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين**﴾

إعراب هذه الجمل مثل إعراب الجمل السابقة في قوله: إن يكن منكم عشرون صابرون. . .الخ. ﴿بإذن﴾ متعلق بيغلبوا. ﴿الله﴾ مضاف إلى إذن. ﴿والله﴾ مبتدأ. ﴿مع﴾ متعلق بمحذوف خبره. ﴿الصابرين﴾ مضاف إلى مع، والجملة تذييلية. ﴿ما كان﴾ ما نافية، وكان تامة بمعنى صح. ﴿لنبيء﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿أن يكونَ﴾ منصوب بأنْ. ﴿له﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿أسرى﴾ اسم يكون مؤخر مرفوع بضمة مقدرة على الألف، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مرفوع فاعل كان. ﴿حتى يثخن﴾ منصوب بأن مضمرة بعد حتى، والفاعل ضمير يعود على نبيء. ﴿في الأرض﴾ متعلق بيثخن. ﴿تريدون عرض﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿الدنيا﴾ مضاف إلى عرض مجرور بكسرة مقدرة على الألف. ﴿والله﴾ مبتدأ.

﴿يريد﴾ فاعلُه ضمير يعود على الله، والجملة خبر المبتدإ. ﴿الآخرة﴾ مفعول به، وجملة والله يريد الآخرة معطوفة على قوله: تريدون عرض الدنيا. ﴿والله﴾ مبتدأ. ﴿عزيز حكيم﴾ خبره أول وثانٍ، والجملة تذييلية. ﴿لولا﴾ حرف امتناع لوجود متضمن معنى الشرط. ﴿كتاب﴾ مبتدأ. ﴿من الله﴾ متعلق بما بعده. ﴿سبق﴾ فعل ماض، والفاعل ضمير يعود على كتاب، والجملة نعت لكتاب، وهو الذي سوغ الابتداء بالنكرة، والخبر محذوف، أي: موجود. ﴿لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم﴾ الجملة جواب لولا. ﴿فكلوا﴾ جملة الأمر مفرعة على ما قبلها. ﴿مما﴾ متعلق بكلوا. ﴿غنمتم﴾ فعل وفاعل صلة ما. ﴿حلالاً﴾ حال من الضمير المقدر العائد على ما. ﴿طيباً﴾ نعت لقوله: حلالاً. ﴿واتقوا الله﴾ جملة الأمر تذييل. ﴿إنّ الله غفور رحيم﴾ تعليل للأمر بالتقوى.

﴿ياأيُّها النبيء﴾ تقدم إعراب مثلها. ﴿قل﴾ فعل أمر. ﴿لمن﴾ متعلق بقل. ﴿في أيديكم﴾ متعلق بمحذوف صلة مَنْ، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿من الأسرى﴾ بيان لمن. ﴿إن يعلم اللهُ﴾ فعل وفاعل، فعل الشرط مجزوم بالسكون وحرك بالكسرة لالتقاء الساكنين. ﴿في قلوبكم﴾ متعلق بيعلم، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿خيراً﴾ مفعول به. ﴿يؤتكم﴾ جواب الشرط مجزوم بحذف الياء، والفاعل ضمير يعود على الله، والضمير المتصل بالفعل مفعول أول. ﴿خيراً﴾ مفعول ثانٍ. ﴿مما﴾ متعلق بيؤتكم. ﴿أُخذ﴾ فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل ضمير

يعود على ما. ﴿**منكم**﴾ متعلق بأُخذ، والجملة صلة ما. ﴿**ويغفر**﴾ معطوف على يؤتكم مجزوم بالسكون. ﴿**لكم**﴾ متعلق بيغفر. ﴿**والله غفور رحيم**﴾ جملة من المبتدإ والخبر تذييل.

﴿**وإن يريدوا**﴾ فعل وفاعل، فعل الشرط مجزوم بحذف النون. ﴿**خيانتك**﴾ مفعول به، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**فقد**﴾ الفاء رابطة للجواب، وقد حرف تحقيق. ﴿**خانوا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**اللهَ**﴾ مفعول به. ﴿**من قبل**﴾ متعلق بخانوا، وجملة فقد خانوا في محل جزم جواب الشرط. ﴿**فأمكن**﴾ مرتب على قوله فقد خانوا الله من قبل، وفاعل أمكن ضمير يعود على الله. ﴿**منهم**﴾ متعلق بأمكن. ﴿**والله عليم حكيم**﴾ الجملة من المبتدإ والخبر تذييل. ﴿**إنّ الذين**﴾ إنّ واسمها. ﴿**آمنوا**﴾ صلة الذين. ﴿**والذين هاجروا**﴾ معطوف على الذين آمنوا. ﴿**وجاهدوا**﴾ معطوف على هاجروا. ﴿**بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله**﴾ متعلقان بجاهدوا. ﴿**والذين آووا ونصروا**﴾ معطوف على قوله: إنّ الذين آمنوا وهاجروا. ﴿**أولئك**﴾ في محل رفع مبتدأ أوّل. ﴿**بعضهم**﴾ مبتدأ ثانٍ، والضمير فيه مضاف إليه.

﴿**أولياء**﴾ خبر المبتدإ الثاني، والمبتدأ الثاني وخبره خبر المبتدإ الأول، والمبتدأ الأول وخبره في محل رفع خبر إنّ. ﴿**والذين**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**آمنوا**﴾ صلة الذين، والجملة معطوفة على قوله: إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا. . إلخ، ﴿**ولم يهاجروا**﴾ مجزوم بلم والجملة معطوفة على قوله والذين آمنوا ﴿**ما**﴾ نافية. ﴿**لكم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**من ولايتهم**﴾ متعلق بمحذوف نعت للخبر. ﴿**من شيء**﴾ من زائدة، وشيء مبتدأ مؤخر جُرّ بحرف الجر الزائد، ومحله الرفع. ﴿**حتى يهاجروا**﴾ منصوب بأن مضمرة بعد حتى، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بحتى، وهي بمعنى إلى، وجملة مالكم من ولايتهم من شيء في محل رفع خبر الذين آمنوا. ﴿**وإن استنصروكم**﴾ جملة شرطية.

﴿**في الدين**﴾ متعلق باستنصروكم. ﴿**فعليكم**﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط، عليكم متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**النصر**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**إلاّ على قوم**﴾ مستثنى من قوله فعليكم النصر. ﴿**بينكم**﴾ ظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**وبينهم**﴾ معطوف على بينكم. ﴿**ميثاق**﴾ مبتدأ مؤخر، والجملة في محل جر

نعت لقوم. ﴿والله﴾ مبتدأ. ﴿بما﴾ متعلق بالخبر بعده. ﴿تعملون﴾ صلة ما. ﴿بصيرٌ﴾ خبر المبتدإ، والجملة تذييل. ﴿والذين﴾ في محل رفع مبتدأ أول. ﴿كفروا﴾ صلة الذين. ﴿بعضهم﴾ مبتدأ ثانٍ. ﴿أولياء﴾ خبره. ﴿بعضٍ﴾ مضاف إلى أولياء، وجملة المبتدإ الثاني وخبره خبرٌ للمبتدإ الأول. ﴿إن لا تفعلوه﴾ جملة شرطية. ﴿تكن﴾ جواب الشرط. ﴿فتنة﴾ فاعل تكن. ﴿في الأرض﴾ متعلق بتكن. ﴿وفساد﴾ معطوف على فتنة. ﴿كبير﴾ نعت لفساد. ﴿والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله﴾ تقدم إعراب مثلها. ﴿والذين آووا ونصروا﴾ معطوف على قوله: والذين آمنوا. ﴿أولئك﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿هم﴾ ضمير فصل. ﴿المؤمنون﴾ خبرُ أولئك. ﴿حقاً﴾ منصوب على الحال من قوله: المؤمنون، وجملة أولئك هم المؤمنون خبرُ الذين آمنوا وما عطف عليه. ﴿لهم﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿مغفرة﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿ورزق﴾ معطوف على مغفرة.

﴿كريم﴾ نعت لرزق، وجملة لهم مغفرة خبر ثانٍ لأولئك. ﴿والذين آمنوا﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿من بعد﴾ متعلق بآمنوا. ﴿وهاجروا وجاهدوا﴾ معطوف على آمنوا. ﴿معكم﴾ متعلق بجاهدوا. ﴿فأولئك﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿منكم﴾ متعلق بمحذوف خبرُ أولئك، وجملة فأولئك منكم خبر المبتدإ الأول، وهو قوله: والذين آمنوا من بعدُ. ﴿وأولوا﴾ مبتدأ مرفوع بالواو ملحق بجمع المذكر السالم. ﴿الأرحام﴾ مضاف إلى أولوا. ﴿بعضهم﴾ مبتدأ ثانٍ. ﴿أولى﴾ خبره مرفوع بضمة مقدرة على الألف. ﴿ببعض﴾ متعلق بأولى، وجملة المبتدأ الثاني وخبره خبر المبتدإ الأول. ﴿في كتاب﴾ متعلق بأولى. ﴿الله﴾ مضاف إلى كتاب. ﴿إنّ الله﴾ إنّ واسمها. ﴿بكل﴾ متعلق بالخبر بعده. ﴿شيء﴾ مضاف إلى كل. ﴿عليم﴾ خبرُ إنّ، والجملة تعليليّة.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿واعلموا أنّما غنمتم من شيء فأنّ لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾: مناسبة الكلام لما قبله ظاهر، وهو انتقالٌ لبيان ما أجمل من حكم الأنفال الذي افتتحت به السورة. وهذا الكلام موصول بما قبله بواو العطف. وافتتاحه باعلموا للاهتمام بشأنه، والتنبيه على رعاية العمل به، فإنّ المقصود بالعلم تَقَرُّرُ الجَزْمِ بأنّ ذلك حكم الله، والعمل بذلك المعلوم، فيكون

اعلموا كنايةً مُرَاداً بها صريحه ولازمه. ومن شيء بيان لعموم ما في قوله: أنّما غنمتم من شيء؛ لئلا يُتَوَهَّم أنّ المقصود غنيمة معينة خاصّة. والفاء في قوله: فأنّ لله خمسه لما في الموصول من معنى الاشتراط وما في الخبر من معنى المجاراة بتأويل: إن غنمتم فحقٌّ لله خُمسُهُ.. وقوله: ﴿**إن كنتم آمنتم بالله**﴾ شرط يتعلق بما دل عليه قوله: واعلموا أنّما غنمتم، وجيء في الشرط بحرف إنْ التي شأن شرطها أن يكون مشكوكاً في وقوعه، زيادة في حثّهم على الطاعة حيث يُفرَضُ حالهم في صورة المشكوك في حصول شرطه إلْهَاباً لهم؛ لبعثهم على إظهار تحقُّق الشرط فيهم، فالمعنى: أنّكم آمنتم بالله، والإيمان يُرشد إلى اليقين بتمام العلم والقدرة له، وآمنتم بما أنزل الله على عبده يوم بدر حين فرق الله بين الحق والباطل فرأيتم ذلك رأي العين، وارتقى إيمانكم من مرتبة علم اليقين إلى مرتبة عين اليقين، فعلمتم أن الله أعلم بنفعكم من أنفسكم!.

وإطلاق الإنزال على حصوله استعارة، تشبيهاً له بالواصل إليهم من علو، تشريفاً له... ﴿**إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيى عن بينة وإنّ الله لسميع عليم**﴾: إذ ظرف لأنزلنا على عبدنا يوم الفرقان، وقد أريد من هذا الظرف وما أضيف إليه تذكيرهم بحالة حرجة كانوا فيها، وتنبيههم للطفٍ عظيمٍ خصَّهم من الله تعالى، وهي حالة موقع جيش المسلمين من جيش المشركين. والغرض من التقييد بهذا الوقت، وبتلك الحالة إحضارها في ذكرهم لأجل ما يلزم ذلك من شكر نعمة الله، ومن حسن الظن بوعده، والاعتماد عليه في أمورهم... ﴿**إذ يريكهم الله في منامك قليلاً ولو أراكهم كثيراً لفشلتم ولتنازعتم في الأمر ولكن الله سلم إنّه عليم بذات الصدور وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلاً ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمراً كان مفعولاً وإلى الله ترجع الأمور**﴾: إنّ هذه الرؤيا مما اشتمل عليه زمان كونهم بالعدوة الدنيا، لوقوعها في مدة نزول المسلمين بالعدوة من بدر.

وأسندت الإراءة إلى الله تعالى لأنّ رُؤْيا النبيء ﷺ وحي بمدلولها، فكانت تلك الرؤيا من أسباب النصر، وكانت تلك الرؤيا منّةً من الله على رسوله والمؤمنين، وكانت قلّة العدد في الرؤيا رمزاً وكناية عن وهن أمر المشركين لا عن

قلة عددهم. وهذه الرؤيا قد مضت بالنسبة لزمن نزول الآية فالتعبير بالفعل المضارع لاستحضار حالة الرؤيا العجيبة. وجملة ولو أراكهم كثيراً لفشلتم ولتنازعتم في الأمر شرطية جيء بها لبيان حكمة الرؤيا.

والاستدراك في قوله: ولكن الله سلم راجع إلى ما في جملة لو أراكهم كثيراً من الإشعار بأنّ العدو كثير في نفس الأمر. ووضع الظاهر موضع المضمر في قوله: ولكن الله سلم دون أن يقول: ولكنه سلم لقصد زيادة إسناد ذلك إلى الله، وأنّه بعنايته واهتمامه بهذا الحادث. وجملة إنّه عليم بذات الصدور تقرير للمِنَّةِ. وقوله: وإذ يريكموهم... الخ موصول بما قبله بالعطف، وهي رؤية بصر أراها الله الفريقين على خلاف ما في نفس الأمر، ثم بيّن حكمة ذلك بقوله: ليقضي الله أمراً كان مفعولاً وإلى الله ترجع الأمور... ﴿**ياأيُّها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون**﴾: لمّا عرّفهم الله بنعمته ودلائل عنايته، وكشف لهم عن سرٍّ من أسرار نصره، وكيف خذل أعداءهم وصرفهم عن أذاهم، فاستتبّ لهم النصر مع قلّتهم وكثرة أعدائهم، أقبل في هذه الآية على أن يأمرهم بما يهيّئ لهم النصر في المواقع كلها، ويستدعي عناية الله بهم وتأييدَهُ إيّاهم، فجمع لهم في هذه الآية ما به قوام النصر في الحروب، وافتتحت هذه الوصايا بالنداء اهتماماً بها، وجعل طريق تعريف المنادى طريق الموصولية لِمَا تُؤْذِنُ به الصلة من الاستعداد لامتثال ما يأمرهم به الله تعالى؛ لأنّ ذلك أخص صفاتهم تلقاء أوامر الله تعالى.

واستعير الثبات للدوام على الفعل وعدم التردد فيه. وقد أطلق هنا على معناه المجازي؛ إذ ليس المراد عدم التحرك بل أريد الدوام على القتال وعدم الفرار. وذكر الله المأمور به هنا هو ذكره باللسان؛ لأنّه يتضمن ذكر القلب وزيادة، وقرينة إرادة ذكر اللسان ظاهر وصفه بكثير؛ لأنّ الذكر بالقلب يوصف بالقوة. ثم أمروا بطاعة الله ورسوله باتباع سائر أحكام القتال المشروعة بالتعيين. والنهي عن التنازع أعم من الأمر بالطاعة. وفرع عن التنازع أمرين معلوماً سوء مغبتهما، وهما الفشل وذهاب الريح. والفشل تمثيل لحال المتقاعسين عن القتال بحال من خارت قوّته وفشلت أعضاؤه.. وذهاب الريح مستعار للغلبة.

ثم أمرهم بشيء يعم نفعه المرْءَ في نفسه وفي علاقته مع أصحابه ويسهل

عليهم ما أمروا به. . . **﴿واصبروا إنّ الله مع الصابرين. ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط﴾**: هذه الآية وصلت بما قبلها بالعطف إكمالاً لأسباب النجاح والفوز عند اللقاء.

وجيء في نهيهم عن البطر والرئاء بطريقة النهي عن التشبه بالمشركين، إدْمَاجاً للتشنيع بالمشركين وأحوالهم، وتكريهاً للمسلمين تلك الأحوال؛ لأنّ الأحوال الذميمة تتضح مذمتها، وتنكشف مزيد الانكشاف إذا كانت من أحوال قوم مذمومين عند آخرين، وذلك أبلغ في النهي، وأكشف لقبح المنهي عنه. والموصول مراد به جماعة خاصة، وهو أبوجهل وجماعته. ووصفهم بالمصدر في قوله: بطراً ورئاء الناس للمبالغة في تمكن الصفتين منهم؛ لأنّ البطر والرئاء خُلُقاً من خلقهم. وصيغة المفاعلة في رئاء مبالغة في هذا الوصف الشنيع، وجيء في يصدون بصيغة الفعل المضارع للدلالة على حدوث وتَجدّد صدّهم الناس عن سبيل الله.

وقوله: والله بما يعملون محيط تذكير للمسلمين بصريحه، ووعيد للمشركين بالمعنى الكنائي. . . **﴿وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإنّي جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إنّي بريء منكم إنّي أرى ما لا ترون إنّي أخاف الله والله شديد العقاب﴾**: وُصلت هذه الآية بما قبلها بالعطف لتتم المناسبة التي يقصد إليها المتكلم إيفاء للغرض المطلوب، وعلى طريقة القرآن في إحياء المعاني وإلباسها ثوب الواقع الشاخص، فيرسم مشهداً للشيطان يزين لأتباعه أعمالهم، ثم يتخلى عنهم هارباً، ويرسم في هذا المشهد صورة مبدعة لنفسية الشيطان وطريقته في الإغواء، وهكذا يرتسم مشهدٌ حيٌّ شاخص، ويعرض ساحة مجسمّة مرئية: يقف فيها الشيطان خطيباً يبث الحماسة في حلفائه، ويحرضهم على المضي فيما هم فيه مُزيّناً لهم إيَّاه، مشجعاً لهم على خوض المعركة وَاعِداً إيّاهم بالعون والمشاركة، حتى إذا جدَّ الجِدّ وجاء الشَد، نكص على عقبيه! تاركاً لهم الميدان، ويااليته تركهم معتذراً، إنّما يتركهم ساخراً: إنّي أرى ما لا ترون، ولي غيرُ طريقكم طريق، إنّي أخاف الله والله شديد العقاب!.

إنّه مشهد حيٌّ يُصوِّرُ حالة الكفار يوم بدر، وكلّ حالة مماثلة يوحي فيها الشيطان، ثم يتوارى عند وقوع المحذور. . . **﴿إذ يقول المنافقون والذين في**

قلوبهم مرض غرّ هؤلاء دينهم ومن يتوكل على الله فإنّ الله عزيز حكيم﴾: يتعلق إذ يقول بأقرب الأفعال إليه، وهو قوله: زيّن لهم الشيطان أعمالهم مع ما عطف عليه من الأفعال؛ فقول المنافقين واقع في وقت تزيين الشيطان أعمال المشركين. والمرض هنا مجاز في اختلال الاعتقاد؛ شُبّه بالمرض بوجه سوء عاقبته عليهم. وقوله: ومن يتوكل على الله جوابٌ وَرَدٌّ من الله لقول المنافقين.

وقوله: فإنّ الله عزيز حكيم جواب للشرط باعتبار لازمه... **﴿ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق﴾**: هذه الآية موصولة بما قبلها بالعطف، والجملة شرطية بلو الامتناعية، وجوابها محذوف، تقديره: لرأيت أمراً عجيباً، والمخاطب غير معيّن. والذين كفروا عُمُومُ الكافرين، فيدخل فيه من مات من المشركين يوم بدر دخولاً أوّليّاً.. وقدم المفعول - الذين كفروا - على الفاعل الملائكة للاهتمام به. وجملة يضربون وجوههم وأدبارهم بدل اشتمال من قوله: يتوفى. وجملة وذوقوا عذاب الحريق معطوفة على جملة يضربون بتقدير القول. وذِكْرُ الوجوه والأدبار للتّعميم، وهذا كقول العرب: ضربْتُه الظهْرَ والبطْنَ، كناية عما أقبل وما أدبر. والذوق مستعمل في مطلق الإحساس بعلاقة الإطلاق.

وإضافةُ العذاب إلى الحريق من إضافة الجنس إلى نوعه، فهي إضافة بيانية... **﴿ذلك بما قدمت أيديكم وأنّ الله ليس بظلام للعبيد﴾**: اسم الإشارة عائد إلى ما يشاهدونه من العذاب. وجيء بإشارة البعيد لتعظيم ما يشاهدونه من الأهوال، والجملة مستأنفة لقصد التنكيل والتَّشَفِّي، والباء سببية. وذِكْرُ الأيدي استعارة مكنية بتشبيه الأعمال التي اقترفوها بما يَجْتَنِيه المُجْتَنِي من الثمر، أو يقبضه البائع من الأثمان تشبيه المعقول بالمحسوس. وقوله: وأنّ الله ليس بظلام للعبيد عَطْفٌ على ما قدمت أيديكم، وهذا علة ثانية لإيقاع تلك العقوبة عليهم، فالعلّة الأولى المفادة من باء السببية تعليل لإيقاع العذاب، والعلّة الثانية المفادة من العطف على الباء ومجرورها تعليل لصفة العذاب. ونفي الظلم عن الله تعالى كناية عن عدله، وأنّ الجزاء الأليم كان كفاءً للعمل المُجَازَى عنه دون إفراط.

وعبر بالمبالغة عن كثرة أعْدَادِ الظلم باعتبار تعدد أفراد معموله. والتعريف باللام في العبيد عوض عن المضاف إليه... **﴿كدأب آل فرعون والذين من قبلهم**

كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم إنّ الله قوي شديد العقاب﴾: فُصِلَت الآية عما قبلها لبيان أنّ ما حلّ بالمشركين من العذاب يوم بدر كان بسبب كفرهم، فشبه حالهم بحال المعروفين بالإهلاك بسبب جرائمهم؛ لزيادة تقبيح حالهم، وللتنبيه على أنّ ذلك سُنّةٌ مُطَّرِدَةٌ فيما بين الأمم المهلكة. وقوله: كفروا بآيات الله تفسير لدأبهم الذي فعلوه. وقوله: فأخذهم الله تفسير لدأبهم الذي فُعل بهم، والفاء لبيان كونه من لوازم جناياتهم وتبعاتها المتفرع عليها.

وقوله: بذنوبهم لتأكيد ما أفاده الباء من السببية، مع الإشارة إلى أنّ لهم مع كفرهم ذنوباً أُخَرَ لها دَخْلٌ في استتباع العقاب... **﴿ذلك بأنّ الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾**: الآية مستأنفة استئنافاً بيانياً. والإشارة إلى مضمون قوله: فأخذهم الله بذنوبهم إنّ الله قوي شديد العقاب، والإشارة تفيد العناية بالمخبر عنه وبالخبر، وهذا إنذار لقريش يحل بهم مثل ما حل بغيرهم من الأمم الذين بطروا النعمة. وقوله: **﴿وأنّ الله سميع عليم﴾** عطْفٌ على قوله: بأنّ الله لم يك مغيراً... **﴿كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربّهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكلٌّ كانوا ظالمين﴾**: هذه الآية تكريرٌ لمثلها من قبلُ لقصد التأكيد، والتسميع تقرير للإنذار والتهديد!.

وخولف بين الجملتين تفنناً في الأسلوب، وزيادة للفائدة بذكر التكذيب هنا بعد ذكر الكفر هناك، وهما سببان للأخذ والإهلاك. وذكر وصفِ الربوبية هنا دون الاسم العلَم لزيادة تفظيع تكذيبهم؛ لأنّ الاجتراء على الله مع ملاحظة كونه ربّاً للمجترىء يزيد جراءتَه قُبْحاً، لإشعاره بأنّها جراءة في موضع الشكر؛ لأنّ الربّ يستحق الشكر، وعبر بالإهلاك عوض الأخذ المتقدم ذكرُه، ليفسّر الأخذ بأنه آل إلى الإهلاك، وزيد الإهلاك بياناً بالنسبة إلى آل فرعون بأنّه إهلاك الغرق. وتنوين كُلٌّ للتعويض عن المضاف إليه: كُلُّ مَنْ ذكر حاله ثبت ظلمه باستمرار كفره... **﴿إنّ شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون﴾**: بعدما شرح أحوال المُهلَكين من شِرَارِ الكفرة شرع في بيان أحوال الباقين منهم وتفصيل أحكامهم، وإنّما وصفهم بشر الدواب؛ لأنّ دعوة الإسلام أظهر من دعوة الأديان السابقة، ومعجزة الرسول ﷺ أسْطَعُ؛ ولأنّ الدلالة على أحقية الإسلام دلالة عقلية بينة، فمن يجحده فهو أشبه بمن لا عقل له.

وقد اندرج الفريقان من الكفار في جنس شر الدواب. وتعريف المسند بالموصولية للإيماء إلى وجه بناء الخبر عنهم بأنّهم شر الدواب. والفاء في فهم لا يؤمنون عَطَفَت صِلَةً على صلة، فأفادت أنّ الجملة الثانية من الصلة، وأنّها تمام الصلة المقصودة للإيماء، وأتى بصلة فهم لا يؤمنون جملة إسمية لإفادة ثبوت عدم إيمانهم، وأنّهم غيرُ مرجوٍّ منهم الإيمان، فإنّ تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي المنفي مع عدم إيلاء المسند إليه حرف النفي لقصد إفادة تقوية نفي الإيمان عنهم... ﴿**الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون**﴾: هذه الجملة بدل من الذين كفروا بدلاً مطابقاً، فالذين عاهدتهم هم الذين كفروا، فهم لا يؤمنون. وتعدية عاهدت بِمِن للدلالة على أنّ العهد كان يتضمن التزاماً من جانبهم، فلما ذكر فعل المفاعلة الدال على حصول الفعل من الجانبين نبّه على أنّ المقصود من المعاهدة التزامهم بأن لا يعينوا عليه عدوّاً. والتعبير في جانب نقضهم العهد بصيغة المضارع للدلالة على أنّ ذلك يتجدد منهم ويتكرر، وتأكّد هذا بقوله: في كل مرّة.

وجملة وهم لا يتقون إمّا عطف على الصلة، أو على الخبر. أو في محل الحال من ضمير ينقضون، وعلى جميع الاحتمالات فهي دالة على أنّ انتفاء التقوى عنهم صفة متمكنة منهم، وملكة فيهم بما دل عليه تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي المنفي من تقوى الحكم وتحقيقه. ووقوع فعل التقوى في حيز النفي يعم سائر جنس الاتقاء، وهو الجنس المتعارف منه، وإذ قد تحقق منهم نقض العهد فيما مضى، وهو متوقع منهم فيما يأتي لا جرم تفرع عليه أمر الله رسولَه أن يجعلهم نكالاً لغيرهم متى ظفر بهم في حرب يشهرونها عليه أو يعينون عليه عدوه... ﴿**فإمّا تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون**﴾: وجاء الشرط بحرف إن مزيدة بعدها ما؛ لإفادة تأكيد وقوع الشرط... ﴿**وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إنّ الله لا يحب الخائنين**﴾: هذا عطف حكم عام لمعاملة جميع الأقوام الخائنين بعد الحكم الخاص بقوم معينين الذين تلوح منهم بوارق الغدر والخيانة وقومٌ نكرة في سياق الشرط فتفيد العموم.

وقوله: فانبذ إليهم على سواء تمثيل لحال الماشي على طريق جادة لا التواء فيها، فلا مخاتلة لصاحبها. والمعنى: فانبذ إليهم نبذاً واضحاً علَناً مكشوفاً،

وعُدّي انبذ بإلى لتضمينه معنى اردد إليهم عهدَهم. وجملة إنّ الله لا يحب الخائنين تعليل للأمر برد عهدهم... ﴿**ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا إنّهم لا يعجزون**﴾: تسلية للنبيء، وطمأنينة له وللمسلمين بأنّهم سيدالون من الكفار ويأتون على بقيتهم، وتهديد للعدو بأنّ الله سيمكن منهم المسلمين.

والسبق مستعار للنجاة ممن يطلب، والتفلت من سلطته، شبه المتخلص من طالبه السابق. وقوله: إنّهم لا يعجزون تعليل على طريق الاستئناف البياني جواباً عن سؤال تثيره جملة ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا... ﴿**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة**﴾: هذه الجملة وُصلت بما قبلها بالعطف، فتفيد مفاد الاحتراس عن مُفادها؛ لأنّ قوله: ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا يفيد توهيناً لشأن المشركين، فتعقيبه بالأمر بالاستعداد لهم، والمراد بالقوة هنا السلاح وعتاد الحرب، فهو مجاز مرسل... ﴿**ومن رباط الخيل ترهبون به عدوّ الله وعدوكم**﴾: هذا من عطف الخاص على العام للاهتمام بذلك الخاص وقت التنزيل. والرباط صيغة مفاعلة أتى بها هنا للمبالغة لتدل على قصد الكثرة من ربط الخيل للغزو.

وجملة ترهبون به عدو الله وعدوكم إمّا مستأنفة استئنافاً بيانياً ناشئاً عن تخصيص الرباط بالذكر بعد ذكر ما يعمه، وهو القوة، وإمّا في موضع الحال من ضمير وأعدوا. وتعريف العدو بالإضافة؛ لأنّها أخصر طريق لتعريفهم، ولما تتضمنه من وجه قتالهم وإرهابهم ومن ذمهم... ﴿**وآخرين من دونهم لا تعلمونهم**﴾: وُصِلت الجملة بما قبلها بالعطف، وهم أعداء لا يعرفهم المسلمون بالتعيين ولا بالإجمال، فالعلم هنا بمعنى المعرفة لنصبه مفعولاً واحداً. وجملة ﴿**الله يعلمهم**﴾ تعريض بالتهديد لهؤلاء الآخرين، فالخبر مستعمل في معناه الكنائي، وهو تعقّبهم والإغراء بهم، وتعريض بالامتنان على المسلمين بأنّهم بمحل عناية الله.

وتقديم المسند إليه على الخبر الفعلي للتقوّى، والمقصود تأكيد لازم معناه. وإذ قد كان إعداد القوة يستدعي إنفاقاً، وكانت النفوس شحيحة بالمال تكفل الله للمنفقين في سبيله بإخلاف ما أنفقوه والإثابة عليه، فقال: ﴿**وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يُوفّ إليكم وأنتم لا تظلمون**﴾: فسمى جزاء الإنفاق توفية على طريقة الاستعارة المكنية... ﴿**وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنّه**

هو السميع العليم﴾: هذا انتقال من بيان أحوال معاملة العدو في الحرب، إلى بيان أحكام السلم إن طلبوا السلم والمهادنة؛ فالآية موصولة بما قبلها، فهو مقابل لقوله: وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء. واللام في قوله: للسلم واقعة موقع إلى؛ لتقوية التنبيه على أن ميلهم إلى السلم ميل حق.

والأمر بالتوكل على الله بعد الأمر بالجنوح إلى السلم ليكون النبيء ﷺ معتمداً في جميع شأنه على الله تعالى، ومُفَوّضاً إليه تسيير أموره، لتكون مدة السلم مُدّةَ تَقَوٍّ واستعداد، وليكفيه الله شرّ عدوّه إذا نقضوا العهد. ولذلك عُقّب الأمر بالتوكل بتذكيره بأن الله هو السميع العليم. وطريق القصر في قوله: هو السميع العليم أفاد معنى قصر الكمال في السمع والعلم. وفي الجمع بين الأمر بقصر التوكل عليه وبين الأمر بإعداد ما استطاع من القوة للعدوّ دليل بيّنٌ على أنّ التوكل أمر غير تعاطي أسباب الأشياء فتعاطي الأسباب فيما هو من مقدور الناس، والتوكل فيما يخرج عن ذلك.

والتعبير عن الميل إلى السلم بالجنوح تعبير لطيف يلقي ظل الدّعَةِ الرقيق، فهي حركة جناح يميل إلى جانب السلم، ويرخي ريشه في وداعة واطمئنان، فإذا الجوّ من حوله طمأنينة وسلام. . . **﴿وإن يريدوا أن يخدعوك فإنّ حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين﴾**: هذه الآية متصلة بما قبلها بالعطف. والجملة جاءت بأسلوب الشرط والجزاء، والمعنى إن كانوا يريدون من إظهار ميلهم إلى السلم خَدِيعةً فإنّ الله كافيك شرهم. . وتأكيد الجواب بإنّ مُرَاعى فيه تأكيد معناه الكنائي، مع وضوح الدليل على تكفل كفايته. وجملة هو الذي أيدك بنصره مستأنفة مسوقة مساق الاستدلال على أنّه حسْبُه، وهو توكيد لجواب الشرط المؤكد. وإضافة النصر إلى الله تنبيه على أنّه نصر خارق للعادة.

وقوله: وبالمؤمنين عطف على بنصره. . . **﴿وألّف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألّفت بين قلوبهم﴾**: الجملة معطوفة على قوله: أيدك بنصره وبالمؤمنين، وهي منّة أخرى على الرسول ﷺ وهي أيضاً منّة على المؤمنين إذ نزع من قلوبهم الأحقاد والإحن. ووَجْهُ الامتنان قوله: لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم، ولذلك استدرك الأمر بتمحيص هذه المنة العظيمة التي لم تكن في الحسبان بقوله: **﴿ولكنّ الله ألف بينهم إنّه عزيز حكيم﴾**. هكذا في يسر

وسهولة واختصار، فإذا المستحيل واقع في ومضة وفي جملة واحدة ومن أربع كلمات! . إنّه عزيز حكيم، فهو عزيز قادر على تحقيق المستحيل في عرف الناس، وهو حكيم يحقّق ذلك لما وراءه من حكمه تُرَادُ! . . ﴿**ياأيُّها النبيء حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين**﴾: استئناف ابتدائي بالإقبال على خطاب الرسول، وتخصيص النبيء بهذه الكفاية لتشريف مقامه. وفي عطف المؤمنين على اسم الجلالة هنا تنويه بشأن كفاية الله النبيء بهم. . . ﴿**ياأيُّها النبيء حرض المؤمنين على القتال**﴾: أُعِيدَ نداءُ النبيء ﷺ للتنويه بشأن الكلام الوارد بعد النداء.

وهذا الكلام في معنى المقصد بالنِّسْبَةِ للجملة التي قبله. . . ﴿**إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين**﴾: فُصِلت هذه الجملة عما قبلها لأنّها بيان وتفصيل لما تقدمها. . . ﴿**وإن تكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنّهم قوم لا يفقهون**﴾: عَطْفُ هذه الجملة على ما قبلها زيادةٌ في إفادة الاطمئنان. وقوله: من الذين كفروا بيان للألف، وهذا القيد معتبر في المائتين أيضاً، وقد تُرِكَ ذِكْرُه تعويلاً على ذكره ههنا. كما ترك قيد الصبر ههنا مع كونه معْتَبَراً حتماً، ثقة بذكره هناك. ثم بيّن السبب في هذا بقوله: بأنّهم قوم لا يفقهون. . فهم يجهلون حقيقة قتال المؤمنين جهْلاً تامّاً حيث عرّضوا أنفسهم للقتل والأسر وسوء المصير! . ﴿**الآن خفف الله عنكم وعلم أنّ فيكم ضعفاً فإن تكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين**﴾: هذه الآية بيّنت نهاية الوقت الذي كان يوجب على الواحد أن لا يفرَّ من العشرة، وهو تشريع شاق بطبيعته اقتضته ظروف حاسمة لا محيص عنها.

أمّا الآن فقد كثر عدد المسلمين وزاد عتادُهم فلتستقر الأمور على هذه الحال: فإن تكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين. . . الخ الآية. ﴿**ما كان لنبيء أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض**﴾: استئناف ابتدائي مناسب لما قبله، جاء لبيان الأمر الأجدر فيما جرى في شأن الأسرى في وقعة بدر. وجيء بنبيء نكرةً إشارة إلى أنّ هذا حكم سابق في حروب الأنبئاء. وقوله: حتى يثخن في الأرض غاية لهذا الحكم. وجملة ﴿**تريدون عرض الدنيا. .**﴾ واقعة موقع العلة للنهي الذي تضمنته آية ما كان لنبيء، فلذلك فُصِلت: لأنّ العلة بمنزلة الجملة المبيّنة.

وقوله: ﴿**والله يريد الآخرة**﴾ مقابل لما يريدونه من عرض الدنيا. وجملة ﴿**والله عزيز حكيم**﴾ عطف على جملة والله يريد الآخرة، جاء كالتعليل لإفادة أنّ

حظ الآخرة هو الحظ الحق، ولذلك يريده العزيز الحكيم. . . **﴿لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم﴾**: فُصِلَت الآية عما قبلها، فهي مستأنفة لبيان ما سيترتّب على أخذ الفداء لولا ما سبق في علم الله أنْ لاَ يؤَاخذ بخطإ المجتهد في اجتهاده. . . **﴿فكلوا مما غنمتم حلالا طيباً واتقوا الله إنّ الله غفور رحيم﴾**: تفريع على ما سبق لرفع الحرج عما وقع منهم من أخذ الفداء فأباح لهم الانتفاع بما يَغْنَمُونَهُ من العدو بما فيه هذا المال من فداء أسرى بدر. وذُيّلَ ذلك بالأمر بالتقوى؛ لأنّ التقوى شكر الله على ما أنعم من دفع العذاب عنهم.

وجملة إنّ الله غفور رحيم تعليل للأمر بالتقوى، وتنبيه على أنّ التقوى شكر على النعمة. . . **﴿ياأيُّها النبيء قل لمن في أيدكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم﴾**: هذه الآية جاءت مستأنفةً استئنافاً ابتدائياً خوطب بها النبيء ﷺ ليقول للأسرى الذين وقعوا تحت طائلة المسلمين: إن يعلم الله في قلوبكم محبة ورغبة في الإسلام يؤتكم خيراً مما أخذ منكم من مال الفداء من مغانم، ويزيدكم على هذا مغفرة تمحو ما فَرَطَ منكم من ذنوب الشرك والظلم. . . **﴿وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم والله عليم حكيم﴾**: هذه الآية فيها وعد للرسول بالنصر الدائم الثابت، ووعيد لمن يريد خيانته في المستقبل من كل مخادع ناكث. . . **﴿إنّ الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض﴾**: إنّ هذه الآيات تُبيّن الخطوط الرئيسية في العلاقات والارتباطات، فبيّنَتْ أوّلاً علاقات المؤمنين من المهاجرين والأنصار بأنّ بعضهم أولياء بعض، ثم بيّنت حُكْمَ مَنْ آمن ولم يهاجر: **﴿والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا. .﴾** ثم أعطت لهم حكماً خاصاً وهو استنصارهم إن طلبوا الاستنصار على الكفار: **﴿وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير﴾**: فالذين آمنوا ولم يهاجروا قسم ثالث. ثم بيّنت الآيات قسماً رابعاً، وهم فريق الكفار، فليس للمؤمنين عليهم ولاية لأنّ بعضهم أولياء بعض، **﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعض﴾**.

ثم بينت حكم ما لو حصلت ولاية من المؤمنين للكفار. . . **﴿إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير. .﴾** ذلك بأن يتركوا ولاية المؤمنين ويتشبثوا بعلاقاتهم

القديمة. . . ﴿**والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً لهم مغفرة ورزق كريم**﴾: هذه الآية بيّنت حُكْماً آخر للمؤمنين من المهاجرين والأنصار وهو ثبوت الإيمان الحق لهم وجزاء الثواب الجزيل عليه، فليست تكريراً لما سبق من حكم الولاية. . . ﴿**والذين آمنوا من بعدُ وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم**﴾: هذه الآية توضيح لما سبق من قوله: والذين آمنوا ولم يهاجروا. . . الخ، فبيّنت هنا أنّ الذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم. . . ﴿**وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إنّ الله بكل شيء عليم**﴾: هذا حكم يعود بالارتباطات إلى مصدرها الصحيح، فعلاقة المؤمنين بعضهم ببعض مستمدة من علاقات الأرحام التي حكم الله بها في الأزل وأمر بها الناس أن يتقوها كما يتقون الله: واتقوا الله الذي تسّاءلون به والأرحام إنّ الله كان عليكم رقيبا، فتقييد أولوية أولى الأرحام بأنّها في كتاب الله للدلالة على أنّ ذلك حكم فطري قدّره الله وأثبته بما وضع في الناس من الميل إلى قراباتهم. وقوله: إنّ الله بكل شيء عليم تعليل لتقرير أوليّة ذوي الأرحام بعضهم ببعض فيما فيه اعتدادٌ بالولاية.

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

التوجيه الأول: ﴿**واعلموا أنّما غنتم من شيء فأنّ لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير**﴾: في هذا التوجيه نجدُ بَيَاناً عن توزيع الغنائم بعد أن رُدّت ملكيتها ابتداءً لله وللرسول في أول السورة؛ ليعود الرسول ﷺ فيوزعها على المقاتلين وفق شريعة الله. فجاء التعبير هنا بما غنمتم، وجاء التعبير هناك بالأنفال، وميّز العلماء بين الغنيمة وهو ما يأخذه المقاتل من العدوّ في المعركة، وبين النفل، وهو ما يجيء مما ينفله الإمام للمقاتلين أوْ لأحدهم بسبب ما يُظهرُهُ من مغامرة تظهر تَميُّزَه عن غيره من المقاتلين. وأمّا الفيء فهو ما يحصل عليه المسلمون من العدو دون قتال. والآية هنا بيّنت حُكْم الغنيمة التي تؤخذ من العدو بالقتال فتُقسم على خمسة أقسام: قسم لله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل. وأربعة الأخماس للمجاهدين سهمان للفارس وسهم للراجل.

وقد بيّنت كُتُبُ الفقه تفاصيل ذلك في باب الجهاد. ونظراً للارتباط بين الأمر الأول برد الغنائم كلها لله، والأمر الثاني باستيفاء الخمس ومنح الأخماس الأربعة للمقاتلين فإنّه يردهم في هذا الأمر الثاني إلى ذلك الأمر الأول «إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان»، فالمبدأ الأول قائم، والغنائم كلها لله وللرسول أصلاً، وتوزيع أخماسها الأربعة على المقاتلة إنّما هو من فضل الله، لا بحق الغزو والفتح؛ فكانت غزوة بدر التي تمت بتدبير الله وتوجيهه من البداية إلى النهاية فرقاناً؛ فرقاناً بين الحق والباطل، وكانت فرقاناً بين عهدين في تاريخ الدعوة الإسلامية، وكانت فرقاناً بين عهدين في تاريخ البشرية، كانت فرقاناً بين تصورين لعوامل النصر وعوامل الهزيمة. وهكذا كان يوم الفرقان يوم التقى الجمعان، والله على كل شيء قدير.

وفي يوم الفرقان مثل من قدرة الله على كل شيء، مثل لا يجادل فيه مجادل، ولا يماري فيه ممارٍ. وهنا يعود السياق إلى المعركة فيُعيد عرضها، ويبدأ فيرسم موقف الفريقين فيها؛ ويكشف عن تدبير الله في إدارتها، وعن غاية هذا التدبير الذي حققها. . . **﴿إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ليهلك من هلك عن بينة ويحيي من حي عن بينة وإنّ الله لسميع عليم﴾**.

﴿إذ يريكهم الله في منامك قليلاً ولو أراكهم كثيرًا لفشلتم ولتنازعتم في الأمر ولكن الله سلم إنّه عليم بذات الصدور. وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلاً ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمراً كان مفعولاً وإلى الله ترجع الأمور﴾: ذلك أنّ المسلمين لما خرجوا من المدينة نزلوا بضفة الوادي القريبة من المدينة، ونزل جيش المشركين بقيادة أبي جهل على الضفة الأخرى البعيدة من المدينة وبين الفريقين ربوة. أمّا القافلة فقد مال بها أبوسفيان إلى سيف البحر أسفل من الجيش، ولم يكن كلا الجيشين يعلم بموقع صاحبه، ولكن الله جمعهما على جانبي الرّبْوَةِ، حتى لو أنّ بينهما موعداً على اللقاء ما اجتمعا بمثل هذه الدقة: «ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً»، ويُنَفِّذُ مشيئة وراءها غاية. ليهلك من هلك عن بينة ويحيي من حي عن بينة، فالموقعة - كما وقعت - تحمل بيّنة لا تُجْحَدُ، وتدل على تدبير وراء تدبير البشر، وتثبت أنّ لهذا الدين ربّاً يؤيد أصحابه، وأنّه لو

كان الأمر إلى القوة المادية الظاهرة ما هُزم المشركون ولا انتصرت الحفنة المؤمنة هذا الانتصار العظيم!. فمن آمن بعد ذلك فإيمانه عن بينة، ومن كفر فإنما يكفر والبينة بين يديه حاضرة.

ولقد كان من تدبير الله في المعركة أن يُرِي الكافرين للرسول ﷺ قليلاً، فينبئ أصحابه برؤياه فيستبشرون ويتشجّعون على خوض المعركة. والرؤيا صادقة في مدلولها الحقيقي؛ فقد رآهم الرسول قليلاً في عددهم وهم كثير، ولكنهم قليل في قوتهم، قليل في أثرهم، قليل في قيمتهم. ولكن إرادة الله في تدبير المعركة أرتهم للرسول قليلاً في عددهم لإدخال الطمأنينة على قلوب المسلمين، والله عليم بسرائرهم مطلع على قلتهم، وما تحدثه في نفوسهم من أثر، عالم أنّهم لو عرفوا كثرة عددهم لضعفوا عن مواجهته، ولتنازعوا على لقائه، ولكن إرادة الله الغالبة دبّرت ذلك التدبير. وحينما التقى الجمعان تكررت الرؤيا النبوية الصادقة في صورة رؤية عيانية من الجانبين... وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلاً ويقللكم في أعينهم: وفي هذا إغراء للفريقين على خوض المعركة. «ليقضي الله أمراً كان مفعولاً» ولتنفيذ مشِيئَةٍ لابد من نفاذها. «وإلى الله ترجع الأمور» ليُسيّرها ويدبرها، ولا يملك سواه تصريفاً لها ولا تدبيراً.

التوجيه الثاني: ﴿ياأيُّها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون. وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إنّ الله مع الصابرين﴾: في هذا التوجيه يجيء النداء للمؤمنين بالأمر بالثبات عند اللقاء؛ يبيّن لهم عوامل النصر الحقيقية: الثبات عند لقاء العدو، والاتصال بالله بالذكر الكثير، والطاعة لله والرسول، واطّراح النزاع والشقاق، والصبر على تكاليف المعركة، وعدم البطر والبغي والعدوان. فأمّا الثبات فهو بدء الطريق إلى النصر؛ فأَثْبَتُ الفريقين أغلبهما. وما يدري المؤمنون أنّ عدوّهم يعاني أشد مما يعانون؟، وأنّهم لو ثبتوا للحظة فسينهار عدوهم وينخذل؟!.

وما الذي يزلزل أقدام المؤمنين، وهم واثقون من إحدى الحسنيين: الشهادة أو النصر؟. والثبات صفةٌ نفسيةٌ قبل أن تكون حالةً جَسَدية، وهي لازمة للمؤمن في ميدان القتال وفي كل ميدان تتقابل فيه قوة إيمانه وأية قوة من قوى الأرض؛ وفي كل مجال ينازل فيه خصماً. وهو الثبات على العقيدة مهما فتن، وعلى

الطريقة مهما لاقى، وعلى الكيد مهما يدبر الكائدون. وأما ذكر الله كثيراً عند لقاء الأعداء، فهو الاتصال بالقوة الكبرى، والاستعانة بالله ذي الجبروت، والثقة بالله الذي ينصر الحق، واستحضار حقيقة المعركة وأنّها معركة لإعلاء كلمة الله، لا للسيطرة ولا للجاه، ولا للمغانم، ولا للشُهْرَةِ، ولا للشهوة أو النزوة، وأمّا طاعة الله ورسوله، فليدخل المؤمنون المعركة وقد أدوا فرائضهم، وقدموا واجبهم، وأسلموا أمرهم لله ورسوله، ثقة منهم بحكمة تدبيره، وبصدق رسوله. ومن طاعة الله والرسول ينتفي الشقاق والنزاع؛ فأمّا الصبر فهو الصفة التي لابُدَّ منها لخوض أية معركة حربيّةً كانت أو سلميّةً، ومن كان الله معه كان النصر له.

وتبقى الصفة الأخيرة: ﴿**ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط**﴾: تبقى هذه الصفة التي تحمي المؤمن أن يقاتل بَغْياً وعُدْوَاناً، وأن يخرج متبطّراً طاغِياً يتعاجب بقوته، ويستخدم نعمة القوة التي أعطاها الله له في غير ما أرادها الله. وما أراد الله بالجهاد إلاّ رفع البغْي والعدوان، وإقرار العدل والسلام، وضمانة حرية الاعتقاد وحرية العبادة، وحرمة الفرد وحرمة الجماعة. والقوّة نعمةٌ من نعم الله، فالذي يَبْغِي بهذه القوّة ويتجبّر؛ فإنّما يبطر ولا يشكر. ذلك شأن قريش حين خرجت لإنقاذ القافلة، فلما نجت بقيادة أبي سفيان بعث إلى قريش قال: إنّ الله قد نجّى عيركم وأموالكم ورجالكم فارجعوا.

قال أبو جهل: والله لا نرجع حتى نأتي بدراً - وكانت بدر سوقاً من أسواق العرب - فنقيم بها ثلاثاً فنطعم الطعام، وننحر بها الجزر، ونسقي بها الخمر، وتعزف علينا القيان، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا، فلا يزالون يهابوننا أبداً. وهكذا خرج المشركون بطراً ورئاء الناس، فكانت بَدْرُ قاصِمَةَ الظهر لهم، وواقعة النصر للأمّة المؤمنة. وهكذا تكون نهاية كل قوة يبطر أهلها، وتأخذهم الخيلاء بها، وينفقونها في الصد عن سبيل الله. ويمضي السياق يصور وسوسة الشيطان لحزب الباطل؛ وإغراءهم بالمضي في البغي والعدوان، حتى يوردهم موارد التلف، ثم يتخلى عنهم ويدعهم لمصيرهم اليائس ساخراً منهم في ساعة العسرة، مستهزئاً بهم في لحظة الهلاك: ﴿**وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم**

إني أرى ما لا ترون إنّي أخاف الله والله شديد العقاب﴾: إنّه مشهد حيٌّ يصور حالة الكفار يوم بدر، وكل حالة مماثلة يوحي فيها الشيطان، ثم يتوارى عند وقوع المحذور؛ ذلك في الوقت الذي كان المنافقون ومرضى القلوب ينظرون إلى قلة المؤمنين وكثرة المشركين، فَيَهْزَأُونَ بالمسلمين ويتهمونهم بالغرور: ﴿**إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غرّ هؤلاء دينهم ومن يتوكل على الله فإنّ الله عزيز حكيم**..﴾ والمنافقون والذين في قلوبهم مرض لا يدركون حقيقة أسباب النصر وأسباب الهزيمة؛ وهم يرون ظواهر الأمور دون أن تهديهم بصيرةٌ إلى بواطنها، وهم لا يدركون حقيقة القوة الكامنة في العقيدة، وفي العقيدة الإسلامية على وجه خاص، وهي قوة الاعتقاد الواثق وقوة الصلاحية لتنمية الحياة وترقيتها، وقوة الفطرة التي تقوم عليها العقيدة، وكلها قُوًى محجوبة عن ذوي القلوب المريضة، فلا جرم يظنون المسلمين يومئذ مخدوعين في موقفهم، مغرورين بدينهم، واردين موارد التهلكة بأنفسهم.

ومن يتوكل على الله فإنّ الله عزيز حكيم: لَهُ القوّة يمنحها للمتوكلين عليه، وله الحكمة يُدبرُ بها الأمر، ويضع الحق في نصابه. وهكذا كان، وهكذا يكون حيثما التقت قوة الإيمان المطمئنة بقوة الطغيان المُتَبَجِّحَة في كل زمان وفي كل مكان. ومشهد آخر: مشهد الكفار في لحظة الموت توفاهم الملائكة: ﴿**ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق. ذلك بما قدمت أيديكم وأنّ الله ليس بظلام للعبيد**..﴾ في هذه الصورة المنكرة يسلم الكفار أرواحهم أو تُسَلُّ منهم أرواحهم، في هذه الصورة المنكرة: صورة الإهانة والتبكيت والتعذيب؛ يعرضها السياق في هذه الصورة العنيفة.

تلك سنة الله الماضية، التي لا تتخلف ولا تتبدل، وذلك هو المصير المحتوم لكل من يكفر بالله... ﴿**كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم إنّ الله قوي شديد العقاب**﴾: فهي سنة واحدة تمضي، وهو مثل واحد يتكرّر، وما أصاب المشركين في بدر أصاب آل فرعون والذين من قبلهم «كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم» لم يعجزوه ولم يتخلف عنهم عقابُه، إنّ الله قوي شديد العقاب... ولقد آتاهم الله من نعمته، ورزقهم من فضله: فلم يغير ما بهم إلا حين كفروا، وإلاّ حين تجبّروا، فمضت فيهم سنته

الجارية، وقضاؤه النافذ: **﴿ذلك بأنّ الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأنّ الله سميع عليم. كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربّهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون. وكل كانوا ظالمين﴾**: ولابُدّ أن نقف قليلاً عند هذا النص: ذلك بأنّ الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

إنّه من جانبٍ يقرّر عدل الله ورحمته بالعباد؛ فلا يسلبهم نِعْمَةً وهبها إيّاهم إلا بعد أن يغيروا نَوَايَاهُمْ ويُبَدِّلُوا سلوكهم، ويستحقُوا أن يغير الله ما بهم، ومن الجانب الآخر يُكَرِّمُ هذا المخلوق الإنساني أكبر تكريم، حتى لِيَجْعَلَ مشيئة الله في الإنسان تَتِمُّ وتنفذ عن طريق هذا الإنسان ذاته، ويجعل محور التغير في حياة الناس هو قلوبهم ونواياهم، وسلوكهم وأعمالهم. وإنّه لتكريم عظيم لهذا المخلوق وإلاّ فما هو هذا الكائن حتى يعلق الخالق نفاذ مشيئته فيه على نشاطه الذي يُبديه أو يُخفيه؛ وهو في الوقت ذاته تبعةٌ عظيمَةٌ!. ففي يَدِ هذا الكائِنِ مصيُره، وهو يملك أن يستبقي نعمة الله عليه إذا هو عرفه واتجه إليه؛ كما يملك زوال هذه النعمة إذا انحرفت نواياه فانحرفت خطاه. تلك هي سنة الله الجارية في عباده ولن تجد لسنة الله تبديلاً... **﴿إنّ شرّ الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون﴾**.

﴿الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون. فإمّا تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون. وإمّا تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إنّ الله لا يحب الخائنين. ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا إنّهم لا يعجزون﴾: لما كان الكلام السابق عاماً وشاملاً لكل كافر وظالم، انتقل السياق إلى كفار مخصوصين موصوفين بشيء زائد على الوصف العام وهو نقض العهد مع الرسول ﷺ والمراد بهم اليهود والمنافقون وبعض من نقض العهد من كفار العرب. هؤلاء هم شر الدواب عند الله، وجزاؤهم هو حرمانهم الأمن كما حرموا غيرَهم الأمن، وجزاؤهم هو تخويفهم وتشريدهم والضرب على أيديهم بشدّة لا تفزعهم وحْدَهم، بل تفزع من يتسامع بما حلّ بهم ممن وراءهم من الأقوام!. ثم جاء الحكم العام لمعاملة جميع الأقوام الخائنين بعد الحكم الخاص لقوم معيّنين: وإمّا تخافنّ من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إنّ الله لا يحب الخائنين، وإنّما رتّب نبذ العهد على خوف الخيانة دون وقوعها؛ لأنّ شؤون

المعاملات السياسية والحربية تجري على حسب الظنون ومخائل الأحوال، ولا ينتظر تحقق وقوع الأمر المظنون، وهو أَخْذٌ بالاحتياط، صيانة للأمر قبل الوقوع في المحذور!. ثم تأتي بعد ذلك الكلمة النهائية في الموضوع تطميناً وتسلية للرسول، وتهديداً وتوهيناً لمن نقض وأخلف وحسِبَ أنّه تجاوز مرحلة الخطر: ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا إنّهم لا يعجزون.

التوجيه الثالث: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم﴾: في هذا التوجيه الأمر بالاستعداد واتخاذ القوّة اللازمة على اختلاف صنوفها وألوانها وأسبابها. ويخص رباط الخيل هنا؛ لأنّه الأداة التي كانت بارزة عند من يخاطبهم بهذا القرآن أول مرة، والمهم هو عموم النص واتجاهه إلى إعداد كل قوة مستطاعة، ومنها قوة العقيدة والتربية والخلق والتنظيم؛ فالوسائل المادية وحدَها ليست هي التي تفصل في المعارك، والأعصاب أحياناً تكون هي القوة الفاصلة؛ وما يثبت الأعصاب ويقوّيها كالعقيدة التي تربط القلوب بالله، وتصل قوة المجاهدين بالقوة الكبرى التي لا تُغْلَبُ، وتمد الأرواح بالينبوع الدافق الذي لا ينضب!.

وبهذه القوة يُرْهِبُ المسلمون عدوَّهم المعلوم لهم وغير المعلوم لهم من كفار العرب وكفار العجم، والسابق واللاحق من جميع الأمم!. ولمّا كان إعداد القوة يستدعي إنفاقاً، وكانت النفوس شحيحة بالمال، تكفّل الله للمنفقين في سبيله [خلاف ما أنفقوه والإثابة عليه فقال: **﴿وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون﴾**. وهكذا يجرّد الإسلامُ الجهاد من كل غاية أرضية، ومن كل دافع شخصيّ يتمحّص خالصاً لله، لتحقيق كلمة الله، ابتغاء رضوان الله. ومن ثَمَّ ينفي الإسلام من حسابه - منذ الوهلة الأولى - كلَّ حرب تقوم للاستغلال وفتح الأسواق!. وكل حرب تقوم على أمجاد الأشخاص والدولات، وكل حرب تقوم للقهر والإذلال، وكل حرب تهدف إلى تسويد طبقة على طبقة وجنس على جنس أو وطن على وطن. ويستبقي نوعاً واحداً من الحرب، وهي الحرب الفاضلة لإعلاء كلمة الله، وكلمة الله لا تحابي جنساً ولا وطناً ولا شعباً ولا طبقةً، ولا أسرةً ولا شخصاً، إنّما تحكم في البشر بمقياس واحدٍ لا يتبدل: إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم، وتريد للبشر خيراً واحداً لا يتعدد... وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين.

تلك صفحة في كتاب الإسلام؛ صفحة الجهاد، تقابلها الصفحة الأخرى، صفحة السلم لمن يجنح إلى السلم ويختار المهادنة: **﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنّه هو السميع العليم. .﴾** فهؤلاء الذين يشهرون على الإسلام حرْباً شعواء، هؤلاء الذين يتربصون بالمؤمنين الدوائر، هؤلاء الذين آذوا المسلمين أشدّ الإيذاء، هؤلاء إن جنحوا للسلم فاجنح لها، إنّه دين السلام الذي لا يحارب إلاّ لرد البشرية إلى السلام القائم على العدل والحق والحرية والفضيلة والكرامة لكل بني الإنسان. والأمر بالتوكل على الله بعد الأمر بالجنوح إلى السلم ليكون النبيء ﷺ معتمداً في جميع شأنه على الله تعالى، ومفوضاً إليه تسيير أموره؛ لتكون مُدّة السلم مُدّة تقوٍّ واستعداد، ويَكْفِيَهُ شرَّ عدوه إذا نقضوا العهد، ولذلك عقب الأمر بالتوكل بتذكيره بأنّ الله هو السميع العليم. **﴿وإن يريدوا أن يخدعوك فإنّ حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألّف بينهم إنّه عزيز حكيم﴾**: لما كان طلب السلم والهدنة من العدو قد يكون خديعة حربية، ليغرّوا المسلمين بالمصالحة، ثم يأخذوهم على غرّة، أيقظ اللهُ رسولَه لهذا الاحتمال فأمره بأن يأخذ الأعداء على ظاهر حالهم، ويحملهم على الصدق؛ لأنّه الخُلق الإسلامي، وشأن أهل المروءة. وهذا الأصل، وهو أخذ الناس بظواهرهم شعبة من شعب دين الإسلام، والمعنى هنا: فإن كانوا يريدون من إظهار ميلهم إلى المسالمة خديعةً فإنّ الله كافيك شرهم.

وإنّ الله قد نصرك من قبل، وقد كنت يومئذ أضعفَ منك اليوم، وأنت اليوم في قوّة من الله يؤيدك، وبكثرة من المؤمنين معك، وجعل لك منهم قوّة موحّدة بعد أن كانت قلوبهم شتى، وعداوتهم جاهزة، وبأسهم بينهم شديداً. هذه الأمة التي ألف الله بين قلوبها، وجمعها على قلب رجل واحد بعد الفرقة والعداوة والشتات، وحقّق فيها معجزة وقوع المستحيل في عرف الواقع والناس.

التوجيه الرابع: ﴿ياأيُّها النبيء حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾: هذا التوجيه ينتظم بما قبله من التذكير بعجيب صنع الله والامتنان بعنايته برسوله والمؤمنين. . وإظهار أنّ النجاح والخير في طاعته وطاعة الله، من أول السورة إلى هنا؛ فموقع هذه الآية بعد التي قبلها كامل الاتساق والانتظام، فإنّه لما أخبره بأنّه حَسْبُهُ وكافيه، وبين ذلك بأنّه أيده بنصره فيما مضى وبالمؤمنين، فقد صار

للمؤمنين حظ في كفاية الله ورسوله، فلا جرم أنتج ذلك أنّ حسْبَه الله والمؤمنون. . . **﴿ياأيُّها النبيء حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن تكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنّهم قوم لا يفقهون﴾**: أعيد نداء النبيء ﷺ للتنويه بشأن الكلام الوارد بعد النداء.

وهذا الكلام في معنى المقصد بالنسبة للجملة التي قبله. . لأنّه لمّا تكفّل الله له الكفاية، وعطف المؤمنين في إسناد الكفاية إليهم، احتيج إلى بيان كيفية كفايتهم، وهذا الخبر كفالة للمسلمين بنصر العدد منهم على عشرة أمثاله من عددهم، وهذا يستلزم وجوب ثبات العدد منهم لعشرة أمثاله، وهو من هذه الناحية التشريعية حُكْمٌ شديدٌ شاق اقتضته قلّةُ عدد المسلمين يومئذ وَكثرة عدد المشركين. . . **﴿الآن خفف الله عنكم وعلم أنّ فيكم ضعفاً فإن تكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين﴾**: هذا التخفيف جاء بعد الحكم الأول مراعاة لما يقتضيه الحال من قلة وكثرة، فكان التخفيف الآن مناسباً ليسر هذا الدين روعي في هذا الوقت ولم يراع قبله لمانع منع من مراعاته، وهذا الحكم الأخير ماضٍ لن يلحقه تغيير. . . **﴿ما كان لنبيء أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم. لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً واتقوا الله إنّ الله غفور رحيم. ياأيُّها النبيء قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم. وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم والله عليم حكيم﴾**: هذه الآيات جاءت بمناسبة أسرى بدر الذين استقر رأي أكثر المسلمين على فدائهم بالمال، فكان هذا الرأي لم يأت في الوقت المناسب باعتبار أن المشركين لازالوا في وفرة من العدد والعدّة، ففداؤهم بالمال لا يفيد الإسلام مثل سَحْقِهِم وتَدْميرهم حتى لا تبقى لهم قوة يناهضون بها المسلمين، ولهذه الظروف يشير النص إلى الإثخان في الأرض: ما كان لنبيء أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض، ولذلك عرّض القرآن بالمسلمين الذين قبلوا الفداء في أسرى المعركة الأولى: تريدون عرض الدنيا؛ فقبلتم المال وأطلقتم الأسارى. والله يريد الآخرة، ويوجهكم إليها لتكون هَدَفَكُم الوحيد، فتعملوا لها وحدها، بإعلاء كلمة الله وتثبيت دينه في الأرض، وإضعاف أعدائه الذين يصدُّون عن سبيله، بتقليل عددهم بالأسر والتقتيل، والله عزيز حكيم، قدّر لكم النصر

وقدّر لكم المغفرة، ومن ثَمَّ عفا عنكم فيما مضيتم فيه من أسرى بدر، وأعفاكم من عذابه جزاء على السير في هذا الطريق: لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم!. ثم زادكم الله من فضله فأحل لكم الغنائم، وكانت محرمة في الديانات قبل الإسلام: فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً، ولكن مع استشعار التقوى ومع رقابة الله: واتقوا الله إنّ الله غفور رحيم.

ثم يلمس قلوبَ الأسرى لمسة تحيي فيها الرجاء، وتطلق فيها الأمل، وتشيع فيها النور، وتعلقها بمستقبل خير من الماضي، وبحياة أكرم مما كانوا فيه، وبكسب يُرجِّحُ ما فقدوا من مال وديار، وبعد ذلك كله بالمغفرة والرحمة من الله: ياأيُّها النبيء قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم. هذا الخير كله معلّق بأن تصلح قلوبهم، فيعلم الله أنّ فيها خيراً وأنّ فيها خَصْباً، وأنّ فيها نداوة، وأنّ فيها استعداداً لحضانة البذرة الطيبة والغرسة الكريمة: بذرة الحق وغرسة الإيمان. وفي الوقت الذي يفتح اللهُ للأسارى نافذة الرجاء المشرق الرحيم يحذرهم خيانة الرسول كما خانوا الله من قبل فلاقوا هذا المصير: وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم والله عليم حكيم.

التوجيه الخامس: ﴿**إنّ الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض**﴾: في هذا التوجيه عَرْضٌ شامل لمنازل المهاجرين والأنصار، والمؤمنين الذين لم يهاجروا، ثم من بقي على كفره؛ فابتدأت ببيان فريقين اتحدت أحكامهم في الولاية والمواساة حتى صاروا بمنزلة فريق واحد، وهؤلاء هم فَريقَا المهاجرين والأنصار، أولئك بعضهم أولياء بعض، بكل ما تعطي الولاية من معانٍ واعتبارٍ. ولمّا بيّن أوّلَ الآية ما لأصحاب الوصفين – الإيمان والهجرة من الفضل وما بينهم من الولاية – انتقلت إلى بيان حال الفريق الذي يقابل أصحاب الوصفين وهو فريق ثالث... ﴿**والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير**﴾: هذه الجمل بيّنت حُكْم المؤمنين الذين لم يهاجروا فأثبتت لهم وصف الإيمان، وأمرت المهاجرين والأنصار بالتبرئ من ولايتهم حتى يهاجروا، فلا يثبت بينهم حكم الولاية إلا إذا طلبوا النصر على قوم فتنوهم في دينهم، فيجب حينئذ نصرهم على من فتنوهم ما لم يكن بينهم وبين المسلمين عهد، فالعهد يجب إيفاؤُه، والله

بما تعملون بصير. . . ﴿**والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير**﴾: هذا بيان لحكم القسم المقابل لما تقدم من الأقسام الثلاثة، والغرض من بيان موالاة الكفار بعضهم لبعض منع المؤمنين من ولايتهم لأنّ في ولايتهم فتنة للضعفاء، وفساد في الأرض من ذوي الأهواء؛ فلابُدَّ من المقاطعة الكاملة بين المؤمنين والكافرين.

والمقصود من هذا أيضاً إيجاد الجامعة الإسلامية التي أنيط بها مسؤولية نشر الدعوة والذود عنها سرّاً وعلانية مسؤوليه كاملة، وإنّما يظهر كمالها بالْتِفافِ أهلها الْتِفَافاً واحِداً، وتجنب ما يُضَادُّهَا؛ فإذا لم يقع ذلك ضَعُفَ شأنُ جماعتهم في الرأي وفي القوة، وذلك فساد كبير. . . ﴿**والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً لهم مغفرة ورزق كريم**﴾: هذه الآية جاءت للتنويه بالمهاجرين والأنصار، وبيان جزائهم وثوابهم بعد بيان أحْكَامِ ولاية بعضهم لبعض، فليست هذه تكريراً للأولى، وإن تشابهت ألفاظها؛ فالأُولَى لبيان ولاية بعضهم لبعض، وهذه واردة للثناء عليهم والشهادة لهم بصدق الإيمان مع وعدهم بالجزاء. . . ﴿**والذين آمنوا من بعدُ وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم**﴾: المقصود من هذا الكلام بيان حكم الذين آمنوا ولم يهاجروا ولم يجاهدوا قبل هذا البيان؛ فإن هاجروا وتركوا دار الكفر وجاهدوا مع المهاجرين والأنصار فصاروا بعد نزول هذا الحكم من المؤمنين الصادقين فأولئك منكم فلهم ما لكم وعليهم ما عليكم. . . ﴿**وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إنّ الله بكل شيء عليم**﴾: ختمت هذه الآية ببيان أنّ الأرحام صلة وثيقة بين الناس فلها اعْتِبارُها في حكم الإسلام بشرط ألا تتعارض مع العقيدة التي جاء بها الإسلام. فاجتمعت هنا ولاية الإسلام مع ولاية الأرحام بحيث لا تزاحم إحدى الولايتين الأخرى. والاعتناء بهذا البيان مُؤْذِنٌ بما لِوَشائِج الأرحام من الاعتبار في نظر الشريعة فلذلك علقت أولية الأرحام بأنّها ثابتة أزلاً في كتاب الله. وهذا الحكم أشارت إليه أول سورة النساء: «ياأيُّها الناس اتقوا ربّكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إنّ الله كان عليكم رقيباً». وبهذا التوجيه العجيب ختمت سورة الأنفال.

2 ـ نهاية المطاف في حسم ما بين العرب من الخلاف



النص

بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ (1) فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ (2) وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (3) إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (4)

* فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (5) وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ (6)

كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ
رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ
فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ
ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ
إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ
قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾ ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ
ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ
فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾
۞ وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ
فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ
يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟
بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ
فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾
قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ
عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ
قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾

أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟
مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ
وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿16﴾ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ
أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ
حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿17﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ
مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ
وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ
ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿18﴾ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ
كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ
عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿19﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ
دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿20﴾
يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا
نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿21﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ
عَظِيمٌ ﴿22﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ
أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم
مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿23﴾ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ
وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ

وَأَمْوَالٌ اِقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا
وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اَ۬للَّهِ وَرَسُولِهِۦ
وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ اَ۬للَّهُ بِأَمْرِهِۦ
وَاللَّهُ لَا يَهْدِي اِ۬لْقَوْمَ اَ۬لْفَاسِقِينَ ﴿24﴾ * لَقَدْ نَصَرَكُمُ اُ۬للَّهُ فِي مَوَاطِنَ
كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ
عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ اُ۬لْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ
ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿25﴾ ثُمَّ أَنزَلَ اَ۬للَّهُ سَكِينَتَهُۥ
عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى اَ۬لْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا
وَعَذَّبَ اَ۬لَّذِينَ كَفَرُواْ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ اُ۬لْكَٰفِرِينَ ﴿26﴾
ثُمَّ يَتُوبُ اُ۬للَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿27﴾ يَٰأَيُّهَا اَ۬لَّذِينَ ءَامَنُواْ إِنَّمَا اَ۬لْمُشْرِكُونَ
نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ اُ۬لْمَسْجِدَ اَ۬لْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا
وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اُ۬للَّهُ مِن فَضْلِهِۦ
إِن شَآءَ إِنَّ اَ۬للَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿28﴾ قَٰتِلُواْ اُ۬لَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ اِ۬لْأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ
مَا حَرَّمَ اَ۬للَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ اَ۬لْحَقِّ
مِنَ اَ۬لَّذِينَ أُوتُواْ اُ۬لْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ اُ۬لْجِزْيَةَ عَن يَدٍ
وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿29﴾ وَقَالَتِ اِ۬لْيَهُودُ عُزَيْرٌ اِبْنُ اُ۬للَّهِ

وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم
بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ
قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿30﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ
وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ
مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ
لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿31﴾
يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى
ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿32﴾
هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ
عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿33﴾
* يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ
لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ
وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا
فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿34﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ
عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ
وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ
فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿35﴾ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ
عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿36﴾ إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿37﴾

البيان

مبحث المفردات اللغويّة

﴿**براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين**﴾: البراءة: الخروج والتفصي مما يتعب ورفع التبعة، وهو إعذارٌ وإنذارٌ من الله ورسوله إلى المعاهدين من المشركين... ﴿**فسيحوا في الأرض أربعة أشهر**﴾: السياحة: حقيقتها السير في الأرض، والمعنى: فسيحوا آمنين حيثما شئتم من الأرض، وأصل السيح جريان الماء على وجه الأرض، ويطلق السيح على السير في الأرض للعبادة، ومنه سمي المسيح ابن مريم مسيحاً. والأربعة الأشهر هنا: شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرّم... ﴿**واعلموا أنّكم غير معجزي الله**﴾: المعجز: اسم فاعل من أعجز فلاناً إذا جعله عاجزاً عن عملٍ ما، فلذلك كان بمعنى الغالب والفائت الخارج عن قدرة أحد، فالمعنى: تيقنوا أنّكم غير خارجين عن قدرة الله، ولكنه أمكنكم ولو شاء أوقعكم في الخوف والبأس... ﴿**وأنّ الله مخزي الكافرين**﴾: الإخزاء: الإذلال، والخِزْيُ: الذل والهوان، فالمعنى: أنّ الله مُقَدِّرٌ للكافرين الإذلال بالقتل والأسر وعذاب الآخرة، ماداموا متلبسين بوصف الكفر... ﴿**وأذان من الله**

ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أنّ الله بريء من المشركين ورسولُه﴾: الأذان: اسم مصدر آذنه إذا أعلمه بإعلان، فهو بمعنى الإيذان المصدر الأصلي للكلمة. والمراد بالناس: جميع من حضر من المؤمنين والمشركين.

ويوم الحج الأكبر: يوم النحر، وهو المشهور عن أكثر العلماء... **﴿فإن تبتم فهو خير لكم﴾**: إن آمنتم فالإيمان خير لكم من العهد الذي كنتم عليه... **﴿وإن توليتم فاعلموا أنّكم غير معجزي الله﴾**: التولي: الإعراض عن الإيمان... **﴿وبشر الذين كفروا بعذاب أليم﴾**: العذاب الأليم: هو عذاب القتل والأسر والسبي وفَيْء الأموال... **﴿إلاّ الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا﴾**: الاستثناء راجع إلى ما تقدم، والموصول هنا يعم كل من تحققت فيه الصلة، وحرف ثم للتراخي الرتبي. والنقص لشيء: إزالة بعضه، وكلمة (شيئا) نكرةٌ عامة... **﴿ولم يظاهروا عليكم أحداً﴾**: المظاهرة: المعاونة، مشتقة من الظهر؛ لأنّ الظَهْريَة القوّة، مثل المعاضدة من العضد، والمساعدة من الساعد، والتأييد من اليد، والمكاتفة من الكتف... **﴿فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم﴾**: المدّة: الأجل، مشتقة من المدّ؛ لأنّ الأجل مدٌّ في زمن العمل بالعهد المضروب... **﴿فإذا انسلخ الأشهر الحرم﴾**: انسلاخ الأشهر: انقضاؤها وتمامها، وهو مطاوع سلخ، وأصله: إزالة جلد الحيوان عن لحمه، ثم شاع هذا الإطلاق حتى صار حقيقة لكل إزالة... **﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد﴾**: الأخذ: الأسر.

والحصر: المنع من دخول أرض الإسلام إلا بإذن من المسلمين. والقعود الثبات في المكان والملازمة له. وكل مرصد: عموم المراصد المظنون وجودهم فيها، والمرصد: مكان الرصد. والرصد: المراقبة وتتبع النظر، وكلّ مستعملة في تعميم المراصد المظنون مرورهم بها... **﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إنّ الله غفور رحيم﴾**: المراد بالتوبة هنا: التوبة عن الشرك والرجوع إلى الإيمان. وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة شرط في كفّ القتال عنهم إذا آمنوا. وتخلية سبيلهم: تركهم وعدم التعرض لهم بسوء... **﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه﴾**: أحد: أصله واحد؛ لأنّ همزته بدل من الواو.

والاستجارة: طلب الجوار، وشاع في طلب الأمْن، وهو المراد هنا. وكلام الله: القرآن. والمأمن: مكان الأمن... **﴿كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله﴾**: إنكار على استمرار العهد الذي كان بين المسلمين وبين بعض المشركين... **﴿إلاّ الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إنّ الله يحب المتقين﴾**: هذا عهد خاص لقوم خاصين في مكان خاص استثناه الله لأجل حكم خاص؛ فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم، فالاستثناء هنا له حرمة زائدة لوقوعه عند المسجد الحرام... **﴿كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلاً ولا ذمّة﴾**: كيف هنا مثل كيف التي سبقتها. وإن يظهروا عليكم: ينتصروا.

لا يرقبوا: لا يوفوا ولا يراعوا، يقال: رقب الشيءَ إذا نظر إليه نظر تعهد ومراعاة. والإلّ: الحلف والعهد، ويطلق على النسب والقرابة. والذمة: ما يمت به من الأواصر من صحبة وخلة وجوار... **﴿يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون﴾**: يقولون لكم ما يرضيكم، وهو مجرد ألفاظ يتفوهون بها من غير أن يكون لها مصداق في قلوبهم، فهي أبيّة ممتنعة. والفسق هنا: الخروج عن الكمال العرفي بين الناس.. **﴿اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً فصدوا عن سبيله﴾**: أخذوا بدل الآيات الدالة على صدق الدعوة ثمنا قليلاً تافهاً إرضاءً لشهواتهم، فصاروا حَجْرَ عَثْرَةٍ في طريق من يريد الدخول في هذا الدين... **﴿إنّهم ساء ما كانوا يعملون﴾**: إنّهم بهذا العمل ظهرت مساويهم الظاهرة والخفية، **﴿لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمّة وأولئك هم المعتدون...﴾** تقدم معنى هذه الكلمات قريباً.

والاعتداء: تجاوز الغاية القصوى في الظلم والشر والطغيان. **﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين﴾**: سبق معنى هذه الكلمات قريباً. والمراد بالإخوان هنا: المودّة والصداقة والموالاة... **﴿ونفصل الآيات لقوم يعلمون﴾**: تفصيل الآيات: تبيينها وتوضيحها. والآيات: آيات القرآن... **﴿وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنّهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون﴾**: النكث: نقض العهد، والمراد به هنا: نقض العهد الذي أبرموه مع المسلمين ووثّقوه بالأَيْمَانِ. والطعن في الدين: القدح فيه بصريح التكذيب، وأصل الطعن: خرق الجسم بشيء محدد.

وأئمة الكفر: زعماؤهم وقادتهم... **﴿ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم وهموا**

بإخراج الرسول وهم بدءوكم أوّل مرّة﴾: تحضيض على قتال المشركين الذين نقضوا العهد وبيتوا المكر بالرسول.. وبدأوا بالقتال أوّلاً... **﴿أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين﴾**: هذا زيادة في التحريض على قتالهم، فلا تخشوهم فالخشية من الله وحده... **﴿قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم﴾**: المراد بالتعذيب هنا: تعذيب القتل والجراحة التي تحصل للمشركين بأيدي المؤمنين. والإخزاء: الإذلال والإهانة بالأسر. والنصر: حصول عاقبة القتال المرجوّة.

والشفاء: إزالة ما في النفوس من تعب الغيْظ والحقد. والغيظ: الغضب المشوب بإرادة الانتقام... **﴿أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة﴾**: الحسبانَ هنا: الظن. والترك: افتقاد الشيء وتعهده، والمعنى: لا تحسبوا أن تتركوا دون جهاد لأعداء الله ورسوله. ومعنى علم الله بالذين جاهدوا: علمه بوقوع ذلك منهم وحصول امتثالهم. والوليجة: الفعلة التي يخفيها صاحبها، والمراد بها هنا: ما يشمل الخديعة وإغراء العدو بالمسلمين، وأصل الوليجة: الدخيلة، والخاصّة من الرجال، ومن يُتخذ للاعتماد عليه من الغير... **﴿ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله﴾**: عمارة المساجد: العبادة فيها لله وحده.

والمشرك لا يكون عابداً لله؛ لأنّ الشرك ينافي العبادة الحق... **﴿شاهدين على أنفسهم بالكفر﴾**: حيث أشركوا مع الله غيره؛ فاتخذوا الأصنام أرباباً من دون الله وتقربوا إليها بالعبادة. والمساجد لا تكون لغير الله... **﴿أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون﴾**: هؤلاء المشركون فسدت أعمالهم بالشرك واستحقّوا الخلود في النار يوم القيامة... **﴿إنّما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلاّ الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين﴾**: إنّما يعمر مساجد الله حقاً من وُجِدَت فيه هذه الأوصافُ كلُّها فهؤلاء هم المهتدون حقاً، فلا عبرة بالادّعَاء الكاذب... **﴿أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين﴾**: السقاية: صيغة للصناعة، والمراد هنا: تهيئة الماء للحاجّ. والعمارة: صناعة التعمير، وهي القيام بما يلزم المسجد

الحرام بالإصلاح والحراسة، وكانت هذه عندهم من أجلّ الخدمات، حتى توهّموا أنّ هذين العملين يعدلان الجهاد فنفى هذا التوهم... ﴿**الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون**﴾: الذين هاجروا: هم المؤمنون من أهل مكة وما حولها، الذين هاجروا منها إلى المدينة، وأصل المهاجرة: ترك الوطن والحلول ببلد آخر، وهي مشتقة من الهجر بمعنى الترك. وأعظم درجة عند الله: أرفع منزلة وأعز مكرمة وأشرف قدراً عند الله.

والفوز: نَيْلُ المطلوب من أَعَزِّ محبوب... ﴿**يبشرهم ربّهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبداً إنّ الله عنده أجر عظيم**﴾: التبشير: الإخبار بخير يحصل للمُخْبَر لم يكن عالماً به. والرضوان: الرضا الكامل الشامل، وبقية الكلمات ظاهر معناها... ﴿**ياأيُّها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء**﴾: نَهْيٌ لكل فرد من أفراد المخاطبين عن موالاة فرد من المشركين بقضية مقابلة الجمع بالجمع الموجبة لانقسام الآحاد إلى الآحاد... ﴿**إن استحبوا الكفر على الإيمان**﴾: اختاروه وأصرُّوا عليه إصراراً لا يرجى معه الإقلاع عنه أصلاً... ﴿**ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون**﴾: ومن يتول من المؤمنين الآباء والأبناء الكافرين ظاهراً أو باطناً فقد خالف الأمر وتعدى الحد الذي حدّه الله... ﴿**قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحبَّ إليكم من الله ورسوله وجهادٍ في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره**﴾: جَمَعَتْ هذه الآيةُ أصنافاً من العلاقات وذَوِيِّها، من شأنها أن تألفها النفوس وترغب في القرب منها وعدم مفارقتها، ومفردات الآية اللغوية ظاهرٌ لكل عربي... ﴿**لقد نصركم الله في مواطن كثيرة**﴾: مواطن: جمع موطن، وأصل الموطن مكان التوطّن، ويطلق على مقام الحرب وموقفها... ﴿**ويوم حنين**﴾: حنين اسم واد بين مكة والطائف، وفيه حصلت المعركة بين المسلمين وبين هوازن وثقيف بعد فتح مكة... ﴿**إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا**﴾: الإعجاب: الزهو والتكبر بما يَرى من قوة أو كثرة فلم ير لنفسه ما يحتاج إليه.

والإغناء: إعطاء ما يدفع به الحاجة، والمعنى: لم تُعْطِكُمْ كثرتكم التي

اعتمدتم عليها ما تدفعون به حاجتكم شيئا من الإغناء. . . **﴿وضاقت عليكم الأرض بما رحبت﴾**: لا تجدون في الأرض مقرّاً تطمئن إليه نفوسكم من شدة الرعب ولا تثبتون فيها كمن لا يَسَعُهُ مكان، والضيق: ضد الرحب. **﴿ثم وليتم مدبرين﴾**: التولي: الرجوع. والإدبار: الفرار. . . **﴿ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين﴾**: السكينة: الثبات والاطمئنان في القلب والنفس. . . **﴿وأنزل جنوداً لم تروها﴾**: الجنود: جمع جند، والجند: اسم جمع لا واحد له من لفظه، وهو الجماعة المهيئة للحرب، والمراد بالجنود هنا: جماعات من الملائكة موكلون بهزيمة المشركين كما دل عليه فِعْلُ أنزَلَ. . . **﴿وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين﴾**: تعذيب الكافرين هنا: القتل والأسر والسبي. . . **﴿ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم﴾**: توبة الله قبوله التائبين، وقد حصلت التوبة من هوازن فأسلموا وحسُن حالهم فرد النبيء عليهم ما أُخِذَ من السبي. . . **﴿ياأيُّها الذين آمنوا إنّما المشركون نجس﴾**: نَجَسٌ: صفة مشبهة، اسم للشيء الذي النجاسة صفة ملازمة له، وهي نجاسة معنوية تتعلق بالنفس، وليست نجاسة ذاتية تتعلق بالجسم. . . **﴿فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا﴾**: فلا يحجُّ بعد هذا العام - وهو عام تسعة من الهجرة - مشرك. . . **﴿وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء إنّ الله عليم حكيم﴾**: العيلة: الاحتياج والفقر بقلة ما يُجلَبُ من الأقوات. . . **﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾**: أمر الله المؤمنين بقتال أهل الكتاب بعد الأمر بقتال المشركين؛ لأنّهم تعدوا ما فعل المشركون، فهم مثلهم في معاداة الإسلام والمسلمين وإعطاء الجزية بمال يأخذه المسلمون من أهل الكتاب مقابل أمنهم وبقائهم تحت حكم المسلمين. . . **﴿وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله﴾**: عزيْر: حَبْرٌ من أحبار اليهود الذين كانوا في الأسر البابلي.

والمسيح: عيسى ابن مريم. . . **﴿ذلك قولهم بأفواههم﴾**: هذا القول على عزير والمسيح مُجَرَّدُ قول باللسان يردده اليهود والنصارى من غير حق وصدق، فهو قول باطل وافتراءٌ على الله. . . **﴿يضاهون قول الذين كفروا من قبل﴾**!: إنّ هذا القول الباطل مشابه لقول الكافرين من قبل، فقد كان كثير من الأمم يعتقدون

ويقولون على ملوكهم: إنّهم أبناء السماء. . . ﴿**قاتلهم الله أنّى يؤفكون**﴾: هذه الجملة دعاء مستعمل في التعجيب، ومعنى يؤفكون: يُصْرَفُونَ، يُقال: أفكه يأفكه إذا صرفه، والإفك بمعنى الكذب، قد جاء من هذه المادة؛ لأنّ الكاذب يصرف السامع عن الصدق. . . ﴿**اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم**﴾: الضمير في قوله: اتخذوا لليهود والنصارى.

والأحبار: جمع حَبْر، وهو العالم من اليهود. والرهبان: اسم جمع لراهب وهو التقيّ المنقطع للعبادة من النصارى، ومعنى اتخاذهم أرباباً من دون الله: أنّهم اتخذوهم أرباباً دون أن يفردوا الله بالوحدانية، وتخصيص المسيح بالذكر؛ لأنّ تأليه النصارى إيّاه أشنع وأشهر. . . ﴿**وما أمروا إلاّ ليعبدوا إلها واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون**﴾: لم يأمر اللهُ اليهودَ والنصارى في التوراة والإنجيل إلاّ بعبادة الله وحده. والتسبيح هنا: التنزيه عن شركهم بما فعلوا وقالوا. . ﴿**يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون**﴾: الضمير في قوله: يريدون عائد إلى الذين أوتوا الكتاب. والإطفاء: إبطال الإسراج وإزالة النور يُنفَخُ عليه. والنور: الضوء، والمراد به: دين الإسلام.

والإباء: الامتناع من الفعل. والإتمام: بمعنى الزيادة والانتشار. والكره في قوله: ولو كره: التألب والتظاهر على مقاومة الدين وإبطاله. والكافرون: هم اليهود والنصارى. . . ﴿**هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون**﴾: الرسول: محمد ﷺ. والهدى: القرآن. ودين الحق: الإسلام، وفعل الإظهار إذا عُدّي بعلى كان متضمناً معنى النصر، والمشركون هنا أعم من قوله: الكافرون هناك، فيشمل كل كافر ومشرك وملحد ومنافق. . . ﴿**ياأيُّها الذين آمنوا إنّ كثيراً من الأحبار والرهبان**﴾: تقدم معناهما قريباً. . . ﴿**ليأكلون أموال الناس بالباطل**﴾: يأخذونها بدون وجْهٍ شرعي. . . ﴿**ويصدون عن سبيل الله**﴾: يمنعون غيرهم عن الدخول في دين الإسلام. . . ﴿**والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم**﴾: الكنز: ادّخار المال، والمال: المعبر عنه هنا بالذهب والفضة. وإنفاق المال في سبيل الله: صرفه في وجوه الخير، والوعيد منوط بالكنز وعدم الإنفاق؛ فبشرهم بعذاب أليم نتيجة للكنز وعدم الإنفاق كما أمر الله. . . ﴿**يوم يحمى عليها في نار**

جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾: الحَمْيُ: شدَّة الحرارة، يقال: حَمِيَ الشيء إذا اشتدّ حرّه. والكي: أن يوضع على الجلد جمر أو شيء مشتعل.

والجباه: جمع جبهة، وهي أعلى الوجه مما يلي الرأس. والجنوب: جمع جنب، وهو جانب الجسد من اليمين واليسار. والظهور: جمع ظهر، وهو ما بين العنفقة إلى منتهى فقار العظم... هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون: يقال لهم هذا الكلام يوم يحمى عليها في نار جهنم. والذوق: إحساس الألم، وأصل الذوق: اختبار الطعم... **﴿إنّ عدّة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض﴾**: الشهور: جمع شهر، والشهر ثلاثون يوماً أو تسع وعشرون بالشهر القمري، واثنا عشر شهراً في العام. وعند الله: معناه، في حكمه وتقديره.

وفي **﴿كتاب الله﴾**: معناه، في حكمه الشرعي المنزّل على رسله، وهذه الأشهر معلومة بأسمائها عند العرب... **﴿منها أربعة حرم﴾**: الأربعة الحرم: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب... **﴿ذلك الدين القيم﴾**: الإشارة إلى المذكور من عدة الشهور الاثنا عشر. والدين: النظام المنسوب إلى الخالق الذي يدان الناسُ به. والقيّم: المستقيم الذي لا اعوجاج فيه... **﴿فلا تظلموا فيهن أنفسكم﴾**: ظلم النفس: هو فعل ما نهى الله عنه وتوعّد عليه... **﴿وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أنّ الله مع المتقين﴾**: كافة: كلمة تدل على العموم والشمول بمنزلة كل، وهي كلمة لا تدخل عليها أل ولا تُضاف ولا يلحقها علامة تأنيث ولا جمع... **﴿إنّما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدّة ما حرّم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين﴾**: النسيء عند العرب: تأخير يجعلونه لشهر حرام فيُصيّرُونَه حلالا، ويحرمون شهراً آخر من الأشهر الحلال عوضاً عنه في عامه، وهو ضلال مستمر وزيادة في أنواع الكفر. والمواطأة: الموافقة، يقال: واطأه على كذا إذا وافقه. وعدّة ما حرّم الله: هي عدّة الأشهر الحرم الأربعة. وتزيين سوء العمل: تحسينه في أعينهم فيستمرون عليه.

مبحث الإعراب

﴿**براءة**﴾ خبر لمبتدإ محذوف، والتقدير: هذه براءةٌ. ﴿**من الله**﴾ متعلق بمحذوف صفة لبراءة. ﴿**ورسوله**﴾ معطوف على الله. ﴿**إلى الذين**﴾ متعلق بمحذوف وقع صفة لبراءة، والتقدير: هذه براءة حاصلة من الله ورسوله واصلة إلى المشركين المعاهدين. ﴿**عاهدتم**﴾ فعل وفاعل صلة الذين. ﴿**من المشركين**﴾ متعلق بعاهدتم. ﴿**فسيحوا**﴾ فعل أمر دخل عليه حرف التفريع. ﴿**في الأرض**﴾ متعلق بسيحوا. ﴿**أربعة**﴾ منصوب على الظرفية متعلق بفعل الأمر. ﴿**أشهر**﴾ مضاف إلى أربعة. ﴿**واعلموا**﴾ معطوف على الأمر قبله. ﴿**أنّكم**﴾ أنّ واسمها. ﴿**غيرُ**﴾ خبر أنّ. ﴿**معجزي**﴾ مضاف إلى غير. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى معجزي. ﴿**وأنّ الله مخزي الكافرين**﴾ معطوف على أنّكم.. ومخزي خبرُ أنّ مرفوع بضمة مقدرة على الياء، والكافرين مضاف إلى مخزي.

﴿**وأذانٌ من الله ورسوله إلى الناس**﴾ إعراب هذه الجملة مثل إعراب براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم، وهي معطوفة عليها. ﴿**يوم**﴾ منصوب على الظرفية متعلق بأذان. ﴿**الحج**﴾ مضاف إلى يوم. ﴿**الأكبر**﴾ نعت ليوم الحج. ﴿**أنّ الله بريء**﴾ أنّ واسمها وخبرها في تأويل مصدر مجرور بحرف جر مقدر متعلق بأذان. ﴿**من المشركين**﴾ متعلق ببريء. ﴿**ورسولُه**﴾ مبتدأ، والضمير فيه مضاف إليه، وخبره مقدر يدُلُّ عليه بريء، والتقدير: ورسوله بريء من المشركين، والجملة معطوفة على جملة أنّ الله بريء من المشركين. ﴿**فإن تبتم**﴾ جملة شرطية دخل عليها حرف التفريع. ﴿**فهو خير**﴾ الجملة من المبتدإ والخبر جواب الشرط، والفاء لربط الجواب بفعل الشرط. ﴿**لكم**﴾ متعلق بخير. ﴿**وإن توليتم فاعلموا**﴾ جملة شرطية معطوفة على الجملة الشرطية قبلها. ﴿**أنّكم غير معجزي الله**﴾ تقدم إعراب مثلها قريباً.

﴿**وبشر**﴾ فعل أمر معطوف على الجمل السابقة. ﴿**الذين**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**كفروا**﴾ صلة الذين. ﴿**بعذاب**﴾ متعلق ببشر. ﴿**أليم**﴾ نعت لعذاب. ﴿**إلاّ الذين**﴾ في محل نصب بإلاّ الاستثنائية. ﴿**عاهدتم**﴾ صلة الذين. ﴿**من المشركين**﴾ متعلق بعاهدتم. ﴿**ثم**﴾ حرف عطف. ﴿**لم**﴾ حرف نفي وجزم. ﴿**ينقصوكم**﴾ مجزوم بلم، وواو الجماعة فاعل، والضمير المتصل بالفعل مفعول

أول. ﴿**شيئاً**﴾ مفعول ثانٍ. ﴿**ولم يظاهروا عليكم أحداً**﴾ معطوف على قوله: لم ينقصوكم شيئاً. ﴿**فأتموا**﴾ فعل أمر دخل عليه حرف التعقيب. ﴿**إليهم**﴾ متعلق بفعل الأمر. ﴿**عهدهم**﴾ مفعول به. ﴿**إلى مدتهم**﴾ متعلق بفعل الأمر، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**إنّ الله**﴾ إنّ واسمها. ﴿**يحب**﴾ فعل مضارع فاعله هو، يعود على الله، والجملة في محل رفع خبر إنّ، والجملة تعليلية لا محل لها من الإعراب. ﴿**المتقين**﴾ مفعول به منصوب بالياء. ﴿**فإذا**﴾ الفاء للتفريع، إذا ظرف للزمان المستقبل خافض لشرطه منصوب بجوابه. ﴿**انسلخ**﴾ فعل ماض. ﴿**الأشهر**﴾ فاعل. ﴿**الحرم**﴾ نعت للأشهر، والجملة في محل جر مضافة إلى إذا. ﴿**فاقتلوا**﴾ فعل أمر دخل عليه حرف الربط. ﴿**المشركين**﴾ مفعول به. ﴿**حيث**﴾ ظرف مبني على الضم في محل نصب متعلق باقتلوا. ﴿**وجدتموهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة في محل جر مضافة إلى حيث.

﴿**وخذوهم واحصروهم واقعدوا**﴾ معطوفات على فعل الأمر الأول. ﴿**لهم**﴾ متعلق باقعدوا. ﴿**كل**﴾ مفعول به. ﴿**مرصد**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**فإن تابوا**﴾ جملة شرطية دخل عليها حرف التفريع. ﴿**وأقاموا الصلاة**﴾ فعل وفاعل ومفعول معطوف على تابوا. ﴿**وآتوُا الزكاة**﴾ مثله. ﴿**فخلوا**﴾ جواب الشرط. ﴿**سبيلهم**﴾ مفعول به، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**إنّ الله غفور رحيم**﴾ الجملة من إنّ واسمها وخبرها تعليلية. ﴿**وإن أحد من المشركين استجارك**﴾ جملة شرطية بإضمار فعل الشرط بعد إن، لأنّها لا تدخل إلا على الفعل، واستجارك الأخير تفسير له. ﴿**فأجرْه**﴾ فعل أمر جواب الشرط لدخول فاء الربط. ﴿**حتى يسمع كلام الله**﴾ الفعل منصوب بأن مضمرة بعد حتى، وحتى بمعنى إلى، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بإلى متعلق بأجره. ﴿**ثم أبلغه**﴾ معطوف على فأجره. ﴿**مأمنه**﴾ مفعول به، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**ذلك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**بأنّهم**﴾ أنّ واسمها دخل عليها حرف الجر.

﴿**قوم**﴾ خبرُ أنّ. ﴿**لا يعلمون**﴾ فعل وفاعل دخلت عليه لا النافية، والجملة في محل رفع نعت لقوم، وأنّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بالباء متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. ﴿**كيف**﴾ مبني على الفتح في محل نصب على التشبيه بالحال، ومعناها الاستفهام الإنكاري. ﴿**يكون**﴾ فعل مضارع تام.

﴿**للمشركين**﴾ متعلق به. ﴿**عهد**﴾ فاعل يكون. ﴿**عند**﴾ منصوب على الظرفية متعلق بعهد. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى عند. ﴿**وعند رسوله**﴾ معطوف على عند الله. ﴿**إلاّ**﴾ أداة استثناء بمعنى لكن. ﴿**الّذين**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**عاهدتم**﴾ فعل وفاعل صلة الذين. ﴿**عند**﴾ منصوب على الظرفية متعلق بعاهدتم. ﴿**المسجد**﴾ مضاف إلى عند. ﴿**الحرام**﴾ نعت للمسجد.

﴿**فما استقاموا**﴾ جملة شرطية دخل عليها حرف التفريع، والجملة في محل رفع خبرُ الذين. ﴿**لكم**﴾ متعلق باستقاموا. ﴿**فاستقيموا لهم**﴾ جواب الشرط. ﴿**إنّ الله**﴾ إنّ واسمها. وجملة ﴿**يحب**﴾ خبرُ إنّ. ﴿**المتقين**﴾ مفعول به، والجملة تعليلية. ﴿**كيف**﴾ مثل كيف السابقة. ﴿**وإن يظهروا**﴾ جملة شرطية معطوفة على قوله: كيف يكون للمشركين. ﴿**عليكم**﴾ متعلق بيظهروا. ﴿**لا يَرْقبوا**﴾ جواب الشرط مجزوم بحذف النون. ﴿**فيكم**﴾ متعلق بيرقبوا. ﴿**إلاًّ**﴾ مفعول به منصوب بالفتحة. ﴿**ولا ذمة**﴾ معطوف على إلاًّ. ﴿**يرضونكم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**بأفواههم**﴾ متعلق بيرضونكم، والضمير فيه مضاف إليه.

﴿**وتأبى**﴾ فعل ماض معطوف على يرضونكم. ﴿**قلوبهم**﴾ فاعل تأبى، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**وأكثرهم فاسقون**﴾ الجملة من المبتدإ والخبر في محل نصب حال من واو الجماعة. ﴿**اشتروا**﴾ فعل ماض، وواو الجماعة فاعل. ﴿**بآيات**﴾ متعلق باشتروا. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى آيات. ﴿**ثمناً**﴾ مفعول به. ﴿**قليلاً**﴾ نعت له. ﴿**فصدوا**﴾ فعل وفاعل مرتب على اشتروا. ﴿**عن سبيله**﴾ متعلق بصدوا، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**إنّهم**﴾ إنّ واسمها. ﴿**ساء**﴾ فعل ماض. ﴿**ما**﴾ في محل رفع فاعل ساء. ﴿**كانوا**﴾ كان واسمها. ﴿**يعملون**﴾ فعل وفاعل، والجملة في محل نصب خبر كان، والجملة صلة ما، وجملة إنّهم مستأنفةٌ. ﴿**لا يرقبون**﴾ فعل مضارع منفي بلا، وواو الجماعة فاعل. ﴿**في مؤمن**﴾ متعلق بالفعل المنفي. ﴿**إلاًّ**﴾ مفعول به. ﴿**ولا ذمّة**﴾ معطوف عليه. ﴿**وأولئك**﴾ في محل رفع مبتدأ، معطوف على قوله: لا يرقبون. ﴿**هم**﴾ ضمير فصل. ﴿**المعتدون**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**فإن تابوا**﴾ جملة شرطية دخل عليها حرف التفريع. ﴿**وأقاموا الصلاة**﴾ معطوف على تابوا. ﴿**وآتَوا الزكاة**﴾ كذلك.

﴿**فإخوانكم**﴾ خبر لمبتدإ محذوف، جواب الشرط. ﴿**في الدين**﴾ متعلق

بإخوانكم. ﴿**ونفصّل**﴾ فعل مضارع، وفاعله نحن. ﴿**الآيات**﴾ مفعول به. ﴿**لقوم**﴾ متعلق بنفصل. ﴿**يعلمون**﴾ فعل وفاعل، والجملة في محل جر نعت لقوم، والجملة اعتراضية. ﴿**وإن نكثوا**﴾ جملة شرطية دخل عليها حرف العطف. ﴿**أيْمانهم**﴾ مفعول به، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**من بعد**﴾ متعلق بنكثوا. ﴿**عهدهم**﴾ مضاف إلى بَعْدِ. ﴿**وطعنوا**﴾ معطوف على نكثوا. ﴿**في دينكم**﴾ متعلق بطعنوا. ﴿**فقاتلوا**﴾ جواب الشرط. ﴿**أئمة**﴾ مفعول به. ﴿**الكفر**﴾ مضاف إلى أئمة. ﴿**إنّهم**﴾ إنّ واسمها. ﴿**لا**﴾ نافية للجنس.

﴿**أيمان**﴾ مبنيّ على الفتح في محل نصب اسم لا. ﴿**لهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر لا، والجملة تعليلية. ﴿**لعلهم**﴾ لعل واسمها. ﴿**ينتهون**﴾ فعل وفاعل في محل رفع خبر لعل. ﴿**ألا**﴾ أداة استفتاح. ﴿**تقاتلون**﴾ فعل وفاعل. ﴿**قوماً**﴾ مفعول به. ﴿**نكثوا أيمانهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول، وجملة نكثوا في محل نصب نعت لقوم. ﴿**وهموا**﴾ معطوف على نكثوا. ﴿**بإخراج**﴾ متعلق بهموا. ﴿**الرسول**﴾ مضاف إلى إخراج. ﴿**وهم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**بدءوكم**﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة في محل رفع خبر المبتدإ. ﴿**أوّل**﴾ نصب على المصدرية مفعول مطلق. ﴿**مرّة**﴾ مضاف إلى أول، من إضافة الصفة إلى الموصوف، وأول اسم تفضيل جاء بصيغة التذكير. ﴿**أتخشونهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخلت عليه همزة الاستفهام. ﴿**فالله**﴾ مبتدأ، والفاء للتفريع.

﴿**أحقُّ**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**أن تخشوه**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخلت عليه أن المصدرية، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بالباء متعلق بأحق، والتقدير: فالله أحق بخشيتكم إيّاه. ﴿**إن كنتم مؤمنين**﴾ جملة شرطية من كان واسمها وخبرها، والجواب محذوف يدل عليه قوله: فالله أحق. ﴿**قاتلوهم**﴾ فعل أمر، وواو الجماعة فاعل، والضمير المتصل في محل نصب مفعول به. ﴿**يعذبهم**﴾ مجزوم في جواب الأمر، والضمير المتصل مفعول به. ﴿**الله**﴾ فاعل يعذب. ﴿**بأيديكم**﴾ متعلق بيعذب، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**ويخزهم**﴾ معطوف على يعذبهم مجزوم بحذف حرف العلة. ﴿**وينصركم**﴾ معطوف على يعذبهم كذلك مجزوم بالسكون. ﴿**عليهم**﴾ متعلق بينصركم. ﴿**ويشف**﴾ مثله مجزوم بحذف حرف العلة.

﴿صدور﴾ مفعول به. ﴿قوم﴾ مضاف إلى صدور. ﴿مؤمنين﴾ نعت لقوم. ﴿ويذهب﴾ مجزوم بالسكون، وهو من جملة المعطوفات. ﴿غيظ﴾ مفعول به. ﴿قلوبهم﴾ مضاف إلى غيظ. ﴿ويتوب الله﴾ فعل وفاعل مرفوع على الاستئناف، عطفت هذه الجملة على الجمل السابقة فليست جواباً للأمر بالقتال. ﴿على من﴾ متعلق بيتوب. ﴿يشاء﴾ فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة صلة مَنْ. ﴿والله﴾ مبتدأ. ﴿عليم حكيم﴾ خبر بعد خبر للمبتدإ، والجملة تذييلية. ﴿أم﴾ منقطعة، ومعناها الاستفهام الإنكاري. ﴿حسبتم﴾ فعل وفاعل. ﴿أن تتركوا﴾ فعل مضارع مبني للمجهول منصوب بأن، ونائب الفاعل واو الجماعة، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب بحسبتم، والمعنى: كيف تحسبون ترك الله إيّاكم دون جهاد لأعداء الله؟.. ﴿ولما يعلم الله﴾ الواو واو الحال، ولما للنفي في الماضي والحال، وهي مثل لم في جزم المضارع. يعلم مجزوم، وحرك بالكسرة لالتقاء الساكنين. اللهُ فاعل.

﴿الذين﴾ في محل نصب مفعول به... ﴿جاهدوا﴾ فعل وفاعل، والجملة صلة الذين. ﴿منكم﴾ متعلق بجاهدوا، وجملة ولما يعلم الله.. في محل نصب حال من واو الجماعة في تتركوا. ﴿ولم يتخذوا﴾ معطوف على جاهدوا داخل في حيز الصلة. ﴿من دون﴾ متعلق بيتخذوا. ﴿الله﴾ مضاف إلى دون. ﴿ولا رسوله﴾ معطوف على الله. ﴿ولا المؤمنين﴾ كذلك. ﴿وليجة﴾ مفعول به. ﴿والله خبيرٌ﴾ مبتدأ وخبر عطف على ما قبله. ﴿بما﴾ متعلق بخبير. ﴿تعملون﴾ فعل وفاعل، والجملة صلة ما، والجملة من المبتدإ والخبر تعليل. ﴿ما كان﴾ فعل ماض دخلت عليه ما النافية، وكان بمعنى صحّ وثبت. ﴿للمشركين﴾ متعلق بكان. ﴿أن يعمروا﴾ فعل مضارع منصوب بأن، وواو الجماعة فاعل، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مرفوع فاعل كان، والتقدير: ما صح للمشركين عمارةُ مساجد الله. ﴿مساجد﴾ مفعول به. ﴿الله﴾ مضاف إلى مساجد. ﴿شاهدين﴾ منصوب على الحال من واو الجماعة. ﴿على أنفسهم بالكفر﴾ متعلقان بشاهدين.

﴿أولئك﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿حبطت أعمالهم﴾ فعل وفاعل، والجملة في محل رفع خبر أولئك. ﴿وفي النار﴾ متعلق بخالدون بعده. ﴿هم خالدون﴾ مبتدأ وخبر معطوف على قوله: أولئك حبطت أعمالهم. ﴿إنّما﴾ كافة ومكفوفة.

﴿**يعمر**﴾ فعل مضارع مرفوع بالضمة. ﴿**مساجد**﴾ مفعول به. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى مساجد. ﴿**مَنْ**﴾ اسم موصول في محل رفع فاعل يعمر. ﴿**آمن**﴾ فعل ماض، والفاعل ضمير يعود على مَنْ، والجملة صلة مَنْ. ﴿**بالله**﴾ متعلق بآمن. ﴿**واليوم**﴾ معطوف على الله. ﴿**الآخر**﴾ نعت لليوم. ﴿**وأقام**﴾ معطوف على آمن. ﴿**الصلاة**﴾ مفعول به. ﴿**وآتى**﴾ كذلك. ﴿**الزكاة**﴾ مفعول به. ﴿**ولم يخش**﴾ فعل مضارع مجزوم بحذف الألف. ﴿**إلاّ الله**﴾ منصوب بدل من المفعول المقدر، والتقدير: ولم يخش أحداً إلاّ الله.

﴿**فعسى**﴾ الفاء للتفريع، وعسى فعل ماض من أخوات كاد ترفع الاسم وتنصب الخبر. ﴿**أولئك**﴾ في محل رفع اسم عسى. ﴿**أن يكونوا**﴾ أن مصدرية ناصبة، وواو الجماعة في يكونوا اسمها. ﴿**من المهتدين**﴾ متعلق بمحذوف خبر يكون، وجملة أن يكونوا في محل نصب خبر عسى. ﴿**أجعلتم**﴾ فعل وفاعل دخلت عليه همزة الاستفهام. ﴿**سقاية**﴾ مفعول أول لجعلتم. ﴿**الحاج**﴾ مضاف إلى سقاية. ﴿**وعمارة**﴾ معطوف على سقاية.

﴿**المسجد**﴾ مضاف إلى عمارة. ﴿**الحرام**﴾ نعت للمسجد. ﴿**كمن**﴾ الكاف بمعنى مثل في محل نصب مفعول ثانٍ لجعلتم، ومَنْ في محل جر. ﴿**آمن**﴾ فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على مَنْ، والجملة صلة مَنْ. ﴿**بالله**﴾ متعلق بآمن. ﴿**واليوم**﴾ معطوف على الله. ﴿**الآخر**﴾ نعت لليوم. ﴿**وجاهد**﴾ معطوف على آمن. ﴿**في سبيل**﴾ متعلق بجاهد. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى سبيل. ﴿**لا يستوُون**﴾ فعل مضارع دخلت عليه لا النافية، وواو الجماعة فاعل. ﴿**عند**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى عند. ﴿**والله**﴾ مبتدأ. ﴿**لا يهدي**﴾ فعل مضارع منفي بلا، والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**القوم**﴾ مفعول به. ﴿**الظالمين**﴾ نعت للقوم، والجملة تذييلية. ﴿**الذين**﴾ في محل رفع مبتدأ.

﴿**آمنوا**﴾ صلة الذين. ﴿**وهاجروا**﴾ معطوف على آمنوا. ﴿**وجاهدوا**﴾ كذلك. ﴿**في سبيل**﴾ متعلق بجاهدوا. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى سبيل. ﴿**بأموالهم**﴾ متعلق بجاهدوا. ﴿**وأنفسهم**﴾ معطوف على أموالهم. ﴿**أعظمُ**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**درجة**﴾ منصوب على التمييز. ﴿**عند**﴾ متعلق بأعظم. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى عند. ﴿**وأولئك**﴾ معطوف على أعظم درجة. ﴿**هم الفائزون**﴾ مبتدأ وخبر، والجملة خبر

أولئك، فواو العطف داخل على الجملة. ﴿**يبشرهم**﴾ فعل مضارع، والضمير المتصل به مفعول. ﴿**ربّهم**﴾ فاعل يبشر، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**برحمة**﴾ متعلق بيبشر. ﴿**منه**﴾ متعلق بمحذوف نعت لرحمة. ﴿**ورضوان**﴾ معطوف على رحمة. ﴿**وجنات**﴾ كذلك. ﴿**لهم فيها**﴾ متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿**نعيم**﴾ مبتدأ مؤخر.

﴿**مقيم**﴾ نعت لنعيم، وجملة لهم فيها نعيم مقيم في محل جر نعت لجنات. ﴿**خالدين**﴾ حال من ضمير المذكورين في هذه الآية. ﴿**فيها**﴾ متعلق بخالدين. ﴿**أبداً**﴾ منصوب على الظرفية متعلق بخالدين. ﴿**إنّ الله**﴾ إنّ واسمها. ﴿**عنده**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**أجر**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**عظيم**﴾ نعت لأجر، وجملة إنّ الله عنده أجر عظيم تعليلية. ﴿**ياأيُّها الذين آمنوا**﴾ إعراب هذه الجملة معلوم مما سبق لتكررها. ﴿**لا تتخذوا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النهي الجازم. ﴿**آباءكم**﴾ مفعول أول. ﴿**وإخوانكم**﴾ معطوف على آباءكم. ﴿**أولياء**﴾ مفعول ثانٍ. ﴿**إن استحبوا**﴾ جملة شرطية. ﴿**الكفر**﴾ مفعول به. ﴿**على الإيمان**﴾ متعلق باستحبوا، وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله، والتقدير: إن استحب آباؤكم وإخوانكم الكفر على الإيمان فلا تتخذوهم أولياء.

﴿**ومن يتولهم**﴾ جملة شرطية. ﴿**منكم**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**فأولئك هم الظالمون**﴾ الجملة من المبتدإ والخبر جواب الشرط. ﴿**قل إن كان**﴾ إن شرطية، وكان ناقصة ترفع الاسم وتنصب الخبر. ﴿**آباؤكم**﴾ اسم كان. ﴿**وأبناؤكم**﴾ معطوف على آباءكم وكذلك ما بعده من قوله: ﴿**وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها**﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة في محل رفع نعت لأموال. ﴿**وتجارة تخشون كسادها**﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة في محل رفع نعت لتجارة. ﴿**ومساكن**﴾ معطوفة على آباؤكم. ﴿**ترضونها**﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة في محل رفع نعت لمساكن. ﴿**أحبَّ**﴾ خبر كان منصوب بالفتحة. ﴿**إليكم من الله**﴾ متعلقان بأحبَّ. ﴿**ورسوله**﴾ معطوف على الله. ﴿**وجهاد**﴾ كذلك. ﴿**في سبيله**﴾ متعلق بجهاد.

﴿**فتربصوا**﴾ جواب الشرط في قوله: إن كان... الخ. ﴿**حتى يأتي**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى. ﴿**الله**﴾ فاعل يأتي. ﴿**بأمره**﴾ متعلق بالفعل

قبله. ﴿**والله**﴾ مبتدأ. ﴿**لا يهدي**﴾ لا نافية، والجملة من الفعل والفاعل خبر المبتدإ. ﴿**القوم**﴾ مفعول به. ﴿**الفاسقين**﴾ نعت له، والجملة تذييلية. ﴿**لقد**﴾ اللام للقسم، وقد للتحقيق. ﴿**نصركم**﴾ فعل ماض، والضمير المتصل به مفعول. ﴿**الله**﴾ فاعل نصر. ﴿**في مواطن**﴾ متعلق بنصركم، ومواطن ممنوع من الصرف لصيغة منتهى الجموع. ﴿**كثيرة**﴾ نعت لمواطن. ﴿**ويوم**﴾ منصوب على الظرفية معطوف على قوله: في مواطن، وهو متعلق بنصركم. ﴿**حنين**﴾ مضاف إلى يوم. ﴿**إذ**﴾ في محل نصب ظرف زمان، بدل من يوم حنين. ﴿**أعجبتكم**﴾ فعل ماض، والضمير المتصل به مفعول. ﴿**كثرتكم**﴾ فاعل أعجبت.

﴿**فلم تغن**﴾ مرتب على أعجبتكم، والفعل مجزوم بلم، والفاعل ضمير يعود على كثرتكم. ﴿**عنكم**﴾ متعلق بالفعل. ﴿**شيئاً**﴾ مفعول به. ﴿**وضاقت**﴾ معطوف على قوله: فلم تغن. ﴿**عليكم**﴾ متعلق بالفعل. ﴿**الأرض**﴾ فاعل ضاقت.. ﴿**بما رحبت**﴾ ما وما دخلت عليه مؤول بمصدر مجرور بالباء متعلق بضاقت، والتقدير: ضاقت عليكم الأرض برحبها. ﴿**ثم وليتم**﴾ معطوف على قوله: ضاقت. ﴿**مدبرين**﴾ منصوب على الحال من الفاعل في وليتم، وهي حال مؤكدة. ﴿**ثم أنزل الله**﴾ فعل وفاعل معطوف على وليتم. ﴿**سكينته**﴾ مفعول به. ﴿**على رسوله**﴾ متعلق بأنزل. ﴿**وعلى المؤمنين**﴾ معطوف على رسوله. ﴿**وأنزل جنوداً**﴾ معطوف على أنزل الله. ﴿**لم تروها**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخلت عليه لم النافية، والجملة في محل نصب نعت لجنود. ﴿**وعذب**﴾ معطوف على أنزل. ﴿**الذين**﴾ في محل نصب مفعول به.

﴿**كفروا**﴾ صلة الذين. ﴿**وذلك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**جزاء**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**الكافرين**﴾ مضاف إلى جزاء. ﴿**ثم يتوب الله**﴾ فعل وفاعل معطوف على قوله: ثم أنزل الله. ﴿**من بعد**﴾ متعلق بيتوب. ﴿**ذلك**﴾ في محل جر مضاف إلى بعد. ﴿**على مَنْ**﴾ متعلق بيتوب. ﴿**يشاء**﴾ فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة صلة مَنْ. ﴿**والله غفور رحيم**﴾ الجملة من المبتدإ والخبر تذييلية. ﴿**ياأيُّها الذين آمنوا**﴾ إعرابها معلوم مما سبق في أمثالها. ﴿**إنّما المشركون**﴾ مبتدأ مرفوع بالواو. ﴿**نجس**﴾ خبر المبتدإ مرفوع بالضمة. ﴿**فلا يقربوا**﴾ فعل مضارع مجزوم بلا الناهية، والفاء للتفريع. ﴿**المسجد**﴾ مفعول به. ﴿**الحرام**﴾ نعت للمسجد.

﴿**بعد**﴾ متعلق بقوله: فلا يقربوا. ﴿**عامهم**﴾ مضاف إلى بعد. ﴿**هذا**﴾ في محل رفع نعت لعامهم. ﴿**وإن خفتم**﴾ جملة شرطية معطوفة على جملة النهي. ﴿**عيلة**﴾ مفعول به. ﴿**فسوف يغنيكم الله**﴾ الجملة من الفعل والمفعول والفاعل في محل جر جواب الشرط، ودخلت عليه فاء الربط؛ لوجود حرف التسويف. ﴿**من فضله**﴾ متعلق بيغنيكم.

﴿**إن شاء**﴾ جملة شرطية جوابها محذوف دلّ عليه قوله: سوف يغنيكم الله، والتقدير: إن شاء إغناءكم فسوف يغنيكم. ﴿**إنّ الله عليم حكيم**﴾ الجملة من إنّ واسمها وخبرها تعليلية. ﴿**قاتلوا**﴾ أمر موجه للمسلمين. ﴿**الذين**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**لا يؤمنون**﴾ صلة الذين. ﴿**بالله**﴾ متعلق بالصلة. ﴿**ولا باليوم الآخر**﴾ معطوف على الله. ﴿**ولا يحرمون**﴾ كذلك. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**حرّم الله**﴾ فعل وفاعل صلة ما. ﴿**ورسوله**﴾ معطوف على الله. ﴿**ولا يدينون**﴾ مثل ولا يحرمون. ﴿**دين**﴾ مفعول به. ﴿**الحق**﴾ مضاف إلى دين. ﴿**من الذين**﴾ بيان للذين أمروا بقتالهم. ﴿**أوتوا**﴾ فعل ماض مبني للمجهول، وواو الجماعة نائب الفاعل الذي كان في الأصل مفعولاً أوّلاً.

﴿**الكتاب**﴾ مفعول ثانٍ لأُوتُوا، والجملة صلة الذين. ﴿**حتى يعطوا الجزية**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخلت عليه حتى الغائيّة. ﴿**عن يدٍ**﴾ متعلق بمحذوف حال من الجزية. ﴿**وهم صاغرون**﴾ الواو للحال، والجملة من المبتدإ والخبر في محل نصب حال من واو الجماعة. ﴿**وقالت اليهود**﴾ فعل وفاعل معطوف على الجمل السابقة. ﴿**عزير ابن الله**﴾ مبتدأ وخبر، والجملة في محل نصب مقول القول. ﴿**وقالت النصارى المسيح ابن الله**﴾ معطوف على ما قبله، وهو مثله في الإعراب. ﴿**ذلك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**قولهم**﴾ خبره. ﴿**بأفواههم**﴾ متعلق بمحذوف حال من القول. ﴿**يضاهون**﴾ فعل وفاعل. ﴿**قول**﴾ مفعول به. ﴿**الذين**﴾ في محل جر مضاف إلى قول.

﴿**كفروا**﴾ صلة الذين. ﴿**من قبل**﴾ متعلق بكفروا، وقبل مبني على الضم في محل جر بمن بحذف المضاف إليه ونية معناه. ﴿**قاتلهم**﴾ فعل ماض، والضمير المتصل به مفعول. ﴿**اللهُ**﴾ فاعل. ﴿**أنّى**﴾ اسم استفهام بمعنى كيف. ﴿**يؤفكون**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول، وواو الجماعة نائب الفاعل. ﴿**اتخذوا**﴾ فعل وفاعل.

﴿**أحبارهم**﴾ مفعول أوّل. ﴿**ورهبانهم**﴾ معطوف عليه. ﴿**أرباباً**﴾ مفعول ثانٍ. وأحبارهم مفعول أوّل ﴿**من دون**﴾ متعلق باتخذوا. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى دون. ﴿**والمسيح**﴾ معطوف على المفعول الأول. ﴿**ابن**﴾ نعت للمسيح. ﴿**مريم**﴾ مضاف إلى ابن مجرور بالفتحة للعلمية والتأنيث. ﴿**وما أُمروا**﴾ فعل ماض مبني للمجهول، منفي بما، معطوف على اتخذوا. ﴿**إلاّ**﴾ أداة استثناء مفرغ.

﴿**ليعبدوا**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل. ﴿**إلهاً**﴾ مفعول به. ﴿**واحداً**﴾ نعت له، وجملة وما أُمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً في محل نصب حال من ضمير اتخذوا. ﴿**لا إله**﴾ إلَهَ مبنيٌّ على الفتح في محل نصب اسم لا النافية للجنس. ﴿**إلاّ هو**﴾ بدل من خبر لا المقدر، والتقدير لا إله موجود إلاّ هو. ﴿**سبحانه**﴾ منصوب على المصدرية، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**عمّا**﴾ متعلق بالمصدر. ﴿**يشركون**﴾ فعل وفاعل، صلة ما. ﴿**يريدون**﴾ فعل وفاعل. ﴿**أن يطفئوا**﴾ أنْ وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول يريدون. ﴿**نور**﴾ مفعول يطفئوا. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى نور. ﴿**بأفواههم**﴾ متعلق بيطفئوا. ﴿**ويأبى الله**﴾ فعل وفاعل معطوف على يريدون. ﴿**إلاّ**﴾ أداة استثناء مفرغ. ﴿**أن يُتم**﴾ أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب بدل من المفعول المقدر، والتقدير: لا يريد الله شيئاً إلاّ إتمام نوره، وكلمة لا يريد جاءت مفسرة لكلمة يأبى. ﴿**ولو كره الكافرون**﴾ فعل وفاعل دخلت عليه لو الاتصالية، والواو واو الحال. ﴿**هو**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**الذي**﴾ في محل رفع خبر. ﴿**أرسل**﴾ صلة الذي. ﴿**رسوله**﴾ مفعول به. ﴿**بالهدى**﴾ متعلق بأرسل. ﴿**ودين**﴾ معطوف على الهدى. ﴿**الحق**﴾ مضاف إلى دين. ﴿**ليظهره**﴾ اللام حرف جر دخلت على المصدر المقدر من أن والفعل متعلق بأرسل. ﴿**على الدين**﴾ متعلق بيظهر. ﴿**كله**﴾ توكيد للدين. ﴿**ولو كره المشركون**﴾ مثل ولو كره الكافرون. ﴿**ياأيُّها الذين آمنوا**﴾ تقدم إعرابُ مثلها. ﴿**إنّ كثيراً**﴾ إنّ واسمها. ﴿**من الأحبار**﴾ متعلق بمحذوف نعت لكثير. ﴿**والرهبان**﴾ معطوف على الأحبار.

﴿**ليأكلون أموال**﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة خبرُ إنّ. ﴿**الناس**﴾ مضاف إلى أموال. ﴿**بالباطل**﴾ متعلق بيأكلون. ﴿**ويصدون**﴾ معطوف على يأكلون. ﴿**عن سبيل**﴾ متعلق بيصدون. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى سبيل. ﴿**والذين**﴾ في محل رفع

مبتدأ. ﴿**يكنزون**﴾ صلة الذين. ﴿**الذهب**﴾ مفعول به. ﴿**والفضة**﴾ معطوف على الذهب. ﴿**ولا ينفقونها**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النفي معطوف على يكنزون. ﴿**في سبيل**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى سبيل. ﴿**فبشرهم**﴾ فعل أمر دخل عليه حرف الربط لتضمن الجملة معنى الشرط، والجملة خبر الذين. ﴿**بعذاب**﴾ متعلق ببشرهم. ﴿**أليم**﴾ نعت لعذاب. ﴿**يوم**﴾ منصوب على الظرفية متعلق بعذاب.

﴿**يُحمى**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول. ﴿**عليها**﴾ متعلق بيُحمى ناب مناب الفاعل. ﴿**في نار**﴾ متعلق بيُحْمى. ﴿**جهنم**﴾ مضاف إلى نار مجرور بالفتحة للعلمية والتأنيث. ﴿**فتكوى**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول مرتب على قوله: يوم يحمى عليها. ﴿**بها**﴾ متعلق بتكوى. ﴿**جباهُهُم**﴾ نائب الفاعل. ﴿**وجنوبُهم وظهورُهم**﴾ معطوفان على جباههم. ﴿**هذا**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**ما**﴾ اسم موصل في محل رفع خبر المبتدإ. ﴿**كنزتم**﴾ فعل وفاعل صلة ما. ﴿**لأنفسكم**﴾ متعلق بكنزتم، وجملة هذا ما كنزتم لأنفسكم في محل نصب مقول لقول مقدّر. ﴿**فذوقوا**﴾ مرتب على هذا ما كنزتم. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول ذوقوا. ﴿**كنتم**﴾ كان واسمها. ﴿**تكنزون**﴾ فعل وفاعل في محل نصب خبر كان، وجملة كنتم تكنزون صلة ما.

﴿**إنّ عدّة**﴾ إنّ واسمها. ﴿**الشهور**﴾ مضاف إلى عدّة. ﴿**عند**﴾ متعلق بعدّة. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى عند. ﴿**اثنا**﴾ خبر إنّ مرفوع بالألف. ﴿**عشر**﴾ مبني على الفتح مركب مع اثنا. ﴿**شهراً**﴾ منصوب على التمييز. ﴿**في كتاب**﴾ متعلق بمحذوف نعت لاثنا عشر. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى كتاب. ﴿**يوم**﴾ متعلق بما في الجار والمجرور من معنى الاستقرار. ﴿**خلق**﴾ الله فعل وفاعل، والجملة في محل جر مضاف إلى يوم. ﴿**السماوات**﴾ مفعول به. ﴿**والأرضَ**﴾ معطوف على السماوات. ﴿**منها**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**أربعة**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**حرم**﴾ نعت لأربعة. ﴿**ذلك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**الدين**﴾ خبره. ﴿**القيم**﴾ نعت للدين. ﴿**فلا تظلموا**﴾ الفاء للتفريع، والفعل مجزوم بلا الناهية. ﴿**فيهن**﴾ متعلق بتظلموا. ﴿**أنفسكم**﴾ مفعول به. ﴿**وقاتلوا المشركين**﴾ فعل أمر، وواو الجماعة فاعل، والمشركين مفعول به. ﴿**كافة**﴾ منصوب على الحال من الواو. ﴿**كما يقاتلونكم**﴾ الكاف للتشبيه، وما مصدرية، ويقاتلونكم فعل وفاعل ومفعول مؤوّل مع ما

بالمصدر. ﴿**كافة**﴾ حال من ضمير الفاعل. ﴿**واعلموا**﴾ فعل أمر. ﴿**أنّ الله**﴾ أنّ واسمها. ﴿**مع**﴾ متعلق بمحذوف خبرُ أنّ. ﴿**المتقين**﴾ مضاف إلى مع. ﴿**إنّما**﴾ كافة ومكفوفة. ﴿**النسيء**﴾ مبتدأ. ﴿**زيادة**﴾ خبره. ﴿**في الكفر**﴾ متعلق بزيادة. ﴿**يضل**﴾ فعل مضارع مرفوع بالضمة. ﴿**به**﴾ متعلق بيضل. ﴿**الذين**﴾ في محل رفع فاعل يضل. ﴿**كفروا**﴾ صلة الذين، وجملة يضل خبرٌ ثانٍ للنسيء. ﴿**يحلونه**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**عاماً**﴾ نصب على الظرفية. ﴿**ويحرمونه عاماً**﴾ معطوف على يحلونه عاماً.

﴿**ليواطئوا**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل. ﴿**عدّة**﴾ مفعول به. ﴿**ما**﴾ في محل جر مضاف إلى عدة. ﴿**حرّم الله**﴾ فعل وفاعل، والجملة صلة ما. ﴿**فيحلوا**﴾ مرتب على قوله: ليواطئوا. ﴿**ما حرّم الله**﴾ مثل عدّة ما حرّم الله في الإعراب. ﴿**زُيّن**﴾ فعل ماض مبني للمجهول. ﴿**لهم**﴾ متعلق بزيّن. ﴿**سوءُ**﴾ نائب فاعل زُيّن. ﴿**أعمالهم**﴾ مضاف إلى سوء. ﴿**والله**﴾ مبتدأ. ﴿**لا يهدي**﴾ فعل مضارع مرفوع بضمة مقدرة على الياء منفي بلا، والفاعل ضمير يعود على الله، والجملة خبر المبتدإ. ﴿**القوم**﴾ مفعول به. ﴿**الكافرين**﴾ نعت للقوم منصوب بالياء.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين**﴾: افتتحت السورة كما تفتتح العهود وصكوك العقود بأدَلّ كلمة على الغرض المقصود، وذلك هو مقتضى الحال في إنشاء الرسائل والمواثيق، ولم تكتب البسملة هنا نظراً لما في السورة من نبذ العهد وإعلان الحرب. ولما كانت هذه السورة وسورة الأنفال تعالجان موضوع الجهاد من أول غزوة إلى آخر غزوة عُدَّتَا كسورة واحدة. وتنكير براءة للتنويع، والمعنى: إنّ هذه براءة أصدرها الله بوساطة رسوله إبلاغاً إلى الذين عاهدوهم من المشركين. والخطاب في قوله: عاهدتم للمؤمنين، فهذه البراءة مأمورون بإنفاذها. وإيثار الجملة الاسمية دون الفعلية في قوله: براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين للدلالة على دوامها واستمرارها، وللتوسل إلى تهويلها بالتنوين التفخيمي... ﴿**فسيحوا في الأرض أربعة أشهر**﴾: مفرع على معنى البراءة.

والخطاب موجه مباشرة للمشركين، وفيه نكتة الالتفات لإبلاغ الإنذار إليهم مباشرة. ولما كان الأمر بهذا السير مفرعاً على البراءة من العهد، ومقرراً لحرمة الأشهر الحرم علم أنّ المراد السير بأمن دون خوف في أي مكان من الأرض، وأُجِّلَ هذا الأمن بأربعة أشهر... ﴿**واعلموا أنّكم غير معجزي الله**﴾: متصل بما قبله بالعطف على فسيحوا داخل في حكم التفريع؛ لأنّه لما أنبأهم بالأمان في أربعة الأشهر عقبه بالتخويف من بأس الله، احتراساً من تَطَرُّقِ الغرور، وتهديداً بأن لا يطمئنوا من أن يسلط الله المسلمين عليهم في غير الأشهر الحرم. وافتتاح الكلام بقوله: واعلموا، للتنبيه على أنّ مما يَحِقُّ وَعْيُهُ والتدبُّر فيه. وعطف قوله: ﴿**وأنّ الله مخزي الكافرين**﴾ على قوله: أنّكم غير معجزي الله، فهو داخل في عمل واعلموا، فمقصودٌ منه وعيُه والعِلم به، وكان ذكر الكافرين إخراجاً على خلاف مقتضى الظاهر؛ لأنّ مقتضى الظاهر أن يقول وأنّ الله مخزيكم، ووجْهُ تخريجه على الإظهار الدلالة على سببية الكفر في الخزي... ﴿**وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر. أنّ الله بريء من المشركين ورسوله**﴾: اتصلت هذه الجملة بالعطف على جملة براءة من الله ورسوله، وموقع لفظ أذان لموقع لفظ براءة في التقدير.

وجاء التصريح بفعل البراءة مرة ثانية دون إضمار ولا اختصار؛ لأنّ المقام مقام بيان وإطناب؛ لأجل اختلاف أفهام السامعين فيما يسمعونه؛ ففيهم الذكي والغبيّ، ففي الإطناب والإيضاح قطع لمعاذيرهم... ﴿**فإن تبتم فهو خير لكم وإن توليتم فاعلموا أنّكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم**﴾: الجملة الشرطية متفرعة عن قوله: أنّ الله بريء من المشركين ورسوله، فيتفرع عن ذلك حالتان: حالة التوبة، وحالة التولي. والخطاب للمشركين الذين أُوذِنوا بالبراءة. وفي الكلام التفات من الغيبة إلى الخطاب لزيادة التهديد والتشديد. وقوله: وبشر الذين كفروا تلوين للخطاب وصرف له عنهم إلى رسول الله ﷺ. والبشارة أصلها الإخبار بما فيه مسرة، وقد استعيرت هنا للإنذار، وهو الإخبار بما يسوء على طريقة التهكم... ﴿**إلاّ الذين عاهدتم من المشركين**﴾: استثناء من المشركين في قوله: أنّ الله بريء من المشركين، ومن الذين كفروا في قوله: وبشر الذين كفروا بعذاب أليم؛ لأنّ شأن الاستثناء إذا ورد عقب جمل أن يرجع إلى ما تحتويه جميعها مما يصلح لذلك الاستثناء. والموصول هنا يعم كل من تحققت فيه الصلة.

وحرف ثم في قوله: ﴿**ثم لم ينقصوكم شيئاً**﴾ للتراخي الرتبي، وفي هذا العطف إيذان بالتنويه بهذا الانتفاء؛ لأنّ ثُمَّ إذا عطفت الجمل أفادت معنى التراخي في الرتبة. وذكر كلمة (شيئاً) للمبالغة في نفي الانتقاص؛ لأنّ كلمة شيء نكرة عامة، فإذا وقعت في سياق النفي أفادت انتفاء كل ما يصدق عليه أنّه موجود. والفاء في قوله: ﴿**فأتموا إليهم عهدهم**﴾، تفريع على ما أفاده الاستثناء. وقوله: ﴿**إنّ الله يحب المتقين**﴾ تعليل للأمر بإتمام العهد إلى الأجل... ﴿**فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم**﴾: تفريع على قوله: فسيحوا في الأرض أربعة أشهر، وانسلاخ الأشهر انقضاؤها وتمامها، وهو مطاوع سلخ، وهو في الأصل استعارة من سلخ جلد الحيوان، ثم شاع هذا الإطلاق حتى صار حقيقة... ﴿**وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد**﴾: هذا متصل بما قبله بالعطف على الأمر بالقتال... ﴿**فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوُا الزكاة فخلوا سبيلهم**﴾: تفريع على الأفعال المتقدمة، وتخلية السبيل تمثيل مقابل للتمثيل الذي في قوله: واقعدوا لهم كل مرصد.

وقوله: ﴿**إنّ الله غفور رحيم**﴾ تعليل للأمر بتخلية السبيل... ﴿**وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله**﴾: عَطْفٌ على جملة فإن تابوا؛ لتفصيل مفهوم الشرط. وجيء بلفظ أحد من المشركين دون لفظ مشرك للتنصيص على عموم الجنس. وتقديم أحد على استجارك للاهتمام بالمسند إليه؛ ليكون أول ما يقرع السمع، فيقع المسند بعد ذلك من نفس السامع موقع التمكن... ﴿**ثم أبلغه مأمنه**﴾: جاء حرف ثم هنا المفيد للتراخي الرتبي اهتماماً بإبلاغه مأمنه. وجملة ﴿**ذلك بأنّهم قوم لا يعلمون**﴾ في موضع التعليل؛ لتأكيد الأمر بالوفاء لهم بالإجارة إلى أن يصلوا ديارهم، فلذلك فصلت عن الجملة التي قبلها؛ فاسم الإشارة هنا أصلح طرق التعريف في هذا المقام؛ لأنّه جَمَعَ وَأَوْجَزَ... ﴿**كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله**﴾: استفهام يفيد الإنكار على دوام المعاهدة بين أهل التوحيد وأهل الشرك، وما كان من المعاهدات التي سبقت اقتضتها ظروف خاصة انتهى أمدها... ﴿**إلاّ الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم**﴾: فهو استثناء يخص قوماً معيّنين معهودين، فالموصول هنا للعهد، وهم أخص من الذين مضى فيهم قوله: إلاّ الذين عاهدتم من المشركين. وقوله: فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم تفريع على الاستثناء،

والجملة شرطية كما هو معلوم. والاستقامة هنا مستعارة لحسن المعاملة وترك القتال.

وجملة **﴿إنّ الله يحب المتقين﴾** تعليل للأمر بالاستقامة، وإشعار بأنّ القيام بموجب العهد من أحكام التقوى... **﴿كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلاً ولا ذمّة﴾**: تكرير لاستنكار ما مرّ من أن يكون للمشركين عهد حقيق بالمراعاة، وإنّما أعيد الاستنكار والاستبعاد تأكيداً لهما وتمهيداً لتعداد العلل الموجبة لهما، وهي قوله: وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلاً ولا ذّمة **﴿يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً فصدوا عن سبيله إنّهم ساء ما كانوا يعملون لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمّة وأولئك هم المعتدون﴾**؛ فهذه هي العلل الموجبة لنقض العهد بين المسلمين والمشركين... **﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتَوُا الزكاة فإخوانكم في الدين﴾**: جملة الشرط مفرعة على ما قبلها.. وهو تفرُّعُ حكم على حكم لتعقيب الشدة باللين، إن هم أقلعوا عن عداوة المسلمين، وهذه الآية مؤكدة لأختها في أصل الحكم.

وجاء جواب الشرط بالجملة الاسمية للدلالة على أنَّ إيمانهم يقتضي ثبات الأخوّة ودوامَها، تنبيهاً على أنّهم يعودون كالمؤمنين السابقين من قبلُ في أصل الأخوة الدينية. والظرفية في قوله: في الدين مجازية؛ تشبيهاً للملابسة القوية بإحاطة الظرف بالمظروف زيادة في الدلالة على التمكن من الإسلام، وأنّه يَجُبُّ ما قبله. وقوله: **﴿ونفصل الآيات لقوم يعلمون﴾** تذييل، وهو اعتراض للحث على التأمل في الأحكام المندرجة في تضاعيفها والمحافظة عليها... **﴿وإن نكثوا أيْمَانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمّة الكفر إنّهم لا أيْمَان لهم﴾**: هذا مقابل لقوله: فإن تابوا وأقاموا الصلاة، فهو بيان لحكم الذين يعلنون بنكث العهد ويعلنون بما يسخط المسلمين من قولهم، وعبّر عن نقض العهد بِنَكْثِ الأيْمَان تشنيعاً للنكث. وزيد قوله من بعد عهدهم زيادة في تسجيل شناعة نكثهم. والطعن حقيقته خرق الجسم بشيء محدد كالرمح، ويستعمل مجازاً بمعنى الثلب والنسبة إلى النقص، بتشبيه عِرْض المرء الذي كان ملتئماً غير منقوص بالجسد السليم، فإذا أُظهرت نقائصه بالثلب والشتم شبّه بالجلد الذي أُفْسِدَ التحامُه.

والمراد بأئمة الكفر المشركون الذين نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم، فوضع

هذا الاسم موضع الضمير حين لم يقل: فقاتلوهم؛ لزيادة التشنيع عليهم لبلوغهم هذه المنزلة من الكفر، وهي أنّهم قُدْوَةٌ لغيرهم. وجملة إنّهم، لا أيمان لهم تعليل لقتالهم، بأنّهم استحقوه لأجل استخفافهم بالأَيْمَان التي حلفوها على السلم. وجملة ﴿**لعلهم ينتهون**﴾ تعليل للأمر بقتالهم... ﴿**ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة**﴾؟: يؤخذ من هذا الأسلوب في التعبير أمْرَانِ: 1- التحضيض، والحث على مقاتلة مَنْ فعل ويفعل ما يدل على تبييت الغدر بالنكث وعداوة الرسول والمؤمنين. 2- التحذير من التراخي في مبادرتهم بالقتال... ﴿**أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين**﴾؟!: في هذا الاستفهام زيادة في التحريض على قتال من بانت منه ملامح الخيانة، فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين؛ فهذه إثارة للهمة الدينية الكامنة في نفوس المؤمنين... ﴿**قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم**﴾: استئناف ابتدائي للعود من غرض التحذير إلى صريح الأمر بقتالهم الذي في قوله - كما وقع هنا - فقاتلوا أئمة الكفر، وشأن مثل هذا العود في الكلام أن يكون باستئناف.

وجُزِمَ يعذبهم وما عطف عليه في جواب الأمر، وفي جعله جواباً وجزاء؛ أنّ الله ضمن للمسلمين من تلك المقاتلة خمس فوائد تنحل إلى اثنتي عشرة؛ إذ تشتمل كل فائدة منها على كرامة للمؤمنين وإهانة لهؤلاء المشركين، وروعي في كل فائدة منها الغرض الأهمّ، فصرّح به، وجعل ما عداه حاصلاً بطريق الكناية... ﴿**ويتوب الله على من يشاء**﴾: اتصلت الجملة بما قبلها بالعطف ولم تُفْصَل؛ لمناسبة انتظامها بما قبلها، وإنّما جاء الفعل مرفوعاً ليدل على استئناف هذه الجملة؛ ليشمل مَن بقي من المشركين على قيد الحياة، حتى يدبّروا أمرهم ويتوبوا من الكفر والمعاصي. والتذييل بجملة: ﴿**والله عليم حكيم**﴾؛ لإفادة أنّ الله يعامل الناس بما يعلم من نياتهم، وأنه حكيم لا يأمر إلاّ بما فيه تحقيق الحكمة... ﴿**أم حسبتم أن تُتْرَكُوا ولمّا يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون**﴾: جاءت هذه الآية مفصولة عما قبلها لإفادة الإضراب عن غرض من الكلام للانتقال إلى غرض آخر.

والكلام بعد أم المنقطعة له حكم الاستفهام دائماً، فقوله: حسبتم في قوة

أحسبتم؟. والاستفهام المقدّر إنكاري. والخطاب هنا للمسلمين، ففي الآية توبيخ لمن تقاعس عن القتال، وتخوف من كثرة أهل الضلال. وجملة والله خبير بما تعملون تذييل مقرّر لإنكار ذلك الحسبان، فالله خبير بكل ما تعملونه من نية وقول وفعل... **﴿ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله﴾**: هذا ابتداء غرض من أغراض معاملة المشركين، فهو مرتبط بما تضمنته البراءة في أول السورة. والتعبير بهذا الأسلوب (ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله) يدل على نفي الوجود والتحقق لا نفي الجواز. وقوله: **﴿شاهدين على أنفسهم بالكفر﴾**، حال مبيّنة لسبب براءتهم من عمارة المسجد الحرام وغيره من مساجد الله.

وجملة **﴿أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون﴾** ابتداءُ ذمّ لهم، وجيء باسم الإشارة؛ لأنّهُمْ قد تميزوا بوصف الشهادة على أنفسهم بالكفر، وتقديم (وفي النار) على (خالدون) تعجيل المساءة للكفار إذا سمعوه... **﴿إنّما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلاّ الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين﴾**: موقع جملة: إنّما يعمر مساجد الله الاستئناف البياني، فهي جواب لمن يسأل عمّن يكون أهلاً لعمارة مساجد الله. والمراد من الموصول وصلته خصوص المسلمين؛ لأنّهم هم الذين تحققت فيهم الأوصاف المذكورة في السياق.

وفرَّع على وصف المؤمنين بتلك الصفات رجاء أن يكونوا من المهتدين: فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين. والتعبير عنهم باسم الإشارة للتنبيه على أنّهم استحقوا هذا الأمَل فيهم بسبب تلك الأعمال التي عُدَّتْ لهم. وفي هذا حثّ على الاستزادة من هذا الاهتداء، وتحذير من الغرور والاعتماد على بعض العمل الصالح باعتقاد أنّ بعض الأعمال يغني عن بقيتها كما توهمه بعض من خوطبوا بهذا الاستفهام... **﴿أجعلتم سقاية الحاجّ وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين﴾**: فالذين سوَّوْا بين سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام وبين الإيمان والجهاد لم يهتدوا إلى ميزان الحق وظلموا في هذا القياس الفاسد!.. **﴿الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون. يبشرهم ربّهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم**

مقيم. **خالدين فيها أبداً إنّ الله عنده أجر عظيم﴾**: هذه الآية مبيّنة لنفي الاستواء ومفصلة للمجاهدين المذكورين في الآية قبلها، وفيها بيان لمزية المهاجرين من المجاهدين.

والآية أطنبت في ذكر تعداد ما أعدّ الله لهم من الخيرات في الدنيا والآخرة... **﴿ياأيُّها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون﴾**: هذه الآية جاءت مفصولة عما قبلها بدون عطف؛ لأنّها مستأنفة قُصد منها تحذير المؤمنين من موالاة من استحبوا الكفر على الإيمان في ظاهر أمرهم أو باطنه، إذا اطّلعوا عليهم وبدت عليهم أمارات ذلك بما ذكر من صفاتهم في هذه السورة، وجُعل التحذير من أولئك بخصوص كونهم آبَاءً أو إخواناً، تنبيها على أقصى الجدارة بالولاية ليُعلم بفحوى الخطاب أنّ مَنْ دونهم أولى بحكم النهي، وفرّع عليه الحكم بالظلم باسم الإشارة لتمييزهم بهذا الوصف حتى لا يشتبه عليهم الأمر، فينسحب الظلم على الكل... **﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾**: ارتقاء في التحذير من العلائق التي قد تفضي إلى التقصير في القيام بواجبات الإسلام، فلذلك جاءت زيادةُ تفصيل الأصناف من ذوي القرابة وأسباب المخالطة التي تكون بين المؤمنين وبين الكافرين، ومن الأسباب التي تتعلق بها نفوس الناس فيحول تعلقهم بها بينهم وبين الوفاء ببعض حقوق الإسلام، فلذلك ذكر الأبناء هنا؛ لأنّ التعلق بهم أقوى من التعلق بالإخوان، وذكر غيرهم من قريب القرابة أيضاً. وابتداء الخطاب بقُلْ يشير إلى غلظه والتوبيخ به.

والمخاطب بضمائر جماعة المخاطبين المؤمنون الذين قصروا في بعض الواجب، أو المتوقع منهم ذلك؛ كما يُشْعِرُ به اقتران الشرط بحرف الشك وهو (إنْ)، ويفهم منه أن المسترسلين في ذلك الملابسين له هم أهل النفاق، فهم المُعَرِّضُ لهم بالتهديد في قوله: فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين... **﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فَلَمْ تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين﴾**.

﴿ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين. ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم﴾: لقد نصركم الله في مواطن كثيرة؛ في هذا الكلام عدة مؤكِدات: لام القسم، وحرف التحقيق، وإسناد النصر إلى الله، وتنكير مواطن ووصفها بالكثرة. وفي يوم حنين بالذات عندما أعجبت المؤمنين كثرتهم فلم تغن عنهم شيئاً فتزعزعت صفوفهم وضاقت عليهم الأرض بما رحبت، لكن الله منّ عليهم بالنصر بإنزال سكينته على رسوله وعلى المؤمنين الذين ثبتوا معه، وأنزل جنوداً من الملائكة لم تكن في حسبانهم فانهزم المشركون، وتركوا وراءهم ما كان معهم من أموال ونساء وأطفال فحصل للمشركين عذاب من الله لم يكن متوقعاً، وذلك جزاءٌ على كفرهم، ثم بعد ذلك كله جاءت هوازن ومن كان معهم تائبة، فقبل الله توبتهم، والله غفور رحيم.

فهذه الآيات الثلاث بما فيها من الأسلوب البليغ في سياقها العجيب تُذَكِّرُ المسلمين دائما بأن التجرد لله وتوثيق الصلة به هي عِدَّةُ النصر التي لا تخذلهم حين تخذلهم الكثرة في العدد والعتاد، وحين يخذلهم المال والإخوان والأولاد!.. **﴿ياأيُّها الذين آمنوا إنّما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا﴾**: استؤنف الكلام للرجوع به إلى غرض إقصاء المشركين عن المسجد الحرام المفاد من قوله: ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله... الخ جيء به لتأكيد الأمر بإبعادهم عن المسجد الحرام مع تعليله بعلة أخرى تقتضي إبعادَهم عنه، وهي: أنّهم نجس. وحُدِّدَ هذا النهي المفرع عن كونهم نجساً، وهو قوله: فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا، وهو العام الذي حجّ فيه أبوبكر - رضي الله عنه - وأعلن عَلِيٌّ فيه براءةَ الله ورسوله من المشركين، وهو عام تسعة من الهجرة. وصيغة الحصر في قوله: إنّما المشركون نجس لإفادة نفي التردد في اعتبارهم نجسا، فهو للمبالغة في اتّصافهم بالنجاسة حتى كأنّهم لا وصف لهم إلاّ النجسيّة. ووُصِفَ العامُ بالإشارة لزيادة تمييزه وبيانه.

وقوله: فلا يقربوا المسجد، ظاهِرُهُ نهْيٌ للمشركين عن القرب من المسجد الحرام، ومواجهة المؤمنين بذلك تقتضي نهي المسلمين عن أن يقرب المشركون المسجد الحرام. جُعل النهي في صورة نهي المشركين عن ذلك مبالغة في نهي

المؤمنين حين جُعلوا مكلفين بانكفاف المشركين عن الاقتراب من المسجد الحرام. . . ﴿**وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء**﴾: متصل بما قبله بالعطف على جملة النهي، والمقصود من هذه الجملة وعد المؤمنين بأن يغنيهم الله عن المنافع التي تأتيهم من المشركين.

وقوله: إن شاء يفتح لهم باب الرجاء مع التضرع إلى الله في تحقيق وعده؛ لأنّه يفعل ما يشاء. وقوله: ﴿**إنّ الله عليم حكيم تعليل لقوله**﴾: وإن خفتم عيلة؛ فمشيئة الله على وفق علمه وحكمته. . . ﴿**قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون**﴾: هذه الآية مستأنفة جاءت لبيان معاملة أهل الكتاب بعد بيان معاملة المشركين، فأمَرَ اللهُ المؤمنين بقتال أهل الكتاب لاتصافهم بصفات المشركين: بأنّهم لا يؤمنون بالله، ولا يؤمنون باليوم الآخر، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله، ولا يدينون دين الحق.

وقوله: من الذين أوتوا الكتاب بيان وتوضيح حتى لا يلتبس أمرهم على المسلمين. والأمر بالقتال مغيٌّ بغاية إعطائهم الجزية المقررة على الصفة المبينة بقوله عن يد وهم صاغرون. . . ﴿**وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله**﴾: هذا وجه كون اليهود والنصارى لا يؤمنون بالله. . . ﴿**يضاهون قول الذين كفروا من قبل**﴾: فقولهم هذا يشبه قول الكافرين السابقين. . . ﴿**قاتلهم الله أنى يؤفكون**﴾: دعاء عليهم بالهلاك لكونهم صُرِفوا عن الحق إلى الباطل. . . ﴿**اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم**﴾: هذا وجه كونهم لا يحرمون ما حرم اللهُ ورسوله، فهم مخالفون لما أمروا به من عبادة الله وحده المنزه عن الشرك واتخاذ الولد. . . ﴿**يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم**﴾: هذا وجه كونهم لا يدينون دين الحق، فهم يحاولون دائماً إطفاء نور الله بأفواههم، وهي محاولة فاشلة؛ لأنّ الله لا يُريد إلاّ إتمام نوره ولو كره الكافرون. . . ﴿**هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون**﴾: هذا بيان لجملة قوله: ويأبى الله إلاّ أن يتم نوره؛ بأنّه أرسل رسوله بهذا الدين، فلا يريد إزالته، وليس لأحد كائن من كان يقدر على إطفائه رغم محاولة الكافرين والمشركين، فهو نور ساطع، غمر المعمورة بحجته

القاهرة التي لا تُغْلَبْ. . . ﴿**ياأيُّها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله**﴾: استئناف ابتدائي لتنبيه المسلمين على نقائص أهل الكتاب تحقيراً لهم في نفوسهم ليكونوا أشداء عليهم في معاملتهم. وافتتاح الجملة بالنداء واقترانها بحرفي التأكيد للاهتمام بمضمونها.

والتعبير بالمضارع في قوله: ليأكلون، ويصدون، دليل على استمرارهم على هذا العمل الشنيع المُزْري. . . ﴿**والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم**﴾: جملة معطوفة على جملة ياأيُّها الذين آمنوا إنّ كثيراً. . والمناسبة بين الجملتين: أنّ كلتيهما تنبيه على مساوي أقوام يضعهم الناس في مقامات الرفعة والسؤدد وليسوا أهلاً لذلك؛ فمضمون الجملة الأولى بيان مساوي أقوام رفع الناس أقدارهم لعلمهم ودينهم وكانوا منطوين على خبائث خفيّة، ومضمون الجملة الثانية بيان مساوي أقوام رفعهم الناس لأجل أموالهم، فبيّن الله أنّ تلك الأموال إذا لم تُنفق في سبيل الله لا تغني عنهم شيئاً من العذاب. والفاء في قوله: فبشرهم داخلة على خبر الموصول لتنزيله منزلة الشرط؛ لما فيه من الإيماء إلى تعليل الصلة في الخبر. والتبشير مستعار للوعيد على طريقة التهكم! . . ﴿**يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون**﴾: انتصب يومَ يُحمى على الظرفية بعذابٍ؛ لما فيه من معنى يُعذَّبُون، وبُني الفعل للمجهول لعدم تعلق الغرض بالفاعل، وعُدِّيَ بعلى الدالة على الاستعلاء المجازي؛ لإفادة أنَّ الْحَمْيَ تمكن من الأموال، ثم أكّد معنى التمكن بمعنى الظرفية التي في قوله: في نار جهنم، فصارت الأموال محمية عليها النار وموضوعة في النار، وبإضافة النار إلى جهنم عُلِمَ أن المحمي هو نار جهنم التي هي أشد ناراً في الحرارة، فجاء تركيباً بديعاً من البلاغة والمبالغة في إيجاز! . وسلك في التعبير عن التعميم مسلك الإطناب بالتعداد لاستحضار حالة ذلك العذاب الأليم؛ تَهْوِيلاً لشأنه.

وجملة هذا ما كنزتم لأنفسكم مقولُ قَوْلٍ محذوف. والإشارة إلى المحمي. وزيادة قوله: لأنفسكم للتنديد والتغليظ. والفاء في قوله فذوقوا لتفريع مضمون جملة التوبيخ على جملة التنديد الأولى. والذوق مجازٌ في الحس بعلاقة الإطلاق. وعبر بالموصولية في قوله: ما كنتم تكنزون للتنبيه على غلطهم فيما كنزوا لقصد

التنديم... ﴿**إنّ عدّة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض منها أربعة حرم**﴾: استئناف ابتدائي لإقامة نظام التوقيت للأمة على الوجه الحق الصالح لجميع البشر. وافتتاح الكلام بحرف التوكيد للاهتمام بمضمونه؛ لِتَتَوَجَّهَ أسماعُ الناس وألبَابُهم إلى وعيه، وعند الله معناه في حكمه وتقديره؛ فالعندية مجاز في الاعتبار والاعتداد. ومعنى في كتاب الله في تقديره يوم خلق السماوات والأرض.

وهذه الأشهر معلومة بأسمائها عند العرب، وهي الأشهر القمرية، والأربعة الحرم هي: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب؛ خصصها بالذكر لعظمتها عند الله... ﴿**ذلك الدين القيم**﴾: الإشارة إلى المذكور من الشهور الاثنى عشر... ﴿**فلا تظلموا فيهن أنفسكم**﴾: تفريع على الأربعة الحرم، والمراد منه تأكيد حكم الأمْنِ في هذه الأشهر... ﴿**وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة**﴾: الكلام متصل بما قبله بالعطف، جيء به للاحتراس من ظن أنّ النهي عن انتهاك الأشهر الحرم يقتضي النهي عن قتال المشركين فيها إذا بدأوا بقتال المسلمين. وكافة كلمة تدل على العموم والشمول، جاءت تأكيداً للفريقين من المؤمنين والمشركين. والكاف في (كما يقاتلونكم) أصلها كاف التشبيه استعيرت للتعليل بتشبيه الشيء المعلول بعلته. وجملة ﴿**واعلموا أنّ الله مع المتقين**﴾ تأييدٌ وضمان بالنصر عند قتالهم المشركين، وابتدئت الجملة باعلموا للاهتمام بمضمونها، والجملة بمنزلة التذييل لما قبلها من أجل ما فيها من العموم في المتقين، فهو كلام مستقل يجري مجرى المَثَلِ... ﴿**إنّما النسيء زيادة في الكفر**﴾: استئناف بياني ناشئ عن قوله تعالى: إنّ عدة الشهور؛ لأنّ ذلك كالمقدمة إلى المقصود، وهي إبطال النسيء وتشنيعه. وصيغة القصر فيه تقتضي أنّه لا يعدو كونه من أثر الكفر لمحبة الاعتداء والغارات، فهو قصر حقيقي. ويلزم من كونه زيادة في الكفر أن الذين وضعوه والذين تابعوهم عليه كافرون ضالون... ﴿**يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرّم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين**﴾!..

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

التوجيه الأول: ﴿**براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين**﴾:

في هذا التوجيه ارتباط وَثيقٌ بين ما تقدم في آخر سورة الأنفال من قوله: وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله.. وبين أول هذه السورة؛ حيث جاءت البراءة من الله ورسوله إلى المشركين الذين نقضوا ما بينهم وبين نسبهم الصريح الصحيح بالكفر والشرك؛ فالبراءة هنا جاءت على ما يقتضيه المقام من التصريح والتوضيح. والخبر موجّه إلى المؤمنين الذين وفوا بعهد الله والتزموا ما عليهم من الأمر المنوط بهم، فهذه البراءة مأمورون بإنفاذها. لقد كان العهد بين النبيء ﷺ وبين المشركين انعقد على صور مختلفة، فكان بين المسلمين وبين بعض قبائل العرب عهود كما أشارت إليه سورة النساء، وكما أشارت إليه هذه السورة.

وبعض هذه العهود كان لغير أجل معين، وبعضها كان لأجل قد انقضى، وبعضها لم ينقض أجلُه؛ فأعلن الله لهؤلاء هذه البراءة ليأخذوا حذرهم، فجاء الأمر للمسلمين بأن يقولوا للمشركين: ﴿**سيحوا في الأرض أربعة أشهر**﴾: وهي شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرّم... ﴿**واعلموا أنّكم غير معجزي الله وأنّ الله مخزي الكافرين**﴾: فهو داخل في حكم التفريع؛ لأنّه لما أنبأهم بالأمان في أربعة الأشهر، عقبه بالتخويف من بأس الله احتراساً من تطرق الغرور، وتهديداً بأن لا يطمئنوا من أن يسلط الله المسلمين عليهم في غير الأشهر الحرم، وإن قبعوا في ديارهم، فالله مخزي الكافرين أين ما حلّوا وكيفما تحركوا وارتحلوا ما داموا متلبسين بوصف الكفر. وأعقب ذلك بالإعلان أمام الأشهاد في المحفل العام الشامل من كل حاضر وباد: ﴿**وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أنّ الله بريء من المشركين ورسولُه**﴾: وهذا الإعلام أذيع على الناس يوم النحر في منى عام حجّ أبوبكر بالناس سنة تسع من الهجرة، وجاء فيه: أنْ لا يحج بعد هذا العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان... ﴿**فإن تبتم فهو خير لكم وإن توليتم فاعلموا أنّكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم**﴾: هذا متفرع عما قبله مترتب كما يلي: الأول: براءة من الله ورسوله إلى المعاهدين من المشركين. الثاني: إعلان لهذه البراءة على رءوس الأشهاد. الثالث: دعوة إلى التوبة والرجوع إلى الله، وبشارة بالخيْر إنِ اختاروا التوبة والإيمان، وليس بعد هذا إلا الهزيمة والخذلان في الدنيا، والبشارة بالعذاب والهوان في العقبى!.

التوجيه الثاني: ﴿إلاّ الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم

يظاهروا عليكم أحداً فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إنّ الله يحب المتقين﴾: في هذا التوجيه يستثنى الذين لهم عهد من المشركين محدد بمدة معينة، فيبقى لهم عهدهم - بشرط أن لا ينقصوا منه شيئاً، ولم يساعدوا أحداً من المشركين المحاربين - إلى المدة المحددة؛ لأنّ وفاء العهد علامة من علامات المتقين، والله يحب المتقين. ولم يعين النص قوماً مخصوصين بأسمائهم أو قبائلهم؛ لأنّ الوصف كافٍ في فهم الحكم الذي لهم، والحكم الذي عليهم... **﴿فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إنّ الله غفور رحيم﴾**: بانتهاء الأشهر الأربعة التي حُدِّدَتْ وأُعْلِنَتْ للناس يوم الحج الأكبر، وبانتهاء مدة كل عهد عاهد عليه من عاهد، وبانتهاء حكم الأشهر الحرم التي كانت معروفة بحرمة القتال فيها ينتهي كلُّ عهد بين المسلمين وبين المشركين، فلا حرمة لهم ولا لعهدهم ولا لعاداتهم، ماداموا مشركين مُنَاوِئين لله ورسوله والمؤمنين. وفي هذه الآية شرع الجهاد والإذن فيه، والإشارة إلى أنّهم لا يُقبل منهم غَيْرُ الإسلام. وهذه الآية حدّدت آيات الموادعة والمعاهدة، وقد عمت الآية جميع المشركين، وعمت الزمان والمكان إلاّ ما خصصته الأدلة من الكتاب والسنة... **﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنّهم قوم لا يعلمون﴾**: هذا حكم خاص بالأفراد الذين لم يدخلوا في حرب، ولم يكونوا خطراً على الإسلام والمسلمين، فلهم الأمن إن طلبه أحد منهم، حتى يسمع كلام الله ويتحقق ما يدعوا إليه فينشرح صدره للإسلام، ثم بعد هذا يُخْفَرُ ويُحْرَسُ حتى يبلغ مكاناً يطمئن فيه دون خوف أو إرهاب؛ لأنّ هؤلاء معذورون بجهلهم وعدم سماعهم لما يدعو إلى الهدى والخير.

أما بقية المشركين من العرب الخارجين عن النسب الصريح والحسب الصحيح الذين ينقضون العهد، ولا يعرفون إلاّ الكفر والصّد، فليست لهم حرمة ولم تكن لهم مع المسلمين ذمة... **﴿كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله؟!. إلاّ الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إنّ الله يحب المتقين﴾**: هذا الاستثناء خاص بجماعة معينة عاهدوا المسلمين عند المسجد الحرام؛ فتبقى هذه المعاهدة ماداموا مستقيمين للمسلمين عليها، فلم يغدروا ولم يخونوا... **﴿كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلاً ولا ذمّة. يرضونكم**

بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً فصدوا عن سبيله إنّهم ساء ما كانوا يعملون. لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمّة وأولئك هم المعتدون﴾.

﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون﴾: ثم يعود الكلام من جديد إلى استنكار قيام عهد المشركين عند الله وعند رسوله، وهم لا يضمرون إلاّ الشَّر لمن آمنوا بالله ورسوله، فهم لا يتقون الله في المؤمنين لو ظفروا بهم وانتصروا عليهم، فلا يرعون عهداً ولا ذمّة، ولا يتحرجون من منكر يأتونه معهم، ولا يقفون عند حدٍّ في التنكيل بهم. إنّ قلوبهم تثقل بالكره والبغض، وتنضح بالحقد والكيد ولكنهم يُرضون المؤمنين بأفواههم بالكلام المعْسُول الذي لا تريده قلوبهم ولا ترتضيه، وأكثرهم فاسقون منحرفون لا يستقيمون على عهد ولا طريق، ثم إنّهم اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً، فقد كانت هذه الآيات بين أيديهم يملكون الاهتداء بها لو أرادوا، ولكنهم تركوها في مقابل نفع قليل ينالهم في هذه الدنيا، أو اتقاء خسارة مادية قليلة يتوقعونها، فكأنّهم باعوا آيات الله بهذا الثمن القليل فخسروها، فصدوا عن سبيله وأعرضوا؛ إنّهم ساء ما كانوا يعملون.

ثم يعود السياق إلى توكيد مشاعرهم تجاه المؤمنين عامة، وطبيعتهم المعتدية الآثمة الراغبة في الإيذاء والشر: لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمّة وأولئك هم المعتدون. ومع هذا كله فالباب أمامهم مفتوح، والماضي كله يمكن أن تُطْوى صفحتُه، والإسلام يحتضن إليه كُلَّ من يتوب وينوب... فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين: لهم كل حقوق الأخوة الإسلامية بتلك الشروط: التوبة وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة. والنص يقرر هذه الشروط في دقة كاملة ووضوح؛ لأنّه بِصَدَدِ تشريع مُحَدَّدِ النصوص، ونفصل الآيات لقوم يعلمون. فأمّا إذا لجُّوا في طريقهم الفاسق المنحرف ولم يحافظوا على عهودهم، وقد حفظها لهم الإسلام، وطعنوا في دين المسلمين فلا عهد لهم إذاً ولا ذمام... **﴿وإن نكثوا أَيْمَانَهُم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنّهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون﴾**: قاتلوا أئمة الكفر الذين يدعون إليه، ويَؤُمُّونَ غيرهم إلى الضلال، ويقودونهم إليه؛ قاتلوهم إنّهم لا أيمان لهم، فهم لا يحافظون على عهد

يقطعونه ولا يتحرّجون بيمين يقسمونها ولا ضمان من غدرهم وقد مردوا على نقض العُهود؛ فإن القوة وحدها هي التي تردهم عن الكفر والنكث والغدر.

ويمضي السياق في تحريض المسلمين على الجهاد، فيلمس وجدانهم بالمنطق الواقعي المثير، يمضي فيستعرض النقط الرئيسية المثيرة لمشاعر المسلم ويجمعها كلها في مطلع الآية، فيبدو التقاعس عن قتال المشركين عجيباً جدّ عجيب!.. **﴿ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدأوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين؟. قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم﴾**: ألا تقاتلون قوماً هذا موقفهم وهذا سلوكهم وهذا ماضيهم..؟. ألا تقاتلون قوماً نقضوا عهودكم معكم، فليس لهم شرف وليس لهم ضمير، ولستم تأمنون أن يبيتوكم بالغدر وأنتم غارون غافلون؟!. فهم مصدر تهديد دائم لكم، ولا اطمئنان إلى جوارهم ولا أمان؟. ألا تقاتلون قوماً هموا بإخراج الرسول وتآمروا عليه، ولو نجح تدبيرُهم لنالوا منه، وما عصمه منهم إلاّ الله الذي أبطل تدبيرَهم اللئيم؟!. ألا تقاتلون قوماً بدأوكم أول مرة بالأذى والقتال، فهم المعتدون البادئون المُتَحَدُّون؟. ألا تقاتلون قوماً قدّموا لكم كل هذه المسآت؟. أتخشونهم؟!. فتناموا على الضيم وتنسوا مكرهم بالرسول، وتبيتوا على الحذر والقلق خوفاً وخشية؟!. فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين: فالإِيمَانُ بالله يقتضي أن لا يخشى المؤمنون به سواه... قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم... الخ: في هذا الأمر اثنتا عشرة فائدة:

الفائدة الأولى: تعذيب المشركين بأيدي المؤمنين، فلم يأتهم عذاب من الغيب، كما وقع للأمم السابقة. الفائدة الثانية: عزة المؤمنين بإهانة المشركين. الفائدة الثالثة: خزي المشركين. الفائدة الرابعة: يستلزم من خزي المشركين عزة المؤمنين. الفائدة الخامسة: نصر المؤمنين. الفائدة السادسة: هزيمة المشركين. الفائدة السابعة: شفاء صدور فريق من المؤمنين. الفائدة الثامنة: شفاء صدور كل مؤمن. الفائدة التاسعة: حرج صدور المشركين. الفائدة العاشرة: إذهاب غيظ فريق من المؤمنين. الفائدة الحادية عشر: إذهاب غيظ كل المؤمنين. الفائدة الثانية عشرة: غيظ قلوب المشركين... **﴿ويتوب الله على من يشاء والله عليم**

حكيم﴾: هذا الانتصار الرائع قد يكون سبباً في تفتح بصائر المنهزمين؛ فيرجعون عن غيهم ويُقبلون على الإسلام تائبين، فَيَقْبَل اللهُ توبتَهم، والله عليم حكيم.

التوجيه الثالث: **﴿أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون﴾**: في هذا التوجيه لفت نظر المسلمين إلى حقيقة أمْرٍ قد يغفل عنه المرء عندما تأخذه غمرة الانتصار؛ فينسى السبب الحقيقي لهذا الانتصار، فلابد أن يمتحن المؤمن لتظهر حقيقة إيمانه باتخاذ الله تعالى، واتخاذ رسوله ﷺ والمؤمنين وليجة وملجأً، أما الذي يتخذ المشركين وليجة يلتجئ إليها خوفاً وطمعاً، فلا عبرة بإيمانه ولا قيمة لعمله، فلهذا ينتفي كل عمل لا يتمشى على القاعدة السليمة التي وضعها الله لتمييز الخبيث من الطيب، مثل الكفر والإيمان - الشرك والتوحيد -: **﴿ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون. إنّما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين. . .﴾** فهذه هي القاعدة التي غابت عن أذهان كثير من الناس حتى خلطوا بين الخبيث والطيب ومزجوا بين الكفر والإيمان والشرك والتوحيد: **﴿أجعلتم سقاية الحاجّ وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين﴾**: وهذه هي القاعدة في استحقاق عمارة بيوت الله؛ وفي تقويم العبادات والشعائر على السواء، فما يجوز أن يسوى الذين كانوا يعمرون الكعبة ويسقون الحجيج في الجاهلية، وعقيدتهم ليست خالصة لله ولا نصيب لهم من عمل أو جهاد، لا يجوز أن يسوّى هؤلاء - لمجرد عمارتهم للبيت وخدمتهم للحجيج - بالذين آمنوا إيماناً صحيحاً، وجاهدوا في سبيل الله وإعلاء كلمته، وميزان الله هو الميزان، وتقديره هو التقدير. . . والله لا يهدي القوم الظالمين: الذين لا يدينون دين الحق، ولا يخلصون عقيدتهم من الشرك، ولو كانوا يعمرون البيت ويسقون الحجيج!. وينتهي هذا المعنى بتقرير فضل المؤمنين المهاجرين المجاهدين، وما ينتظرهم من رحمة ورضوان، ومن نعيم مقيم وأجر عظيم: **﴿الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون﴾**.

﴿**يبشرهم ربّهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبداً إنّ الله عنده أجر عظيم**﴾: ينتهي هذا المعنى بتقرير فضل المؤمنين المهاجرين المجاهدين، وما ينتظرهم من رحمة ورضوان ومن نعيم مقيم وأجر عظيم، ثم يمضي السياق في تجريد المشاعر والصلات في قلوب الجماعة المؤمنة وتمحيصها لله ولِدِين الله؛ فيدعو إلى تخليصها من وشائج القربى والمصلحة واللذة، ويجمع كل لذائذ البشر وكل وشائج الحياة فيضمها في كفة، ويضع حب الله ورسوله وحب الجهاد في سبيله في الكفة الأخرى، ويَدَعُ للمسلمين الخيار... ﴿**ياأيُّها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون**﴾.

﴿**قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين**﴾: إنّ هذه العقيدة لا تحتمل لها في القلب شريكاً؛ فإمّا تَجَرُّدٌ لها، وإما انسلاخ منها، وليس المطلوب أن ينقطع المسلم عن الأهل والعشيرة والزوج والولد والمال والعمل والمتاع واللذة؛ ولا أن يترهبن ويزهد في طيبات الحياة. كلا إنّما تريد هذه العقيدة أن يخلص لها القلب ويخلص لها الحب، وأن تكون هي المسيطرة والحاكمة، وهي المحرّكة والدافعة؛ فإذا تمّ لها هذا فلا حرج عندئذ أن يستمتع المسلم بكل طيبات الحياة، على أن يكون مستعداً لنبذها كلها في اللحظة التي تتعارض مع مطالب العقيدة. فإذا اطمأن المسلم إلى أنّ قلبه خالص لعقيدته، فلا عليه بعد هذا أن يستمتع بالأبناء والأخوة وبالزوج والعشيرة؛ ولا عليه أن يتخذ الأموال والمتاجر والمساكن؛ ولا عليه أن يستمتع بزينة الله والطيبات من الرزق؛ بل إنّ المتاع بها حينئذ لمستحب، باعتباره لوناً من ألوان الشكر لله الذي أنعم بها ليتمتع بها عبادُه، وهم يذكرون أنّه الرازق المنعم الوهاب.

ثم بعد هذا يعطي الدليل القاطع بأنّ العقيدة هي مجلبة النصر والتأييد، وأن الكثرة من المال والعشيرة لا تغني ولا تفيد: ﴿**لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين. ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل**

جنوداً لم تروها وعذَّبَ الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين﴾: وقد كانت وقعة حنين بعد فتح مكة في شوال سنة ثمانٍ من الهجرة، وذلك لما فرغ النبيء ﷺ من فتح مكة، وتمهدت أمورها، وأسلم عامة أهلها، وأطلقهم رسول الله، فبلغه أنّ هوازن جمعوا له ليقاتلوه بما معهم من قبائل العرب التي ساءها سماعُ نصر المؤمنين، وقد أقبلوا ومعهم النساء والولدان والشاء والنعم، فخرج إليهم رسول الله في جيشه الذي جاء معه للفتح، وهو عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار، ومعه الذين أسلموا من أهل مكة، وكانوا نحو الألفين، فسار بهم إلى العدو، فالتقوا بواد بين مكة والطائف يقال له حُنين، فكانت فيه الواقعة أول النهار في غلس الصبح انحدروا في الوادي، وقد كمنت فيه هوازن، فلما تواجهوا لم يشعر المسلمون إلا بهم قد بادروهم ورشقوا النبال وأصلتوا السيوف وحملوا حملة رجل واحد كما أمرهم رئيسهم، فعند ذلك ولّى المسلمون مدبرين، وثبت رسول الله - صل الله عليه وسلم - يومئذ وهو راكب بغلته الشهباء يسوقها إلى نحر العدو، والعباس آخذ بركابها الأيمن، وأبو سفيان ابن الحارث بن عبدالمطلب آخذ بركابها الأيسر يثقلانها لئلا تسرع السير، وهو ينوه باسمه ويدعو المسلمين إلى الرجعة، ويقول: إليّ عبادَ الله، إليّ أنا رسول الله، ويقول في تلك الحال: أنا النبيء لا كذب. أنا ابن عبد المطلب.

وثبت معه من أصحابه قريب من مائة، ثم أمر النبيء عمه العباس وكان جهير الصوت أن ينادي بأعلى صوته: يا أصحاب الشجرة، ويقول تارة: يا أصحاب سورة البقرة، فجعلوا يقولون: يا لَبَّيْك يا لبيّك، وانعطف الناس فتراجعوا إلى رسول الله، فأمرهم الرسول أن يصدقوا الحملة، فانهزم المشركون، فاتبع المسلمون أقفاءهم يقتلون ويأسرون. هذه هي المعركة التي اجتمع فيها للمسلمين - للمرة الأولى - جيشٌ عدّته اثنا عشر ألفاً فأعجبتهم كثرتهم، وغفلوا بها عن سبب النصر الأول؛ فردهم الله بالهزيمة في أول المعركة إليه، ثم نصرهم بالقلة المؤمنة التي ثبتت مع رسول الله ﷺ.

إنّ معركة حنين التي يذكرها السياق هنا ليعرض نتائج الانشغال عن الله والاعتماد على قوة غير قوته، لتكشف لنا عن حقيقة أخرى ضِمْنِيَّة، حقيقة القوى التي تعتمد عليها كل عقيدة: إن الكثرة العددية ليست بشيء، إنّما هي القلة العارفة

المتصلة الثابتة المتجردة للعقيدة. وإنّ الكثرة لتكون أحياناً سبباً في الهزيمة، لقد قامت كل عقيدة بالصفوة المختارة؛ لا بالزبد الذي يذهب جفاءً، ولا بالهشيم الذي تذروه الرياح. وعندما يبلغ السياق إلى هذا المقطع، ويلمس وجدان المسلمين بالذكرى القريبة من التاريخ ينهي القول في شأن المشركين، ويلقي الكلمة الباقية فيهم إلى يوم الدين: ﴿**ياأيُّها الذين آمنوا إنّما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء إنّ الله عليم حكيم**﴾: إنّ نجاسة المشركين نجاسة معنوية، عريقة في أرواحهم ونفوسهم وعقولهم وتفكيرهم، فلا يصح أن يكونوا في المسجد الحرام ولا قريبين منه فقد دنسوه في الماضي بشركهم وعبثهم ومجونهم، أمَّا مِنَ الآن فصاعداً فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا. ومعلوم أن العام الذي أُبْلِغُوا فيه هذا البلاغ هو عام حَجَّ أبوبكر - رضي الله عنه - عام تسعة من الهجرة. والغرض من قول الله تعالى: وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء إنّ الله عليم حكيم واضح لا يحتاج إلى تحليل أكثر من هذا التوجيه السليم.

التوجيه الرابع: ﴿**قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون**﴾: في هذا التوجيه الأمر للمؤمنين بقتال أهل الكتاب - اليهود والنصارى - بعد تقرير الموقف النهائي للإسلام من مشركي العرب؛ ليقرر موقفه كذلك من أهل الكتاب الذين انحرفوا عن كتابهم؛ فلم يكونوا يؤمنون بالله، ولم يكونوا يؤمنون باليوم الآخر، ولم يكونوا يحرّمون ما حرّم الله ورسوله، ولم يكونوا يدينون دين الحق. لقد جاء الإسلام فوجد أهل الكتاب - إلاّ قليلاً منهم - تركوا أصول كتابهم، وأخذ أحبارهم ورهبانهم يُزَيِّفُونَ لهم ديناً غير دين الله الذي جاءهم به أنبئاؤهم، فيحلّون لهم ما حرّم الله عليهم، ويحلّون لهم ما حرم عليهم.

ويشترون بآيات الله ثمناً قليلاً، ولقد سالمهم الإسلام فترة طويلة، وقصر جهاده على المشركين، ولكنهم ظلوا يعادون الإسلام وأهله ويعينون عليهم الكفار، ويقولون للذين أشركوا: هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً. وأخيراً أخذت الدولة الرومانية النصرانية تجهّز جيوشها على أطراف الجزيرة وتستعد للانقضاض على

قاعدة الإسلام ومحضن العقيدة، عندئذ أُمِرَ المسلمون أن يجاهدوا أهل الكتاب المنحرفين عن كتبهم، فيخرجون بهذا عن زمرة المؤمنين أصلاً ويلحقون بالمشركين؛ أمروا بقتالهم حتى يفيئوا إلى الدين الحق الذي مهدت له دياناتهم، وبشرت به كتبهم، والذي أراد الله له أن يكون الدين الأخير للبشر، والنظام الأخير للحياة، هذا أو يؤدوا الجزية إقراراً بسلطان الإسلام، وإعلاناً بالخضوع لقوته، وعدم الوقوف في سبيل دعوته، ولهم في مقابل الجزية حماية الأمة الإسلامية لهم، وكفالتها للعاجزين منهم.

ثم يمرّ السياق فيعرض نماذج من انحراف أهل الكتاب في العقيدة. . . **﴿وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنّى يؤفكون﴾**: ولقد واجه القرآن اليهود بأنّهم يقولون: عزير ابن الله، وواجه النصارى بأنّهم يقولون: المسيح ابن الله، فلم يعترضوا على هذه التهمة الخطيرة، ولم يكذبوا أنّهم يدّعون هذه الدعوى التي لا تصدر عن إيمان، فحق عليهم أن يدمغهم بأنّهم لا يدينون دين الحق، ولا يؤمنون بالله. فدين الحق هو دين التوحيد، والإيمان بالله يقتضي تنزيهه عن مشابهة البشر، وعن اتخاذه الصاحبة والولد. وإنّ الإنسان ليعجب من تصور اليهود والنصارى أنّ لله ولداً مع دعواهم الإيمان بالله!، وهم أهل كتاب!. وإنه الكفر والشرك واضحاً جلياً فيما يقولون: ذلك قولهم بأفواههم يضاهون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون.

والانحراف في العقيدة حين يوجد لا يقف عند حدٍّ، فهؤلاء اليهود والنصارى لم يقفوا عند ذلك التصور السخيف؛ تصور بنوّة العُزَير وبنوة المسيح، بل راح اليهود يؤلهون أحبارهم والنصارى يؤلهون رهبانهم، يؤلهونهم بمعنى إعطائهم حق التشريع؛ حق التحليل والتحريم، والله وحده هو الذي يُحرّم ويُحَلِّل، فما حرّمه فهو حرام، وما أحله فهو الحلال، وليس لأحد من خلقه أن يُحِلَّ ما حرّمه، ولا أن يحرّم ما أحله؛ لأنّ حق التشريع ابتداء خالص لله وحده دون البشر أجمعين، والحاكمية لله وحده بين عباده، والبشر إنّما ينفذون شريعته، ويطبقونها فيما يعرض لهم من قضايا، ولا يبتدعون التشريع، فلما أعطى اليهودُ ذلك الحقَّ لأحبارهم، وأعطى النصارى ذلك الحق لرهبانهم وَصَمَهم القرآن الكريم بأنّهم يتخذونهم آلهة

كما اتخذوا المسيح: ﴿**اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلاّ ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون**﴾: ويعقب السياق على تخيلات اليهود والنصارى والمشركين، ويُظْهِرُهَا للناس في صورة أعمال يحاولون بها إطفاء نور الله! . إنّها محاولة للقضاء على دين الله الهادي الذي أرسل الله به رسوله محمداً ﷺ؛ ليكون الدين الأخير، والمنهاج المسيطر على الضمائر والمجتمعات، فهؤلاء الذين يحاربون دين الله وهُداه، ويموّهونه بتلك التصورات الباطلة والاعتقادات الفاسدة، إنّما يحاولون أن يشيعوا الظلام في تصورات الناس واعتقاداتهم، وأن يغشوا نصاعة العقيدة ووضوحها وإشراقها، وأن يذهبوا بالهدى الذي يكشف الحق وينير الطريق: ﴿**يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلاّ أن يتم نوره ولو كره الكافرون**﴾.

﴿**هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون**﴾: لقد أرسل الله رسوله محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق، وقدّر له أن يظهر وينتصر على العقائد جميعها، وأن يكون هو الدين الباقي المُنْتَصِرُ إلى يوم الدين، وننظر اليوم فإذا الإسلام هو العقيدة الدينية الوحيدة التي تعيش في النور فلا تحتاج إلى الهروب من التفكير الواضح المستقيم، وإذا هو العقيدة الدينية الوحيدة التي تحتوي نظاماً للحياة كلها، تملك الحياة أن تعيش في ظله، وأن تنمو وتتقدم وهي في حدود الدين، وإذا هو العقيدة الوحيدة التي تملك أن تقوم بذاتها حتى حين يتخلى عنها سلطانُ الدولة وتحاربها قوى الأرض؛ لأنّ القوة مودعة في بنائها وفي كيانها، فهي بذاتها قادرة على البقاء والتأثير.

ثم يتجه الخطاب إلى الذين آمنوا ليكشف لهم عن طرف من مسلك الأحبار والرهبان ثم لِيُحَذِّرَهُم من هذا المسلك وهم يؤمنون: ﴿**ياأيُّها الذين آمنوا إنّ كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم. يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون. .**﴾ فهؤلاء الأحبار والرهبان يأكلون أموال الناس بما يبتدعون من أحكام، وبما ينشرون من ترهات، ففي سبيل المال يحلون الحرام ويحرمون الحلال، ويحصلون بذلك على نصيب وافر من المال لا حق لهم فيه،

فهم يأكلون أموال الناس بالباطل، ويصدون عن سبيل الله باستغلال ثقة الناس فيهم، واعتقادهم أنّهم أمناء على ما بين أيديهم من كتاب الله، فالمحترفون من رجال الدين عامة يقومون بالدور الأول في الصد عن سبيل الله، والوقوف في وجه العقيدة الصحيحة؛ لأنّها تحرمهم ما يجعلونه لأنفسهم من سلطان وما يكسبونه بهذا السلطان الزائف من مال يأكلونه بالباطل في كل زمان!. وإنّ الأحبار والرهبان ليكنزون الذهب والفضة فليحذر الذين آمنوا أن يكونوا مثلهم؛ ألا إنه لمشهد مفزع يعرض في أناة وتطويل وتفصيل، ألا وإنه لَجَزَاء الكنز والأثرة، واحتجاز فضل الله ورزقه أن ينفق في سبيل الله، وأن يعم خيره خلق الله، وأن يكون عامل نماءٍ وصلاح للحياة؛ فلا يتحول المال إلى حجر مرصود أو صنم معبود!. وبخاصة في معرض الجهاد في سبيل الله بالنفس والمال، حين يكون الكنز جريمة مباشرة في حق الدعوة، وفي حق العقيدة، وفي حق الأمة المسلمة التي لا تقوم إلا بالجهاد.

التوجيه الخامس: ﴿**إنّ عدّة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم**﴾: في هذا التوجيه يَرُدُّ الله معيار الزمن وتحديد دوراته إلى طبيعة الكون التي فطره عليها، وإلى أصل الخلقة؛ خلقة السماوات والأرض، ويشير هذا النص إلى أن هناك دورة زمنية ثابتة مقسّمة إلى اثني عشر شهراً، يستدل على ثباتها بثبات عدّة الأشهر؛ فلا تزيد في دورة وتنقص في دورة، وإن ذلك في كتاب الله: ناموسه الذي أقام عليه نظام هذا الكون، وهذه الأشهر معلومة بأسمائها عند العرب. والأربعة الحرم هي المعروفة عندهم، وقد بيّن إجمال هذه الآية النبيء ﷺ في خطبة حجة الوداع بقوله: منها أربعة حرم: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان.

وتحريم هذه الأشهر الأربعة مما شرعه الله لإبراهيم - عليه السلام - لمصلحة الناس وإقامة الحج، وهو معنى قوله: ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم، ولكن المشركين من العرب غيّروا هذا النظام وتلاعبوا به فلم يراعوا حرمة الدين ولا حرمة الزمن وإذا كان الأمر كذلك فلا حرمة لهم ماداموا على إشراكهم وكفرهم وتلاعبهم: ﴿**وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا**

أنّ الله مع المتقين﴾: مادمتم على الحق تخشون الله وتتقونه فالله معكم، أما المشركون الذين لم يراعوا حرمة الله ولم يدينوا لله دين الحق وعملوا ما عملوا من تبديل وتغيير فيما شرع الله، فهذا كفرهم وضلالهم واضح أمام الأشهاد: **﴿إنّما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدّة ما حرّم الله فيحلوا ما حرّم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين﴾**: وهنا ينتهي الكلام مع المشركين ليواجه المؤمنون مرحلة أخرى من الجهاد والنضال أشقّ وأعنف، وهو جهاد الكافرين والمنافقين.

3 ـ تفصيل الكلام على
آخر غزوة غزاها عليه الصلاة والسلام

النص

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ
ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا
مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا
فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿38﴾ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا
أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ
وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿39﴾ * إِلَّا تَنصُرُوهُ
فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ
ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ
لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ
وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿40﴾
ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ
فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿41﴾
لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ

عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ
يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿42﴾
عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ
ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿43﴾ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ
يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ
وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿44﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ
فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿45﴾ * وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟
لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ
وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿46﴾ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ
إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ
وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿47﴾
لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ
حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿48﴾
وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ
سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿49﴾
إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟
قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿50﴾

قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا
وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ (51) قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ
إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ
ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا
مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ (52) قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا
لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ (53)
* وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟
بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ
كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ (54)
فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم
بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ (55)
وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ
قَوْمٌ يَفْرَقُونَ (56) لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا
لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ (57) وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ
فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ
إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ (58) وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ
وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ
إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ (59) إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ

وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ
وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً
مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿60﴾ * وَمِنْهُمُ الَّذِينَ
يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ
لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا
مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿61﴾
يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ
أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿62﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ
مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا
فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿63﴾ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ
تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا
إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ ﴿64﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ
إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ
وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿65﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ
بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ يُعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ تُعَذَّبْ
طَائِفَةٌ بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿66﴾ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ
بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ
الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ

إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿67﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ
وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا
هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿68﴾
كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ
أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ
بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ
وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿69﴾ * أَلَمْ يَأْتِهِمْ
نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ﴿70﴾ وَقَوْمِ
إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ
بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ
يَظْلِمُونَ ﴿71﴾ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ
يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ
وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ
سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿72﴾ وَعَدَ اللَّهُ
الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ
وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿73﴾

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ
عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ (74) يَحْلِفُونَ
بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ
إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ
ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ
وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ
وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ (75) * وَمِنْهُم مَّنْ
عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ
مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (76) فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟
وَّهُم مُّعْرِضُونَ (77) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ
يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ (78)
أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ
عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ (79) ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ
ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ
فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (80)
ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً
فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ
وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ (81) فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ

بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ
وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّۗ قُلْ نَارُ
جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّاۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿82﴾ فَلْيَضْحَكُواْ
قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿83﴾
فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ
فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ
عَدُوًّاۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُواْ
مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴿84﴾ * وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم
مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓۖ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ
بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿85﴾
وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ
أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿86﴾
وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ
ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿87﴾
رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ
قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿88﴾ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُۖ
وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿89﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٖ تَجْرِي

مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ (90)
وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ
كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ (91) لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ
وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟
لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ
وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (92) وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ
لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ
تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ (93)

البيان

مبحث المفردات اللغويّة

﴿ياأيُّها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثّاقلتم إلى الأرض﴾: النفر: الخروج السريع من موضع إلى غيره لأمر يحدُث، وأكثر ما يدل على الخروج إلى الحرب، ومصدره حينئذ النفير. وسبيل الله: الجهاد، سمي بذلك لأنّه كالطريق الموصل إلى الله. والتثاقل: تكلف الثقل، والثقل: حالة في الجسم تقتضي شدّة تطلبه للنزول إلى أسفل. والأرض: ما يمشي عليها الناس... **﴿أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة﴾**: الرضى بالشيء: ميل النفس إليه واختياره عن غيره. والحياة الدنيا: الحياة الحاضرة. والآخرة: الحياة الآتية الباقية... **﴿فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلاّ قليل﴾**: المتاع: الالتذاذ والتنعم بالحياة الحاضرة، والمتاع اسم مصدر تمتّع.

وقيل: مسْتَحْقَرٌ لا قِيمَةَ له بالنسبة للحياة الآخرة. . . **﴿إلاّ تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئاً والله على كل شيء قدير﴾**: إن تقاعستم عن القتال ولم تخرجوا إلى النضال هاجمكم العدوُّ في دياركم فأذاقكم كأس الوبال، ويستبدل قوماً غيركم من الرجال. وعند ذلك فلا تضرون إلا أنفسكم بالهزيمة والنكال، والله على كل شيء قدير في جميع الأحوال. . . **﴿إلا تنصروه فقد نصره الله﴾**: إن تركتم نصر محمد الآن فقد نصره الله في وقت لم يكن معه نصير غير الله: **﴿إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا﴾**: وثاني اثنين: واحد من اثنين، والمراد بهما: الرسول ﷺ وأبوبكر الصديق رضي الله عنه.

والغار: الثقب في التراب أو الصخر، والمراد به: غَارُ ثَوْرٍ. ومعنى الصاحب: المتصف بالصحبة، وهي المعية والملازمة في غالب الأحوال. لا تحزن: لا تهتم بما مضى، فالحزن: تذكر المكروه في الماضي. والمعية هنا: معية الإعانة والعناية. . . **﴿فأنزل الله سكينته عليه﴾**: السكينة: اطمئنان النفس عند الأحوال المخوفة، مشتقة من السكون. . . **﴿وأيده بجنود لم تروها﴾**: التأييد: التقوية والنصر، وهو مشتق من اسم اليد. والجنود: جمع جند بمعنى الجيش. . . **﴿وجعل كلمة الذين كفروا السفلى﴾**: الكلمة: اللفظة من الكلام، ثم أطلقت على الأمر والشأن ونحو ذلك من كل ما يتحدث به الناس ويخبر المرءُ به عن نفسه من شأنه. والسفلى: الحقيرة الهابطة التي لا قيمة لها. . . **﴿وكلمة الله هي العليا﴾**: كلمة الله: أمر الله الذي أوحاه إلى رسله.

ومعنى العليا: الرفيعة العظيمة التي لا تُنالُ ولا تُكَادُ!. . **﴿والله عزيز حكيم﴾**: غالب على أمره، وحكيم في فعله وقوله. . . **﴿انفروا خفافاً وثقالاً﴾**: خفافاً: جمع خفيف، وهو صفة مشبهة من الخفّة، وهي حالة للجسم تقتضي قلة كمّيّة أجزائه بالنسبة إلى أجسام أخرى متعارفة، فيكون سهل التنقل سهل الحمل. والثقال: ضدُّ ذلك. . . **﴿وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله﴾**: المجاهدة: المغالبة للعدو، وهي مشتقة من الجُهد، وهو حقيقة في المدافعة بالسلاح. . . **﴿ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾**: المشارُ إليه الجهاد، وهو خيرٌ لما فيه من عزّة النصْرِ، والفوز بالأَجْرِ. إن كنتم تعلمون ذلك فلا تفرطوا في هذا الخير. . . **﴿لو كان عرضاً قريباً﴾**: العرض: ما يعرض للناس من متاع الدنيا.

والقريب: الكائن على مسافة قصيرة... **﴿وسفراً قاصداً﴾**: السفر القاصد: الوسط في المسافة، غير بعيد ولا شاق... **﴿لاتبعوك﴾**: لخرجوا معك إليه... **﴿ولكن بعدت عليهم الشقة﴾**: المسافة الطويلة الشاقة... **﴿وسَيَحْلِفُونَ بالله لو استطعنا لخرجنا معكم﴾**: الحلف: القسم واليمين. والاستطاعة: القدرة على العمل. والخروج: الانتقال من المقر إلى مكان آخر.. وشاع إطلاق الخروج على السفر للغزو... **﴿يهلكون أنفسهم﴾**: المراد بالإهلاك هنا: الأضرار الجسيمة التي لا طاقة لهم بها؛ فضائح الدنيا وعذاب الآخرة... **﴿والله يعلم إنهم لكاذبون﴾**: لا يخفى عليه شيء من أمرهم، فلا تنفعهم أيْمانهم الفاجرة الكاذبة... **﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم. حتى يتبيّن لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين﴾**: كلمة عفا الله عنك تقال للتلطُّف في العتاب على فعل شيء ينبغي تركه في العادة، ومعناه: محا الله عنك، مأخوذ من قولهم: عفت الرياحُ الآثار إذا درستها ومحتها... **﴿لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين. إنّما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون﴾**: الاستئذان: طلب الإذن في إباحة عمل وترك ضده، والاستئذان هنا وارد من المنافقين عندما طَلَبُوا الإذن من الرسول بالتخلف عن الخروج، ونفاه عن المؤمنين الصادقين.

والارتياب والريْب: الشك في الأمر. والتردد: حقيقته ذهابٌ ورجُوع متكرّر إلى محل واحد... **﴿ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدّة﴾**: العُدّة: ما يُحتاج إليه من الأشياء، كالسلاح للمحارب، والزاد للمسافر، مشتقة من الإعداد وهو التهيئة... **﴿ولكن كره الله انبعاثهم فثبّطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين﴾**: الانبعاث: مطاوع بعثه إذا أرسله. والتثبيط: إزالة العزم، وتثبيط الله إيّاهم أن خلق فيهم الكسل وضعف العزيمة على الغزو. والقعود: مستعمل في ترك الغزْوِ تشبيهاً للترك بالجلوس... **﴿لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً﴾**: الخبال: الفساد وتفكك الشيء الملتحم الملتئم، فأطلق هنا على اضطراب الجيش واختلال نظامه... **﴿ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة﴾**: حقيقة أوضعوا: أسرعوا سير الركاب، يقال: أوضعت بعيري، أي: سيّرته سيراً سريعاً. والخلال: جمع خلل بالتحريك، وهو الفرجة بين شيئين.

ويبغونكم: يطلبون لكم. والفتنة: اختلال الأمور، وفساد الرأي... **﴿وفيكم**

سمّاعون لهم والله عليم بالظالمين﴾: سمّاعون: صيغة مبالغة، جمع سمّاع، وهو من يستمع القول فيعتقد صحته دون نظر إلى نتيجته ومصدره... **﴿لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون﴾**: قلْب الأمر: تأمل باطنه وظاهره ليطلع على دقائق صفاته، وقلب الأمر: فتّش وبحث، وقلب الأمر: إذا أخفى ما كان ظاهراً منه وأبدى ما كان خفيا. والأمور: جمع أمر، وهو اسم مبهم، مثل شيء. وحتى: غاية لتقليبهم لأمورهم.

ومجيء الحق: حصوله واستقراره، والمراد بذلك: زوال ضعف المسلمين وانكشاف أمر المنافقين، وهذا يكرهه المنافقون... **﴿ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا وإنّ جهنم لمحيطة بالكافرين﴾**: من المنافقين من يقول: ائذن لي في التخلف عن الغزو، ولا تحملني ما لا أستطيعه. وسقوطهم في الفتنة: بقاؤهم في النفاق... **﴿إن تصبك حسنة تسؤهم﴾**: الحسنة: الحادثة التي تحسُن لمن حلّت به واعترته، والمراد بها هنا: النصر والغنيمة. والمصيبة: مشتقة من أصاب بمعنى حل ونال وصادف، وخصت في اللغة بالحادثة التي تعتري الإنسان فتسوءه وتحزنه، والمراد بها: الهزيمة... **﴿وإن تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون﴾**: الأخذ: حقيقته التناول، ومعناه هنا: الاستعداد والتلاقي. والأمر: الحال المهم. والتولي: حقيقته الرجوع.

والفرح: السرور... **﴿قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾**: لا يصيبنا إلا ما قدّره الله لنا، ولنا الرجاء بأنه لا يكتب لنا إلاّ ما فيه خيرنا العاجل أو الآجل؛ لأنّ المولى لا يرضى لمولاه الخزي. والتوكل: تفويض الأمر بعد الأخذ في الأسباب... **﴿قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين﴾** التربص: انتظار حصول شيء مرغوب حصوله، وإحدى الحسنيين: النصر أو الشهادة **﴿ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا إنّا معكم متربصون﴾**: ونحن نتربص بكم إحدى السوأيين من العواقب، إمّا أن يصيبكم الله من عنده كما أصاب مَن قبلكم من الأمم المُهْلَكَةِ أو بعذاب بأيدينا وهو القتل على الكفر، وإذا كان الأمر كذلك فتربصوا!.. **﴿قل أنفقوا طوعاً أو كرها﴾**: الطوع: الانقياد للأمر. والكره: أشد الإلزام، والمراد به: تسوية الإنفاق... **﴿لن يتقبل منكم﴾**: مادمتم على حالة النفاق... **﴿إنّكم كنتم**

قوماً فاسقين﴾! : خارجين عن مبدإ الوفاق. . . **﴿وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلاّ أنهم كفروا بالله وبرسوله﴾**: ما منعهم قبول نفقاتهم منهم شيءٌ من الأشياء إلا كفْرُهم بالله وبرسوله. . . **﴿ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى﴾**.

﴿ولا ينفقون إلا وهم كارهون. فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنّما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون﴾: الإعجاب: استحسانٌ مشوب باستغراب وغرور من المرئي. والزهوق: الخروج بشدّة وضيق، وقد شاع ذكره في خروج الروح من الجسد. . . **﴿ويحلفون بالله إنّهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون: فَرِقَ يَفْرَقُ﴾**: خاف وفزِع. . . **﴿لو يجدون ملجأً أو مغارات أو مدخلاً لولوا إليه وهم يجمحون﴾**! : الملجأ: مكان اللجإ، وهو الإيواء والاعتصام.

والمغارات: جمع مغارة، وهو الغار المتسع الذي يستطيع الإنسان الولوج فيه، مأخوذ من غار الشيء إذا دخل في الأرض. والمدّخل: اسم مكان للادّخال، وهو كل ما يَنْدَسُّ فيه الإنسان. والجموح: النفور، مأخوذ من جمح الفرس إذا نفر، فلم يمسكه اللِّجَامُ. . . **﴿ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون﴾**: اللمز: العيب والإشارة بالعين ونحوها. والسخط: ضد الرضى. . . **﴿ولو أنّهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنّا إلى الله راغبون﴾**: لو أنّهم رضوا ولم يسخطوا، وقالوا كافِينَا اللهُ بما سيعطينا الله من فضله ورسولُه، لكان خيراً لهم من قولهم السابق. . . **﴿إنّما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل﴾**: الصدقات: الأموال التي تعطى صدقة لله يُرْجَى بِهَا ثوابُ الآخرة، منها ما يكون فرضاً مثل الزكاة المفروضة، ومنها ما يكون نفلاً.

والفقراء: جمع فقير، وهو المحتاج احتياجاً لا يبلغ به إلى الضراعة والمذلة. والمساكين: جمع مسكين، وهو المحتاج احتياجاً ذاتياً لضعفه وعدم مقدرته على جلب ما يحتاج إليه. والعاملين: جمع عامل، وهو من يعمل على جباية الزكاة. والمؤلفة قلوبهم: وهم الذين يرغبون في دخول الإسلام أو البقاء عليه وهو حديث عهد به. وفي الرقاب: عتق المملوك من الرق. والغارمين: هم المدينون الذين

ضاقت أموالهم عن أداء ما عليهم. وفي سبيل الله: الجهاد. وابن السبيل: وهو المنقطع عن بلده... ﴿**فريضة من الله والله عليم حكيم**﴾: الفريضة هنا: الصدقة الواجبة التي أوجبها الله على المؤمنين في أموالهم... ﴿**ومنهم الذين يؤذون النبيء**﴾: الأذى: الإضرار بالقول والدسائس... ﴿**ويقولون هو أذن**﴾: الأذن: الجارحة التي بها حاسة السمع... ﴿**قل أذن خير لكم**﴾: معنى أذن خير: أنّه يسمع ما يبلغه عنكم ولا يؤاخذكم، ويسمع معاذيركم ويقبلها منكم... ﴿**يؤمن بالله**﴾: فهو يعامل الناس بما أمره الله به... ﴿**ويؤمن للمؤمنين**﴾: فهو يَصْدُقُهم بما يُخْبِرُونَ؛ لأنّهم صادقون بخلاف المنافقين الذين يؤذون النبيء... ﴿**ورحمة للذين آمنوا منكم**﴾: فهو لا يؤاخذكم بما فيه من الرحمة والشفقة حتى يتوب المنافق من نفاقه... ﴿**والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم**﴾: ترهيب من عواقب إيذاء الرسول ﷺ... ﴿**يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين**﴾: كان المنافقون يتكلمون بالمطاعن ثم يأتون المؤمنين فيعتذرون ويحلفون لهم ليرضوا المؤمنين، مع أن رضا الله ورسوله أحقُّ إن كانوا مؤمنين حقاً... ﴿**ألم يعلموا أنّه من يحادد الله ورسولَهُ فأن له نار جهنم خالداً فيها ذلك الخزي العظيم**﴾: المحادّة: المعاداة والمخالفة.

والخزي: الذل والهوان... ﴿**يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم**﴾: الحذر: الاحتراز والتخوّف، وحَذَرُ المنافقين تخوفهم من إظهار ما في سرائرهم عندما تنزل عليهم آيات القرآن تُظْهِرُ للمؤمنين ما يخفونه في قلوبهم... ﴿**قل استهزئوا إنّ الله مخرج ما تحذرون**﴾: استهزاء المنافقين: السخرية من المؤمنين حيث يُظْهِرُونَ لهم المودة ويَكنُّون لهم الشر والحقد والمذمّة... ﴿**ولئن سألتهم ليقولن إنّما كنا نخوض ونلعب**﴾: أصل الخوض: الدخول في الماء، ثم استعمل في دخول الباطل. واللعب: الهزل وعدم الجد في الأمر... ﴿**قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون**﴾: إنكار على قولهم: إنّما كنا نخوض ونلعب... ﴿**لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم**﴾: لا حاجة بكم للاعتذار عن التناجي؛ فإنّكم قد عُرِفْتُم بما هو أعظم وأشنع!. وهو إظهار الكفر بعد إخفائه بادّعاء إيمانكم... ﴿**إن يُعف عن طائفة منكم تُعذَّب طائفة بأنهم كانوا مجرمين**﴾: الطائفة المعفو عنها: التائبة عن النفاق. والمُعَذَّبَة: الباقية على نفاقها وإجرامها... ﴿**المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض**﴾: قد شمل قوله: بعضهم من بعض

جميع المنافقين والمنافقات؛ لأنّ كل فرد هو بعض من الجميع... ﴿**يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف**﴾: المنكر: المعاصي والمخازي وكل ما فيه شرٌّ وضُرٌّ.

والمعروف: ضده... ﴿**ويقبضون أيديهم**﴾: قبض اليد: الشح والإمساك، وعدم الإنفاق في الخير... ﴿**نسوا الله فنسيهم**﴾: تركوا طاعة الله فتركهم الله في غيهم... إنّ المنافقين هم الفاسقون: الخارجون عن مقتضى شرعه ودعوة نبيئه... ﴿**وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم**﴾: الوعد هنا: الأمر النافذ المحتم. والموعود له: المنافقون والمنافقات والكفار. والموعود به: نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم. واللعن: الإبعاد عن الرحمة، والتحقير والغضب. والعذاب المقيم: اللازم لهم المقيم معهم في الدنيا بالخزي والهوان، وفي الآخرة دوام الخسران وعذاب النيران... ﴿**كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالاً وأولاداً**﴾: أنتم مثل مَن سبقكم من الأمم الذين رُزِقُوا قوّة الأبدان وكثرة الأموال والأولاد... ﴿**فاستمتعوا بخلاقهم**﴾: بالحظ الوافر الذي به يفتخر الإنسان... ﴿**فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم**﴾: فأنتم مثلهم في الكفر والعصيان... ﴿**وخضتم كالذي خاضوا**﴾: خضتم في الكفر والاستهزاء بآيات الله ورسوله مثل الخوض الذي خاضوه في ذلك الميدان... ﴿**أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون**﴾: أولئك الذين تقدمت صفاتهم بطلت أعمالهم وتحطمت آمالهم في الدنيا والآخرة بما حاق بهم من الخسران... ﴿**ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم**﴾: الإتيان الداخل عليه الاستفهام مستعمل في بلوغ الخبر.

والذين من قبلهم هم: ﴿**قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات**﴾: وهي قرى قوم لوط التي انقلبت عليهم... ﴿**أتتهم رسلهم بالبينات**﴾: كل هؤلاء الأقوام جاءتهم رسلهم بالبينات الواضحات فكفروا بها... ﴿**فما كان الله ليظلمهم**﴾: لأنّه عادل وعالم وقادر وحكيم... ﴿**ولكن كانوا أنفسهم يظلمون**﴾: بجهلهم وضعفهم... ﴿**والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض**﴾: ولاية المؤمنين بعضهم لبعض: التوافق والتناصر باتباع الحق وتوافق

الأفكار والغايات!.. ﴿**يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله**﴾: بهذه الأوصاف النبيلة نالوا رحمة الله في الدنيا... ﴿**أولئك سيرحمهم الله إنّ الله عزيز حكيم**﴾!.

أمّا في الآخرة فلهم أكثر وأكبر مما لا يحيط به حصر. ﴿**وعَدَ اللهُ المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها.. ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر! ذلك هو الفوز العظيم. ياأيُّها النبيء جاهد الكفار والمنافقين**﴾: مجاهدة الكفار بالسيف، ومُجَاهدةُ المنافقين بالتعنيف والتحذير والتخويف... ﴿**واغلظ عليهم**﴾: عاملهم بالخشونة بدل الليونة، وبالعنف بَدَلَ العطف، فهم منافقون ظالمون... ﴿**ومأواهم جهنم وبئس المصير**﴾!: فهم في الدنيا مقهورون وفي الآخرة معذّبون!.. ﴿**يحلفون بالله ما قالوا**﴾: يتنصّلون مما صدر عنهم، ويحلفون أنّهم ما قالوا شيئاً يستحق الإنكار. كيف هذا؟!.. ﴿**ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا**﴾.. فعملهم يدل على كفرهم؛ من القول الصريح في الكفر، والفعل في تدبير المكر والغدر... ﴿**وما نقموا إلاّ أن أغناهم الله ورسوله من فضله**﴾: النقم: الامتعاض من الشيء واستنكاره. وإنّما أغناهم الله ورسوله بما جلبه حلول الرسول بينهم من أسباب الرزق.

والفضل: الزيادة في البذل والسخاء... ﴿**فإن يتوبوا يك خيراً لهم وإن يتولوا يعذبهم الله عذاباً أليماً**﴾: التوبة هنا: هو الإخلاص في الإيمان. والتولي: مراد به الإعراض عن التوبة. والعذاب ﴿**في الدنيا**﴾: عذاب الجهاد والأسر. وفي الآخرة: عذاب النار، فعند ذلك ينتفي عنهم الولي والنصير... ﴿**ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدّقن ولنكوننّ من الصالحين**﴾: من الذين قالوا كلمة الكفر ولم يتوبوا عاهدوا الله وقالوا: لئن آتانا... الخ... ﴿**فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون**﴾: بخل بالشيء: شحّ به وتمسك فلم يعط منه. والتولي: الإدبار. والإعراض هنا: إعراضهم عن عهدهم وعن شكر نعمة ربّهم... ﴿**فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون**﴾: ذلك البخل والإعراض كانا سبباً في بقاء نفاقهم إلى الموت... ﴿**ألم يعلموا أنّ الله يعلم سرّهم ونجواهم وأنّ الله علام الغيوب**﴾: السر: ما يخفيه الإنسان من كلام وما يضمر في نفسه فلا يطلع عليه الناس.

والنجوى: المحادثة بخفاء. والغيوب: جمع غيب، وهو ما خفي وغاب عن العيان... ﴿**الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلاّ جهدهم فيَسْخَرون منهم سخِر الله منهم ولهم عذاب أليم**﴾: المطّوّعون: الذين ينفقون أموالهم طائعين غير كارهين، وهم المؤمنون الصادقون. والذين لا يجدون إلا جهدهم: ليس لهم مال وإنّما لهم جهد في أبدانهم. والسخرية: الاستهزاء. وسخر الله منهم: عاملهم بما عملوا جزاءً وفاقاً... ﴿**استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم**﴾: الاستغفار: طلب العفو من أجل تقصير أو هفوة. وغفران الله: عفوه عن الذنب... ﴿**ذلك بأنّهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين**﴾: ذلك الأمر الذي لا ينفع معه الاستغفار الكفر بالله ورسوله الكامن في نفوسهم فظهر في صورة النفاق متلوناً حسب الظروف والأحوال، حتى صار فسقاً دائماً، فلا تنفع معه هداية ولا إرشاد... ﴿**فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله**﴾: الفرح: السرور والبطر. والمخلفون: هم الذين أذن لهم بالتخلف عن الخروج إلى غزوة العسرة.

والمقعد: مصدر ميمي، والمراد به: القعود في البيوت. وخلاف: لغةٌ في خلف، يقال: أقام خلاف الحي بمعنى بقى بعدهم، ومعنى خلاف رسول الله: فلم يظعن مع الرسول للغزو... ﴿**وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون**﴾: الحر: القيظ، والمراد به: حر الصيف وشدته في صحراء الحجاز. وأشد حرّاً: أقوى وأكثر وأدوم... ﴿**فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً جزاء بما كانوا يكسبون**﴾: الضحك: كيفية في الفم تتحدد منها الشفتانْ وربما أسفرتا عن الأسنان، وهي كيفية تعرض عند السرور والتعجب من الحسن. والبكاء: كيفية في الوجه والعينين تنقبض بها الوجنتان والأسارير والأنف ويسيل الدمع من العينين، وذلك يعرض عند الحزن والعجز عن مقاومة الغلب... ﴿**فإن رجعك الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبداً ولن تقاتلوا معي عدوّاً إنّكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين**﴾: فعل رجع يكون قاصراً ومتعدياً مرادفاً لأرجع، وهو هنا متعدٍّ.

والمراد بالطائفة هنا: جماعة من المخلفين. والمخالفين: جمع خالف، وهو

الذي يخلف الغازي في أهله، وكانوا يتركون لذلك من لا غناء له في الحرب. . . ﴿**ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره إنّهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون**﴾: نهي عن الصلاة على موتى المنافقين. . . ﴿**ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنّما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون**﴾: تقدم مثلها قريباً. . . ﴿**وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين**﴾: السورة: طائفة معينة من آيات القرآن لها مبدأ ونهاية. والطول: السعة في المال، ويطلق على قوة البدن، والمراد بأولي الطول هنا: المنافقون الذين لهم وفْرَةٌ في المال وصحّةٌ في الجسم. وذرِ: فعل أمر بمعنى اترك. . . ﴿**رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون**﴾: الخوالف: جمع خالفة، وهي المرأة التي تتخلف في البيت بعد سفر زوجها، فإن سافرت معه فهي الظعينة. والطبع على القلب: وضع الختم عليه فلا يدخله خير ولا يخرج منه شر، فانتفى عنه الفهم السليم. . . ﴿**لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون**﴾: الخيرات: جمع خير على غير قياس، فهو مما جاء على صيغة جمع التأنيث مع عدم التأنيث ولا علامته، مثل سرادقات وحمامات. . . ﴿**أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم**﴾: الإعداد: التهيئة. . . ﴿**وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم**﴾: المعذّرون: بتشديد الذال المكسورة بمعنى المعتذرون الذين لهم عذر، وقد يكون المعذِرُ غَيْرَ مُحِقٍّ، ومعناه المقصرون بغير عذر. والأعراب: اسم جمع، وهم سكان البادية. . . ﴿**سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم. ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله**﴾: الضعفاء: جمع ضعيف، وهو الذي به الضعف، وهو وهن القوة البدنية من غير مرض.

والمرضى: جمع مريض، وهو الذي به مرض. والمرض: تغير النظام المعتاد بالبدن بسبب اختلال يطرأ في بعض أجزاء المزاج. والذين لا يجدون ما ينفقون: الفقراء. والحرج هنا: الحرمة. والنصح: العمل النافع للمنصوح. . . ﴿**ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم**﴾: المحسنون: الذين فعلوا الإحسان، فهم لا مؤاخذة عليهم بعتاب أو عقاب. . . ﴿**ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت**

لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون﴾: الحمل: يطلق على إعطاء ما يُحمل عليه. والتولي: الرجوع. والفيض والفيضان: خروج الماء ونحوه من قراره أو وعائه.

مبحث الإعراب

﴿ياأيُّها﴾ الياء حرف نداء، أيُّ منادى مبني على الضم في محل نصب، ها حرف تنبيه. **﴿الذين﴾** في محل نصب نعت لمحل أيُّ. **﴿آمنوا﴾** فعل وفاعل صلة الذين. **﴿ما﴾** في محل رفع مبتدأ، وهو اسم استفهام. **﴿لكم﴾** متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. **﴿إذا﴾** في محل نصب ظرف. **﴿قيل﴾** فعل ماضٍ مبنيّ للمجهول. **﴿لكم﴾** متعلق بقيل. **﴿انفروا﴾** فعل أمر، وواو الجماعة فاعل، والجملة في محل نصب مقول القول، وجملة قيل في محل جر مضاف إلى الظرف. **﴿في سبيل﴾** متعلق بانفروا. **﴿الله﴾** مضاف إلى سبيل. **﴿اثاقلتم﴾** فعل وفاعل جواب إذا، وهو عامل النصب فيه. **﴿إلى الأرض﴾** متعلق باثاقلتم. **﴿أرضيتم﴾** فعل وفاعل دخل عليه حرف الاستفهام. **﴿بالحياة﴾** متعلق برضيتم.

﴿الدنيا﴾ نعت للحياة مجرور بكسرة مقدرة على الألف. **﴿من الآخرة﴾** متعلق برضيتم. **﴿فما﴾** ما نافية دخل عليها حرف التعقيب. **﴿متاع﴾** مبتدأ. **﴿الحياة﴾** مضاف إلى متاع. **﴿الدنيا﴾** نعت للحياة. **﴿في الآخرة﴾** متعلق بالخبر بعده. **﴿إلا﴾** أداة استثناء مفرغ. **﴿قليل﴾** خبر المبتدإ. **﴿إلاّ﴾** أداة الشرط أدغمت في لا النافية. **﴿تنفروا﴾** فعل الشرط مجزوم بحذف النون، وواو الجماعة فاعل. **﴿يعذبكم﴾** جواب الشرط مجزوم بالسكون، والضمير المتصل بالفعل في محل نصب مفعول به، والفاعل ضمير يعود على الله. **﴿عذاباً﴾** مفعول ثانٍ ليعذب. **﴿أليماً﴾** نعت لعذاب. **﴿ويستبدل﴾** معطوف على يعذب مجزوم بالسكون **﴿قوماً﴾** مفعول به.

﴿غيرَكم﴾ نعت لقوم، والضمير فيه مضاف إليه. **﴿ولا تضروه﴾** مجزوم بالعطف على المجزوم، والضمير المتصل مفعول أول. **﴿شيئاً﴾** مفعول ثانٍ. **﴿والله﴾** مبتدأ. **﴿على كل﴾** متعلق بالخبر بعده. **﴿شيءٍ﴾** مضاف إلى كل. **﴿قدير﴾** خبر المبتدإ، والجملة تذييل لا محل لها من الإعراب. **﴿إلاّ تنصروه﴾**

فعل وفاعل ومفعول دخلت عليه لا النافية وإن الشرطية، والفعل مجزوم بحذف النون. ﴿**فقد نصره**﴾ جواب الشرط قرن بالفاء لوجود قد. ﴿**الله**﴾ فاعل، والضمير المتصل مفعول. ﴿**إذ**﴾ مبني على السكون في محل نصب ظرف متعلق بنصر. ﴿**أخرجه**﴾ الضمير المتصل مفعول. ﴿**الذين**﴾ في محل رفع فاعل أخرج. ﴿**كفروا**﴾ صلة الموصول. ﴿**ثاني**﴾ منصوب على الحال من الضمير المنصوب. ﴿**اثنين**﴾ مضاف إلى ثاني مجرور بالياء. ﴿**إذ**﴾ بدل من الأول. ﴿**هما**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**في الغار**﴾ متعلق بمحذوف خبر، والجملة في محل جر مضافة إلى الظرف. ﴿**إذ**﴾ مثل ما قبلها.

﴿**يقول**﴾ الفاعل ضمير يعود على الرسول. ﴿**لصاحبه**﴾ متعلق بيقول. ﴿**لا تحزن**﴾ مجزوم بلا الناهية، والفاعل ضمير يعود على صاحبه، وجملة لا تحزن في محل نصب مقول القول. ﴿**إنّ الله**﴾ إنّ واسمها. ﴿**معنا**﴾ متعلق بمحذوف خبر إنّ، والجملة تعليل لا محل لها من الإعراب. ﴿**فأنزل الله سكينته**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف التفريع. ﴿**عليه**﴾ متعلق بأنزل. ﴿**وأيده**﴾ معطوف على أنزل. ﴿**بجنود**﴾ متعلق بأيده. ﴿**لم تروها**﴾ فعل وفاعل ومفعول مجزوم بلم، والجملة في محل جر نعت لجنود. ﴿**وجعل**﴾ معطوف على أيده، والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**كلمة**﴾ مفعول أول لجعل. ﴿**الذين**﴾ في محل جر مضاف إلى كلمة. ﴿**كفروا**﴾ صلة الموصول. ﴿**السفلى**﴾ المفعول الثاني منصوب بفتحة مقدرة على الألف. ﴿**وكلمةُ**﴾ مبتدأ مرفوع بالضمّة، والواو للعطف. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى كلمة. ﴿**هي**﴾ ضمير فصل.

﴿**العليا**﴾ خبر المبتدإ مرفوع بضمة مقدرة على الألف. ﴿**والله عزيز حكيم**﴾ الجملة من المبتدإ والخبر تذييل. ﴿**انفروا**﴾ فعل أمر، وواو الجماعة فاعل. ﴿**خفافاً**﴾ منصوب على الحال من واو الجماعة. ﴿**وثقالاً**﴾ معطوف عليه. ﴿**وجاهدوا**﴾ معطوف على انفروا. ﴿**بأموالكم**﴾ متعلق بجاهدوا. ﴿**وأنفسكم**﴾ معطوف على أموالكم. ﴿**في سبيل**﴾ متعلق بجاهدوا. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى سبيل. ﴿**ذلكم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**خيرٌ**﴾ خبره. ﴿**لكم**﴾ متعلق بخير. ﴿**إن كنتم**﴾ كان واسمها في محل جزم فعل الشرط. ﴿**تعلمون**﴾ فعل وفاعل في محل نصب خبرُ كان، وجواب الشرط محذوف دل عليه قوله: ذلكم خير لكم. ﴿**لو**﴾ شرطية

امتناعية. ﴿**كان**﴾ اسمها ضمير يعود على الاستنفار إلى الجهاد. ﴿**عرضاً**﴾ خبر كان. ﴿**قريباً**﴾ نعت للخبر. ﴿**وسفراً قاصداً**﴾ معطوف على عرضاً قريباً. ﴿**لاتبعوك**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه لام الجواب، وهو جواب لو. ﴿**ولكن**﴾ حرف الاستدراك دخل عليه واو العطف. ﴿**بعُدت**﴾ فعل ماض. ﴿**عليهم**﴾ متعلق به. ﴿**الشقّةُ**﴾ فاعل.

﴿**وسيحلفون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف التنفيس وواو العطف. ﴿**بالله**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**لو استطعنا**﴾ فعل الشرط. ﴿**لخرجنا معكم**﴾ جوابه، وجملة الشرط وجوابه جواب القسم. ﴿**يهلكون أنفسهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**والله**﴾ مبتدأ. ﴿**يعلم**﴾ فاعله ضمير يعود على الله، والجملة خبر المبتدإ. ﴿**إنّهم**﴾ إنّ واسمها. ﴿**لكاذبون**﴾ خبرها، وجملة والله يعلم إنهم لكاذبون حال من ضمير الجماعة، فالواو واو الحال، وجملة إنّهم لكاذبون في محل نصب سدّت مسد مفعولي يعلم. ﴿**عفا الله**﴾ فعل وفاعل. ﴿**عنك**﴾ متعلق بعفا. ﴿**لِمَ**﴾ اللام للتعليل، وما للاستفهام حُذِفَتْ ألفها تخفيفاً. ﴿**أذنت**﴾ فعل وفاعل. ﴿**لهم**﴾ متعلق بأذنت، وكذلك لام التعليل السابقة.

﴿**حتى يتبين**﴾ الفعل منصوب بأن مضمرة بعد حتى. ﴿**لك**﴾ متعلق بيتبيّن. ﴿**الذين**﴾ في محل رفع فاعل يتبيّن. ﴿**صدقوا**﴾ صلة الموصول، وحتى بمعنى إلى دخلت على الفعل المنسبك مع أنْ بالمصدر المجرور، وهو متعلق بفعل يقتضيه المقام. ﴿**وتعلم**﴾ معطوف على يتبيّن، والفاعل ضمير المخاطب. ﴿**الكاذبين**﴾ مفعول به. ﴿**لا يستأذنك**﴾ فعل مضارع منفي بلا، والضمير المتصل به في محل نصب مفعول به. ﴿**الذين**﴾ في محل رفع فاعل يستأذن. ﴿**يؤمنون**﴾ صلة الموصول. ﴿**بالله**﴾ متعلق بيؤمنون. ﴿**واليوم**﴾ معطوف على الله. ﴿**الآخر**﴾ نعت لليوم. ﴿**أن يجاهدوا**﴾ فعل مضارع منصوب بأن. ﴿**بأموالهم**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**وأنفسهم**﴾ معطوف على أموالهم، وأنْ وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بحرف جر مقدر، وهو متعلق بلا يستأذنك، أي: لا يستأذنك في الجهاد. ﴿**والله**﴾ مبتدأ. ﴿**عليم**﴾ خبره. ﴿**بالمتقين**﴾ متعلق بعليم. ﴿**إنّما**﴾ كافة ومكفوفة.

﴿**يستأذنك الذين**﴾ مثل لا يستأذنك الذين في الإعراب. ﴿**لا يؤمنون**﴾ فعل

منفي بلا. ﴿**بالله واليوم الآخر**﴾ تقدم إعراب مثلها. ﴿**وارتابت قلوبهم**﴾ فعل وفاعل معطوف على قوله: لا يؤمنون بالله. ﴿**فهم**﴾ مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، والفاء للتفريع. ﴿**في ريبهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. ﴿**يترددون**﴾ فعل وفاعل، والجملة حال من الضمير المجرور. ﴿**ولو أرادوا**﴾ جملة شرطية دخل عليها حرف العطف. ﴿**الخروج**﴾ مفعول به. ﴿**لأعدُّوا**﴾ جواب الشرط. ﴿**له**﴾ متعلق بأعدوا. ﴿**عدّة**﴾ مفعول به. ﴿**ولكن كره الله انبعاثهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرفا الاستدراك والعطف. ﴿**فثبطهم**﴾ مرتب على ما قبله. ﴿**وقيل**﴾ معطوف على ثبطهم. ﴿**اقعدوا**﴾ فعل أمر في محل نصب مقول القول. ﴿**مع**﴾ متعلق باقعدوا. ﴿**القاعدين**﴾ مضاف إلى الظرف. ﴿**لو خرجوا**﴾ جملة شرطية. ﴿**فيكم**﴾ متعلق بخرجوا. ﴿**ما زادوكم**﴾ جواب الشرط. ﴿**إلا خبالاً**﴾ بدل من المفعول به المقدر منصوب بالفتحة.

﴿**ولأوضعوا**﴾ فعل وفاعل معطوف على الجواب. ﴿**خلالكم**﴾ ظرف مكان متعلق بأوضعوا. ﴿**يبغونكم**﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة في محل نصب حال من ضمير الجماعة. ﴿**الفتنة**﴾ مفعول ثان - على ظاهر اللفظ -، والأصل يبغون لكم الفتنة. ﴿**وفيكم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**سمّاعون**﴾ نعت لمبتدإ مقدر، أي: قوم سمّاعون لهم كائنون فيكم. ﴿**والله عليم بالظالمين**﴾ الجملة من المبتدإ والخبر تذييل. ﴿**لقد ابتغوا الفتنة**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف التحقيق ولام القسم. ﴿**من قبلُ**﴾ متعلق بابتغوا. ﴿**وقلبوا**﴾ فعل وفاعل معطوف على ابتغوا. ﴿**لك**﴾ متعلق بقلبوا. ﴿**الأمور**﴾ مفعول به. ﴿**حتى جاء الحق**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف الغاية. ﴿**وظهر أمر الله**﴾ معطوف على جاء الحق. ﴿**وهم كارهون**﴾ جملة حالية من ضمير المنافقين. ﴿**ومنهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**من**﴾ في محل رفع مبتدأ مؤخر.

﴿**يقول**﴾ فاعله ضمير يعود على مَنْ، والجملة صلة مَنْ. ﴿**ائذن**﴾ فعل أمر، وفاعله ضمير المخاطب. ﴿**لي**﴾ متعلق بائذن. ﴿**ولا تفتني**﴾ عطف النهي على الأمر. ﴿**ألا**﴾ أداة استفتاح. في الفتنة متعلق بقوله. ﴿**سقطوا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**وإنّ جهنّم**﴾ إنّ واسمها. ﴿**لمحيطة**﴾ خبرُ إنّ، واللام لتوكيد الخبر. ﴿**بالكافرين**﴾ متعلق بالخبر، والجملة معطوفة على قوله: ألا في الفتنة سقطوا. ﴿**إن تصبك**

حسنة﴾ جملة شرطية. **﴿تَسُؤْهُمْ﴾** جوابها. **﴿وإن تصبك مصيبةٌ﴾** معطوف على إن تصبك حسنة. **﴿يقولوا﴾** جواب الشرط مجزوم بحذف النون. **﴿قد أخذنا أمرنا﴾** فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف التحقيق، وجملة قد أخذنا في محل نصب مقول القول. **﴿من قبل﴾** متعلق بأخذنا. **﴿ويتولوا﴾** معطوف على يقولوا. **﴿وهم فرحون﴾** الجملة من المبتدإ والخبر في محل نصب حال من فاعل يقولوا ويتولوا. **﴿قل لن يصيبنا﴾** جملة لن يصيبنا في محل نصب مقول قل. **﴿إلاّ ما﴾** في محل رفع بدل من الفاعل المقدر، والتقدير: لن يصيبنا شيءٌ إلاّ شيءٌ كتبهُ الله لنا. **﴿كتب الله﴾** فعل وفاعل، صلة ما. لنا متعلق بكتب. **﴿وعلى الله﴾** متعلق بقوله: **﴿فليتوكل﴾** الفعل مجزوم بلام الأمر، وحرك بالكسرة لالتقاء الساكنين.

﴿المؤمنون﴾ فاعل. **﴿قل هل﴾** حرف استفهام بمعنى النفي. **﴿تربصون﴾** فعل وفاعل. **﴿بنا﴾** متعلق بالفعل قبله. **﴿إلاّ﴾** أداة استثناء مفرغ. **﴿إحدى﴾** بدل من مفعول تربصون المقدر منصوب بفتحة مقدرة على الألف. **﴿الحسنيين﴾** مضاف إلى إحدى. **﴿ونحن﴾** في محل رفع مبتدأ. **﴿نتربص﴾** فاعله نحن، والجملة خبر المبتدإ. **﴿بكم﴾** متعلق بنتربص. **﴿أن يصيبكم﴾** الفعل منصوب بأن، والضمير المتصل به مفعول. **﴿الله﴾** فاعل يصيب، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول نتربص. **﴿بعذاب﴾** متعلق بيصيب. **﴿من عنده﴾** كذلك. **﴿أو بأيدينا﴾** معطوف على من عنده. **﴿فتربصوا﴾** فعل أمر دخل عليه حرف التعقيب. **﴿إنّا﴾** إنّ واسمها. **﴿معكم﴾** متعلق بالخبر. **﴿متربصون﴾** خبر إنّ. **﴿قل﴾** فعل أمر. **﴿أنفقوا﴾** فعل أمر، وواو الجماعة فاعل. **﴿طوعاً﴾** منصوب على الحال من واو الجماعة. **﴿أو كرهاً﴾** معطوف على طوعاً. **﴿لن يتقبل﴾** فعل مضارع مبني للمجهول منصوب بلن. **﴿منكم﴾** متعلق بيتقبل.

﴿إنّكم﴾ إنّ واسمها. **﴿كنتم﴾** كان واسمها. **﴿قوماً﴾** خبر كان. **﴿فاسقين﴾** نعت له، وجملة كنتم قوماً في محل رفع خبرُ إنّ، وجملة إنّكم تعليل. **﴿وما منعهم﴾** فعل ماضي منفي بما، والضمير المتصل به مفعول. **﴿أن تقبل﴾** فعل مضارع مبنيّ للمجهول منصوب بأن. **﴿منهم﴾** متعلق بالفعل قبله. **﴿نفقاتُهم﴾** نائب فاعل تقبل، وأنْ وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بمن مقدرة متعلق بمنع. **﴿إلاّ﴾** أداة استثناء مفرغ. **﴿أنّهم﴾** أنّ واسمها. **﴿كفروا﴾** فعل وفاعل،

والجملة خبرُ أنَّ. ﴿**بالله**﴾ متعلق بكفروا. ﴿**وبرسوله**﴾ معطوف على قوله: بالله، وأنّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر مرفوع بدل من الفاعل المقدر، والتقدير: وما منعهم من قبول نفقاتهم شيءٌ إلا كفرُهم بالله وبرسوله. ﴿**ولا يأتون الصلاة**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النفي معطوف على قوله: إلاّ أنّهم كفروا. ﴿**إلاّ**﴾ أداة استثناء. وجملة ﴿**وهم كسالى**﴾ في موضع الحال، والمعنى لا يأتون الصلاة في أي حال إلا حال كونهم كسالى.

﴿**ولا ينفقون إلاّ وهم كارهون**﴾ مثلها في الإعراب. ﴿**فلا تعجبك**﴾ الفعل مجزوم بلا الناهية، والفاء للتفريع، والضمير المتصل به مفعول. ﴿**أموالُهم**﴾ فاعل تُعْجِبْ. ﴿**ولا أولادُهم**﴾ معطوف على أموالهم. ﴿**إنّما**﴾ كافة ومكفوفة. ﴿**يريد الله**﴾ فعل وفاعل. ﴿**ليعذبهم**﴾ الفعل منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل ضمير يعود على الله، والضمير المتصل بالفعل مفعول، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعول يريد. ﴿**بها**﴾ متعلق بيعذب. ﴿**في الحياة**﴾ كذلك. ﴿**الدنيا**﴾ نعت للحياة مجرور بكسرة مقدرة على الألف. ﴿**وتزهق**﴾ معطوف على يعذب. ﴿**أنفسهم**﴾ فاعل تزهق. ﴿**وهم كافرون**﴾ جملة حالية في محل نصب. ﴿**ويحلفون**﴾ فعل وفاعل معطوف على ما قبله. ﴿**بالله**﴾ متعلق بيحلفون. ﴿**إنّهم**﴾ إنّ واسمها. ﴿**لمنكم**﴾ متعلق بمحذوف خبر إنّ، وجملة إنّهم لمنكم جواب القسم. ﴿**وما هم**﴾ في محل رفع مبتدأ، دخلت عليه ما النافية.

﴿**منكم**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. ﴿**ولكنّهم قوم**﴾ لكّن واسمها وخبرها. ﴿**يفرقون**﴾ فعل وفاعل، والجملة في محل رفع نعت لقوم. ﴿**لو يجدون**﴾ جملة شرطية. ﴿**ملجأً**﴾ مفعول به. ﴿**أو مغارات**﴾ معطوف على ملجأ. ﴿**أو مدّخلاً**﴾ معطوف على مغارات. ﴿**لَوَلّوا**﴾ جواب الشرط. إليه متعلق به. ﴿**وهم يجمحون**﴾ جملة حالية في محل نصب. ﴿**ومنهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**مَنْ**﴾ في محل رفع مبتدأ مؤخر. ﴿**يلمزك**﴾ صلة مَنْ. ﴿**في الصدقات**﴾ متعلق بيلمزك. ﴿**فإن أعطوا**﴾ جملة شرطية دخل عليها حرف التفريع. ﴿**منها**﴾ متعلق بأعطوا. ﴿**رضوا**﴾ جواب الشرط. ﴿**وإن لم يعطوا منها**﴾ معطوف على فإن أعطوا منها. ﴿**إذا هم**﴾ في محل رفع مبتدأ دخلت عليه إذا الفجائية. ﴿**يسخطون**﴾ فعل وفاعل، والجملة خبر المبتدإ، وجملة إذا هم جواب الشرط. ﴿**ولو أنّهم**

رضوا﴾ الجملة من أنّ واسمها وخبرها فعل الشرط لو. **﴿ما﴾** في محل نصب مفعول رضوا.

﴿آتاهم الله﴾ صلة ما. **﴿ورسولُه﴾** معطوف على الله، وجواب لو محذوف دل عليه المعطوف عليه، وتقديره: لكان ذلك خيراً لهم. **﴿وقالوا﴾** فعل وفاعل معطوف على رضوا. **﴿حسبنا﴾** مبتدأ. **﴿اللهُ﴾** خبره، وجملة حسبنا الله في محل نصب مقول القول. **﴿سيؤتينا﴾** الضمير المتصل بالفعل مفعول. **﴿اللهُ﴾** فاعل يؤتي. **﴿من فضله﴾** متعلق بيؤتي. **﴿ورسوله﴾** معطوف على الله. **﴿إنّا﴾** إنّ واسمها. **﴿إلى الله﴾** متعلق بالخبر **﴿راغبون﴾**. **﴿إنّما الصدقات﴾** مبتدأ **﴿للفقراء﴾** متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. **﴿والمساكين﴾** معطوف على الفقراء. **﴿والعاملين﴾** أيضاً. **﴿عليها﴾** متعلق بالعاملين. **﴿والمؤلفة﴾** كذلك. **﴿قلوبُهم﴾** نائب فاعل اسم المفعول. **﴿وفي الرقاب﴾** متعلق بما تعلق به للفقراء. **﴿والغارمين﴾** معطوف على للفقراء. **﴿وفي سبيل الله﴾** معطوف على الرقاب. **﴿وابن السبيل﴾** معطوف على للفقراء. **﴿فريضة﴾** مفعول مطلق. **﴿من الله﴾** متعلق بمحذوف نعت لفريضة. **﴿والله عليم حكيم﴾** الجملة من المبتدإ والخبر تذييل. **﴿ومنهم﴾** متعلق بمحذوف خبر مقدم.

﴿الذين﴾ في محل رفع مبتدأ مؤخر. **﴿يؤذون النبيء﴾** فعل وفاعل ومفعول، والجملة صلة الذين. **﴿ويقولون﴾** معطوف على يؤذون. **﴿هو﴾** في محل رفع مبتدأ. **﴿أذن﴾** خبره، وجملة هو أذن في محل نصب مقول القول. **﴿قل﴾** فعل أمر. **﴿أذنُ﴾** خبر لمبتدإ مقدر. **﴿خير﴾** مضاف إلى أذن. **﴿لكم﴾** متعلق بخير. **﴿يؤمن﴾** الفاعل ضمير يعود على النبيء. **﴿بالله﴾** متعلق بيؤمن. **﴿ويؤمن للمؤمنين﴾** معطوف على يؤمن بالله، وجملة يؤمن بالله نعت لأذن. **﴿ورحمة﴾** معطوف على أذن خير. **﴿للذين﴾** متعلق بمحذوف نعت لرحمة. **﴿آمنوا﴾** صلة الذين. **﴿منكم﴾** متعلق بآمنوا. **﴿والذين﴾** في محل رفع مبتدأ.

﴿يؤذون رسول﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة صلة الذين. **﴿الله﴾** مضاف إلى رسول. **﴿لهم﴾** متعلق بمحذوف خبر مقدم. **﴿عذاب﴾** مبتدأ مؤخر. **﴿أليم﴾** نعت لعذاب، وجملة لهم عذاب خبر المبتدإ، والجملة معطوفة على ما قبلها. **﴿يحلفون﴾** فعل وفاعل. **﴿بالله لكم﴾** متعلقان بيحلفون. **﴿ليرضوكم﴾** منصوب

بأن مضمرة بعد لام التعليل، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بلام التعليل متعلق بيحلفون. ﴿**والله**﴾ مبتدأ. ﴿**ورسوله**﴾ معطوف عليه. ﴿**أحقّ**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**أن يرضوه**﴾ أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بحرف مقدّر متعلق بأحقّ. ﴿**إن كانوا مؤمنين**﴾ جملة شرطية من كان واسمها وخبرها، وجوابها محذوف دل عليه ما قبله. ﴿**ألم يعلموا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي وحرف الاستفهام. ﴿**أنّه**﴾ أنّ واسمها. ﴿**من يحادد**﴾ جملة شرطية. ﴿**الله**﴾ مفعول به. ﴿**ورسوله**﴾ معطوف عليه. ﴿**فأنَّ**﴾ الفاء رابطة، وأنَّ مصدرية.

﴿**له**﴾ متعلق بمحذوف خبر أنّ مقدّم. ﴿**نارَ**﴾ اسمها مؤخّر. ﴿**جهنّم**﴾ مضاف إلى نار مجرور بالفتحة للعلمية والتأنيث، وجملة فأنّ له نار جهنم جواب الشرط (من يحادد الله)، وجملة من يحادد الله في محل رفع خبرُ أنَّ. ﴿**خالداً**﴾ منصوب على الحال من الضمير المجرور في قوله: له. ﴿**فيها**﴾ متعلق بالحال. ﴿**ذلك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**الخزي**﴾ خبره. ﴿**العظيم**﴾ نعت للخزي. ﴿**يحذر المنافقون**﴾ فعل وفاعل. ﴿**أن تنزل**﴾ مبنيّ للمجهول منصوب بأن. ﴿**عليهم**﴾ متعلق به. ﴿**سورة**﴾ نائب الفاعل، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول يَحْذَرُ. ﴿**تنبِّئهم**﴾ الضمير المتصل بالفعل مفعول، والفاعل ضمير يعود على سورة، وجملة تنبئهم في محل رفع نعت لسورة. ﴿**بما**﴾ متعلق بتنبئهم. ﴿**في قلوبهم**﴾ متعلق بمحذوف صلة ما. ﴿**قل**﴾ فعل أمر. ﴿**استهزءوا**﴾ الجملة في محل نصب مقول القول.

﴿**إنّ الله مخرج**﴾ الجملة من إنّ واسمها وخبرها تعليلية. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول باسم الفاعل. ﴿**تحذرون**﴾ فعل وفاعل، والجملة في محل نصب خبر كان. ﴿**ولئن سألتهم**﴾ جملة شرطية دخل عليها لام القسم وحرف العطف. ﴿**ليقولن**﴾ جواب القسم سدّ مسدّ جواب الشرط. ﴿**إنّما**﴾ كافة ومكفوفة. ﴿**كنّا**﴾ كان واسمها. ﴿**نخوض**﴾ في محل نصب خبر كان، وجملة إنّما كنا. . في محل نصب مقول القول. ﴿**ونلعب**﴾ معطوف على نخوض. ﴿**قل**﴾ فعل أمر. ﴿**أبالله**﴾ الهمزة للاستفهام، والجار والمجرور متعلق بتستهزئون. ﴿**وآياته**﴾ معطوف على الله. ﴿**ورسوله**﴾ كذلك. ﴿**كنتم**﴾ كان واسمها. ﴿**تستهزئون**﴾ فعل وفاعل، والجملة في محل نصب خبر كان. ﴿**لا تعتذروا**﴾ الفعل مجزوم بلا الناهية. ﴿**قد**

كفرتم﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف التحقيق. **﴿بعد﴾** متعلق بكفرتم. **﴿إيمانكم﴾** مضاف إلى الظرف.

﴿إن يعف﴾ فعل مضارع مبني للمجهول مجزوم بحذف الألف. **﴿عن طائفة﴾** متعلق بيعف. **﴿منكم﴾** متعلق بمحذوف نعت لطائفة. **﴿تعذب﴾** جواب الشرط مجزوم بالسكون. **﴿طائفة﴾** نائب فاعل تعذب. **﴿بأنّهم﴾** أنّ واسمها. **﴿كانوا﴾** كان واسمها. **﴿مجرمين﴾** خبر كان، وجملة كانوا في محل رفع خبر أنّ، وأنّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بالياء متعلق بيُعَذَّب. **﴿المنافقون﴾** مبتدأ مرفوع بالواو. **﴿والمنافقات﴾** معطوف عليه. **﴿بعضهم﴾** مبتدأ ثانٍ. **﴿من بعض﴾** متعلق بمحذوف خبر المبتدإ الثاني، والمبتدأ الثاني وخبره خبر المبتدإ الأول. **﴿يأمرون﴾** فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. **﴿بالمنكر﴾** متعلق بيأمرون. **﴿وينهون عن المعروف﴾** معطوف على يأمرون بالمنكر. **﴿ويقبضون﴾** كذلك. **﴿أيديهم﴾** مفعول به منصوب بالفتحة الظاهرة.

﴿نسوا الله﴾ فعل وفاعل ومفعول. **﴿فنسيهم﴾** الفاء للتعقيب، وفاعل نسي ضمير يعود على الله، والضمير المتصل بالفعل مفعول به. **﴿إنّ المنافقين﴾** إنّ واسمها. **﴿هم﴾** ضمير فصل. **﴿الفاسقون﴾** خبرُ إنَّ مرفوع بالواو، والجملة تعليل. **﴿وعد الله المنافقين﴾** فعل وفاعل ومفعول. **﴿والمنافقات﴾** معطوف على المنافقين. **﴿والكفار﴾** كذلك. **﴿نار﴾** المفعول الثاني لوعد. **﴿جهنم﴾** مضاف إلى نار مجرور بالفتحة للعلمية والتأنيث. **﴿خالدين﴾** حال من المنافقين وما عطف عليه منصوب بالياء. **﴿فيها﴾** متعلق بخالدين. **﴿هي﴾** في محل رفع مبتدأ. **﴿حسبهم﴾** خبره. **﴿ولعنهم الله﴾** معطوف على حسبهم. **﴿ولهم﴾** الواو للعطف، لهم متعلق بمحذوف خبر مقدم. **﴿عذاب﴾** مبتدأ مؤخر. **﴿مقيم﴾** نعت لعذاب. **﴿كالذين﴾** الكاف في محل رفع خبر لمبتدإ محذوف، أي: أنتم مثلُ الذين. **﴿من قبلكم﴾** متعلق بمحذوف صلة الذين.

﴿كانوا أشدَّ﴾ كان واسمها وخبرها. **﴿منكم﴾** متعلق بأشد. **﴿قوة﴾** منصوب على التمييز. **﴿وأكثر﴾** معطوف على أشدَّ. **﴿أموالاً﴾** تمييز. **﴿وأولاداً﴾** كذلك. **﴿فاستمتعوا﴾** فعل وفاعل، دخل عليه حرف التفريع. **﴿بخلاقهم﴾** متعلق باستمتعوا. **﴿فاستمتعتم﴾** مرتب على ما قبله. **﴿بخلاقكم﴾** متعلق باستمتعتم.

﴿**كما**﴾ الكاف في محل نصب نعت لمصدر مقدر، ما في محل جر. ﴿**استمتع الذين**﴾ فعل وفاعل، والجملة صلة ما. ﴿**من قبلكم**﴾ متعلق بمحذوف صلة الذين. ﴿**بخلاقهم**﴾ متعلق باستمتعوا. ﴿**وخضتم**﴾ فعل وفاعل معطوف على استمتعتم. ﴿**كالذي**﴾ الكاف في محل نصب نعت لمصدر مقدر، والذي في محل جر. ﴿**خاضوا**﴾ فعل وفاعل صلة الذي، والتقدير: وخضتم خوضاً مثلَ الخوض الذي خاضوه. ﴿**أولئك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**حبطت أعمالهم**﴾ فعل وفاعل، والجملة في محل رفع خبر المبتدإ. ﴿**في الدنيا**﴾ متعلق بحبطت. والآخرة معطوف على الدنيا.

﴿**وأولئك**﴾ معطوف على أولئك حبطت. ﴿**هم**﴾ ضمير فصل. ﴿**الخاسرون**﴾ خبر أولئك. ﴿**ألم يأتهم**﴾ الفعل مجزم بلم، والهمزة للاستفهام. ﴿**نبأُ**﴾ فاعل يأت. ﴿**الذين**﴾ في محل جر مضاف إلى نبإ. ﴿**من قبلهم**﴾ متعلق بمحذوف صلة الذين. ﴿**قوم**﴾ مجرور بدل من الذين. ﴿**نوح**﴾ مضاف إلى قوم. ﴿**وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات**﴾ معطوفات على نوح. ﴿**أتتهم**﴾ فعل ماض، والضمير المتصل به مفعول. ﴿**رسلُهم**﴾ فاعل أتت. ﴿**بالبينات**﴾ متعلق بأتت. ﴿**فما كان الله**﴾ كان واسمها دخل عليه حرف النفي وحرف التعقيب. ﴿**ليظلمهم**﴾ الفعل منصوب بأن مضمرة بعد لام الجحود، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بلام الجحود متعلق بخبر كان المقدّر، والتقدير: فما كان اللهُ مريداً لظلمهم. ﴿**ولكن**﴾ الواو للعطف، ولكن للاستدراك. ﴿**كانوا**﴾ كان واسمها. أنفسهم مفعول مقدم. ﴿**يظلمون**﴾ فعل وفاعل، والجملة خبر كان.

﴿**والمؤمنون**﴾ مبتدأ مرفوع بالواو. ﴿**والمؤمنات**﴾ معطوف عليه. ﴿**بعضهم**﴾ مبتدأ ثانٍ. ﴿**أولياءُ**﴾ خبره. ﴿**بعض**﴾ مضاف إلى أولياء، وجملة المبتدإ الثاني وخبره خبرُ المبتدإ الأوّل، وجملة والمؤمنون معطوفة على قوله: المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض. . ﴿**يأمرون**﴾ فعل وفاعل. ﴿**بالمعروف**﴾ متعلق بيأمرون. ﴿**وينهون عن المنكر**﴾ عطف على يأمرون. ﴿**ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله**﴾ معطوفات على قوله: يأمرون بالمعروف وينهون. . ﴿**أولئك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**سيرحمهم**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف التنفيس، والضمير المتصل به مفعول. ﴿**الله**﴾ فاعل يرحم، وجملة سيرحمهم الله

خبر المبتدإ. ﴿إنّ الله عزيز حكيم﴾ الجملة من إنّ واسمها وخبرها تعليلية. ﴿وعد الله﴾ فعل وفاعل. ﴿المؤمنين﴾ مفعول أوّل.

﴿والمؤمنات﴾ معطوف عليه. ﴿جنات﴾ مفعول ثانٍ. ﴿تجري﴾ فعل مضارع مرفوع بضمة مقدرة على الياء. ﴿من تحتها﴾ متعلق بتجري. ﴿الأنهارُ﴾ فاعل، وجملة تجري من تحتها الأنهار في محل جر نعت لجنات. ﴿خالدين﴾ منصوب على الحال من المفعول الأول. ﴿فيها﴾ متعلق بخالدين. ﴿ومساكن﴾ معطوف على جنات. ﴿طيبة﴾ نعت لمساكن. ﴿في جنات﴾ متعلق بمحذوف حال من مساكن طيبة. ﴿عدن﴾ مضاف إلى جنات. ﴿ورضوان﴾ مبتدأ. ﴿من الله﴾ متعلق بمحذوف نعت لرضوان. ﴿أكبر﴾ خبر المبتدإ، والجملة معطوفة على وعد الله. ﴿ذلك﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿هو﴾ ضمير فصل. ﴿الفوز﴾ خبر المبتدإ. ﴿العظيم﴾ نعت للفوز. ﴿ياأيُّها﴾ يا حرف نداء، أيُّ منادى مبني على الضم في محل نصب، ها للتنبيه. ﴿النبيءُ﴾ نعت لأيُّ باعتبار لفظها.

﴿جاهد﴾ فعل أمر، وفاعله ضمير يعود على النبيء. ﴿الكفار﴾ مفعول به. ﴿والمنافقين﴾ معطوف على الكفار. ﴿واغلظ﴾ معطوف على جاهد. ﴿عليهم﴾ متعلق باغلظ. ﴿ومأواهم﴾ مبتدأ مرفوع بضمة على الألف، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿جهنّم﴾ خبر المبتدإ. ﴿وبئس المصير﴾ فعل وفاعل، وجملة بئس المصير خبر لمبتدإ محذوف معطوف على مأواهم جهنم، والتقدير: ومصيرهم بئس المصير. ﴿يحلفون﴾ فعل وفاعل. ﴿بالله﴾ متعلق بيحلفون. ﴿ما﴾ نافية. ﴿قالوا﴾ فعل وفاعل، وجملة ما قالوا جواب القسم. ﴿ولقد﴾ الواو للعطف، واللام للقسم، وقد للتحقيق. ﴿قالوا كلمة﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿الكفر﴾ مضاف إلى كلمة. ﴿وكفروا﴾ معطوف على قالوا. ﴿بعد﴾ متعلق بكفروا. ﴿إسلامهم﴾ مضاف إلى بَعْدَ. ﴿وهموا﴾ فعل وفاعل معطوف على كفروا. ﴿بما﴾ متعلق بهموا.

﴿لم ينالوا﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي، والجملة صلة ما. ﴿وما﴾ عطف ونفْيٌ. ﴿نقموا﴾ فعل وفاعل. ﴿إلاّ﴾ أداة استثناء. ﴿أن أغناهم الله﴾ أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بلام التعليل، والمعنى: ما أنكروا ما أنكروا لعلة من العلل إلاّ لإغناء الله إيّاهم. ﴿فإن يتوبوا﴾ جملة شرطية مرتبة على ما قبلها. ﴿يك﴾ جواب الشرط، وأصله يكُنْ. ﴿خيراً﴾ خبر يك. ﴿لهم﴾ متعلق

بخير. ﴿**وإن يتولوا يعذّبْهم**﴾ معطوف على يتوبوا. ﴿**الله**﴾ فاعل يعذب. ﴿**عذاباً**﴾ مفعول يعذب. ﴿**أليماً**﴾ نعت له. ﴿**في الدنيا**﴾ متعلق بيعذب. ﴿**والآخرة**﴾ معطوف على الدنيا. ﴿**وما**﴾ الواو للعطف، وما للنفي. ﴿**لهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**في الأرض**﴾ متعلق به. ﴿**من وليّ**﴾ من حرف جر زائد، وليّ مجرور بمن لفظاً، ومرفوع محلاً مبتدأ مؤخر.

﴿**ولا نصير**﴾ معطوف على وليّ. ﴿**ومنهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**مَنْ**﴾ في محل رفع مبتدأ مؤخر. ﴿**عاهد**﴾ فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على مَنْ. ﴿**الله**﴾ منصوب بعاهد، وجملة عاهد صلة مَنْ. ﴿**لئن**﴾ اللام للقسم، إن شرطية جازمة. ﴿**آتانا**﴾ فعل الشرط. ﴿**من فضله**﴾ متعلق بآتانا. ﴿**لنصدّقنّ**﴾ جواب القسم سدّ مسدّ جواب الشرط، والفعل مبنيّ على الفتح لاتصاله بنون التوكيد. ﴿**ولنكونن**﴾ مغطوف على لنصدّقن. ﴿**من الصالحين**﴾ متعلق بمحذوف خبر نكونن. ﴿**فلما**﴾ الفاء للتعقيب، ولما ظرف متضمن معنى الشرط. ﴿**آتاهم**﴾ فعل الشرط. ﴿**من فضله**﴾ متعلق بآتاهم. ﴿**بخلوا**﴾ جواب الشرط. ﴿**به**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**وتولوا**﴾ معطوف على بخلوا. ﴿**وهم معرضون**﴾ مبتدأ وخبر حال من ضمير الجماعة. ﴿**فأعقبهم**﴾ مترتب على ما قبله، وفاعل أعقب ضمير يعود على الله، والضمير المتصل بالفعل مفعول أول. ﴿**نفاقاً**﴾ مفعول ثانٍ. ﴿**في قلوبهم إلى يوم**﴾ متعلقان بأعقبهم.

﴿**يلقونه**﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة في محل جر مضافة إلى يوم. ﴿**بما**﴾ متعلق بأعقبهم. ﴿**أخلفوا**﴾ فعل وفاعل والجملة صلة ما. ﴿**الله**﴾ منصوب بأخلفوا. ﴿**ما**﴾ في محل نصب المفعول الثاني لأخلفوا. ﴿**وعدوه**﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة صلة ما. ﴿**وبما كانوا يكذبون**﴾ معطوف على قوله: بما أخلفوا الله. ﴿**ألم يعلموا**﴾ مجزوم بلم، والهمزة للاستفهام. ﴿**أنّ الله**﴾ أنّ واسمها. ﴿**يعلم**﴾ فاعله ضمير يعود على الله، والجملة في محل رفع خبرُ أنّ. ﴿**سرهم**﴾ مفعول به. ﴿**ونجواهم**﴾ معطوف على سرهم. ﴿**وأنّ الله علام الغيوب**﴾ الجملة من أنّ واسمها وخبرها معطوفة على أنّ الله يعلم سرهم. ﴿**الذين**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**يلمزون المطوعين**﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة صلة الذين. ﴿**من المؤمنين**﴾ متعلق بالمطوعين. ﴿**في الصدقات**﴾ متعلق بيلمزون. ﴿**والذين**﴾

معطوف على الذين يلمزون. ﴿**لا يجدون**﴾ صلة الذين. ﴿**إلاّ جهدهم**﴾ بدل من المستثنى منه المقدر، والتقدير: لا يجدون شيئاً إلاّ جهدهم.

﴿**فيسخرون**﴾ فعل وفاعل، والفاء للتعقيب. ﴿**منهم**﴾ متعلق بيسخرون. ﴿**سخر الله**﴾ فعل وفاعل. ﴿**منهم**﴾ متعلق بسخر. ﴿**ولهم**﴾ الواو للعطف، لهم متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**عذاب**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**أليم**﴾ نعت لعذاب. ﴿**استغفر**﴾ فعل أمر. ﴿**لهم**﴾ متعلق به. ﴿**أو**﴾ حرف عطف. ﴿**لا تستغفر لهم**﴾ نهي معطوف على الأمر على وجه التخيير. ﴿**إن تستغفر لهم**﴾ جملة شرطية. ﴿**سبعين**﴾ مفعول مطلق منصوب بالياء. ﴿**مرة**﴾ منصوب على التمييز. ﴿**فلن يغفر**﴾ الفعل منصوب بلن، وبوجود لن دخلت الفاء الرابطة للجواب. ﴿**الله**﴾ فاعل. ﴿**لهم**﴾ متعلق بيغفر، وجملة فلن يغفر الله لهم في محل جزم جواب الشرط. ﴿**ذلك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**بأنّهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإ.

﴿**كفروا**﴾ فعل وفاعل، والجملة في محل رفع خبر أنّ. ﴿**بالله**﴾ متعلق بكفروا. ﴿**ورسوله**﴾ معطوف على الله. ﴿**والله**﴾ مبتدأ. ﴿**لا يهدي**﴾ فاعله ضمير يعود على الله، والجملة خبر المبتدإ. ﴿**القوم**﴾ مفعول به. ﴿**الفاسقين**﴾ نعت للقوم. ﴿**فرح المخلفون**﴾ فعل وفاعل. ﴿**بمقْعَدهم**﴾ متعلق بفرح. ﴿**خلاف**﴾ منصوب على الظرفية. ﴿**رسول**﴾ مضاف إلى خلاف. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى رسول. ﴿**وكرهوا**﴾ فعل وفاعل معطوف على فرح. ﴿**أن يجاهدوا**﴾ أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول كرهوا. ﴿**بأموالهم**﴾ متعلق بيجاهدوا. ﴿**وأنفسهم**﴾ معطوف على أموالهم. ﴿**في سبيل**﴾ متعلق بيجاهدوا. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى سبيل. ﴿**وقالوا**﴾ معطوف على كرهوا. ﴿**لا تنفروا**﴾ مجزوم بلا الناهية، والجملة في محل نصب مقول القول. ﴿**في الحرّ**﴾ متعلق بالنهي قبله. ﴿**قل**﴾ فعل أمر. ﴿**نار**﴾ مبتدأ.

﴿**جهنم**﴾ مضاف إلى نار مجرور بالفتحة. ﴿**أشدُّ**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**حرّاً**﴾ منصوب على التمييز. ﴿**لو كانوا يفقهون**﴾ جملة شرطية جوابها مقدر، والتقدير: لو كانوا يفقهون لعلموا شدّة حرّ جهنم فيما قالوا ما قالوا. ﴿**فليضحكوا**﴾ الفاء للتفريع، والفعل مجزوم بلام الأمر. ﴿**قليلاً**﴾ نعت لمصدر مقدر. ﴿**وليبكوا كثيراً**﴾ مثلها. ﴿**جزاءً**﴾ مفعول له. ﴿**بما**﴾ متعلق بجزاء. ﴿**كانوا**﴾ كان واسمها.

﴿**يكسبون**﴾ فعل وفاعل، والجملة في محل نصب خبر كان. ﴿**فإن رجعك الله**﴾ جملة شرطية دخل عليها حرف التفريع. ﴿**إلى طائفة**﴾ متعلق برجع. ﴿**منهم**﴾ متعلق بمحذوف نعت لطائفة. ﴿**فاستأذنوك**﴾ فعل وفاعل ومفعول مرتب على فعل الشرط. ﴿**للخروج**﴾ متعلق باستأذنوك. ﴿**فقل لن تخرجوا**﴾ مقول القول، وجملة فقل لن تخرجوا في محل جزم جواب الشرط.

﴿**معي أبداً**﴾ متعلقان بلن تخرجوا. ﴿**ولن تقاتلوا**﴾ معطوف على لن تخرجوا. ﴿**معي**﴾ متعلق بلن تقاتلوا. ﴿**عدواً**﴾ مفعول به. ﴿**إنّكم**﴾ إنّ واسمها. ﴿**رضيتم**﴾ فعل وفاعل، والجملة في محل رفع خبرُ إنّ، وجملة إنّكم رضيتم تعليلية. ﴿**بالقعود**﴾ متعلق برضيتم. ﴿**أول**﴾ منصوب على الظرفية. ﴿**مرة**﴾ مضاف إلى أول. ﴿**فاقعدوا**﴾ مفرع على ما قبله. ﴿**مع**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**الخالفين**﴾ مضاف إلى مع. ﴿**ولا تُصَلِّ**﴾ مجزوم بلا الناهية، والواو للعطف، والفاعل ضمير المخاطب. ﴿**على أحد**﴾ متعلق بلا تصل. ﴿**منهم**﴾ متعلق بمحذوف نعت لأحد. ﴿**مات**﴾ فعل ماض، والفاعل ضمير يعود على أحد، والجملة نعت ثانٍ لأحد. ﴿**أبداً**﴾ منصوب على الظرفية. ﴿**ولا تقم**﴾ معطوف على لا تصل. ﴿**على قبره**﴾ متعلق بلا تقم. ﴿**إنّهم**﴾ إنّ واسمها.

﴿**كفروا**﴾ فعل وفاعل، والجملة في محل رفع خبر إنّ، وجملة إنّهم كفروا تعليلية. ﴿**بالله**﴾ متعلق بكفروا. ﴿**ورسوله**﴾ معطوف على الله. ﴿**وماتوا**﴾ معطوف على كفروا. ﴿**وهم**﴾ مبتدأ. ﴿**فاسقون**﴾ خبره، والجملة في محل نصب على الحال من ضمير الجماعة. ﴿**ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنّما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسُهم وهم كافرون**﴾: تقدم إعراب مثلها. ﴿**وإذا**﴾ الواو للعطف، إذا ظرف متضمن معنى الشرط. ﴿**أنزلت**﴾ فعل ماضٍ مبني للمجهول. ﴿**سورة**﴾ نائب الفاعل. ﴿**أنْ**﴾ تفسيرية. ﴿**آمنوا بالله**﴾ تفسير لسورة. ﴿**وجاهدوا مع رسوله**﴾ معطوف على آمنوا بالله، وجملة أنزلت سورة في محل جر مضافة إلى إذا. ﴿**استأذنك أولوا الطول**﴾ جواب إذا، وأولوا فاعل استأذن مرفوع بالواو لأنّه ملحق بجمع المذكر السالم، الطَّوْلِ مضاف إلى أولوا. ﴿**منهم**﴾ متعلق بمحذوف حال من أولوا.

﴿**وقالوا**﴾ معطوف على استأذنك. ﴿**ذرنا**﴾ فاعل الأمر ضمير يعود على

المخاطب، والضمير المتصل بالفعل مفعول به، وجملة ذرنا في محل نصب مقول القول. ﴿**نكن**﴾ مجزوم في جواب الأمر ﴿**مع**﴾ متعلق بمحذوف خبر نكُنْ، واسمها ضمير نحن للجماعة المتكلمين. ﴿**القاعدين**﴾ مضاف إلى الظرف، وجملة ذرنا نكن في محل نصب مقول القول. ﴿**رضوا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**بأن يكونوا مع الخوالف**﴾ متعلقان برضوا. ﴿**وطبع**﴾ فعل ماض مبني للمجهول. ﴿**على قلوبهم**﴾ نائب فاعل طبع. ﴿**فهم**﴾ مبتدأ مرتب على طبع. ﴿**لا يفقهون**﴾ الجملة في محل رفع خبر المبتدإ. ﴿**لكنْ**﴾ حرف استدراك. ﴿**الرسول**﴾ مبتدأ.

﴿**والذين**﴾ معطوف عليه. ﴿**آمنوا**﴾ صلة الذين. ﴿**معه**﴾ متعلق بمحذوف حال من الذين. ﴿**جاهدوا**﴾ فعل وفاعل، والجملة خبر المبتدإ. ﴿**بأموالهم**﴾ متعلق بجاهدوا. ﴿**وأنفسهم**﴾ معطوف على أموالهم. ﴿**وأولئك**﴾ في محل رفع مبتدأٌ أوّل. ﴿**لهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**الخيرات**﴾ مبتدأ مؤخر، وهذه الجملة في محل رفع خبر أولئك، وجملة أولئك معطوفة على جاهدوا. ومثلها ﴿**وأولئك هم المفلحون**﴾. ﴿**أعدّ الله**﴾ فعل وفاعل. ﴿**لهم**﴾ متعلق بأعدّ. ﴿**جنات**﴾ مفعول به. ﴿**تجري من تحتها**﴾ متعلق بتجري. ﴿**الأنهار**﴾ فاعل، وجملة تجري في محل نصب نعت لجنات. ﴿**خالدين**﴾ منصوب على الحال من الضمير المجرور. ﴿**فيها**﴾ متعلق بالحال. ﴿**ذلك**﴾ في محل رفع مبتدأ.

﴿**الفوز**﴾ خبره. ﴿**العظيم**﴾ نعت للفوز. ﴿**وجاء المعذرون**﴾ فعل وفاعل، والواو للعطف. ﴿**من الأعراب**﴾ متعلق بمحذوف حال من المعذرين. ﴿**ليؤذن**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل. ﴿**لهم**﴾ نائب الفاعل، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بلام التعليل متعلق بجاء. ﴿**وقعد الذين**﴾ فعل وفاعل معطوف على جاء. ﴿**كذبوا**﴾ صلة الذين. ﴿**الله**﴾ منصوب بكذبوا. ﴿**ورسولَه**﴾ معطوف على الله. ﴿**سيصيب**﴾ فعل مضارع. ﴿**الذين**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**كفروا**﴾ صلة الذين. ﴿**منهم**﴾ متعلق بمحذوف حال من الذين. ﴿**عذاب**﴾ فاعل يصيب. ﴿**أليم**﴾ نعت لعذاب. ﴿**ليس**﴾ يعمل عمل كان. ﴿**على الضعفاء**﴾ متعلق بمحذوف خبر ليس مقدم. ﴿**ولا على المرضى**﴾ معطوف على الضعفاء. ﴿**ولا على الذين**﴾ كذلك.

﴿**لا يجدون**﴾ صلة الذين. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**ينفقون**﴾

الجملة صلة ما. ﴿**حرجٌ**﴾ اسم ليس مؤخّر. ﴿**إذا نصحوا**﴾ جملة شرطية. ﴿**لله**﴾ متعلق بنصحوا. ﴿**ورسوله**﴾ معطوف على الله، وجواب الشرط محذوف دل عليه قوله: ليس على الضعفاء. ﴿**ما**﴾ بمعنى ليس. ﴿**على المحسنين**﴾ متعلق بمحذوف خبر ما. ﴿**من سبيل**﴾ من زائدة، وسبيل اسم ليس جرَّ لَفْظاً ورفع محلاً. ﴿**والله غفوررحيم**﴾ الجملة من المبتدإ والخبر تذييل. ﴿**ولا على الذين**﴾ معطوف على قوله: ولا على الذين لا يجدون. ﴿**إذا ما أتوك**﴾ جملة شرطية. ﴿**لتحملهم**﴾ لام التعليل داخل على مصدر مجرور. ﴿**قلت**﴾ فعل وفاعل. ﴿**لا أجد**﴾ مقول القول. ﴿**ما**﴾ مفعول أجد. ﴿**أحملكم**﴾ صلة ما. ﴿**عليه**﴾ متعلق به، وجملة قلت.. في محل نصب حال من ضمير المخاطب في أتوك. ﴿**تولّوا**﴾ فعل وفاعل، والجملة جواب الشرط (إذا). ﴿**وأعينهم**﴾ مبتدأ دخلت عليه واو الحال. ﴿**تفيض**﴾ فاعله ضمير أعينهم. ﴿**من الدمع**﴾ متعلق بتفيض، وجملة تفيض من الدمع خبر المبتدإ. ﴿**حزناً**﴾ مفعول لأجله. ﴿**ألا يجدوا**﴾ على عدم وجود. ﴿**ما ينفقون**﴾ من الزاد والسلاح.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**ياأيُّها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثّاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا**﴾: هذا ابتداء خطاب للمؤمنين للتحريض على الجهاد في سبيل الله بطريقة العتاب على التباطئ بإجابة دعوة النفير، والمقصود بذلك غزوة تبوك. وجاء الخطاب بالاستفهام الإنكاري، والمستفهم عنه هنا التثاقل بالميل والإخلاد إلى الأرض. ومجموع قوله: اثّاقلتم إلى الأرض تمثيل لحال الكارهين للغزو والمتطلبين للعذر عن الجهاد كسلاً وجبناً بحال مَنْ يُطْلَبُ منه النهوضُ والخروجُ، فيقابل ذلك الطلب بالالتصاق بالأرض والتمكن من القعود، فيأبى النهوضَ فضلاً عن السير؛ ففي الأسلوب إبْدَاعٌ عجيب!. والاستفهام في أرضيتم بالحياة الدنيا إنكاريٌّ تَوْبِيخِيٌّ؛ إذ لا يليق ذلك بالمؤمنين... ﴿**من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل**﴾: كرر اسم الآخرة زيادة في التقرير.

وفي ترسيخ الحياة الدنيا بما يؤذن نفاستها ويستدعي الرغبة فيها، وتجريد الآخرة عن مثل ذلك مبالغة في بيان حقارة الدنيا ودَنَاءَتِها، وعظم شأن الآخرة وعلوها ونفاستها... ﴿**إلاّ تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً**﴾: هذا وعيدٌ وتهديد عُقِّبَ به

الملامُ السابق، فالمقصود منه تهديدهم بأنّهم إن تقاعدوا عن النفير هاجمهم العدوُّ في ديارهم فاستأصلوهم وأتى الله بقوم غيرهم، وهو تهديد مفروضٌ منه: لو حصل منكم تقاعس لحصل ما حصل؛ فإن الشرطية جاءت في موضعها. . . ﴿**ويستبدل**﴾: السين والتاء للتأكيد. . . ﴿**قوماً غيركم**﴾: تنكيرُ قوماً للنوعية. إذ لا تعيُّن لهؤلاء القوم، ضرورة أنّه معلق على شرط عدم النفير، وهم قد نفروا لمَّا اسْتُنْفِرُوا، إلاّ من تخلّف وهم عدد قليل من المؤمنين. أمَّا تخلّف المنافقين فهو في صالح المسلمين.

وقوله: ﴿**ولا تضروه شيئاً**﴾: جملة حالية تأسّس منها حصر المضرة عليهم فقط. وجملة ﴿**والله على كل شيء قدير**﴾: تذييل للكلام؛ لأنّه يحقق مضمون لحاق الضرّ بهم، وعدم لحاق الضر به. ﴿**إلاّ تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه: لا تحزن إنّ الله معنا**﴾: استئناف بياني لقوله: ولا تضروه شيئاً والله على كل شيء قدير؛ لأنّ نفي أن يكون قعودهم عن النفير مضراً بالله ورسوله، يثير في نفس السامع سؤالاً عن حصول النصر بدون نصير؛ فبَيَّن أنّ الله ينصره كما نصره حين كان ثاني اثنين لا جَيْشَ معه، فالذي نصره حين كان ثاني اثنين قدير على نصره وهو في جيش عظيم؛ فتبيّن أنّ تقدير قعودهم عن النفير لا يضر الله شيئاً. والضمير المنصوب بتنصروه عائد إلى النبيء ﷺ، وإن لم يتقدّم له ذِكْر؛ لأنّه واضح من المقام.

وقوله: إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه: لا تحزن إنّ الله معنا متعلق بقوله: فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين؛ فثاني اثنين محمد ﷺ وصاحبه أبوبكر - رضي الله عنه -. . . ﴿**فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها**﴾: تفريع على ما حصل في الغار عقب قوله لصاحبه: لا تحزن إنّ الله معنا، فتلك الظروف الثلاثة متعلقة بفعل نصره على الترتيب، فهي كالاعتراض بين المفرع عنه والتفريع. وجاء نظم الكلام على هذا السّبْك البديع للمبادأة بالدلالة على أنّ النصر حصل في أزمان وأحوال ما كان النصر يحصل في أمثالها لغيره لولا عناية الله به، وأنّ نصره كان معجزاً خارقاً للعادة. . . ﴿**وجعل كلمة الذين كفروا السفلى**﴾: كلمة الذين كفروا ما دبّروه واستقرّ أمْرُهم عليه من قتل الرسول والقضاء على دعوته، وهو مقابل لقوله: فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها. . .

وقوله: ﴿**وكلمة الله هي العليا**﴾: تذييل يقرر حقيقة الأمر في النهاية، فزاد بقوله: والله عزيز حكيم!. فمن تحقق عنده هذا الحكم لا ترهبه الكثرة، ولا تُوهِنه القلة: ﴿**انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون**﴾: فهذا الأمر جاء تعقيباً لِما مُهِّدَ له من قبلُ في الجمل المعترضة بين قوله: ياأيُّها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله... الآية، وبين هذاالقول: انفروا خفافاً وثقالاً... الآية؛ فالخفاف والثقال هنا مسْتَعَارَان لما يشابههما من أحوال الجيش وعلائقهم... وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله: وُصِلَتْ هذه الجملة بما قبلها بالعطف؛ لتكون كالتفسير للنفير العام الذي يقتضيه المقام، فهو توضيح للغرض المطلوب من النفير... ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون: فالأمر هنا يحتاج إلى العلم المفرق بين الجهاد في سبيل الله وبين القعود واتّباع المرْء هواه!.. ﴿**لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله...**﴾ الخ: هنا يقف بنا السياق ليُظْهِرَ ما كان عليه أهل النفاق وهم مندسون تحت شعار الإيمان المُعْلَنِ عنه قولاً باللسان، فظهرت بوادرُ نِفاقهم ماثلة للعيان، فقد تخلفوا عن النفير وتظاهروا بكل ما لديهم من معاذير، وقالوا مقسمين: ﴿**لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم إنّهم لكاذبون**﴾. ثم يُوجّه الله إلى رسوله الخطاب، وفيه ما فيه من رقة العتاب ﴿**عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبيّن لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين**﴾!.

ثمّ بيّن حقيقة الأمر في الفرق بين من يستأذن للعذر، وبين من لا يستأذن؛ لوجوب الخروج بالأمر... ﴿**لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين. إنّما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون**﴾: هذا هو الفرق بين من لا يستأذن لقوّة إيمانه بالأمر، وبين من يستأذن لتردده فيتلكأُ بالعذر!.. ﴿**ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدّة ولكن كره الله انبعاثهم فثبّطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين**﴾: دلّت هذه الآية على عدم إرادتهم الخروج من أول الأمر، فهي عطف على قوله: فهم في ريبهم يترددون، فهي تكذيب لهم على ما أظهروه من العذر... ﴿**لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلاّ خبالاً**﴾: بيان لحكمة قعودهم وتخلفهم عن الجهاد، فكان تخلُّفُهم رَحْمَةً بالمؤمنين؛ إذ لو خرجوا لحصل ما حصل من خبال

ووبال. . . ﴿**ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة**﴾: هذا تمثيل لحالة المنافقين حين يبذلون جهدهم لإيقاع التخاذل والخوف بين رجال الجيش، وإلقاء الأخبار الكاذبة عن قوة العدو بحال من يجهد بغيره بالسير لإبلاغ خبر مهم، أو إيصال تجارة لسوق. . . ﴿**وفيكم سماعون لهم**﴾: هذه الجملة جيء بها للتنبيه على أنّ بَغْيَهُم الفتنة أشد خطراً على المسلمين؛ لأنّ في المسلمين فريقاً تنطلي عليهم حِيَلُهُم، ففي المسلمين من هو على حاله لا يتفطن لأغراض المنافقين. . . ﴿**والله عليم بالظالمين: المقصود من هذه الجملة إعلام المسلمين بأنّ الله يعلم أحوال المنافقين الظالمين**﴾؛ ليكونوا منهم على حذر. وزيادة في التحذير منهم ذُكِّرَ الرَّسُولُ بما وقع منهم في الماضي: ﴿**لقد ابتغوا الفتنة من قبلُ وقلبوا لك الأمور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون**﴾، فهذا دليل بأنّ ذلك دَيْدَنٌ لَهُمْ، وطبيعة رُكِّبَتْ فيهم، فهو يشمل كل ما سبق منهم من مضارٍّ وخداع. . . ﴿**ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني**﴾: هذه الجملة عطفت على ما قبلها تكملة لموضوع السياق، فكان بعض المنافقين يعتذرون بمثل هذه المعاذير الواهية المريبة؛ فجاء الرد عليهم بما يليق بحال النفاق: ﴿**ألا في الفتنة سقطوا وإنّ جهنّم لمحيطة بالكافرين**﴾: والتعبير يرسم مشهداً: كأن الفتنة فيه هاوية يسقط فيها المفتونون، وكأنّ جهنّم من ورائهم تحيط بهم، وتأخذ عليهم المنافذ والمتجهات فلا يفلتون، كناية عن مفارقتهم للخطيئة كاملة، وعن انتظار العقاب عليها حتماً، جزاء الكذب والتخلف والهبوط إلى هذا المستوى المنحط من المعاذير، وتقريرٌ لكفرهم وإن كانوا يتظاهرون بالإسلام، وهم فيه منافقون. . . ﴿**إن تصبك حسنة تسؤهم وإن تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون**﴾: تُنَزَّلُ هذه الجملة منزلة البيان لجملة: إنّما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون. وما بين الجملتين استدلال على كذبهم فيما اعتذروا به وأظهروا الاستئذان لأجله.

وبُيّن هنا أن ترددهم هو أنّهم يخشون ظهور أمر المسلمين. . . فلذلك لا يصارحونهم بالإعراض، ويودون خيبة المؤمنين؛ فلذلك لا يحبون الخروج معهم. . . ﴿**قل لن يصيبنا إلاّ ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون**﴾: هذه الآية جواب لقولهم: قد أخذنا أمرنا من قبل، المنبئ عن فرحهم بما ينال المسلمين من مصيبة بإثبات عدم اكثرات المسلمين بالمصيبة وانتفاء حزنهم

عليها؛ لأنّهم يعلمون أنّ ما أصابهم ما كان إلا بتقدير الله لمصلحة المسلمين في ذلك؛ فهو نفع محض كما تدل عليه تعدية فعل كتب باللام المؤذنة بأنّه كتب ذلك لنفعهم. وزاد هذا توضيحاً قوله: هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون. . . **﴿قل هل تربصون بنا إلاّ إحدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا إنّا معكم متربصون﴾**: تُنزّل هذه الجملة منزلة البيان لما تضمنته جملة قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا. . فجاء الفصل هنا لهذا الغرض. والاستفهام مستعمل في النفي بقرينة الاستثناء.

ومعنى الكلام توبيخ لهم وتخطئة لتربصهم؛ لأنّهم يتربصون بالمسلمين أن يُقتلوا، ويغفلون عن احتمال أن يُنْصَرُوا، فكأنّ المعنى: لا تتربصون بنا إلا أن نُقتل أو نَغْلِبْ، وذلك إحدى الحسنيين. وجملة ونحن نتربص بكم معطوفة على جملة الاستفهام عطف الخبر على الإنشاء. وجُعلت جملة ونحن نتربص بكم إسميّةً بخلاف الجملة المعطوف عليها لإفادة تقوية التربص، وكناية عن تقوية حضور المتربص؛ لأن تقوية التربص تفيد قوة الرجاء في حصول المتربص، فتفيد قوّةَ حصُولِهِ، وهو المكنّى عنه. وتفرع على جملة هل تربصون بنا جملة فتربّصوا إنا معكم متربصون؛ فالأمر فيه للتحضيض المجازي المفيد قِلّةَ الاكثرات بتربصهم؛ فجملة إنّا معكم متربصون تهديد للمخاطبين.

وفُصِلَتْ هذه الجملة عن التي قبلها؛ لأنّها كالعلة للحضّ. . . **﴿قل أنفقوا طوعاً أو كرهاً لن يتقبل منكم إنّكم كنتم قوماً فاسقين﴾**: لقد كان بعض هؤلاء المعتذرين المتخلفين المتربصين قد عرض ماله - وهو يعتذر عن الجهاد - ليمسك العصا من الوسط على طريقة المنافقين في كل زمان ومكان، فردّ الله عليهم مناورتهم، وكلف رسوله أن يعلن أن إنفاقهم غير مقبول؛ فالأمر في أنفقوا للتسوية كما دلت عليه أو، وهو في معنى الخبر الشرطي؛ فجملة إنّكم كنتم قوماً فاسقين في موضع العلة لنفي التقبُّل. . . **﴿وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلاّ أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون﴾**: فهذا بيان للتعليل لعدم قبول نفقاتهم بزيادة ذكر سببين آخرين مَانِعَيْنِ من قبول أعمالهم هما من آثار الكفر والفسوق، فالكفر وإن كان وحده كافيا في عدم القبول، إلا أن ذكر هذين السببين إشارة إلى تمكن الكفر من قلوبهم، وإلى

مذمتهم بالنفاق الدالّ على الجبن والتردد؛ فَذِكْرُ الكفْرِ بيان لذكر الفسوق، وذكر التكاسل عن الصلاة لإظهار أنّهم متهاونون بأعظم عبادة. فكيف يكون إنفاقُهم عن إخلاص ورغبة؟!. وذكر الكراهية في الإنفاق لإظهار عدم الإخلاص في هذه الخصلة المتحدّث عنها. . . **﴿فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنّما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون﴾**: هذا تفريع على مذمة حالهم في أموالهم؛ فالخطاب للنبيء ﷺ والمراد تعليم الأمة. ولمّا كان ذكر الأولاد كالتكملة هنا لزيادة بيان عدم انتفاعهم بكل ما هو مظنَّة أن يَنْتَفِعَ به الناسُ، عطف الأولاد بإفادة حرف النفي بعد العاطف، إيماءً إلى أن ذِكْرَهُم كالتكملة والاستطراد. واللام في ليعذبهم للتعليل، تعلقت بفعل الإرادة للدلالة على أنّ المراد حكمة وعلة؛ فهذه اللام كثير وقوعها بعد مادة الإرادة ومادة الأمر.

والتعبير بالحياة الدنيا لإفادة دوام تعذيبهم بها مدة حياتهم في هذه الدنيا؛ فأمّا في الآخرة فموتهم على الكفر كما تقتضيه سياق الآية في قوله: وتزهق أنفسهم وهم كافرون. فمن زهقت نفسه في حال الكفر فقد مات كافراً، ومن مات كافراً فقد استحق الخلود في العذاب. . . **﴿ويحلفون بالله إنّهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون﴾**: هذه الجملة معطوفة على ما قبلها من أخبار أهل النفاق. وضمائر الجمع عائدة إليهم؛ قصد منها إبطال ما يُمَوِّهُون به على المسلمين من تأكيد كونهم مؤمنين بالقسم على أنّهم من المؤمنين. واختيار صيغة المضارع في قوله: ويحلفون، وقوله: يفرقون للدلالة على التجدد، وأنّ ذلك دأبهم. ومقتضى الاستدراك أن يكون المستدرك أنّهم ليسوا منكم، فحذف المستدرك استغناءً بأداة الاستدراك، وذكر ما هو كالجواب عن ظاهر حالهم من الإيمان بأنّه تظاهر باطل، وبأنّ الذي دعاهم إلى التظاهر بالإيمان في حال كفرهم: هو أنّهم يَفْرَقُون من المؤمنين، فحصل إيجاز بديع في الكلام؛ إذ استغنى بالمذكور عن جملتين محذوفتين.

وحذف متعلق يفرقون لظهوره. . . **﴿لو يجدون ملجأً أو مغارات أو مدخلا لولّوا إليه وهم يجمحون﴾**: هذا بيان لجملة ولكنهم قوم يفرقون. إنّهم جبناء. والتعبير يرسم لهذا الجبن مشهداً ويجسمه في حركة: حركة النفس والقلب يُبْرِزهما في حركة جسد وعيان، فهم متطلعون أبداً إلى مَخْبَإٍ يَحْتَمُونَ به، ويأمنون فيه:

حصناً أو مغارة أو نفقاً. إنّهم مذعورون مطاردون، يطاردهم الفزع الداخلي والجبن الروحي. ومن هنا: يحلفون بالله إنّهم لمنكم، بكل أدوات التوكيد ليداروا ما في نفوسهم، ولِيَتَّقُوا انكشاف طويتهم، وليأمنوا على ذواتهم، وإنّها لصورة زَرِيَّةٌ للجبن والخوف والملق والرياء.

لا يرسمها إلاّ هذا الأسلوب القرآني العجيب!، الذي يبرز حركات النفس شاخصة للحسّ، على طريقة التصوير الفني الموحي العميق!.. ﴿**ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون**﴾: هذا قِسْمٌ آخر معطوف على القسم الأول من المنافقين، وقد تعددت أوصافهم وأغراضُهم، فمنهم من يقول: ائذن لي ولا تفتني، ومنهم من يعيبك في إعطاء الصدقات لغيرهم، فهم وحدهم المستحقون لها... فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون: وهذا دليل على كفرهم وأنانيتهم وكراهيتم للمؤمنين الصادقين... ﴿**ولو أنّهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنّا إلى الله راغبون**﴾: والآية كلها في حيز الشرط، والجواب محذوف بناءً على ظهوره من السياق، أي: لكانوا مؤمنين حقّا.

والآية توضح حقيقة الإيمان الصحيح الذي ينضح به قلب المؤمن، وإن كانت لا تعرفه قلوب المنافقين، الذين لم تخالط بشاشةُ الإيمان أرواحَهم، ولم يشرق في قلوبهم نور اليقين. وبَعْدَ بيان هذا الأدب اللائق في حق الله وحق رسوله تطوعاً ورِضًى وإسلاماً يقرر أنّ الأمر مع ذلك ليس أمر الرسول؛ إنّما هو أمر الله وفريضته وقسمته، وما الرسول فيها إلاّ منفذ للفريضة المقسومة من رب العالمين... ﴿**إنّما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم**﴾: حصر في الآية مَن يستحق الصدقات؛ فقسمها إلى قسمين: قسم يعطى له منها ما يستحقه. وقسم تجعل فيها الصدقات لتكون سدّاً لما يُحتاجُ إليه؛ فالفقراء والمساكين والعاملون والمؤلفة والغارمون وأبناء السبيل تعطى لهم، أمّا الرقاب وسبيل الله فلا يستحقها أفراد معينون، وإنّما تُرصد الزكاة فيها؛ لتكون عوناً على فك الرقاب وعلى الجهاد في سبيل الله.

والمسئول عن هذا التقسيم هم أولوا الأمر من ولاة المؤمنين، فهي فريضة من

الله، والله عليم حكيم!.. ﴿**ومنهم الذين يؤذون النبيء ويقولون هو أُذُنٌ**﴾: هذا وصف آخر من أوصاف المنافقين الدنيئة، وهم فريق يؤذون النبيء بالقول بأنّه أذنٌ سامعة لكل ما يُقالُ له؛ فالتعبير بالنبيء إظهار في مقام الإضمار؛ لأنّ قبله ومنهم من يلمزك في الصدقات، فكان مقتضى الظاهر أن يقال: ومنهم الذين يؤذونك، فعدل عن الإضمار إلى إظهار وصف النبيء للإيذان بشناعة قولهم، ولزيادة تنزيه النبيء ﷺ بالثناء عليه بوصف النبوءة بحيث لا تحكى مقالتهم فيه إلا بعد تقديم ما يشير إلى تنزيهه، والتعريض بجرمهم فيما قالوه. ومضمون جملة ويقولون هو أذن: عطف خاص على عام؛ لأنّ قولهم ذلك هو من الأذى.

والإخبار بهو أذن من صيغ التشبيه البليغ، وهو كناية عن تصديقه بكل ما يسمع من دون تمييز بين المقبول والمردود. وجملة ﴿**قل أذُنُ خيرٍ لكم**﴾: مستأنفة على طريقة المُحاوَرَةِ لإبطال قولهم بِقَلْبِ مَقْصَدِهِم إغاظةً لهم؛ فهو من الأسلوب الحكيم الذي يحمل فيه المخاطب كلام المتكلم على غير ما يريده تنبيهاً له على أنّه الأَوْلَى بأن يُرَادَ. وجملة ﴿**يؤمن بالله**﴾ تمهيد لقوله بعده: ﴿**ويؤمن للمؤمنين**﴾؛ إذ هو المقصود من الجواب لتمحضه للخير، فاللام مزيدة للفرق بين الإيمان المشهور وبين الإيمان بمعنى التسليم والتصديق. وعطف جملة ﴿**ورحمة**﴾ على جملتي يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين؛ لأنّ كونه رحمة للذين يؤمنون بعد علمه بنفاقهم أثر لإغضائه عن إجرامهم، ولإمهالهم حتى يتمكن من الإيمان مَنْ وَفَّقَهُ الله للإيمان منهم، فهو رحمة ﴿**للذين آمنوا منكم**﴾، وقد جاء ذكر هذه الخصلة مع الخصلتين الأُخَرَيَيْن على عادة القرآن في انتهاز فرصة الإرشاد إلى الخير، بالترغيب والترهيب، فرغبهم في الإيمان ليكفوا عن سيّآتهم الفارطة.

ثم أعقب الترغيب بالترهيب من عواقب إيذاء الرسول بقوله... ﴿**والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم**﴾: فهو إنذار بعذاب الآخرة وعذاب الدنيا. وفي ذكر النبيء بوصف رسول الله إيماء إلى استحقاق مؤذيه العذاب الأليم، فهو من تعليق الحكم بالمشتق المؤذن بالعلّية. وفي الموصول إيماء إلى أنّ علة العذاب هي الإيذاء، فالعلة مركّبة... ﴿**يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين**﴾: الكلام مستأنف موجه للمؤمنين لبيان أنّ المنافقين يخشون الناس دون الله ورسوله؛ فضمير يحلفون عائد إلى الذين يؤذون النبيء.

والضمير المنصوب في يرضوه عائد على الله تعالى؛ لأنّه الأهم في الخبر. ورسوله معطوف على الله باعتباره جملة ثانية خبرُها مقدّر، والتقدير: ورسوله أحق أن يُرْضُوهُ كذلك، ففي الكلام إيجاز.

وحذف جواب الشرط في قوله: إن كانوا مؤمنين لدلالة ما سبق عليه، أي: إن كانوا مؤمنين حقّاً فليرضوا الله ورسوله، فإنّهما أحقُّ بالإرضاء... **﴿ألم يعلموا أنّه من يحادد الله ورسوله فأنّ له نار جهنم خالداً فيها ذلك الخزي العظيم﴾**: هذه الآية تنزل من جملة والله ورسوله أحق أن يرضوه منزلة التعليل؛ لأنّ العاقل لا يرضى لنفسه عملاً يؤول به إلى مثل هذا العذاب. والاستفهام مستعمل في الإنكار والتشنيع، ففي الآية توكيلات تعلم من تتبع السياق البديع... **﴿يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزءوا إنّ الله مخرج ما تحذرون﴾**: كلام مستأنف جيء به لبيان حالٍ من أحوال المنافقين جميعاً، فهم يتوقعون دائماً ان يُنَزِّلَ الله على رسوله آياتٍ تُظْهِرُهُم على حقيقتهم، فليستمروا في الاستهزاء، وليعيشوا في القلق والاضطراب وتوقع العذاب، فالله مخرج ما يحذر هؤلاء... **﴿ولئن سألتهم ليقولن إنّما كنا نخوض ونلعب﴾**: الكلام موجه إلى الرسول ﷺ معطوف على ما حصل من المنافقين وما سيحصل عندما يواجهون به فيجيبون إنّما كنا نخوض ونلعب لا نقصد منه شيئاً غيرهما؛ فهم يُعِدُّون الجوابَ قبل حصول السؤال حذراً من الفضيحة حسبما ظنوه نجاةً من سوء المقال!.. **﴿قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون﴾**: هذا رد عليهم بما قالوا بالإنكار والتوبيخ، فتقديم المعمول وهو أبالله على فعله العامل فيه لقصد قصر التعيين؛ لأنّهم لما أتوا في اعتذارهم بصيغة قصر تعيين جيء في الرد عليهم بصيغة قصر تعيين؛ لإبطال مغالطتهم في الجواب، فأعلمهم بأنّ لعبهم الذي اعترفوا به ما كان إلا استهزاءً بالله وآياته ورسوله لا بغير ذلك، فقصْر الاستهزاء على تعلقه بمن ذكرْ اقتضى أنّ الاستهزاء واقع لا محالة؛ لأنّ القصر قيد في الخبر الفعلي، فيقتضي وقوع الفعل... **﴿لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم﴾**: هذه الجملة من جملة القول الذي أمر الرسول أن يقوله، وهي ارتقاء في توبيخهم، فهي متضمنة توكيداً لمضمون جملة أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون، مع زيادة ارتقاءٍ في التوبيخ، وارتقاء في مثالبهم بأنّهم تلبسوا بما هو أشد وهو الكفر، فلذلك قطعت الجملة عن التي قبلها. والنهي مستعمل في التسوية وعدم الجدوى.

وجملة قد كفرتم بعد إيمانكم: في موضع العلة من جملة لا تعتذروا. . . ﴿**إن يُعف عن طائفة منكم تعذب طائفة بأنّهم كانوا مجرمين**﴾: جاءت هذه الجملة على عادة القرآن في تعقيب النذارة بالتبشير للراغب في التوبة تذكيراً له بإمكان تدارُكِ حالِهِ؛ فالطائفة التي يعفى عنها تتوب وترجع، والطائفة التي تبقى تعذب لإجرامها الواقع والمتوقع. . . ﴿**المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إنّ المنافقين هم الفاسقون**﴾: فُصِلَتْ هذه الآية عما قبلها لأنّها بيان لقاعدة عامة تُوضِّحُ أوصافَ المنافقين والمنافقات توضيحاً شاملاً حتى لا يخرج عن هذه الأوصاف منافق؛ فقوله: بعضهم من بعض دليل على العموم؛ لأنّ كل فرد هو بعض من الجميع. وجملة يأمرون بالمنكر مبيّنَةٌ لمعنى الاتصال والاستواء في الأحوال.

وقبض الأيدي: كناية عن الشح، وهو وصف ذم للدلالة على القسوة. والنسيان منهم مستعار للإشراك بالله، ونسيان الله إيّاهم مشاكلة، وهو حرمانهم مما أعد الله للمؤمنين الصادقين من عزّة الدنيا وسعادة الدّين. وجملة إنّ المنافقين هم الفاسقون فذلكة للتي قبلها؛ فلذلك فصلت؛ لأنّها كالبيان الجامع. وصيغة القصر فيها قصْرٌ ادِّعائيٌّ للمبالغة؛ لأنّهم لمّا بلغوا النهاية في الفسوق جُعِلَ غيْرُهم كمن ليس بفاسق. والإظهار في مقام الإضمار فيها لزيادة تقريرهم في الذهن لهذا الحكم، ولتكون الجملة مستَقِلَّةً حتى تكون كَالمَثَلِ! «إنّ المنافقين هم الفاسقون»!. . ﴿**وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم**﴾: لَمَّا بيّن الله تعالى صفات المنافقين والمنافقات بيّن سبحانه في هذه الآية ما أعدّ لهم من العذاب الشامل لهم ولأمثالهم من الكفار؛ فالتعبير بالماضي يُنبىء عن وقوعه وتحققه.

والإظهار في مقام الإضمار لتقرير المحكوم في ذهن السامع حتى يتمكن اتصافهم بالحكم. ومعنى هي حسبهم: أنّ نار جهنم ملازمة لهم، فهي كناية عن الملازمة. والعذاب المقيم توكيد للكناية، فهو عذاب مُعَدٌّ لهم لا يُعْلَمُ كُنْهَهُ ولا يَخْطُرُ على بال أحد. وفي هذه الآية زيادة تقرير لاستحقاق المنافقين العذاب، وأنّهم الطائفة التي تُعذّب إذا بقوا على نفاقهم، فتعين أنّ الطائفة المعفو عنها هم الذين يؤمنون منهم. . . ﴿**كالذين من قبلكم كانوا أشدّ منكم قوة وأكثر أموالاً**

وأولاداً فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا﴾: هذا الكلام التفات عن ضمائر الغيبة الراجعة إلى المنافقين إلى خطابهم لقصد التقريع والتهديد بالموعظة، والتذكير عن الغرور بما هم فيه من نعمة الإمهال بأنّ آخر ذلك حبط الأعمال في الدنيا والآخرة، وأن يحق عليهم الخسران.

والإتيان بالموصول؛ لأنّه أشمل وأجمع للأمم التي تقدّمت. وتفرّع فاستمتعوا بخلاقهم على كانوا أشد؛ لأنّ المقصود إدخاله في الحالة المشبه بها. وتفرع فاستمتعتم بخلاقكم على ما أفاده حرف الكاف بقوله: كالذين من قبلكم من معنى التشبيه، فإنّ هذه الجملة هي المقصد من التشبيه وما تفرع عليه. وقوله: كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم تأكيد للتشبيه المتقدم. وقوله: كالذي خاضوا تشبيه لخوض المنافقين بخوض أولئك. ولما وصفت حالة المشبه بهم من الأمم البائدة أعقب ذلك بالإشارة إليهم للتنبيه على أنّهم بسبب ذلك كانوا جَدِيرين بما يُخْبِرُ به عنهم، فقال تعالى: **﴿أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون﴾**. وفيه تعريض بأنّ الذين شابهوهم في أحوالهم أحرياءُ بأن يحل بهم ما حل بأولئك. وفي هذا التعريض من التهديد والنذارة معنًى عظيم!.. **﴿ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾**: عاد الكلام على المنافقين من جديد تكملة لموضوع التهديد. والاستفهام موجه للسامع تقريراً عنهم، بحيث يكون كالاسْتِشْهَادِ عليهم بأنّهم آتاهم نبأ الذين من قبلهم؛ قوم نوح وعاد وثمود، والأسلوب واضح الدلالة على المقصود... **﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إنّ الله عزيز حكيم﴾**: هذه الآية معطوفة على آية: «المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض».

وقوله: بعضهم أولياء بعض مقابل قوله في المنافقين بعضهم من بعض، وعبر في جانب المؤمنين والمؤمنات بأنّهم أولياء بعض للإشارة إلى أنّ اللحمة الجامعة بينهم هي ولاية الإسلام لما في معنى ذلك من الإشعار بالإخلاص والتناصر

بخلاف المنافقين، فكأنّ بعضهم ناشئ من بعض في مذامهم. والمقابلة بين أوصاف المؤمنين وأوصاف المنافقين واضحة من السياق.

وجملة إنّ الله عزيز حكيم تعليل لجملة سيرحمهم الله... ﴿**وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم**﴾: في هذه الآية وعْدُ المؤمنين مقابل وعيد المنافقين، وما أعده الله للمؤمنين والمؤمنات هنا مقابل ما أعده الله للمنافقين والمنافقات هناك، ووجه المقابلة الضديّة بين ما هنا وما في وعيد المنافقين هناك ظاهر؛ فالجنات التي تجري من تحتها الأنهار والخلود فيها مقابلٌ لنار جهنم والخلود فيها، والمساكن الطيبة في جنات عدن مقابل للعذاب المقيم، ورضوان الله الأكبر للمؤمنين مقابلٌ لِلَعْنَةِ الله للمنافقين والكافرين... ﴿**ياأيُّها النبيء جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير**﴾: كان الرسول ﷺ يعامل المنافقين باللين والشفقة والرأفة خوفاً من أن يقال: إنّ محمد يقتل أصحابه، ولما بيّنت آياتُ القرآن وأظهرت ما في قلوب المنافقين من الغيظ والحقد على الإسلام والمسلمين وأنذرهم بالعذاب المهين ولم يبق شيء يحول بينهم وبين الوقوف معهم في ميدان المعركة والجهاد جاء الأمر بجهاد الكفار والمنافقين دون هوادة بالفريقين؛ فهم: ﴿**يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا**﴾: فبهذا كله دخلوا في طريق الكافرين...

﴿**وما نقموا منهم إلاّ أن أغناهم الله ورسوله من فضله**﴾: مما تقدم من أفعال المنافقين وأقوالهم تدل على شيء يكمن في نفوسهم وهو الحقد والغيظ على المسلمين، وإرادة الانتقام منهم بما حاولوه ظاهراً وباطناً، فليس له سبب إلاّ سبب واحد وهو ما تحصلوا عليه من أَمْنٍ وغِنًى، وسبب هذا وجود النبيء والمسلمين بينهم حيث كانوا فقراءَ أذلاَّءَ فأصبحوا بالإسلام أعزاء أغنياء!.. ﴿**فإن يتوبوا يك خيراً لهم وإن يتولوا يعذبهم الله عذاباً أليماً في الدنيا والآخرة وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير**﴾: هذا التعقيب يأتي بعد إعلان الجهاد، وبيان الأوصاف التي دلت على الكفر والعناد؛ فترك لهم الباب مفتوحاً؛ ليتوبوا ويرجعوا عما هم عليه من شناعة الكفر وسوء المصير... ﴿**ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله**

لنصدّقن ولنكونن من الصالحين﴾: وُصِلَتْ الآية بما قبلها بالعطف تكملة لأوصاف المنافقين في القول والفعل، فقد تعددت منهم الأقوال المؤكَّدة بالأيْمان تصريحاً وتلميحاً؛ فجاءت هذه الآية تبين ما عزم عليه بعضهم وأقسم وعاهد الله بقوله: لئن آتانا من فضله، فيدخل في هذا العهد الفرد والجماعة؛ فجاء التعقيب على هذا العهد بإظهار الخيانة والتكذيب: **﴿فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون﴾**!: وعبر عن كذبهم بصيغة كانوا يكذبون لدلالة كان على أن الكذب كائن فيهم ومتمكن منهم. ودلالة المضارع على تكرُّرِه وتجدُّده. . .

﴿ألم يعلموا أنّ الله يعلم سرهم ونجواهم وأنّ الله عَلاَّم الغيوب﴾: استئناف لأجل التقرير؛ ففيه إنكار وتوبيخ وتهديد. وإظهار اسم الله في الموضعين لإلقاء الروعة وتربية المهابة، وفي إيراد العلم المتعلق بسرهم ونجواهم بصيغة الفعل الدال على الدوام والمبالغة من الفخامة والجزالة ما لا يخفى. . . **﴿الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلاّ جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم﴾**: استئناف ابتدائي؛ فالذين يلمزون مبتدأ، وخبره جملة سخر الله منهم. واختير المضارع في يلمزون ويسخرون للدلالة على التكرر، وإسناد سخر إلى الله تعالى على سبيل المجاز الذي حسّنَتْه المشاكلة لفعلهم. وجملة ولهم عذاب أليم عطف على الخبر، أي: سخر الله منهم في الدنيا، وقضى عليهم بالعذاب في الآخرة. . . **﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنّهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾**: هذه الآية جاءت للتأييس من توبة ما حصل من أقوال وأفعال المنافقين، فلا يفيدهم استغفار الرسول لَهُم، وذلك بسبب ظهور كفرهم وفسقهم؛ والله لا يهدي مَنْ كان على هذه الحالة. . .

﴿فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر﴾: هذه الآية توضح ما كان عليه المنافقون، فهم يفرحون بالتخلف عن الغزو خصوصاً ما كان منه صعباً وشاقاً مثل غزوة تبوك، فهم يفضلون الراحة ويفضلون البخل على الإنفاق في سبيل الله، ويقولون لإخوانهم في النفاق صراحة: لا تنفروا في الحرّ! . ويأتي الرد عليهم سريعاً. . .

﴿قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون!. فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً جزاء بما كانوا يكسبون﴾: هذا تعقيب على ما حصل من الفعل والقول، فهم يضحكون من الفرح؛ فهذا الضحك قليل في مقابل ما يلاقونه من البكاء الكثير يوم القيامة في عذاب السعير... **﴿فإن رجعك الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبداً ولن تقاتلوا معي عدواً إنّكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين﴾**: هذا تعقيب يجيء في زمانه ومكانه المناسب، فلا تلاعب بعد ما ظهر من المنافقين من الفعل والقول، ولا قيمة لاستئذانهم فيما بَعْدُ، فقد كفى ما حصل، ولا يُلْدَغُ المؤمن من جحر مرتين!. إنّكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين!.. **﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره إنّهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون. ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنّما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون﴾**: هذا هو الفصل النهائي بين من نافق وبين من آمن، فليس لمنافق بعد الآن أن ينال كرامة الجهاد ولا كرامة الدعاء والاستغفار من الرسول ﷺ، فهم كفروا بالله وبما جاء به رسول الله، وماتوا على ذلك، فلم يتوبوا إلى الله، فلا تدفع عنهم أموالهم وأولادهم شيئاً من عذاب الله...

﴿وإذ أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون. لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون. أعدّ الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم﴾: هذه الآيات ارتبط بعضها ببعض فجاءت عطفاً على ما سبق من أمر النفير على جميع المؤمنين - منافقين وصادقين - فهي تبين موقف المنافقين من هذا الأمر، وموقف الرسول والمؤمنين معه، فظهر الفرق بين الفريقين، ومآلُ كل فريق. والقارئ لهذه الآيات بإمعان يستخلص منها ما أُعِدَّ لكل فريق... **﴿وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم﴾**: وصلت الآية بما قبلها بالعطف تكملة لأحوال الفريقين السابقين. واختيار صيغة المعذّرين من لطائف القرآن لتشمل الذين صدقوا في العذر والذين كذبوا فيه. ومن الأعراب بيان للمعذرين.

وقعد الذين كذبوا الله ورسوله معطوف على جاء، فهم من الأعراب كذلك،

وهم الذين تخلفوا ولم يجيئوا. وجملة سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم مستأنفة تُبيّن ما سيلقاه المعتذر كذباً والمتخلف كفراً أو نفاقاً. وتنكير عذاب ووصفه بأليم لشدّة هوله وفظاعته... **﴿ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم﴾**: هذا استئناف بياني لجواب سؤال مقدّر ينشأ عن تهويل القعود عن الغزو، وما توجه إلى المخلفين من الوعيد استيفاءً لأقسام المخلفين من ملوم ومعذور من الأعراب أو من غيرهم. وإعادة حرف النفي في عطف الضعفاء والمرضى لتوكيد نفي المؤاخذة عن كل فريق بخصوصه؛ فهؤلاء ليس عليهم إثم في التخلف لعذرهم. وقوله: إذا نصحوا لله ورسوله شرط في هذا الحكم. وجملة: ما على المحسنين من سبيل واقعة موقع التعليل لنفي الحرج عنهم، وهذه الجملة نُظمت نظم الأمثال. وجملة: والله غفور رحيم تذييل، والغرض منه واضح... **﴿ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون﴾**: عطف على الضعفاء والمرضى. وإعادة حرف النفي بعد العاطف للنكتة المتقدمة هنالك. والآية تُصوّر حال هؤلاء المؤمنين المخلصين الراغبين في الجهاد عندما يمنعهم مانع العجز منهم أو من الرسول ﷺ، تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون!.

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

التوجيه الأول: ﴿يا أيُّها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل﴾: في هذا التوجيه نداء للمؤمنين ليقدم لهم سؤالاً يستغرب فيه تقاعسهم في عدم سرعة استجابتهم لِمَا طُلِبَ منهم من الجهاد في سبيل الله. هذا السياق من هنا إلى آخر السورة في غزوة تبوك، وكانت آخِرَ غزوة غزاها رسول الله ﷺ، كما كانت غزوة بدر التي ذكرت في سورة الأنفال أوّل غزوة؛ وفي هاتين الغزوتين انتصار رائع للإسلام والمسلمين؛ فكانت الأولى انتصاراً على العرب، وهذه انتصاراً على الروم. وتبوك مكان معروف في منتصف الطريق بين المدينة ودمشق تقريباً.

ولما دعا الله المؤمنين لغزوة تبوك كان الزمنُ زمنَ الحرّ، وكانوا قريبي عهد

بالرجوع من غزوتي الطائف وحنين، وكانت العسرة شديدة، وكان موسم الرطب في المدينة قد تم صلاحه، وآن وقت تلطف الحر والراحة، وكان من عادة النبيء ﷺ إذا خرج إلى غزوة أن يوري بغيرها لِما تقتضيه مصلحة الحرب من الكتمان، إلا أنه في هذه الغزوة قد صرّح بها ليكون الناس على بصيرة، لبُعْدِ الشقة وقلة الزاد والظهر؛ فلهذه الأسباب كلها شق على المسلمين الخروجُ في ذلك الوقت إلى بلاد الشام، ومن هنا يبدأ الحديث عن المنافقين الذين اندسوا في صفوف المسلمين باسم الإسلام بعد أن غَلَبَ وظهر، فرأى هؤلاء أنّ حُبَّ السلامة وحبّ الكسب يقتضيان أن يحنوا رءوسهم للإسلام، وأن يكيدُوا له داخل الصفوف بعد أن عزّ عليهم أن يكيدوا له خارج الصفوف. وقد كان المنافقون في المدينة آلة اتصال للروم، ولم يكن يدور في خلدهم أنّ محمداً ﷺ يستطيع أن يتصدى لغزو الروم أصحاب القوة والسلطان، ولكن عندما فاجأهم بهذا النبإ الخطير سُقِط في أيديهم ورأوا أنهم قد يهلكون نهائيا لو قُدِّرَ للرسول الانتصار على الروم، كما قُدِّرَ له الانتصار على العرب!. فبهذا العتاب علم المؤمنون حقيقة الموقف فسارعوا إلى الجهاد ملبّين هذا الطلب.

إنّ النفرة للجهاد في سبيل الله انطلاق من قيد الأرض، وارتفاع عن ثقلة اللحم والدم، وتحقيق للمعنى العلوي في الإنسان، وتغليب لعنصر الشوق المجنح في كيانه على عنصر القيد، وتطلع إلى الخلود الممتد، وخلاص من الغناء المحدود: أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة؟. فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل. ومن ثَمَّ يتوجّهُ الخطاب إليهم بالتهديد: **﴿إلاّ تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئاً والله على كل شيء قدير﴾**: والخطاب لقوم معيّنين في موقفٍ معيَّن، ولكنه عام في مدلوله لكل ذوي عقيدة في الله. والعذاب الذي يتهددهم ليس عذابَ الآخرة وحْدَه، فهو كذلك عذابُ الدنيا؛ عذاب الذلة التي تصيب القاعدين عن الجهاد والكفاح، والغلبة عليهم للأعداء، والحرمان من الخيرات واستغلالها للمعادين؛ وهم مع ذلك كله يخسرون من النفوس والأموال أضعاف ما يخسرون في الكفاح والجهاد، ويقدّمون على مذبح الذل أضعافَ ما تتطلبه منهم الكرامةُ لو قدّموا لها الفداء.

وما من أمة تركت الجهاد إلا ضرب عليها الذلُّ، فدفعت مرغمة صاغرة

لأعدائها أضعافَ ما كان يتطلبه منها كفاحُ الأعداء. . . ﴿**إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إنّ الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم**﴾: في هذا السياق استعراض الأحداث التي مرّت بالرسول ﷺ من يوم أن خرج مهاجراً وليس معه أحد إلا صاحبُه أبوبكر - رضي الله عنه -. فمن هنا ابتدأ النصر المؤزّر لرسوله صاحب الدعوة، ولصاحبه الأمين على الدعوة، فمن ذلك اليوم تحقق النصر وانهزم الكفر، فدخل الناس في دين الله أفواجاً، وتفرغ الرسول ﷺ لغزو الروم في ديارهم، فكان النصر المؤزّر.

وقام أبوبكر خليفةً بعد الرسول، فقاوم الردة وتصدّى لها، وهزمها في عقر دارها، ثم بعد ذلك سير الجيوش إلى الروم وإلى فارس يغزوها في ديارها، فهذا هو أول النصر وآخره: وجعل كلمة الذين كفروا السفلى، وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم. فلم يبق بعد هذا إلا الاستعداد الكامل والنفير العام حفظا على كيان الدعوة، وحرصا على انتشارها في الآفاق: ﴿**انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون**﴾: وأدرك المؤمنون هذا الخيْرَ، فنفروا والعوائق في طريقهم، والأعذار حاضرة لو أرادوا التمسك بالأعذار، ففتح الله عليهم القلوب والأرضين، وأعزّ بهم كلمة الله، وأعزهم بكلمة الله، وحقّق على أيديهم ما يُعدُّ خارقة في تاريخ الفتوح؛ فبِمِثْلِ هذه الروح قامت عزة الإسلام وعزة المسلمين، وبتراخيها في نفوسهم تراخت دولتهم وركبهم الذل!، وساروا في ذيل القافلة تابعين، وقد أرادهم الإسلام قادةً متبوعين، فمن شاء العزّة فذلك هو الطريق!.

التوجيه الثاني: ﴿**لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم إنّهم لكاذبون**﴾: يوجه الكلام إلى الرسول ﷺ يستعرض موقف المنافقين، فيرسم صورة زرية لسقوط الهمة، وضعف العزيمة، وسوء الطوية، والعجز عن المواجهة، فهذا نموذج يرسمه القرآن ليكون قاعدة لا تتخلف في موقف من المواقف، ولا في يوم من الأيام: وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون: فقد ظهر كذبهم ووضح تلاعبهم عندما

طلبوا الإذن من الرسول بالتخلف عن الخروج للجهاد في سبيل الله؛ فكان الرسول ﷺ يعاملهم بالحسنى على ظاهر حالهم، ولكن الله العليم الخبير يُظهِر للرسول حقيقة أمرهم عندما يقول له. . . ﴿**عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبيّن لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين**﴾! . ثم إنّ الله تعالى يتولى كشف أمرهم، ويقرر القواعد التي يمتاز بها المؤمنون والمنافقون: ﴿**لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين**﴾: وهذه هي القاعدة التي لا تخطئ، فالذين يؤمنون بالله، ويعتقدون بيوم الجزاء لا ينتظرون أن يؤذن لهم في أداء فريضة الجهاد - وهي فريضة - ولا يتلكأون في تلبية داعي النفرة في سبيل الله بالأموال والأرواح، بل يسارعون إليها خفافاً وثقالاً كما أمرهم الله، طاعة لأمره، ويقينا بلقائه، وثقة بجزائه، وابتغاء لرضاه.

وإنهم ليتطوعون تطوعاً فلا يحتاجون إلى من يستحثهم فضلاً عن الإذن لهم: ﴿**إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون**﴾. . فالمقابلة بين الإيمان والتقوى، وبين الكفر والنفاق، هو طاعة الأمر للانصياع له بدون تردد، فكل من تردد في الأمر وحاول التملص منه بشتى المعاذير فلا شك في كفره بالله واليوم الآخر. ودليل آخرُ يُظهره السياق عقب الحكم عليهم بدخولهم تحت القاعدة التي تقررت: ﴿**ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين. لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين**﴾: إن ظاهر تخلف المنافقين عن هذه الغزوة خوف القتل أو الفقر، ولكنّ باطنَ الأمر خوف انتصار الرسول على الروم الذين كان المنافقون ينتظرون نجدتهم بالقضاء على المسلمين في المدينة، فلو خرج المنافقون مع المسلمين في هذه الغزوة لفعلوا ما فعلوا مما وضحه القرآن في هذا السياق: لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة. ومع هذا فإن في المسلمين لِحُسْنِ نِيَّتِه من يكثر الاستماع لهم فيأخذ كلامهم مأخذ الجد فيذيعه وينتشر بين المسلمين. . . ﴿**لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون**﴾: إن ماضي المنافقين ليشهد عليهم بِدَخَلِ نفوسهم وسوء نيتهم! .

وكان ذلك من مقدم الرسول إلى المدينة، فقد وقفوا في وجه الدعوة من أول

ظهورها في المدينة عندما ظهرت تباشير النصر يوم بدر؛ فساءهم هذا الانتصار، وعملوا ما عملوا يوم أُحُد، ويوم الأحزاب، وفي غيرهما، حتى غُلِبُوا على أمرهم فاستسلموا وخضعوا تحت القهر كارهين متربصين. ثم يعرض السياق نموذجاً من معاذيرهم المفتراة، فيكشف عما تنطوي عليه صدورهم من التربص بالرسول والمسلمين: ﴿**ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا وإنّ جهنم لمحيطة بالكافرين إن تصبك حسنة تسؤهم وإن تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون. قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون. قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا إنّا معكم متربصون**﴾: في هذه الآيات وفيما بعدها نماذج متنوعة من أشكال النفاق تظهر على فلتات اللسان: يقولون ويقولون، وعلى مكامن الجَنَان: يَوَدُّون ويتمنون ويتربصون، وعلى حركات الأركان يتظاهرون ويراءون، فشملتهم الحَيْرَةُ، وحاقت بهم الحسرة، فلا المال نافع، ولا الولد دافع، ولا شيء في الدنيا لهم من عذاب الله مانع: ﴿**قل أنفقوا طوعاً أو كرهاً لن يتقبل منكم إنكم كنتم قوماً فاسقين**﴾.

﴿**وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنّهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون. فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون**﴾: وهنا يتركهم السياق في مجونهم وتلاعبهم وفسقهم حتى يدركهم الموت وهم على هذه الحالة فتُحِيطُ بهم جهنم!. وإن جهنم لمحيطة بالكافرين.

التوجيه الثالث: ﴿**ويحلفون بالله إنّهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون**﴾: في هذا التوجيه إظهار حقيقة المنافقين، وكيف يتظاهرون أمام المؤمنين. إنّهم يحلفون بالله كاذبين أنهم لمع المؤمنين، وفي الحقيقة إنهم لأكذبُ الكاذبين. إن السياق هنا يبرز صورة للمنافقين أمام المشاهدين تَبْدُو هزيلة ضعيفة؛ كذب ظاهر وجُبن خائر وفكر حائر! لا يدري ما يقول، ولا يعرف أين يتجه؟. . ﴿**لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا إليه وهم يجمحون**﴾: فهم متطلعون أبداً إلى مخبإٍ يحتمون به، ويأمنون فيه؛ حصناً أو مغارة أو نفقاً. إنهم مذعورون مطاردون، يطاردهم الفزع الداخلي والجبن الروحي. ومن هنا يحلفون بالله إنّهم

لمنكم، بكل أدوات التوكيد ليدرأوا ما في نفوسهم، ولينفوا انكشاف طويتهم، وليأمنوا على ذواتهم.

ثم لا يزال السياق يحْدُو بالمنافقين إلى أن أوصلهم ووضعهم في موقف التحدي والمعارضة للرسول ﷺ: ﴿**ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون**﴾: ومع ما في هذا الموقف من وقاحة الأخلاق ليدل على الطمع والشح بسبب ضعف الإيمان وقوة النفاق. لو كانوا حقّاً مؤمنين ما وقفوا هذا الموقف المشين: ﴿**ولو أنّهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حَسْبُنَا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنّا إلى الله راغبون**﴾: وبهذه المناسبة يرسم السياق الطريق اللائق بالمؤمنين الصادقين، فهذا هو أدب النفس وأدب اللسان، وأدب الإيمان: الرضى بقسمة الله ورسوله. رضى التسليم والاقتناع، لا رضى القهر والغلب، والاكتفاء بالله، والله كافٍ عبدَه.

والرجاء في فضل الله ورسوله. والرغبة في الله خالصة من كل كسب مادي ومن كل طمع دنيوي، وذلك أدب الإيمان الصحيح الذي ينضح به قلب المؤمن، وإن كانت لا تعرفه قلوب المنافقين الذين لم تخالط بشاشة الإيمان أرواحهم، ولم يشرق في قلوبهم نور اليقين. وبعد بيان هذا الأدب اللائق في حق الله وحق رسوله تَطَوُّعاً ورضًى وإسلاماً يقرر أن الأمرَ - مع ذلك - ليس أمر الرسول، وإنّما هو أمر الله وفريضته وقسمته، وما الرسول فيها إلا منفذاً للفريضة المقسومة من رب العالمين؛ فهذه الصدقات محصورةٌ في طوائف من الناس يعينهم القرآن، وليست متروكة لاخْتِيَارِ أحد.

حتى ولا اختيار الرسول: ﴿**إنّما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم**﴾: من هذا النص أخذ الفقهاء مصرف الزكاة المفروضة في الإسلام، وهي أصناف ثمانية بعضهم يأخذها لنفسه ينتفع بها شخصيّاً، كالفقير والمسكين والعامل عليها متفرغ لها، والمؤلف قلبه، والغارم الذي أَحَاطَ الدينُ بماله، وابن السبيل المنقطع عن أهله، والبعض الآخر ترصد له الأموال لتنفق منها في سبيل الله، وهو الجهاد، وفك الرقاب. والتفاصيل في هذا الموضوع مبسوطة في كتب الفروع. وبعد بيان قواعد الصدقات . التي يرجع إليها التوزيع والتقسيم،

ذلك البيان الذي يكشف عن جهل الذين يلمزون الرسول ﷺ فوق سوء أدبهم حين يلمزون الرسول الأمين!.

بعد هذا يمضي السياق يعرض صنوف المنافقين وما يقولون وما يفعلون: **﴿ومنهم الذين يؤذون النبيء ويقولون هو أذن قل أذن خيرٍ لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين ألم يعلموا أنّه من يحادد الله ورسوله فأن له نار جهنم خالداً فيها ذلك الخزي العظيم. يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزئوا إنّ الله مخرج ما تحذرون. ولئن سألتهم ليقولن إنّما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون. لا تعذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن يعف عن طائفة منكم تعذب طائفة بأنّهم كانوا مجرمين﴾**.. إنّ السياق هنا يَطُول ويطول؛ ليكشف عن حقيقة كانت خافية على أكثر المسلمين، إنه هنا إظهار سوء أدبٍ مفضوح يبدو في صورة غير صورة اللمز في الصدقات، فإنّهم يجدون من الرسول ﷺ أَدَباً رفيعاً في الاستماع إلى الناس بإقبال وسماحة، ويعاملهم بظواهرهم حسب أصول شريعته، ويَهِشُّ لهم، ويفسح لهم من صدره، فيُسَمُّون هذا الأدبَ العظيم بغير اسمه، ويصفونه بغير حقيقته، ويقولون عن النبيء ﷺ هو أُذْنٌ!؛ سمَّاعٌ لكل قول، ويجوز عليه الكذب والخداع والبراعة، ولا يفطن إلى غش القول وزوره، من حلف له صدّقه، ومن دسّ عليه قولاً قبله. يقولون هذا بعضهم لبعض تطميناً لأنفسهم أن يكشف النبيء حقيقة أمرهم، أو يفطن إلى نفاقهم. أو يقولونه طعناً على النبيء في تصديقه للمؤمنين الخلص الذين ينقلون له ما يطلعون عليه من شئون المنافقين وأفعالهم وأقوالهم عن الرسول وعن المسلمين، فكلا الأمرين قد يكونان واردين، وكلاهما يقع من المنافقين. ويأخذ القرآن الكريم كلامهم ليجعل منه رداً عليهم، يقول لهم: قل هو أذن.

نعم، ولكنه أُذْنُ خيرٍ لكم. أذن خير يستمع إليكم في أدب ولا يجبهكم بنفاقكم، ولا يرميكم بخداعكم، ولا يأخذكم بريائكم. يؤمن بالله، فيصدّق كُلَّ ما يخبره به عنكم وعن سواكم. ويؤمن للمؤمنين، فيطمئن إليهم ويثق بهم؛ لأنّه يعلم منهم صدق الإيمان الذي يعصمهم من الكذب والالتواء والرياء. ورحمة للذين

آمنوا منكم؛ يأخذ بأيديهم إلى الخير. أما الذين ينافقون ولا يؤمنون ويؤذون رسول الله فلهم عذاب أليم من الله غيرة على الرسول أن يؤذى وهو رسول الله. يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين: يحلفون بالله لكم ليرضوكم على طريقة المنافقين في كل زمان، الذين يقولون ما يقولون، ويفعلون ما يفعلون من وراء الظهور. ثم يَخْلَفُون عن المواجهة، ويضعفون عن المصارحة، فيتضاءلون ويتخاذلون للناس ليرضوهم!. والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين كما يدّعون، فماذا يكون الناس؟. وماذا تبلغ قوتهم؟. ولكن الذي لا يؤمن بالله عادة ولا يعنو له، يعنو لمخلوق مثله ويخشاه!.

ولقد كان خيراً أن يعنو لله الذي يتساوى أمامه الجميع، ولا يذل من يخضع لله!. إنّما يذل من يخضع لعباده، ولا يصغر من يخشاه، إنّما يصغر من يعرضون عنه فيخشون من دونه من العباد. ثم يواجههم هذا السؤال القوي العنيف. ألم يعلموا أنّه من يحادد الله ورسوله فأنّ له نار جهنم خالداً فيها ذلك الخزي العظيم؟. سؤال للتأكيد والتوبيخ، فهم يَدَّعُونَ الإيمان، ومن يؤمن يعلم أنّ حرب الله ورسوله كبرى الكبائر، وأنّ جهنم في انتظار من يرتكبها من العباد، وأن الخزي هو الجزاء المقابل للتمرد. فإذا كانوا قد آمنوا كما يَدَّعُون فكيف لا يعلمون؟!. إنّهم يخشون عباد الله فيحلفون لهم ليرضوهم، ولينفوا ما بلغهم عنهم، فكيف لا يَخْشَوْنَ خَالِقَ العباد؟!. وهم يؤذون رسوله، ويحاربون دينَه، فكأنّما يحاربون الله، تعالى الله أن يقصده أحد بحرب!.

إنّما هو تفظيع ما يرتكبون من إثم، وتجسيم ما يقارفون من خطيئة، وتخويفُ مَن يؤذون رسول الله، ويَكِيدون لدينه في الخفاء. وإنّهم لأَجْبَنُ من أن يواجهوا الرسول والذين معه، وإنّهم ليخشون أن يكشف الله سترهم، وأن يطلع الرسول ﷺ على نواياهم: يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزئوا إنّ الله مخرج ما تحذرون. ولئن سألتهم ليقولن إنّما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون. لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن يعف عن طائفة منكم تعذب طائفة بأنّهم كانوا مجرمين. إنّ النص عام في حذر المنافقين أن ينزل الله قرآناً يكشف خبيئتهم، ويتحدث عما في قلوبهم، فينكشف للناس ما يخبّئُونه!.

التوجيه الرابع: **﴿المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إنّ المنافقين هم الفاسقون﴾**: في هذا التوجيه استعراض شامل لكل أوصاف المنافقين والمنافقات؛ فالنص هنا يعمد إلى تقرير حقيقة المنافقين - ذكوراً وإناثاً - بصفة عامة، وعرض الصفات الرئيسية التي تميزهم عن المؤمنين الصادقين؛ فالمنافقون والمنافقات من طينة واحدة، وطبيعة واحدة؛ فهم في كل زمان وفي كل مكان تختلف أفعالهم وأقوالهم، ولكنها ترجع إلى طبع واحد، وتنبع من معين واحد: سوء الطوية، ولؤم السريرة، والغمز والدسّ، والضعف عن المواجهة، والجبن عن المصارحة.

تلك سماتهم الأصلية، أما سلوكهم فهو الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف، والبخل بالمال؛ إلا أن يبذلوه رياء الناس، وهم حين يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف يسْتَخْفُون بهما، ويفعلون ذلك دسّاً وهمساً، وغمزاً ولمزاً؛ لأنّهم لا يَجْرَءُونَ على الجهر إلا حين يأمنون.

إنّهم نسوا الله، فلا يحسبون إلا حساب الناس وحساب المصلحة، ولا يخشون إلا الأقوياء من الناس يذلون لهم ويدارونهم. فنسيهم، فلا وزن لهم ولا اعتبار، وإنّهم لكذلك في الدنيا بين الناس، وإنّهم لكذلك في الآخرة عند الله. إنّ المنافقين هم الفاسقون، فهم خارجون عن الإيمان، منحرفون عن الطريق...
﴿وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم﴾: هذا هو مآل أهل النفاق ومآل الكفار جميعاً ما وعده الله لهم وهو نار جهنم، ففي جهنم ما وصف من العذاب والهوان والطرد والبعد والخلود الدائم المستمر... «النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير».
﴿كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالاً وأولاداً فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون﴾: هذا عود إلى خطاب المنافقين الذين نزلت في شأنهم الآيات السابقة واللاحقة بعد ذكر حال جنس المنافقين وصفاتهم في كل زمان.

يقول لهم: أنتم أيها المنافقون المؤذون لله ولرسوله وللمؤمنين مثل أولئك

المنافقين الذين خلوا من قبلكم في أقوام الأنبئاء، مفتونون بأموالكم وأولادكم، مغرورون بدنياكم، كما كانوا مفتونين ومغرورين بأموالهم وأولادهم، مع أنّهم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالاً وأولاداً، فكان مطلبهم من أعمالهم وسعيهم التمتع والتنعم بنصيبهم وحظهم الدنيوي من الأموال والأولاد. لم يكن لهم مطلب ولا غرض من الدنيا إلاّ التمتع بعظمتها تطغيهم بها القوة، وبملذاتها تغريهم بها الثروة، وبزينتها تفرحهم بها كثرة الذرية، فهم لم يكن لهم مقاصد شريفة عالية من الحياة سواها، فأنتم وهم سواء، بل أنتم أَجْدَرُ باللوم منهم؛ لأنّهم أوتوا من القوة المطغية، والأموال المبطرة، والأولاد الفاتنة فوق ما أوتيتم، ولم يروا من آيات الله ما رأيتم، ولا سمعوا من حِكَم كلامه وشرائعه ما سمعتم، ولا نصب لهم من المثل العُلْيا لهداية رسله ما نصب لكم من هدى رسوله محمد ﷺ، فإنّ الله تعالى نزّل عليه أحسن الحديث، وأفضل الكتب، وأكمل به الدين، وجعله خاتم النبيئين. ومع هذا كله فعلتم ما فعلتم حذو القذّة بالقذّة مع توفر الدواعي على ضده. وخضتم كالذي خاضوا في وحل الباطل وحمأة الضلال!. فكانت العاقبة متماثلة، والنهاية مشتركة: أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون.

ثم يلتفت السياق من خطاب المنافقين إلى خطاب عام، يتعجب فيه من هؤلاء الذين يسيرون في طريق الهالكين ولا يعتبرون؛ هؤلاء الذين يستمتعون غير شاعرين ويسيرون في طريق الهلكى ولا يتعظون، هؤلاء ﴿**ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم**﴾، ممن ساروا في نفس الطريق: ﴿**قوم نوح**﴾، وقد غمرهم الطوفان وطواهم اليمّ في تيار الفناء المرهوب. ﴿**وعاد**﴾، وقد أهلكوا بريح صرصر عاتية. ﴿**وثمود**﴾، وقد أخذتهم الصيحة. ﴿**وقوم إبراهيم**﴾، وقد أهلك طاغيتهم المتجبر وأنجى إبراهيم. ﴿**وأصحاب مدين**﴾، وقد أصابتهم الرجفة وخنقتهم الظلّة. ﴿**والمؤتفكات**﴾، قرى قوم لوط، وقد قطع الله دابرهم إلا الأقلين... ألم يأتهم نبأ هؤلاء الذين ﴿**أتتهم رسلهم بالبينات**﴾ فكذبوا بها فأخذهم الله بذنوبهم. ﴿**فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون**﴾: إنّ النفس المنحرفة تبطرها القوة فلا تذكر، وتعميها النعمة فلا تنظر، وما تنفع عِظاتُ الماضي ولا عبره، إلا من تَتَفَتَّحُ بصائرُهم لإدراك سنة الله التي لا تتخلف ولا تتوقف ولا تحابي أحداً من الناس. إنّ كثيراً ممن يبتليهم الله بالقوة وبالنعمة لتغشى أبصارهم وبصائرهم غشاوة؛ فلا يبصرون

مصارع الأقوياء قبلهم، ولا يستشعرون مَصيرَ البغاة الطغاة من الغابرين.

عندئذ تحق عليهم كلمة الله، وعندئذ تجري فيهم سنة الله، وعندئذ يأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، وهم في نعمائهم يتقلبون، وبقوتهم يتخايلون. والله من ورائهم محيط!. إنّها الغفلة والعمى والجهالة، نَرَاها تصاحب القوة والنعمة والرخاء. نَراها في كل زمان وفي كل مكان، إلا من رحم الله من عباده المخلصين. وفي مقابل المنافقين والكفار يقف المؤمنون الصادقون. طبيعةً غير الطبيعة وسلوكاً غيرَ السلوك، ومصيراً غيرَ المصير: ﴿**والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويُقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إنّ الله عزيز حكيم. وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم**﴾: إذا كان المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض إذا كانوا جبلة واحدة وطبيعة واحدة، فالمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض. إنّ المنافقين والمنافقات مع وحدة طبيعتهم لا يبلغون أن يكونوا أولياء بعضهم لبعض؛ فالولاية تحتاج إلى شجاعة وإلى نَجْدَةٍ وإلى تعاون وإلى تكاليف، وطبيعة النفاق تأبى هذا كلَّه، ولو كان بين المنافقين أنفسهم. إنّ المنافقين أفرادٌ ضعافٌ مهازيل، وليسوا جماعة متماسكة قويّة متضامنة، على ما يبدو بينهم من تشابه في الطبيعة والخلق والسلوك. والتعبير القرآني الدقيق لا يغفل هذا المعنى في وصف هؤلاء وهؤلاء. المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض، والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض.

إن طبيعة المؤمن هي طبيعة الأمة المؤمنة، طبيعة الوحدة، وطبيعة التكافل وطبيعة التضامن، ولكنه التضامن في تحقيق الخير ودفع الشر: يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. وتحقيق الخير ودفْع الشر يحتاج إلى الولاية والتضامن والتعاون. ومن هنا تقف الأمة المؤمنة - حين يصح إيمانها - صفاً واحداً، لا تدخل بينها عوامل الفرقة؛ وحيثما وجدت الفرقة في الجماعة المؤمنة فثمّة ولابد عنصر غريب عن طبيعتها وعن عقيدتها هو الذي يدخل بالفرقة، ثمة غرض أو مرض يمنع السمة الأولى ويدفعها؛ السمة التي يقررها العليم الخبير «بعضهم أولياء بعض»، يتجهون بهذه الولاية إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإعلاء

كلمة الله، وتحقيق الوصاية لهذه الأمة في الأرض. ويقيمون الصلاة، الصلة التي تربطهم بالله. ويؤتون الزكاة، الفريضة التي تربط بين الجماعة المسلمة، وتحقق الصورة الماديّة والروحية للولاية والتضامن.

ويطيعون الله ورسوله، فلا يكون لهم هوى غيرُ أمر الله وأمرِ رسوله، ولا يكون لهم دستور إلا شريعة الله ورسوله، ولا يكون لهم منهج إلا دين الله ورسوله، ولا يكون لهم الخيرة إذا قضى الله ورسوله؛ وبذلك يُوحّدون نهجهم، ويوحّدون هدفهم، ويوحّدون طريقتهم، فلا تتفرّق بهم السبل عن الطريق الواحد الواصل المستقيم. أولئك سيرحمهم الله، الرحمة لا تكون في الآخرة وحدها، إنّما تكون في هذه الأرض أوَّلاً. ورحمة الله تشمل الفرد الذي ينهض بتكاليف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وتشمل الجماعة المكونة من أمثال هذا الفرد الصالح. رحمة الله في اطمئنان القلب، وفي الاتصال بالله، وفي الرعاية والحماية من الفتن والأحداث. ورحمة الله في صلاح الجماعة وتضامنها وتعاونها، واطمئنان كل فرد للحياة، واطمئنانه لرضاء الله. إنّ هذه الصفات الأربع في المؤمنين: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، لتقابل من صفات المنافقين الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف ونسيان الله وقبض الأيدي.

وإنّ رحمة الله للمؤمنين لتقابل لعنته للمنافقين والكفار، وإنّ تلك الصفات لهي التي وعد الله المؤمنين عليها بالنصر والتمكين في الأرض ليحققوها في وصايتهم الرشيدة على البشرية. إنّ الله عزيز حكيم، قادر على إعزاز الفئة المؤمنة ليكون بعضها أولياء بعض في النهوض بهذه التكاليف، حكيم في تقدير النصر والعزة لها، لتصلح في الأرض، وتحرس كلمة الله بين العباد. وإذا كان عذاب جهنم ينتظر المنافقين والكافرين، وكانت لعنته لهم بالمرصاد وكان نسيانه لهم يدمغهم بالضآلة والحرمان، فإنّ نعيم الجنة ينتظر المؤمنين: جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن، للإقامة المطمئنة، ولهم فوقها ما هو أكبر وأعظم: ورضوان من الله أكبر، وإنّ الجنة بكل ما فيها من نعيم لتتضاءل وتتوارى في هالات تلك الرضوان الكريم! ذلك هو الفوز العظيم.

التوجيه الخامس: ﴿ياأيُّها النبيء جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم

ومأواهم جهنم وبئس المصير﴾: في هذا التوجيه يصدر الأمر من الله لنبيئه أن يجاهد الكفار والمنافقين وأن يغلظ عليهم ويشتدّ ولا يُهادِنُهم ولا يلين معهم، فقد لاين الرسول ﷺ المنافقين كثيراً وأغضى عنهم كثيراً، وصفح عنهم كثيراً، فهاهو ذا يبلغ الحلم غايته، وتبلغ السماحة أجلها، ويأمره ربّه أن يبدأ معهم خِطّة جديدة، ويلحقهم بالكافرين في النص، ويكلفه جهاد هؤلاء وهؤلاء: جهاداً عنيفاً غليظاً لا رحمة فيه ولا هوادة. إنّ لِلّين مواضعَه وللشدّة مواضعَها، فإذا انتهى أمد اللين فلتكن الشدة، وإذا انقضى عهد المصابرة فليكن الحسم القاطع.

وللدعوات مقتضياتها، واللين في بعض الأحيان قد يؤذي، والمطاولة قد تضر، فهذه الآية إيذان للمنافقين بأنّ النفاق يوجب جهادهم قطعاً لمشاقتهم من بين المسلمين، فكانت هذه الآية سبباً في انزجار معظم المنافقين عن النفاق وإخلاصهم الإيمان، فكان كل ذلك كافياً عن أعمال الأمر بجهادهم في هذه الآية. وكفى الله المؤمنين القتال، والذي يوجب قتالهم أنّهم صرحوا بكلمات الكفر، وصدرت من فريق منهم أقوال وأفعال تدل على أنّهم مُسْتَخفّونَ بالدين، فكان معظم ما أخذ على المنافقين هو كلمات دالة على الطعن في الرسول ﷺ ونحو ذلك من دلائل الكفر، وكانوا إذا نقل ذلك عنهم تنصَّلُوا منه بالأيْمان الكاذبة...

﴿يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله فإن يتوبوا يك خيراً لهم وإن يتولوا يعذبهم الله عذاباً أليماً في الدنيا والآخرة وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير﴾: فعلى كل حال أمام المنافقين فرصة أخيرة، وهي التوبة والرجوع إلى الله بإخلاص الإيمان، فيكون خيراً لهم في المستقبل. أمّا إن بَقَوْا على نفاقهم وتوليهم وإعراضهم فأمامهم العذاب الأليم في الدنيا والآخرة، وليس لهم في الأرض الواسعة من ولي ولا نصير. ثم يمضي السياق مع المنافقين موضحاً ما كان بعضهم عاهد عليه اللهَ وهم في فقر وشدّة وضيق... **﴿ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا بِهِ وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ألم يعلموا أنّ الله يعلم سرّهم ونجواهم وأنّ الله علام الغيوب﴾**: فقد وضّحت هذه الآياتُ ما كان بعضُهم قاله بلسانه متظاهراً بالبذل

والعطاء عندما يعطيه الله المال والثراء، ولكن النفاق يظهر بعد خفاء لا يداريه خوف ولا حياء! فالنفس البشرية ضعيفة شحيحة؛ إلا من عصم الله، ولا تطهر من هذا الشح إلا أن تعمر بالإيمان، وترتفع على ضرورات الأرض، وتنطلق من قيود الحرص على النفع القريب، لأنّها تأمل في خلف أعظم، وتؤمّل في رضوان من الله أكبر، والقلب المؤمن يطمئن بالإيمان فلا يخشى الفقر بسبب الإنفاق؛ لأنّه يثق بأنّ ما عند الناس ينفذ وما عند الله باقٍ، فأمّا حين يقفر القلب من الإيمان الصحيح، فالشح الفطري يهيج في نفسه كلما دعي إلى نفقة أو صدقة، والخوف من الفقر يتراءى له فيقعد به عن البذل!. ثم يبقى سجينَ شحه وخوفه بلا أمن ولا قرار!. فمن يعاهد الله ثم يخلف العهد، ومن يكذب على الله فلا يفي بما وعد فلا شك أنّ نفاقه قد ظهر وزاد عن الحد، فلا جرم يعقب إخلاف العهد والكذب على الله نفاقاً دائماً في قلوب تلك الطائفة التي تشير إليها الآيات، فليس في الآيات إشارة إلى فرد بعينه، وإنّما تشير إلى بعض من المنافقين.

التوجيه السادس: ﴿الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم﴾: في هذا التوجيه يعرض السياق لوناً آخر من تصورات المنافقين للصدقات يخالفون به ذلك التصور الحق عند المؤمنين الصادقين؛ ويكشف عن لون من طبيعة الغمز فيهم واللمز النَّابِعَيْنِ من طبعهم المنحرف المدخول. وقد تَقَوَّلُوا على المؤمنين الذين انبعثوا إلى الصدقة عن طواعية نفس، ورضى قلب، واطمئنان ضمير، ورغبة في المساهمة في الجهاد كُلٌّ على قدر طاقته، وكلٌّ على غاية جهده، ذلك أنّ المنافقين لا يدركون بواعث هذا التطوع في النفوس المؤمنة، لا يدركون حساسية الضمير التي لا تهدأ إلا بالبذل عن طيب خاطر.

لا يدركون المشاعر الرفرافة التي تنبعث انبعاثاً ذاتياً لتلبي دَوَاعِيَ الإيمان والتضحية والمشاركة. من أجل ذلك يقولون عن المكثر: إنّه يبذل رياءً، وعن المقل: إنّه يذكِّر بنفسه، فيجرحون صاحب الكثير لأنّه يبذل كثيراً، ويحتقرون صاحب القليل لأنّه يبذل قليلاً، فلا يسلم من تجريحهم وعيبهم أحد من الخيّرين. ذلك وهم قاعدون متخلفون منقبضوا الأيدي شَحِيحُوا الأنفس، لا ينفقون إلا رئاءً، ولا يدركون من بواعث النفوس إلا مثل هذا الباعث الصغير الحقير. ومن ثم

يجبههم الردُّ الحاسم الحازم... سخر الله منهم ولهم عذاب أليم. ﴿**استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنّهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين**﴾: هؤلاء المنافقون الذين يلمزون ويسخرون قد تقرر مصيرهم فما عاد يتبدل، فلن يغفر الله لهم، فلن يجديهم استغفار، فإنّه وعدم الاستغفار لهم سواءٌ.

ويبدو أن الرسول ﷺ كان يستغفر للمخطئين عسى أن يتوب الله عليهم. فأمّا هؤلاء فقد أُخْبِرَ بأن مصيرهم قد تقرر فلا رجعة فيه: ذلك بأنّهم كفروا بالله ورسوله، والله لا يهدي القوم الفاسقين الذين انحرفوا عن الطريق فلم تعد ترجى لهم أَوْبَةٌ، وفسدت قلوبهم فلم يعد يُرْجى لهم صلاح!. إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم. والسبعون تذكر عادة للتكثير لا على أنها رقم مُحَدَّدٌ. والمعنى العام أن لا رجاء لهم في مغفرة؛ لأنّه لا سبيل لهم إلى توبة. والقلب البشري حين يَصِلُ إلى حدٍّ معيَّنٍ لا يرجى بعده اهتداء. وينتقل السياق - مرّةً أُخْرى - إلى الحديث عن المتخلفين عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك...

﴿**فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرّاً لو كانوا يفقهون. فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً جزاء بما كانوا يكسبون. فإن رجعك الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبداً ولن تقاتلوا معي عدواً إنّكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين**﴾: هؤلاء الذين أدركتهم ثقلة الأرض؛ ثقلة الحرص على الراحة، والشح بالنفقة، وقعد بهم ضعف الهمّة وهُزال النخوة، وخَوَاءُ القلب من الإيمان؛ هؤلاء المخلفون فرحوا بالسلامة والراحة (خلاف رسول الله)، وتركوا المجاهدين يلاقون الحر والجهد، وحسبوا أنّ السلامة غاية يحرص عليها الرجال، فهؤلاء لَهُمْ نموذجٌ لضعف الهمة، وطراوة الإرادة.

وكثيرون هم الذين يشفقون من المتاعب، وينفرون من الجهد، ويؤثرون الراحة الرخيصة على الكدح الكريم، ويُفَضّلُون السلامة الذليلة على الخطر العزيز. والنص يرد عليهم بالتهكم المنطوي على الحقيقة: وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرّاً لو كانوا يفقهون: فإن كانوا يشفقون من حر الأرض، ويؤثرون الراحة المسترخية في الظِّلاَلِ، فكيف بهم في حرّ جهنم وهي أشد حرّاً، وأطول

أمداً؟. وإنّها لسخرية مريرة؛ ولكنها كذلك حقيقة، فإما كفاح في سبيل الله فترة محدودة في حر الأرض، وإما انطراح في جهنم لا يعلم مداه إلاّ الله!.. فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً جزاء بما كانوا يكسبون: وإنه لضحك في هذه الأرض وأيّامها المعدودة وإنه لبكاء في أيام الآخرة الطويلة. فالجزاء من جنس العمل، وهو الجزاء العادل الدقيق. هؤلاء الذين آثروا الراحة على الجهد - في ساعة العسرة - وتخلفوا عن الركب في أوّل مرّة. هؤلاء لا يصلحون لكفاح، ولا يُرْجون لجهادٍ!. ولا يجوز أن يؤخذوا بالسماحة والتغاضي، ولا أن يتاح لهم شرف الجهاد الذي تخلوا عنه راضين: فإن رجعك الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبداً ولن تقاتلوا معي عدواً إنّكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين: إنّ الدعوات في حاجة إلى طبائع صلبة مستقيمة ثابتة مصمّمة تصمُدُ في الكفاح الطويل الشاقّ؛ فالصف الذي يتخلله الضعاف المسترخون لا يصمد لأنّهم يخذلونه في ساعة الشدّة فيشيعون فيه الخذلان والضعف والاضطراب، فالذين يضعفون ويتخلفون يجب نبذهم بعيداً عن الصف؛ وقاية له من التخلخل والهزيمة.

والتسامح مع الذين يتخلفون عن الصفّ في ساعة الشدّة ثم يعودون إليه في ساعة الرخاء جناية على الصف كله، وعلى الدعوة التي يكافح في سبيلها الكفاح المرير. هذا هو الطريق الذي رسمه الله تعالى لنبيئه الكريم، وإنّه لطريق هذه الدعوة ورجالها أبداً، فليعرف أصحابها في كل زمان وفي كل مكان ذلك الطريق وكما أمر الله رسوله ﷺ بألا يسمح للمتخلفين في ساعة العسرة أن يعودوا فينتظموا في الصفوف، أمره أن لا يخلع عليهم أيّ ظلال من ظلال التكريم... ﴿**ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره إنّهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون**﴾: فالآية هنا تقرر أصلاً من أصول التقدير في نظام الجماعة المكافحة في سبيل العقيدة، هو عدم السّماح في منح مظاهر التكريم لمن يؤثرون الراحة المسترخية في الكفاح الشاقّ، وعدم المجاملة في تقدير منازل الأفراد في الصف. ومقياس هذا التقدير هو الصبر والثبات والقوة والإصرار والعزيمة التي لا تسترخي ولا تلين...

﴿**ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنّمايريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق**

أنفسهم وهم كافرون﴾: قد سبق هذا المعنى في الكلام على المنافقين عندما رُفضت نفقاتهم لنفاقهم وكفرهم. وهنا أن لا يُقامَ وزن لأموالهم وأولادهم لأنّ الإعجاب بها نوع من التكريم الشعوري لهم، وهم لا يستحقونه لا في الظاهر ولا في الشعور، إنّما هو الاحتقار والإهمال لهم ولما يملكون... **﴿وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون. لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون. أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم﴾**: إنّهما طبيعتان؛ طبيعة النفاق والضعف والاستخذاء، وطبيعة الإيمان والقوة والبَلاَء!.

وإنهما خطتان: خطة الالتواء والتخلف والرضى بالدون، وخطة الاستقامة والبذل والكرامة... فإذا أنزلت سورة تأمر بالجهاد جاء أولوا الطول الذين يملكون وسائل الجهاد والبذل جاءوا لا ليتقدموا الصفوف كما تقتضيهم المقدرة التي وهبها الله لهم، وشكر النعمة التي أعطاها الله إياهم، ولكن ليتخاذلوا ويعتذروا ويطلبوا أن يقعدوا مع النساء لا يذُودُون عن حرمة ولا يدفعون عن سكن، دون أن يستشعروا ما في هذه القعدة الذليلة من صغار وهوان، مادام فيها السلامة، وطلاب السلامة لا يحسّون بالعار!. فالسلامة هدف الراضين بالدّون، فلو كانوا يفقهون لأدركوا ما في الجهاد من قوة وكرامة وبقاء كريم، وما في التخلف من ضعف ومهانة وفناءٍ ذميم. إن للذل ضريبة، كما أن للكرامة ضريبة. وإن ضريبة الذل لأقدح في كثير من الأحايين. وإن بعض النفوس الضعيفة ليخيل إليها أن للكرامة ضريبة باهضة لا تُطاق؛ فتختار الذل والمهانة هرباً من هذه التكاليف الثقال؛ فتعيش عيشة تافهة رخيصة، مُفْزِعَةٍ قلقة، تخاف من ظلها، وتَفْرَقَ من صداها، يحسبون كل صيحة عليهم، ولتجدنهم أحْرَصَ الناس على حياة!. هؤلاء الأذِلاّءُ يؤدون ضريبة أفْدَحَ من تكاليف الكرامة. إنّهم يؤدون ضريبة الذل كاملة يؤدّونها من نفوسهم، ويؤدونها من أقدارهم، ويؤدونها من سمعتهم، ويؤدونها من اطمئنانهم، وكثيراً ما يؤدونها من دمائهم وأموالهم وهم لا يشعرون!. ومن هؤلاء أولئك الذين رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون!.

وهناك طرازٌ آخَرُ غيرُ ذلك الطراز!. لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا

بأموالهم وأنفسهم، فنهضوا بتكاليف العقيدة، وأدوا واجب الإيمان، وعملوا للعزة التي لا تُنَال بالقعود، فلهم خيرات الدنيا والآخرة؛ في الدنيا لهم العزة، ولهم الكرامة، ولهم المغنم، ولهم الكلمة العالية. وفي الآخرة لهم الجزاء الأوْفَى ولهم رضوانُ الله الكريمُ: وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون: الفلاح في الدنيا بالعيش الكريم القويم، والفلاح في الآخرة بالأجر العظيم!. من هنا تصفية الحساب مع النفاق والمنافقين، فلم تقم لهم قائمة، ولم تبقى لهم كرامة، فقد كانوا من قبلُ يأملون في دولة الروم القضاء على الإسلام والمسلمين. وبعدما انتصر الرسول والمسلمون في هذه الغزوة الأخيرة - غزوة تبوك - سُقِطَ في أيديهم ورأوا أنّهم قد فشلوا عندما انهزم الروم واندحروا أمام قوة الإسلام والمسلمين، فرجع الرسول ﷺ غانماً منتصراً، وعدوُّه خائباً مندحراً؛ فاندس المنافقون في الصفوف مرة أخرى تحت محاولاتٍ أخرى تظهر في الآيات القادمة حسبما يقتضيه السياق مندّداً بالموقف الجديد من أهل النفاق!.

التوجيه السابع: **﴿وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم﴾**: في هذا التوجيه بيان موقف الأعراب خاصة. وهم بدو العرب الذين طلبوا الإذن بالتخلف والذين تخلّفوا بغير إذن، عقب بيان حَالِ منافقي الحضر. فالآية تشمل من له عذر حقيقي ومن له عذر مفتعل. أما الذين قعدوا فلم يجيئوا فهم الذين كذبوا الله ورسوله فظهر كفرهم وتحقق أمرهم فيصيب الكافرين منهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة، فموقف الأعراب موقف خطير ظهرت خطورته في غزوات الرسول ﷺ وظهرت في حروب الردة في عهد أبي بكر رضي الله عنه، وظهرت في حروب الخوارج بعد ذلك؛ فالنفاق يتلون بتلون أهله حسب طبيعتهم الملونة المستترة مرة والمنكشفة مرة أخرى؛ فالآية هنا تبين اختلاف أحوال أولئك الأعراب في أعذارهم، فمنهم من له عذر صحيح هو موقن به، ومنهم من له عذر صوري لا حقيقي، وهو يوهم أنّه حقيقي عالم بأنّه مخادع، ومنهم من له عذر ضعيف هو في شك منه، إن نوقش فيه عجز عن إثباته، ومنهم من لا عذر له في الواقع فهو كاذب في انتحاله، وهذا من إيجاز القرآن العجيب بالإتيان بلفظ مفرد يتناول هذه الأقسامَ كُلّها.

وأخيراً تأتي القاعدة العامة وتحدد التبعة، فليس الخروج ضربة لازب على من

يطيقون ومن لا يُطيقون فالإسلام دين اليُسْرِ ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها. والذين عجزوا عن النفرة لا تثريب عليهم ولا مؤاخذة لهم؛ لأنّهم معذورون... **﴿ليس على الضعفاء﴾**: وهم العاجزون عن القتال لعلة في تكوينهم أو لشيخوخة تقعدهم، **﴿ولا على المرضى﴾**: وهم الذين لا يستطيعون الحركة والجهد لسبب طارئ... **﴿ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون﴾**: وهم المعدمون الذين لا يجدون ما يتزودون به. ليس على هؤلاء **﴿حرج﴾**، وهو التكليف بما لا يُطاق... **﴿إذا نصحوا لله ورسوله﴾**: يحسنون بقدر ما يستطيعون... **﴿ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم... ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألاّ يجدوا ما ينفقون﴾**: هؤلاء جماعة جاءوا إلى الرسول ﷺ يطلبون منه أن يحملهم فلم يجدوا ما يحملهم عليه... فرجعوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً على عوزهم وفقرهم فهؤلاء، يدخلون في أهل الأعذار الصحيحة الذين لا حرج عليهم في التخلف عن الجهاد عموماً، وعلى هذه الغزوة التي ميّزت الخبيث من الطيب بالخصوص.

4 ـ توفية الكلام بما يتعلق بهذه الغزوة من الأحكام

النص

* إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿94﴾ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿95﴾ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿96﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿97﴾ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿98﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿99﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿100﴾

وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ
اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ
جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ
الْعَظِيمُ ﴿101﴾ * وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ
وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ
سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿102﴾
وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا
عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿103﴾ خُذْ مِنْ
أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوَاتِكَ
سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿104﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ
يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ
هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿105﴾ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ
عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ
وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿106﴾ وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ
إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿107﴾
الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ
الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ
وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ

لَكَٰذِبُونَ ﴿108﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ
مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ
أَن يَتَطَهَّرُوا وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿109﴾ أَفَمَنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ
عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ
عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي
ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ ﴿110﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ ٱلَّذِي بَنَوْا رِيبَةً
فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿111﴾
* إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم
بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ
وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوْرَاةِ وَٱلْإِنجِيلِ
وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ ٱللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا
بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿112﴾
ٱلتَّائِبُونَ ٱلْعَابِدُونَ ٱلْحَامِدُونَ ٱلسَّائِحُونَ ٱلرَّاكِعُونَ
ٱلسَّاجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ
ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَافِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿113﴾
مَا كَانَ لِلنَّبِيٓءِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا
لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ
أَنَّهُمْ أَصْحَابُ ٱلْجَحِيمِ ﴿114﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ

لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ
لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿115﴾ وَمَا كَانَ
ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ
إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿116﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ
مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿117﴾ * لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيٓءِ
وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ
ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ تَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ
ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿118﴾
وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ
وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ
ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿119﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَكُونُوا مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿120﴾
مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ
أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن
نَّفْسِهِۦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ
وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ
ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ

لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿121﴾
وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا
إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿122﴾
وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةًۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ
فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟
قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿123﴾
* يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم
مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةًۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ
مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿124﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن
يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿125﴾
وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا
إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿126﴾ أَوَلَا يَرَوْنَ
أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ
ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿127﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ
سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ
ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ
لَّا يَفْقَهُونَ ﴿128﴾ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ

عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿129﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿130﴾

البيان

مبحث المفردات اللغويّة

﴿**إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء**﴾: السبيل هنا: الطريق الموصل إلى المؤاخذة بالتبعة. والاستئذان: طلب الإذن بالتخلف عن الجهاد. والأغنياء: ذوو الوفرة من المال... ﴿**رضوا بأن يكونوا مع الخوالف**﴾: تعلقوا بالبقاء مع النساء والأطفال والضعفاء... ﴿**وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون**﴾: جعل الله قلوبهم مجبولة على مخالفة أمره فهم يجهلون حقيقة الأمر... ﴿**يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم**﴾: يأتون إليكم بالحجج الكاذبة وقت رجوعكم إليهم... ﴿**قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم**﴾: لا جدوى من الاعتذار الكاذب، فلا تقدموا عذراً فأنتم غير مصدقين... ﴿**قد نبأنا الله من أخباركم**﴾: تحقق خبر الله بما يقتضي تكذيبكم... ﴿**وسيرى الله عملكم ورسوله**﴾: عملكم في المستقبل يوضح مصيركم إن خيراً فخير وإن شراً فشر... ﴿**ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون**﴾: الرد: الإرجاع، والمراد به هنا مصير النفوس بعد الموت إلى الله. والغيب: ما غاب عن علم الناس.

والشهادة: ما يشاهده الناس. والإنباء: الإخبار بالأمر المهم... ﴿**سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنّهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون**﴾: الحلف: القسم. والانقلاب: الرجوع. والإعراض: الترك. والرجس: الخبث. والمأوى: المصير والمرجع... ﴿**يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإنّ الله لا يرضى عن القوم الفاسقين**﴾: معاني الكلمات في هذه الآية واضحة مما تقدم. والقوم الفاسقون: هم هؤلاء المنافقون...

﴿الأعراب أشد كفراً ونفاقاً وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم﴾: تقدم معنى الأعراب فيما سبق. والأشد: الأقوى. والأجدر: الأحق والأخلق، والجدارة: الأولوية. والحدود: المقادير والفواصل بين الأشياء... **﴿ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرماً ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم﴾**: يتخذ: يعُد ويجعل.

والمغرم: ما يُدْفَعُ من المال قهراً وظلماً. والتربص: الانتظار. والدوائر: جمع دائرة، وهي تغير الحال من استقامة إلى اختلال. والسَّوْء: مصدر أطلق على كل ضر وشر... **﴿ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول أَلاَ إنّها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته إنّ الله غفور رحيم﴾**: القربات: جمع قربة، وهي ما يتوصل بها إلى رضى الله. وصلوات الرسول: دعواته، وأصل الصلاة الدعاء... **﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار﴾**: السابقون: الذين سبقوا غيرهم في الإيمان. والمهاجرون: الذين هاجروا إلى المدينة. والأنصار: الذين بايعوا الرسول في العقبتين، ومن دخل معهم من أهل المدينة... **﴿والذين اتبعوهم بإحسان﴾**: هم بقية المهاجرين وبقية الأنصار الذين اتبعوا مَنْ كان قبلهم في الإيمان... **﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾**: رضي الله عنهم: عنايته بهم وإكرامه إياهم.

ورضاهم عنه بما أعطاهم من الإكرام والتأييد... **﴿وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم﴾**: الإعداد: التهيئة. وبقية الكلمات واضحة... **﴿وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم﴾**: مرد على الأمر: مرن عليه وتدرّب به، ومنه الشيطان المارد... **﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئا﴾**: الآخَرُ: الغير. والاعتراف: الإقرار بالشيء وترك إنكاره. والخلط: المزج... **﴿عسى الله أن يتوب عليهم إنّ الله غفور رحيم﴾**: عسى: فعل يدل على الرجاء.

ومعنى أن يتوب عليهم: يقبل توبتهم... **﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إنّ صلواتك سكن لهم والله سميع عليم﴾**: التطهير: التنظيف من الأدران والأوساخ الحسية والمعنوية. والتزكية: جعل الشيء زكيّاً،

حيث يزيد نمُوّاً وقدراً وقيمة. والسكن: ما يُسكن إليه، مشتق من السكون، وهو الاستقرار وراحة النفس... ﴿**ألم يعلموا أنّ الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأنّ الله هو التواب الرحيم**﴾: مفردات الآية معناها ظاهر... ﴿**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون**﴾: تقدم مثل هذا فيما سبق... ﴿**وآخرون مرجون لأمر الله إمّا يعذبهم وإمّا يتوب عليهم والله عليم حكيم**﴾: الإرجاء: التأخير، ومعناه هنا: مؤخرون لأجل أمر الله في شأنهم. إمّا: حرف يدل على أحد شيئين أو أشياء، ومعناها قريب من معنى أو التي للتخيير، فالأمر متردد بين تعذيبهم وتركه بقبول توبتهم... ﴿**الذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنّهم لكاذبون. لا تقم فيه أبداً**﴾: الضرار: المضارة والمضايقة. والتفريق بين المؤمنين: هو ما قصدوه من صرف بعض الناس عن المسجد الذي بناه الرسول في المدينة. والإرصاد: الإعداد والانتظار والترقب حتى يأتي الوقت المناسب للقضاء على المسلمين.

وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى، فسمي هذا المسجدُ مسجدَ الضرار. لا تقم فيه أبداً ﴿**لمسجد أُسِّسَ على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين**﴾: المسجد الذي أُسِّسَ على التقوى: هو المسجد الذي بناه الرسول وأصحابه في المدينة. والرجال: هم صحابة الرسول ﷺ. والتطهر: التخلص من الأدران الحسية والمعنوية... ﴿**أفمن أُسِّسَ بنيانه على تقوى من الله ورضوانٍ خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هارٍ فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين**﴾: التأسيس: بناء الأساس، وهو قاعدة الجدار المبني من حجر وطين أو جِصٍّ. والبنيان: يطلق على المبني من الحجر والطين وغيره مما يعد للبناء. والمؤسس على التقوى: ما تأسس لغرض حسن. والشفا: حرْف البئر أو حرف الحفرة. والجرف: جانب الوادي أو جانب الهوة. والهاري: المتهاوي إلى السقوط. وانهار: سقط... ﴿**لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم**﴾: الريبة: الشك، والمعنى: أنّ ذلك المسجد لمّا بنوه لغرض فاسد فقد جعله الله سببا لبقاء النفاق في قلوبهم ما دامت قلوبهم في أجسادهم... ﴿**إنّ الله اشترى من المؤمنين**

أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن﴾: الاشتراء: إعطاء شيء مقابل بدل من الجانب الآخر.

والمؤمنون هنا: كل من آمن بالرسل. والأنفس والأموال: المبذول عوضاً بالجنة. ومكان البيع والشراء: مكان القتال في سبيل الله، فَيَقْتُلُونَ الأعْدَاءَ، ويُقْتَلُونَ شهداء. ووثيقة الوعد: التوراة والإنجيل والقرآن... **﴿ومن أوفى بعهده من الله﴾**: أوْفَى: اسم تفضيل من وفى بالعهد إذا فعل ما عاهد على فعله، والمعنى: ليس أحد أوفى بعهده من الله... **﴿فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم. التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين﴾**: أسماءُ الفاعلين هنا: أوصاف للمؤمنين الذين تقدم ذكرهم، فالتائبون هم الذين لم يقترفوا ذنباً قط، أو الذين اقترفوه وتابوا منه. والعابدون الخاضعون لأمر الله. والحامدون المعترفون بنعمة الله عليهم.

والسائحون في الأرض هجرة وجهاداً وسفراً محموداً. والراكعون الساجدون الذين يقيمون الصلاة. والآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر الذين يدعون الناس إلى الخير وينهونهم عن فعل الشر. والحافظون لحدود الله، وهم الملازمون للعمل المأمور به دون تفريط في شيء منه... **﴿ما كان للنبيء والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنّهم أصحاب الجحيم. وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إيّاه فلما تبين له أنّه عدو لله تبرأ منه إنّ إبراهيم لأواه حليم﴾**: استغفار النبيء والمؤمنين للمشركين لا يكون ولا يصح ولا يفيد من بعد ما ثبت لهم استمرارهم على الشرك حتى الموت. واستغفار إبراهيم لأبيه كان عن موعدة منه بالإيمان عندما قال له: واهجرني مليا فَرَجَى إبراهيم منه الإيمان... فلما تبين له أنّه عدو لله تبرأ منه: والتبرُّؤ: تفعّل من برئ من كذا إذا تنزه عنه وابتعد وتخلص منه. والأوّاه: كثير التأوُّه، ومعناه هنا: كثير الدعاء. والحليم: كثير الحلم لشدة رأفته ورحمته...

﴿وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون إنّ الله بكل شيء عليم﴾: الهداية والإضلال هنا بيان حقيقتهما وبيان السبب الموصل إليهما،

وقد جاء هذا من طريق الرسل بتوضيح ما يُعمل من الهدى وما يُنفى من الضلال؛ لأنّ الله عليم بكل شيء... **﴿إنّ الله له ملك السماوات والأرض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير﴾**: هذا زيادة توضيح لقوله: إنّ الله بكل شيء عليم. والكلمات في الآية واضحة... **﴿لقد تاب الله على النبيء والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنّه بهم رؤوف رحيم﴾**: توبة الله على النبيء والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه أنّ الله لا يؤاخذهم بما قد يحسبون أنّه يسبّب مؤاخذة، ومعنى اتبعوه: أطاعوه ولم يخالفوا عليه. وساعة العسرة: هي زمن استنفار النبيء الناس إلى غزوة تبوك. وكاد من أفعال المقاربة. والزيغ: الميل عن الطريق المقصود... **﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا﴾**: التعريف في الثلاثة تعريف العهد، فإنّهم كانوا معروفين بين الصحابة، وهم كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية، كلهم من الأنصار، تخلفوا عن غزوة تبوك بدون عذر.

وخُلّفوا: بقوا وراء غيرهم... وضاقت عليهم الأرض: ضد اتسعت. بما رحبت: بسعتها المعروفة... **﴿وضاقت عليهم أنفسهم﴾**: ضيقاً وحزناً... **﴿وظنوا أن لا ملجأ من الله إلاّ إليه﴾**: التجأوا إلى الله دون غيره... **﴿ياأيُّها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾**: أمر الله المؤمنين بتقواه وبأن يكونوا في زمرة الصادقين مثل أولئك الصادقين الذين تضمنتهم القصّة... **﴿ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه﴾**: ما صح وما استقام لهم التخلف وحبّ النفس أن يتركوا الرسول وحده يكابد المشاق... **﴿ذلك بأنّهم لا يصيبهم ظمأٌ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطؤُونَ موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً إلا كتب لهم به عمل صالح إنّ الله لا يضيع أجر المحسنين﴾**: ذلك إشارة لما دل عليه الكلام من وجوب المتابعة. الظمأ: العطش.

والنصب: التعب. والمخمصة: الجوع. والوطء: الدوس بالأرجل، والموطئ الذي يغيظ الكفار: التأهب والتحرك لإذلال العدو وغلبته وإبادته. والنيل: الإصابة، فهذه الأعمال ما هي إلا أعمال صالحة تُكْتَبُ لهم حسناتها، فلا يضيع منها شيء. إنّ الله لايضيع أجر المحسنين... **﴿ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة**

ولا يقطعون وادياً إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون﴾: قطع الوادي: اجتيازه، وحقيقة القطع: تفريق أجزاء الجسم، وأطلق هنا على الاجتياز. والوادي: المنفرج يكون بين جبال أو إكام، فيكون منفذاً لسُيول المياه، واشتق الوادي من ودى بمعنى سال، فهذه من أحسن الأعمال والله يجزي عليه أحسن الجزاء... **﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة﴾**: ما صح أن ينفر المؤمنون كلهم للغزو، فهناك أمر مهم آخر... **﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾**: لولا: حرف تحضيض. والفرقة: الجماعة من الناس الذين تفرقوا عن غيرهم في المواطن. والطائفة: الجماعة، ولا تتقيد بعدد. والتفقّه: تكلف الفقاهة، وهي مشتقة من فَقِهَ إذا فَهِمَ ما يدقّ فهمه، فهو فاقه، ففقيه؛ فالفقه أخص من العلم، ويجيء منه فقُه إذا صار الفقه سجيته، أي فقه فقاهة فهو فقيه. والإنذار: الإخبار بما يتوقع منه ضرر.

والحذر: الاحتراز من كل ما يتوقع منه الشر... **﴿ياأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أنّ الله مع المتقين﴾**: أمر الله المؤمنين بقتال من يليهم من الكفار، مثل الروم والفرس، كما فعل الخلفاء الراشدون بعد الرسول ﷺ. والغِلْظَةُ: الشدة في معاملة المقاتلين حتى يُلقوا الرعب في قلوبهم، فيخشوا عاقبة التصدي لقتال المسلمين. والمعية هنا: معية النصر والتأييد. والتقوى هنا: الإعداد اللازم لمطالب الجهاد... **﴿وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيماناً﴾**: الكلام على المنافقين الذين يسمعون سور القرآن، فينكرون فوائده، ويقول بعضهم لبعض: أيكم زادته هذه إيماناً؟!.. **﴿فأمّا الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون. وأمّا الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون﴾**: هذا إبطال ما قصده المنافقون من نفي أن تكون السورة تزيد أحداً إيماناً قياساً على أحوال قلوبهم، فأجيب استفهامُهم بهذا التفصيل المتفرع عليه، فأثبت أنَّ للسورة زيادةً في إيمان بعض الناس وأكثر من الزيادة، وهو حصول البشر لهم. وارتقى في الجواب عن مقصدهم من الإنكار بأنَّ السورة ليس منفيا عنها زيادة في إيمان بعض الناس فقط، بل الأمر أشد؛ إذ هي زائدة في كفرهم.

والاستبشار: أثر البُشرى في النفس. والرجس هنا: الكفر، وأصله: الشيء

الخبيث. . . ﴿**أولا يرون أنّهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون**﴾: الفتنة: اختلال نظام الحالة المعتادة للناس واضطراب أمرهم، وهذه الفتن تتكرر على المنافقين مرات ومرات في سنوات بعد سنوات! ولكنهم مستمرون في كفرهم ونفاقهم دون توبة ولا تذكر. . . ﴿**وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنّهم قوم لا يفقهون**﴾: وإذا ما أنزلت سورة فيها فضِيحَةُ أمرهم نظر بعضهم إلى بعض بخائنة الأعين مسْتفهمين متعجبين من اطلاع النبيء ﷺ على أسرارهم، ثم انصرفوا. والانصراف: الرجوع والارتداد، والصرف: الرد. بأنّهم قوم لا يفقهون. . . ﴿**لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم**﴾: الخطاب للعرب. والرسول: محمد ﷺ. من أنفسكم: من العرب. عزيز عليه: شديد وثقيل. والعنت: التعب وكل ما فيه مشقة. والحرص: شدة الرغبة في الشيء. والرؤوف: شديد الرأفة. والرحيم: شديد الرحمة، فالرأفة رقة تنشأ عند حدوث ضر بالمرءوف به، والرحمة رقة تقتضي الإحسان للمرحوم. . . ﴿**فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم**﴾: التولي: الإعراض والإدبار والحسْبُ الكافي. والتوكل: التعويض. ورب العرش العظيم: المالك لكل شيء المهيمن على كل شيء، فليس لغيره مُلك ولا سلطان! سبحانه وتعالى عما يشركون.

مبحث الإعراب

﴿**إنّما**﴾ كافة ومكفوفة. ﴿**السبيلُ**﴾ مبتدأ مرفوع بالضمة. ﴿**على الذين**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. ﴿**يستأذنونك**﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة صلة الذين. ﴿**وهم**﴾ ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ، والواو للحال. ﴿**أغنياءُ**﴾ خبر المبتدإ مرفوع بالضمة، والجملة في محل نصب حال من واو الجماعة. ﴿**رضوا**﴾ فعل وفاعل، جملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب. ﴿**بأن يكونوا**﴾ واو الجماعة اسم يكون، والفعل منصوب بأن. ﴿**مع**﴾ متعلق بمحذوف خبر يكون. ﴿**الخوالف**﴾ مضاف إلى الظرف، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بالياء متعلق برضوا. ﴿**وطبع الله**﴾ فعل وفاعل معطوف على رضوا. ﴿**على قلوبهم**﴾ متعلق بطبع. ﴿**فهم**﴾ في محل رفع مبتدأ، والفاء للترتيب. ﴿**لا يعلمون**﴾ فعل وفاعل

دخل عليه حرف النفي، والجملة في محل رفع خبر المبتدإ. ﴿**يعتذرون**﴾ فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿**إليكم**﴾ متعلق بيعتذرون. ﴿**إذا**﴾ في محل نصب ظرف متعلق بيعتذرون.

﴿**رجعتم**﴾ فعل وفاعل، والجملة في محل جر مضافة إلى الظرف. ﴿**إليهم**﴾ متعلق برجعتم. ﴿**قل لا تعتذروا**﴾ فعل وفاعل دخلت عليه لا الناهية فجزمته وعلامة جزمه حذف النون، والجملة في محل نصب مقول القول. ﴿**لن نؤمن**﴾ الفعل منصوب بلن، والفاعل نحن، وجملة لن نؤمن تعليلية. ﴿**لكم**﴾ متعلق بنؤمن. ﴿**قد**﴾ حرف تحقيق. ﴿**نبأنا**﴾ الضمير المتصل مفعول به. ﴿**الله**﴾ فاعل نبأ. ﴿**من أخباركم**﴾ متعلق بنبّأ، وجملة قد نبأنا الله تعليل للنفي. ﴿**وسيرى الله عملكم**﴾ فعل وفاعل ومفعول معطوف على قوله لا تعتذروا. ﴿**ورسوله**﴾ معطوف على الله. ﴿**ثم**﴾ للعطف والترتيب والمهلة. ﴿**تردون**﴾ مبني للمجهول، والواو نائب الفاعل. ﴿**إلى عالم**﴾ متعلق بتُرَدُّون. ﴿**الغيب**﴾ مضاف إلى عالم. ﴿**والشهادة**﴾ معطوف على الغيب.

﴿**فينبئكم**﴾ مرتب على الفعل قبله، والفاعل ضمير يعود على عالم الغيب والشهادة. ﴿**بما**﴾ متعلق بينبئكم. ﴿**كنتم**﴾ كان واسمها. ﴿**تعملون**﴾ فعل وفاعل، والجملة في محل نصب خبر كان، وجملة كنتم تعملون صلة ما. ﴿**سيحلفون**﴾ فعل وفاعل. ﴿**بالله**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**لكم**﴾ كذلك. ﴿**إذا**﴾ في محل نصب ظرف متعلق كسابقه. ﴿**انقلبتم**﴾ فعل وفاعل، والجملة في محل جر مضافة إلى الظرف. ﴿**إليهم**﴾ متعلق بانقلبتم. ﴿**لتعرضوا**﴾ الفعل منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل. ﴿**عنهم**﴾ متعلق بتعرضوا، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بلام التعليل متعلق بيحلفون، أي: يحلفون لأجل إعراضكم عنهم. ﴿**فأعرضوا**﴾ فعل أمر مفرع عما قبله. ﴿**عنهم**﴾ متعلق بأعرضوا. ﴿**إنّهم**﴾ إنّ واسمها. ﴿**رجس**﴾ خبرها، والجملة تعليلية. ﴿**ومأواهم**﴾ مبتدأ مرفوع بضمة مقدرة على الألف، والضمير المتصل به مضاف إليه. ﴿**جهنم**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**جزاءً**﴾ منصوب مفعول مطلق. ﴿**بما**﴾ متعلق بجزاء. ﴿**كانوا**﴾ كان واسمها. ﴿**يكسبون**﴾ فعل وفاعل، والجملة خبر كان، وجملة كانوا يكسبون صلة ما. ﴿**يحلفون**﴾ فعل وفاعل. ﴿**لكم**﴾ متعلق بيحلفون.

﴿**لترضوا**﴾ الفعل منصوب بأن مضمرة بعد اللام، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بلام التعليل متعلق بيحلفون، أي: يحلفون لأجل رضاكم عنهم. ﴿**عنهم**﴾ متعلق بترضوا. ﴿**فإن ترضوا عنهم**﴾ جملة شرطية مفرعة عما قبلها. ﴿**فإنّ الله**﴾ إنّ واسمها. ﴿**لا يرضى**﴾ فعل مضارع منفي بلا، والجملة في محل رفع خبر إنّ، وجملة فإنّ الله لا يرضى في محل جزم جواب الشرط، والفاء رابطة للجواب. ﴿**عن القوم**﴾ متعلق بيرضى. ﴿**الفاسقين**﴾ نعت للقوم. ﴿**الأعراب**﴾ مبتدأ. ﴿**أشدُّ**﴾ خبره. ﴿**كفراً**﴾ منصوب على التمييز. ﴿**ونفاقاً**﴾ معطوف على كفراً. ﴿**وأجدرُ**﴾ معطوف على أشدّ. ﴿**أن لا يعلموا**﴾ أن مصدرية ولا نافية، والفعل منصوب بأن، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بحرف مقدر متعلق بأجدر. ﴿**حدود**﴾ مفعول به. ﴿**ما**﴾ اسم موصول في محل جر مضاف إلى حدود. ﴿**أنزل الله**﴾ فعل وفاعل صلة ما. ﴿**على رسوله**﴾ متعلق بأنزل. ﴿**والله**﴾ مبتدأ. ﴿**عليم حكيم**﴾ خَبَرَانِ، والجملة تذييل. ﴿**ومن الأعراب**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم.

﴿**مَنْ**﴾ اسم موصول في محل رفع مبتدأ مؤخر. ﴿**يتخذ**﴾ فعل مضارع، والفاعل ضمير يعود على مَنْ، وجملة يتخذ صلة مَنْ. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول أول. ﴿**ينفق**﴾ صلة ما. ﴿**مغرماً**﴾ مفعول ثانٍ. ﴿**ويتربص**﴾ معطوف على يتخذ. ﴿**بكم**﴾ متعلق بيتربص. ﴿**الدوائر**﴾ مفعول به. ﴿**عليهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**دائرة**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**السوء**﴾ مضاف إلى دائرة، والجملة دعائية لا محل لها من الإعراب. ﴿**والله سميع عليم**﴾ مثل والله عليم حكيم. ﴿**ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر**﴾ إعرابها مثل إعراب ما سبقها من قوله ومن الأعراب من يتخذ. ﴿**ويتخذ ما ينفق قربات**﴾ مثل: ويتخذ ما ينفق مغرماً. ﴿**عند**﴾ منصوب على الظرفية متعلق بيتخذ. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى عند. ﴿**وصلوات**﴾ معطوف على قربات. ﴿**الرسول**﴾ مضاف إلى صلوات. ﴿**ألا**﴾ أداة استفتاح. ﴿**إنّها**﴾ إنّ واسمها. ﴿**قربة**﴾ خبرها. ﴿**لهم**﴾ متعلق بمحذوف نعت لقربة. ﴿**سيدخلهم**﴾ الضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**الله**﴾ فاعل. ﴿**في رحمته**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**إنّ الله غفور رحيم**﴾ الجملة من إنّ واسمها وخبرها تعليلية. ﴿**والسابقون**﴾ مبتدأ. ﴿**الأولون**﴾ نعت له. ﴿**من المهاجرين**﴾ بيان.

﴿**والأنصار**﴾ معطوف على المهاجرين. ﴿**والذين**﴾ معطوف على السابقون. ﴿**اتبعوهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة صلة الذين. ﴿**بإحسان**﴾ متعلق باتبعوهم. ﴿**رضي الله**﴾ فعل وفاعل. ﴿**عنهم**﴾ متعلق برضي. ﴿**ورضوا**﴾ معطوف على رضي. ﴿**عنه**﴾ متعلق برضوا، وجملة رضي الله عنهم خبر المبتدإ. ﴿**وأعدّ**﴾ معطوف على رضي. ﴿**لهم**﴾ متعلق بأعدّ. ﴿**جنات**﴾ مفعول به. ﴿**تجري**﴾ فعل مضارع. ﴿**تَحْتَها**﴾ متعلق بتجري. ﴿**الأنهار**﴾ فاعل تجري. ﴿**خالدين**﴾ حال من الضمير المجرور. ﴿**فيها أبداً**﴾ متعلقان بخالدين. ﴿**ذلك**﴾ في محلٍّ رفع مبتدأ. ﴿**الفوز**﴾ خبره. ﴿**العظيم**﴾ نعت للفوز. ﴿**وممّن**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**حولكم**﴾ منصوب على الظرفية متعلق بالخبر. ﴿**من الأعراب**﴾ بيان لمَنْ. ﴿**منافقون**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**ومن أهل**﴾ معطوف على الخبر. ﴿**المدينة**﴾ مضاف إلى أهل. ﴿**مردوا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**على النفاق**﴾ متعلق بمردوا. ﴿**لا تعلمهم**﴾ فعل مضارع منفي بلا، والفاعل ضمير المخاطب، والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**نحن**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**نعلمهم**﴾ الجملة خبر المبتدإ. ﴿**سنعذبهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**مرتين**﴾ مثنى منصوب على المصدرية مفعول مطلق. ﴿**ثم يردون**﴾ معطوف على سنعذبهم، والفعل مبني للمجهول. ﴿**إلى عذاب**﴾ متعلق بيردون. ﴿**عظيم**﴾ نعت لعذاب. ﴿**وآخرون**﴾ مبتدأ.

﴿**اعترفوا**﴾ فعل وفاعل، والجملة خبر. ﴿**بذنوبهم**﴾ متعلق باعترفوا. ﴿**خلطوا عملاً**﴾ فعل وفاعل ومفعول، جملة خلطوا حال من الواو في اعترفوا. ﴿**صالحاً**﴾ نعت لعملاً. ﴿**وآخر**﴾ معطوف عليه. ﴿**سيّئاً**﴾ نعت لآخر. ﴿**عسى الله أن يتوب**﴾ عسى من أفعال المقاربة والرجاء ترفع الاسم وتنصب الخبر، فالله اسمها مرفوع بالضمة، وأن يتوب في تأويل مصدر منصوب خبرها. ﴿**عليهم**﴾ متعلق بيتوب، وجملة وآخرون معطوف على قوله: وممن حولكم من الأعراب منافقون. ﴿**إنّ الله غفور رحيم**﴾ جملة إنّ واسمها وخبرها تعليلية. ﴿**خذ**﴾ فعل أمر. ﴿**من أموالهم**﴾ متعلق بخذ. ﴿**صدقة**﴾ مفعول به. ﴿**تطهرهم**﴾ الظاهر أنّ فاعل تطهر ضمير المخاطب. ﴿**وتزكيهم**﴾ معطوف على تطهرهم. ﴿**بها**﴾ متعلق بتزكيهم. ﴿**وصل**﴾ معطوف على خذ. ﴿**عليهم**﴾ متعلق بصل. ﴿**إنّ صلواتك**﴾ إنّ واسمها. ﴿**سكن**﴾ خبرُ إنّ. ﴿**لهم**﴾ متعلق بمحذوف نعت لسكن. ﴿**والله سميع عليم**﴾ الجملة من

المبتدإ والخبر تذييل. ﴿**ألم يعلموا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي الجازم، وحرف الاستفهام.

﴿**أنّ الله**﴾ أنّ واسمها. ﴿**هو**﴾ ضمير فصل. ﴿**يقبل**﴾ فاعله ضمير يعود على الله، والجملة في محل رفع خبر أنّ، وأنّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب سدّ مسد مفعولي يعلموا. ﴿**التوبة**﴾ مفعول به. ﴿**عن عباده**﴾ متعلق بيقبل. ﴿**ويأخذ**﴾ معطوف على يقبل. ﴿**الصدقات**﴾ مفعول به منصوب بالكسرة. ﴿**وأنّ الله هو التواب الرحيم**﴾ معطوف على قوله: أنّ الله هو يقبل، وهو مثله في الإعراب. ﴿**وقل اعملوا**﴾ الأول أمر للمفرد، والثاني أمر للجماعة. ﴿**فسيرى الله عملكم**﴾ فعل وفاعل ومفعول مفرع على ما قبله. ﴿**ورسوله**﴾ معطوف على الله ﴿**والمؤمنون**﴾: معطوف على الرسول ﴿**وستردون**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول معطوف على قوله: فسيرى الله عملكم. ﴿**إلى عالم**﴾ متعلق بتُردون. ﴿**الغيب**﴾ مضاف إلى عالم. ﴿**والشهادة**﴾ معطوف على الغيب. ﴿**فينبئكم**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف التعقيب، وفاعله ضمير يعود على عالم الغيب. ﴿**بما**﴾ متعلق بينبئكم. ﴿**كنتم**﴾ كان واسمها. ﴿**تعملون**﴾ فعل وفاعل، والجملة في محل نصب خبر كان، وجملة كنتم تعملون صلة ما. ﴿**وآخرون مرجون**﴾ مثل وآخرون اعترفوا في العطف على «وممن حولكم».. وكلمة مرجون اسم مفعول خبر آخرون. ﴿**لأمر**﴾ متعلق بمرجون. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى أمر.

﴿**إمّا**﴾ حرف تفصيل. ﴿**يعذبهم**﴾ فاعله ضمير يعود على الله. ﴿**وإمّا يتوب عليهم**﴾ معطوف عليه. ﴿**والله عليم حكيم**﴾ الجملة من المبتدإ والخبر تذييل. ﴿**الذين**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**اتخذوا**﴾ فعل وفاعل صلة الذين. ﴿**مسجداً**﴾ مفعول أول. ﴿**ضراراً**﴾ مفعول ثانٍ. ﴿**وكفراً وتفريقاً**﴾ معطوفان على المفعول الثاني. ﴿**بين**﴾ متعلق بتفريقاً. ﴿**المؤمنين**﴾ مضاف إلى بين. ﴿**وإرصاداً**﴾ معطوف مثل سابقيه. ﴿**لمن**﴾ متعلق بإرصاداً. ﴿**حارب**﴾ فعل ماض، فاعله ضمير يعود على مَنْ. ﴿**اللهَ**﴾ معمول حارب. ﴿**ورسولَه**﴾ معطوف على الله، وجملة حارب الله صلة مَنْ. ﴿**من قبلُ**﴾ متعلق بحارب. ﴿**وليحلفن**﴾ الواو للعطف، واللام لتأكيد القسم، وفاعل يحلفن واو الجماعة حذف لالتقاء الساكنين، فالأصل: وليحلفونّ حذفت النون الأولى لتوالي الأمثال فالتقى ساكنان واو الجماعة وشدّة

نون التوكيد فحُذِفَ الواوُ لأنه أحق بالحذف. ﴿**إنْ**﴾ حرف نَفْيٍ. ﴿**أردنا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**إلاّ**﴾ أداة استثناء مفرغ. ﴿**الحسنى**﴾ بدل من المفعول المقدّر منصوب بفتحة مقدرة على الألف، والتقدير: والله ما أردنا شيئا من الخصال إلا الخصلة الحسنى. ﴿**والله**﴾ مبتدأ.

﴿**يشهد**﴾ فاعله ضمير يعود على الله، والجملة خبر المبتدإ. ﴿**إنّهم**﴾ إنّ واسمها. ﴿**لكاذبون**﴾ خبرُ إنّ، والجملة تذييلية. ﴿**لا تقم**﴾ الفعل مجزوم بلا الناهية، والفاعل ضمير المخاطب، والجملة خبر الذين اتخذوا. ﴿**فيه أبداً**﴾ متعلقان بلا تقم. ﴿**لمسجدٌ**﴾ مبتدأ دخل عليه لام الابتداء. ﴿**أُسِّسَ**﴾ فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل ضمير يعود على مسجد، والجملة نعت لمسجد. ﴿**على التقوى من أول**﴾ متعلقان بأسس. ﴿**يوم**﴾ مضاف إلى أولّ. ﴿**أحقُّ**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**أن تقوم**﴾ فاعله ضمير المخاطب، والفعل منصوب بأن، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بحرف جر مقدر، والتقدير: لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق بقيامك فيه. ﴿**فيه**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**رجال**﴾ مبتدأ مؤخر، والجملة نعت ثانٍ لمسجد. ﴿**يحبون**﴾ فعل وفاعل. ﴿**أن يتطهروا**﴾ أنْ وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول يحبون. ﴿**والله**﴾ مبتدأ. ﴿**يحب**﴾ فاعله ضمير يعود على الله، والجملة خبر المبتدإ. ﴿**المطهرين**﴾ مفعول به، والجملة تذييل. ﴿**أفمن**﴾ الهمزة للاستفهام، والفاء للتفريع، وقدمت الهمزة لصدارتها بالاستفهام، ومن اسم موصول في محل رفع مبتدأ. ﴿**أسّس**﴾ فعل ماض مبني للمجهول. ﴿**بنيانه**﴾ نائب الفاعل. ﴿**على تقوى**﴾ متعلق بأسس. ﴿**من الله**﴾ متعلق بمحذوف نعت لتقوى. ﴿**ورضوان**﴾ معطوف على تقوى. ﴿**خيرٌ**﴾ خبرُ المبتدإ، الاسم الموصول وصلته أسس.

﴿**أم من أسس بنيانه**﴾ معطوف على قوله: أفمن أسس بنيانه على تقوى. ﴿**على شفا**﴾ متعلق بأسس. ﴿**جرف**﴾ مضاف إلى شفا. ﴿**هارٍ**﴾ نعت لحرف مجرور بكسرة مقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين. ﴿**فانهار**﴾ فعل ماض، والفاء للتعقيب، والفاعل ضمير يعود على البنيان. ﴿**به في نار**﴾ متعلقان بانهار. ﴿**جهنم**﴾ مضاف إلى نار مجرور بالفتحة للعلمية والتأنيث. ﴿**والله**﴾ مبتدأ. ﴿**لا يهدي**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف النفي، والفاعل ضمير يعود على الله،

والجملة خبر المبتدإ. ﴿القوم﴾ مفعول به. ﴿الظالمين﴾ نعت للقوم منصوب بالياء، والجملة تذييل. ﴿لا يزال﴾ مضارع ناقص يرفع الاسم وينصب الخبر. ﴿بنيانهم﴾ اسم يزال. ﴿الذي﴾ في محل رفع نعت لبنيانهم. ﴿بنوا﴾ فعل وفاعل، والجملة صلة الذي. ﴿ريبةً﴾ خبر يزال منصوب بالفتحة. ﴿في قلوبهم﴾ متعلق بريبة. ﴿إلاّ﴾ أداة استثناء.

﴿أن تقطع﴾ فعل مضارع مبني للمجهول منصوب بأن. ﴿قلوبُهم﴾ نائب الفاعل، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور مضاف إلى الظرف المقدر، والتقدير: لا يزال بنيانهم ريبة في كل وقت إلا في وقت تقطيع قلوبهم وتنتهي ريبتهم بانتهاء حياتهم. ﴿والله عليم حكيم﴾ جملة المبتدإ والخبر تذييل. ﴿إنّ الله﴾ إنّ واسمها. ﴿اشترى﴾ فعل ماض، والفاعل ضمير يعود على الله، والجملة في محل رفع خبرُ إنَّ. ﴿من المؤمنين﴾ متعلق باشترى. ﴿أنفسَهُم﴾ مفعول به. ﴿وأموالَهم﴾ معطوفة على أنفسهم. ﴿بأنّ لهم الجنة﴾ أنّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بالباء، والتقدير: اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بتحقيق تملكهم الجنّة. ﴿يقاتلون﴾ فعل وفاعل. ﴿في سبيل﴾ متعلق بيقاتلون. ﴿الله﴾ مضاف إلى سبيل. ﴿فيقتلون﴾ مفرع على ما قبله، والمفعول محذوف. ﴿ويُقتلون﴾ معطوف على يَقتُلون. ﴿وعداً﴾ مفعول مطلق. ﴿عليه﴾ متعلق بما بعده. ﴿حقاً﴾ نعت لوعداً. ﴿في التوراة﴾ متعلق بمحذوف حال من وعداً. ﴿والإنجيل والقرآن﴾ معطوفان على التوراة. ﴿ومن﴾ اسم استفهام في محل رفع مبتدأ، والواو للحال. ﴿أوفى﴾ اسم تفضيل مرفوع بضمة مقدرة على الألف خبر المبتدإ، والجملة في محل نصب حال من الضمير المجرور في قوله: وعداً عليه. ﴿بعهده من الله﴾ متعلقان بأوفى.

﴿فاستبشروا﴾ مرتب على ما قبله. ﴿ببيعكم﴾ متعلق باستبشروا. ﴿الذي﴾ في محل جر نعت لبيعكم. ﴿بايعتم﴾ فعل وفاعل، والجملة صلة الذي. ﴿به﴾ متعلق ببايعتم. ﴿وذلك﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿هو﴾ ضمير فصل. ﴿الفوز﴾ خبر المبتدإ. ﴿العظيم﴾ نعت للفوز، وجملة وذلك هو الفوز العظيم تذييل. ﴿التائبون﴾ خبر لمبتدإ محذوف. ﴿العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون﴾ كلها أخبار مثل التائبون. ﴿بالمعروف﴾ متعلق بالآمرون.

﴿**والناهون**﴾ معطوف على الآمرون. ﴿**عن المنكر**﴾ متعلق بالناهون. ﴿**والحافظون**﴾ معطوف على ما قبله من الأخبار. ﴿**لحدود**﴾ متعلق بالحافظون. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى حدود. ﴿**وبشر**﴾ معطوف على جملة إنّ الله اشترى. ﴿**المؤمنين**﴾ مفعول به. ﴿**ما**﴾ حرف نفي. ﴿**كان**﴾ فعل ماض تام، أي: ما صحّ. ﴿**للنبيء**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**والذين**﴾ معطوف على النبيء. ﴿**آمنوا**﴾ صلة الذين. ﴿**أن يستغفروا**﴾ أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مرفوع فاعلٌ لكان. ﴿**للمشركين**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**ولو**﴾ الواو للعطف على جملة مقدرة، ولو وصلية جيء بها مبالغة للنفي. ﴿**كانوا**﴾ كان واسمها. ﴿**أولي**﴾ خبر كان منصوب بالياء. ﴿**قربى**﴾ مضاف إلى أولي مجرور بكسرة مقدرة على الألف.

﴿**من بعد**﴾ متعلق بأن يستغفروا. ﴿**ما**﴾ اسم موصول في محل جر مضاف إلى بعد. ﴿**تبيّن**﴾ فعل ماض، والجملة صلة ما. ﴿**لهم**﴾ متعلق به. ﴿**أنّهم**﴾ أنّ واسمها. ﴿**أصحابُ**﴾ خبرها. ﴿**الجحيم**﴾ مضاف إلى أصحاب، وأنّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر مرفوع فاعل تبيّن. ﴿**وما كان استغفار**﴾ كان واسمها دخل عليها حرف النفي. ﴿**إبراهيم**﴾ مضاف إلى استغفار. ﴿**لأبيه**﴾ متعلق به. ﴿**إلاّ**﴾ أداة استثناء مفرغ. ﴿**عن موعدة**﴾ بدل من المستثنى منه المقدّر، والتقدير ما كان استغفار إبراهيم لأبيه ناشئاً عن شيء إلا عن موعدة، وهذا المقدّر خبر كان. ﴿**وعدها**﴾ فعل ماض، والفاعل ضمير يعود على أبيه، والضمير المتصل بالفعل مفعول أول. ﴿**إيّاه**﴾ مفعول ثانٍ. ﴿**فلما تبيّن**﴾ الفاء للتفريع، ولمّا شرطية، تبيّن فعل ماض. ﴿**له**﴾ متعلق به. ﴿**أنّه**﴾ أنّ واسمها. ﴿**عدو**﴾ خبرها. ﴿**لله**﴾ متعلق بالخبر، وأنّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر مرفوع فاعل تبيّن، والجملة فعل الشرط. ﴿**تبرأ**﴾ جواب الشرط، وفاعل تبرأ ضمير يعود على إبراهيم. ﴿**منه**﴾ متعلق بتبرأ.

﴿**إنّ إبراهيم**﴾ إنّ واسمها. ﴿**لأوّاه حليم**﴾ خَبَرَانِ لإنَّ، والجملة تعليلية. ﴿**وما كان الله**﴾ كان واسمها دخل عليها حرف النفي، والواو للعطف. ﴿**ليضل**﴾ الفعل منصوب بأن مضمرة بعد لام الجحود، والفاعل ضمير يعود على الله، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور متعلق بمحذوف خبر كان، والتقدير: وما كان الله مريداً لضلال قوم. ﴿**قوماً**﴾ مفعول به. ﴿**بعد**﴾ متعلق بيضل. ﴿**إذ**﴾ في

محل جر مضاف إلى بعد. ﴿**هداهم**﴾ الفاعل ضمير يعود على الله، والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**حتى**﴾ حرف غاية. ﴿**يبيّن**﴾ منصوب بأن مضمرة بعد حتى، والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**لهم**﴾ متعلق بالفعل. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول يبيّن. ﴿**يتقون**﴾ فعل وفاعل صلة ما، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بحتى متعلق بيضل. ﴿**إنّ الله**﴾ إنّ واسمها. ﴿**بكل**﴾ متعلق بالخبر بعده. ﴿**شيء**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**عليم**﴾ خبر إنَّ، والجملة تعليل. ﴿**إنّ الله**﴾ إنّ واسمها. ﴿**له**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم.

﴿**ملك**﴾ مبتدأ مؤخر، ﴿**السماوات**﴾ مضاف إلى ملك. ﴿**والأرض**﴾ معطوف على السماوات، وجملة له ملك السماوات والأرض في محل رفع خبرُ إنَّ، وجملة إنّ الله له ملك السماوات والأرض تعليل ثانٍ. ﴿**يحيي**﴾ فعل مضارع مرفوع بضمة مقدرة على الياء، والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**ويميت**﴾ معطوف على يحيي. ﴿**وما**﴾ الواو للعطف، وما للنفي. ﴿**لكم من دون الله**﴾ متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿**من ولي**﴾ مجرور لفظاً ومرفوع محلاً بالابتداء. ﴿**ولا نصير**﴾ معطوف على وليّ. ﴿**لقد**﴾ اللام للقسم، وقد للتحقيق. ﴿**تاب الله**﴾ فعل وفاعل. ﴿**على النبيء**﴾ متعلق بتاب. ﴿**والمهاجرين والأنصار**﴾ معطوفان على النبيء. ﴿**الذين**﴾ في محل جر نعت للمهاجرين والأنصار. ﴿**اتبعوه**﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة صلة الذين. ﴿**في ساعة**﴾ متعلق باتبعوه. ﴿**العسرة**﴾ مضاف إلى ساعة. ﴿**من بعد**﴾ متعلق باتبعوه. ﴿**ما**﴾ في محل جر مضاف إلى بعد. ﴿**كاد**﴾ فعل ماض ناقص، واسمها ضمير مقدر. ﴿**تزيغ قلوبُ**﴾ فعل وفاعل. ﴿**فريق**﴾ مضاف إلى قلوب. ﴿**منهم**﴾ متعلق بمحذوف نعت لفريق، وجملة تزيغ قلوب.. في محل نصب خبر كاد.

﴿**ثم تاب عليهم**﴾ معطوف على ما قبله. ﴿**إنّه**﴾ إنّ واسمها. ﴿**بهم**﴾ متعلق بما بعده. ﴿**رءوف رحيم**﴾ خبران لإنّ. ﴿**وعلى الثلاثة**﴾ معطوف على النبيء والمهاجرين. ﴿**الذين**﴾ في محل جر نعت للثلاثة. ﴿**خُلّفوا**﴾ فعل ماض مبني للمجهول، وواو الجماعة نائب الفاعل، وجملة خلفوا صلة الذين. ﴿**حتى**﴾ حرف غاية. ﴿**إذا**﴾ ظرف زمان. ﴿**ضاقت**﴾ فعل ماضٍ. ﴿**عليهم**﴾ متعلق به. ﴿**الأرضُ**﴾ فاعل ضاقت. ﴿**بما رحبت**﴾ ما مصدرية، وهي وما دخلت عليه في

تأويل مصدر مجرور بالباء، متعلق بمحذوف حال من الأرض. ﴿**وضاقت عليهم أنفسُهم**﴾ معطوف على ضاقت عليهم الأرضُ. ﴿**وظنوا**﴾ معطوف على ما عطف عليه سابقُه. ﴿**أن لا ملجأ**﴾ أن مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، لا نافية للجنس تعمل عمل إنّ، ملجأً مبني على الفتح في محل نصب اسم لا. ﴿**من الله**﴾ متعلق بمحذوف خبر لا، وجملة لا ملجأ في محل رفع خبر أن، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مضاف إلى معنى النفي المقدر مفعول ظنوا، والتقدير: وظنوا عدمَ الملجإِ من الله. ﴿**إلا إليه**﴾ بدل من المستثنى منه، أي: لا ملجأ إلى أحد إلا إليه.

﴿**ثم تاب عليهم**﴾ معطوف على ما قبله. ﴿**ليتوبوا**﴾ الفعل منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بها متعلق بتاب. ﴿**إنّ الله هو التواب الرحيم**﴾ الجملة من إنّ واسمها وخبرها تعليل. ﴿**ياأيُّها الذين آمنوا**﴾ تقدم إعراب مثلها. ﴿**اتقوا الله**﴾ فعل أمر، وواو الجماعة فاعل، واللهَ مفعول به. ﴿**وكونوا**﴾ معطوف على اتقوا. ﴿**مع**﴾ متعلق بمحذوف خبر كونوا. ﴿**الصادقين**﴾ مضاف إلى مع. ﴿**ما كان**﴾ ما صحّ. ﴿**لأهل**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**المدينة**﴾ مضاف إلى أهل. ﴿**ومَنْ**﴾ في محل جر معطوف على أهل. ﴿**حولهم**﴾ متعلق بفعل صلة مَنْ. ﴿**من الأعراب**﴾ بيان لمَنْ. ﴿**أن يتخلفوا**﴾ أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مرفوع فاعل كان. ﴿**عن رسول**﴾ متعلق بالمصدر الفاعل. ﴿**الله**﴾: مضاف إلى رسول ﴿**ولا يرغبوا**﴾: معطوف على المصدر الفاعل ﴿**بأنفسهم عن نفسه**﴾ متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿**ذلك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**بأنّهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. ﴿**لا يصيبهم**﴾ فعل مضارع منفي بلا، والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**ظمأ**﴾ فاعل، وجملة لا يصيبهم ظمأ في محل رفع خبرُ أنَّ. ﴿**ولا نصب**﴾ معطوف على ظمأ. ﴿**ولا مخمصة**﴾ كذلك. ﴿**في سبيل**﴾ متعلق بيصيبهم. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى سبيل. ﴿**ولا يطأون**﴾ معطوف على يصيبهم. ﴿**موطئاً**﴾ مفعول به. ﴿**يغيظ**﴾ فاعله ضمير يعود على الموطئ. ﴿**الكفارَ**﴾ مفعول به، وجملة يغيظ الكفار في محل نصب نعت لموطئاً.

﴿**ولا ينالون**﴾ معطوف على ما عطف عليه سابقه. ﴿**من عدو**﴾ متعلق بينالون. ﴿**نيلاً**﴾ مفعول مطلق. ﴿**إلا كتب لهم به عمل صالح**﴾. عمل نائب فاعل

كُتب، وصالح نعت له. لهم به متعلقان بكُتِب، والجملة مستثناة من عموم الأحوال. ﴿إنّ الله﴾ إنّ واسمها. ﴿لا يضيع﴾ فعل مضارع منفي بلا، والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿أجر﴾ مفعول به. ﴿المحسنين﴾ مضاف إلى أجر، وجملة إنّ الله لا يضيع أجر المحسنين تعليل للجمل التي قبلها. ﴿ولا ينفقون﴾ عطف على جملة لا يصيبهم. ﴿نفقة﴾ مفعول به. ﴿صغيرة﴾ نعت لنفقة. ﴿ولا كبيرة﴾ معطوف على صغيرة. ﴿ولا يقطعون﴾ معطوف على ينفقون. ﴿وادياً﴾ مفعول به. ﴿إلا كتب لهم﴾ الاستثناء مثل الاستثناء الأول. ﴿ليجزيهم﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿الله﴾ فاعل. ﴿أحسن﴾ منصوب على نزع الخافض. ﴿ما﴾ في محل جر مضاف إلى أحسن. ﴿كانوا﴾ كان واسمها. ﴿يعملون﴾ فعل وفاعل، وجملة يعملون في محل نصب خبرُ كان، وجملة كانوا يعملون صلة ما، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بلام التعليل متعلق بكُتِب.

﴿وما﴾ الواو للعطف، وما نافية. ﴿كان المؤمنون﴾ كان واسمها. ﴿لينفروا﴾ اللام للجحود، والفعل منصوب بأن مضمرة بعد لام الجحود. ﴿كافة﴾ حال من واو الجماعة، وخبر كان متعلق لام الجحود الداخلة على الفعل المؤول بالمصدر. ﴿فلولا﴾ الفاء للتفريع، ولولا هنا للتحضيض. ﴿نفر﴾ فعل ماض. ﴿من كل﴾ متعلق بنفر. ﴿فرقة﴾ مضاف إلى كل. ﴿منهم﴾ متعلق بمحذوف نعت لفرقة. ﴿طائفة﴾ فاعل نفر. ﴿ليتفقهوا﴾ تعليل للتحضيض. ﴿في الدين﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿ولينذروا﴾ معطوف على ليتفقهوا. ﴿قومهم﴾ مفعول به. ﴿إذا﴾ ظرف زمان. ﴿رجعوا﴾ فعل وفاعل. ﴿إليهم﴾ متعلق برجعوا. ﴿لعلهم﴾ لعل واسمها. ﴿يحذرون﴾ فعل وفاعل، والجملة في محل رفع خبر لعل، وجملة لعلهم يحذرون تعليلية. ﴿ياأيُّها الذين آمنوا﴾ إعرابها معلوم. ﴿قاتلوا﴾ فعل أمر. ﴿الذين﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿يلونكم﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة صلة الذين. ﴿من الكفار﴾ متعلق بيلونكم. ﴿وليجدوا﴾ الفعل مجزوم بلام الأمر، والواو للعطف. ﴿فيكم﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿غلظة﴾ مفعول به. ﴿واعلموا﴾ فعل أمر، وواو الجماعة فاعل، معطوف على قوله: وليجدوا فيكم غلظة. ﴿أنّ الله﴾ أنّ واسمها. ﴿مع﴾ متعلق بمحذوف خبر أنّ. ﴿المتقين﴾ مضاف إلى الظرف، وأنّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب سدّ مَسَد مفعولي اعلموا. ﴿وإذا ما﴾:

إذا ظرف متضمن معنى الشرط دخلت عليه ما الزائدة. ﴿**أنزلت**﴾ فعل ماضٍ مبني للمجهول فعل الشرط. ﴿**سورة**﴾ نائب الفاعل.

﴿**فمنهم**﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط، ومنهم متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**من**﴾ في محل رفع مبتدأ مؤخر. ﴿**يقول**﴾ فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على مَنْ، والجملة صلة مَنْ، وجملة فمنهم من يقول جواب الشرط. ﴿**أيُّكم**﴾ مبتدأ. ﴿**زادته**﴾ فعل ماض، والضمير المتصل به مفعول أول. ﴿**هذه**﴾ في محل رفع فاعل زادت. ﴿**إيماناً**﴾ مفعول ثانٍ، وجملة زادته هذه إيماناً في محل رفع خبر المبتدإ. ﴿**فأما**﴾ الفاء للتفريع، وأما للتفصيل. ﴿**الذين**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**آمنوا**﴾ صلة الذين. ﴿**فزادتهم إيماناً**﴾ الجملة خبر الذين آمنوا. ﴿**وهم يستبشرون**﴾ جملة حالية من ضمير الذين آمنوا. ﴿**وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم**﴾ معطوف على قوله: فأما الذين آمنوا.. وهو مثله في الإعراب. ﴿**وماتوا**﴾ فعل وفاعل معطوف على قوله فزادتهم رجساً إلى رجسهم. ﴿**وهم كافرون**﴾ مبتدأ وخبر في محل نصب حال من واو الجماعة. ﴿**أولا يرون**﴾ الهمزة للإنكار والتوبيخ، والواو للعطف على مقدر، والتقدير: ألا ينظرون ولا يرون. ﴿**أنّهم**﴾ أنّ واسمها. ﴿**يفتنون**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول، وواو الجماعة نائب الفاعل، والجملة في محل رفع خبرُ أنَّ. ﴿**في كل**﴾ متعلق بيفتنون. ﴿**عام**﴾ مضاف إلى كل.

﴿**مرة**﴾ مفعول مطلق. ﴿**أو مرتين**﴾ معطوف عليه. ﴿**ثم لا يتوبون**﴾ عطف على قوله: أولا يرون داخل تحت الإنكار والتوبيخ. وكذا قوله تعالى ﴿**ولا هم يذكرون**﴾، والمعنى: أولا يرون افتتانهم الموجب لإيمانهم، ثم لا يتوبون عما هم عليه من النفاق ولاهم يذكرون بتلك الفتن الموجبة للتذكر والتوبة. ﴿**وإذا ما أنزلت سورة**﴾ تقدم إعراب مثلها قريباً. ﴿**نظر بعضهم**﴾ فعل وفاعل، والجملة جواب إذا. ﴿**إلى بعض**﴾ متعلق بنظر. ﴿**هل**﴾ حرف استفهام. ﴿**يراكم**﴾ فعل مضارع، والضمير المتصل به مفعول. ﴿**من أحد**﴾ مجرور بمن لفظاً ومرفوع محلاً، فاعل يراكم، وجملة هل يراكم من أحد في محل نصب مقول لقول مقدّر. ﴿**ثم انصرفوا**﴾ عطف على نظر بعضهم. ﴿**صرف الله قلوبهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة دعائية. ﴿**بأنّهم قوم**﴾ أنّ واسمها وخبرها، وهي في تأويل مصدر مجرور

بحرف الجر متعلق بصرف. وجملة ﴿**لا يفقهون**﴾ في محل رفع نعت لقوم. ﴿**لقد**﴾ اللام لتأكيد الخبر، وقد لتحقيقه. ﴿**جاءكم**﴾ فعل ماض، والضمير المتصل به مفعول. ﴿**رسول**﴾ فاعل. ﴿**من أنفسكم**﴾ متعلق بمحذوف نعت لرسول. ﴿**عزيز**﴾ بيان لرسول. ﴿**عليه**﴾ متعلق بعزيز. ﴿**ما عنتُّمْ**﴾ ما مصدرية، فهي وما بعدها مؤول بمصدر مرفوع فاعل بعزيز. ﴿**حريص**﴾ مثل عزيز في الإعراب. ﴿**عليكم**﴾ متعلق بحريص. ﴿**بالمؤمنين**﴾ متعلق بما بعده من قوله: ﴿**رءوف رحيم**﴾ وهما مثل عزيز وحريص. ﴿**فإن تولوا**﴾ جملة شرطية دخل عليها حرف التفريع. ﴿**فقل**﴾ جواب الشرط. ﴿**حسبي**﴾ مبتدأ مرفوع بضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة، وحسب مضاف وياء المتكلم مضاف إليه. ﴿**الله**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**لا إله**﴾ لا نافية للجنس، إله مبني على الفتح في محل نصب اسم لا. ﴿**إلاّ**﴾ أداة استثناء مفرغ. ﴿**هو**﴾ بدل من خبر لا المقدر، والتقدير: لا إله موجود إلا هو، والجملة بيانية. ﴿**عليه**﴾ متعلق بقوله: ﴿**توكلت**﴾. ﴿**وهو ربُّ**﴾ مبتدأ وخبر معطوف على ما قبله من الجمل البيانية. ﴿**العرش**﴾ مضاف إلى رب. ﴿**العظيم**﴾ نعت للعرش.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**إنّما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء**﴾: لما نفت الآيتان السابقتان أن يكون سبيل على المؤمنين الضعفاء والمرضى والذين لا يجدون ما ينفقون والذين لم يجدوا حمولة، حصرت هذه الآية السبيل في كونه على الذين يستأذنون في التخلف وهم أغنياء. وهو انتقال بالتخلص إلى العودة إلى أحوال المنافقين. وفي هذا الحصر تأكيد للنفي السابق. والسبيل مستعار لمعنى السلطان والمؤاخذة بالتبعة؛ شبه السلطان والمؤاخذة بالطريق؛ لأنّ السلطة يتوصل بها مَنْ هي له إلى تنفيذ المؤاخذة في الغير؛ ولذلك عدي بحرف على المفيد لمعنى الاستعلاء، وهو استعلاء مجازي بمعنى التمكن من التصرف في مدخول على، فكان هذا التركيب استعارة مكنية رمز إليها بما هو من ملائمات المشبه به وهو حرف على، وفيه استعارة مكنية. وجملة ﴿**رضوا بأن يكونوا مع الخوالف**﴾: مستأنفة لجواب سؤال ينشأ عن علة استئذانهم في التخلف وهم أغنياء... ﴿**وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون**﴾: أسند الطبع على قلوبهم إلى الله في هذه الآية بخلاف ما في الآية

السابقة «وطُبع على قلوبهم» لَعَلَّه للإشارة إلى أنّه طبع غير الطبع الذي جبلوا عليه، بل هو طبع على طبع أنشأه الله في قلوبهم لِغَضَبِه عليهم فحرمهم النجاة من الطبع الأصليّ وزادهم عماية؛ ولأجل هذا المعنى فرع عليه فهم لا يعلمون؛ لنفي أصل العلم عنهم، فيكادون أن يساووا العجماوات. . . ﴿**يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم**﴾: استئناف ابتدائي.

وجعل المسند فعلا مضارعاً لإفادة التجدد والتكرير. ﴿**قل: لا تعتذروا**﴾: تخصيص هذا الخطاب برسول الله ﷺ بعد تعميمه فيما سبق، لما أن الجواب وصيغته. . . ﴿**لن نؤمن لكم**﴾: تعليل للنهي عن الاعتذار؛ لعدم جدوى الاعتذار. والتعبير عن عدم التصديق والثقة والاطمئنان بقوله: لن نؤمن لكم، ذو دلالة خاصة، فالإيمان تصديق وطمأنينة وثقة بين الإنسان وربه، وبينه وبين المؤمنين إخوانه، وهي إيماءة تجيء في جوها المناسب هنا!. وجملة ﴿**قد نبأنا الله من أخباركم**﴾ تعليل لنفي تصديقهم. وجملة ﴿**وسيرى الله عملكم**﴾ عطف على جملة لا تعتذروا، فهو تهديد بالوعيد إن لم يتوبوا؛ فالإخبار برؤية الله ورسوله عملهم في المستقبل مستعمل في الكناية عَنِ الترغيب في العمل الصالح، والترهيب من الدوام على حالهم. والمراد: تمكنهم من إصلاح ظاهر أعمالهم؛ ولذلك أردف بقوله: ﴿**ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة**﴾. والعدول عن أن يقال: ثم تردون إليه؛ لما في الإظهار من التنبيه على أنّه لا يعزب عنه شيء من أعمالهم؛ زيادة في الترغيب والترهيب.

واستعمل ﴿**فينبئكم بما كنتم تعملون**﴾ في لازم معناه؛ وهو المجازاة على كل ما عملوه، ففي الأسلوب كناية؛ لأنّ ذكر المجازاة في مقام الإجرام والجناية لازم لعموم عِلْمِ مَلِك يوم الدين بكل ما عملوه. . . ﴿**سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعْرضوا إنّهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون**﴾: الجملة مستأنفة ابتدائية تعداد لأحوالهم، ومعناها ناشىء عن مضمون جملة لن نؤمن لكم. تنبيهاً على أنّهم لا يرعوون عن الكذب ومخادعة المسلمين؛ فإن قيل لهم: لن نؤمن لكم؛ حلفوا على أنّهم صادقون ترويجاً لخداعهم. وحذف المحلوف عليه لظهوره. وصرح بعلة الخلق هنا أنّه لقصد إعراض المسلمين عنهم. وجملة إنّهم رجس تعليل للأمر بالإعراض. وشَبَّهُوا بالرجس في الدناءة

ودنس النفوس، فهو رجس معنوي، والرجس مأواه جهنم؛ جزاءً وفاقاً. . .

﴿يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإنّ الله لا يرضى عن القوم الفاسقين﴾: القوم الفاسقون هم هؤلاء المنافقون، فالكلام مشتمل على خبر وعلى دليله، فأفاد مفاد كلامين؛ لأنّه ينحل إلى: فإن ترضوا عنهم فإنّ الله لا يرضى عنهم، لأنّ الله لا يرضى عن القوم الفاسقين، فهذه الآية بدل اشتمال من آية سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم، فهم إذا حلفوا لأجل أن يعرض عنهم المسلمون فلا يلوموهم، فإن ذلك يتضمن طلبهم رضى المسلمين. وهذا تحذير للمسلمين من الرضى عن المنافقين بطريق الكناية. . . **﴿الأعراب أشد كفراً ونفاقاً وأجدر ألاّ يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم﴾**: استئناف ابتدائي رجع به الكلام إلى أحوال المعذرين من الأعراب والذين كذبوا الله ورسوله منهم، فالأعراب بما فيهم من الغلظة والقسوة والجفوة صار الكفر فيهم والنفاق منهم صفة ذاتية ملازمة لهم، فهم أجدر بعدم العلم بالشريعة؛ لبعدهم عن مجالس التذكير ومنازل الوحي، ولقلة مخالطتهم أهلَ العلم، وجملة والله عليم حكيم تذييل لهذا الإفصاح عن دخيلة الأعراب وخُلُقِهم؛ فهو عليم بهم وبغيرهم، وحكيم في تمييز مراتبهم.

وبعد الوصف الرئيسي العام يجيء التنويع حسبما يقع من التعديلات الطارئة على الوصف العام: **﴿ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرماً ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم﴾**: هذا فريق من الأعراب يظهر الإيمان وينفق في سبيل الله، وإنما يفعلون ذلك تقيّةً وخوفاً من الغزو، أو حُبّاً للمحمدة وسلوكاً في مسلك الجماعة، وهؤلاء وإن كانوا من جملة منافقي الأعراب فتخصيصهم بالتقسيم هنا منظور فيه إلى ما اختصوا به من أحوال النفاق؛ لأنّ التقاسيم في المقامات الخطابية والمجادلات تعتمد اختلافاً ما في أحوال المقسّم، ولا يعبأ فيها بدخول القسم في قسيمه، فقوله: ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرماً هو في التقسيم كقوله: ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر. وجملة عليهم دائرة السوء دعاء عليهم وتحقير لهم!. فلهذا فصلت. وجملة والله سميع عليم تذييل يناسب المقام، فالله سميع ما يتناجون به وما يدبرونه من الترصد، عليم بما يبطنونه ويقصدون إخفاءه. . . **﴿ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ**

ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ألا إنها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته إنّ الله غفور رحيم﴾: هؤلاء هم المؤمنون من الأعراب وفّاهم الله حقهم من الثناء عليهم، وهم أضداد الفريقين الآخرين المذكورين فيما سبق، فقوله: ألا إنّها قربة لهم مسوقة مَسَاقَ البشارة لهم بقبول ما رجَوْه.

وافتتحت الجملة بحرف الاستفتاح للاهتمام بها لِيَعِيَهَا السامع، وبحرف التأكيد لتحقيق مضمونها، واللام للاختصاص، وتنكير قربة لقصد التعظيم. وجملة سيدخلهم الله في رحمته واقعة موقع البيان لجملة إنّها قربة لهم. وجملة إنّ الله غفور رحيم تذييل مناسب لما رجوه، وما استجيب لهم، وأثبت بحرف التأكيد للاهتمام بهذا الخبر، فالله غفور لما مضى من كفرهم، رحيم بهم يفيض النِّعَم عليهم... **﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم﴾**: عُقّب ذكر الفرق المتلبسة بالنقائص على تفاوت بينها في ذلك بذكر القدوة الصالحة والمثل الكامل في الإيمان والفضائل والنصرة في سبيل الله ليحتذي متطلب الصلاح حذوهم؛ ولئلا يخلو تقسيم القبائل الساكنة بالمدينة وحواليها وبواديها عن ذكر أفضل الأقسام تنويها بها. وبهذا تم استقراء الفرق وأحوالها؛ فالجملة عطف على ما قبلها، والمقصود بالسبق: السبق في الإيمان؛ لأنّ سياق الآيات قبلها في تمييز أحوال المؤمنين الخالصين، والكفار الصرحاء، والكفار المنافقين، فتعين أنّ يراد الذين سبقوا غيرهم من صنفهم؛ فالسابقون من المهاجرين هم الذين سبقوا بالإيمان في مكة قبل الهجرة، والسابقون من الأنصار هم أهل بيعة العقبة التي سبقت الهجرة.

والمراد بالذين اتبعوهم بإحسان هم اللاحقون بهم إلى يوم القيامة، فالسابقون هم النموذج الأول والنبراس المضيء في طريق الإسلام الصحيح، فالسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم من اللاحقين لهم المحسنين في اتباعهم؛ هؤلاء جميع رضي الله عنهم ورضوا عنه. فهذا الخبر الذي تحقق في الدنيا، أما في الآخرة فقد هيأ لهم جنات تجري تحتها الأنهار... **﴿وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم﴾**: من الآن فصاعداً أخذ المنافقون

يغيرون من موقفهم بعد شنّ الغارات عليهم بمختلف الوسائل بدواً وحضراً. . فاندسوا بين الصفوف والْتَفُّوا حول أنفسهم فلبسوا لباس التقية والخوف. .

فجاء الكلام هنا بإعلام المؤمنين بأن النفاق لازال قائماً بينهم. . فليكونوا على حذر منهم، فالرسول لا يعلمهم، والله وحده هو العليم بهم، سنعذبهم مرتين ثم يردّون إلى عذاب عظيم: عذاب المنافقين مرتين أمر مأخوذ من واقعهم الملتوي المذبذب، فعندما يواجهون الكافرين يعدونهم مؤمنين، وعندما يواجهون المؤمنين يخافون أن يلمحوا عليهم علامة المنافقين، فهم دائما معذَّبون من جهتين متقابلتين: مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء!. . ﴿**وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم إنّ الله غفور رحيم**﴾: معطوف على ما قبله، فهو قسم ثالث من أهل المدينة، اعترفوا بذنوبهم، فهؤلاء لم يكونوا منافقين، ولم يكونوا من المؤمنين المخلصين، بل خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئا، فهم تحت رجاء التوبة إن أخلصوا، فجملة إنّ الله غفور رحيم تذييل مناسب للمقام. . . ﴿**خذ من أموالهم صدقة تطهّرهم وتزكّيهم بها وصلّ عليهم إنّ صلواتك سكن لهم والله سميع عليم**﴾: الأمر هنا عام لكافة الناس، وإن كان موجها للرسول أولا؛ لأنّه المبلغ الأول، ومن كل صدقة مفروضة أو مندوبة للجهاد ولكل محتاج إلى المال، فمن هذا أخذ الفقهاء حكم الصدقة الواجبة والمندوبة، ففاعل تطهرهم وتزكيهم ضمير يعود على الرسول ﷺ وصل عليهم معطوف على تطهرهم. وقوله: إن صلواتك سكن لهم تعليل للأمر بالصلاة عليهم.

وجملة والله سميع عليم تذييل مناسب للأمر بالدعاء لهم. . . ﴿**ألم يعلموا أنّ الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأنّ الله هو التواب الرحيم**﴾: هذا الكلام يعم جميع المخاطبين بدعوة الإسلام، كما أنّ الآية التي قبله عامة لجميع المأمورين بأداء الصدقة، فيدخل فيه الجميع على وجه الإجمال، فالاستفهام للإنكار، والضمير في ألم يعلموا عائد إلى ما هو معلوم من مقام التنزيل، وهو الكلام على أحوال الأمة. وهذا التوجيه هو المناسب لما يقتضيه الكلام في الجملة، فالكلام هنا مسوق للتحضيض والحث على إخلاص الإيمان وعدم التهاون بأمر الدعوة. . . ﴿**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى**

عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾: هذه الآية زيادة في التحضيض، ففيها تحريض على العمل الصالح وتحذير من التلاعب والتكالب على المصالح؛ فجملة وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون نتيجة العمل إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، فهذا وعد ووعيد، والعمل لا يكون خيراً إلا بثلاث شروط: أن يكون مشروعاً من الله، وأن يُصحِّحَه الرسول بقوله أو فعله، وأن يجمع عليه المؤمنون العارفون كتاب الله وسنة رسوله، فهذا هو الدليل الصحيح: الكتاب والسنة والإجماع. . .

﴿وآخرون مرجون لأمر الله إمّا يعذبهم وإما يتوب عليهم والله عليم حكيم﴾: هذا فريق آخر عطف خبره على خبر الفِرَق الآخرين، فهؤلاء هم القسم الأخير من المتخلفين عن غزوة تبوك - غير المنافقين المعتذرين، والمخطئين المعترفين - هذا القسم الأخير لم يكن حتى نزول هذه الآية قد بُتّ في أمرهم بشيء، فكان أمرُهم موكولاً إلى الله، لم يُعْلَمْ بعْدُ للناس، فإما توبة ومغفرة، وإما مؤاخذة وعقوبة. وجملة والله عليم حكيم تذييل مناسب لإبهام أمرهم على الناس. . . **﴿الذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنّهم لكاذبون﴾**: وصل السياق إلى أمر مهم قام به المنافقون المندسون في صفوف المسلمين، فأرادوا أن يكيدوا بالمسلمين خفية، فبنوا مسجداً يكون خاصاً بهم يتآمرون فيه كما يشاءون نكاية ونقمة؛ لذلك أُفرد المنافقون الذين قاموا به من بين سائر المنافقين، وخُصّص لهم حديث، بعد انتهاء الاستعراض العام لطوائف الناس من حول الدعوة يومذاك، سمي هذا المسجدُ مسجدَ الضرار، فهو كما وصفه الله: **﴿اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنّهم لكاذبون لا تقم فيه أبداً﴾**: فظاهر النص أنّهم طلبوا من الرسول الحضور ليقوم فيه، فجاء النهي عنه، بعد ما بين الغرض منه!. . **﴿لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه﴾**: تأكد الكلام بلام القسم، وتنكير مسجد، ووصفه، ووقته، ومكانه، فهو المسجد الوحيد الذي جعله الله مثابة وأمنا بعدما حُرم المسلمون من بيت الله الحرام، فهاجروا واستقروا بالمدينة في أمن وسلام.

وجُمْلَةُ **﴿فيه رجال يحبون أن يتطهروا﴾** مستأنفة مبينة لأحقية القيام فيه،

ولِوَصْفِ مَنْ فيه من المؤمنين الصادقين، فقد أثنى الله عليهم بأنّهم رجال في غاية الكمال، وأنّهم موصوفون بالطّهارة في الأقوال والأفعال، فأحبهم الله لمحبتهم هذه الخصال!. والقرآن الكريم يرسم هنا صورة حافلة بالحركة، تنبئ عن مصير كل مسجد ضرار، يقام إلى جوار مسجد التقوى، فيكشف عن نهاية كل محاولة خادعة تخفي وراءها نِيّة خبيثة، وتُطَمْئِنَ العاملين المتطهرين من كل كيد يراد بهم مهما تزيًا أصحابُه بأزياء المصلحين: **﴿أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين﴾**: فلْنمر ببناء التقوى الراسي المطمئن الراسخ، ثم لنقف لحظة نشهد الحركة السريعة العنيفة في بناء الضرار؛ إنّه قائم على شفا جرف هار؛ قائم على حافة جرف منهار، قائم على تربة مخلخلة مستعدة للانهيار، إنّنا نبصر به قائما يتأرجح ويتزحلق وينزلق، إنّه ينهار، إنه ينزلق، إنه يهوى، إنّ الهوة تلتهِمه، إنّها جهنم!.

إنّها صورة عجيبة من صور القرآن الحيّة؛ بل إنّه لمشهد تؤلفه وتحركه بضع كلمات، ذلك ليطمئن دعاة الحق على مصير دعواتهم في مواجهة دعوات الكيد والنفاق. وليطمئن البناةُ على التقوى كلما واجهوا بناة الضرار وأبنية الضرار، وصورة أخرى يرسمها القرآن الكريم لآثار مسجد الضرار في نفوس بناته، وبناة كل مساجد الضرار: **﴿لايزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم إلاّ أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم﴾**: لقد انهار الجرف المنهار؛ انهار ببناء الضرار الذي أقيم عليه، انهار به في جهنم وبئس القرار، ولكن البناء بقي في قلوب بناته؛ بقي فيها «ريبة»، وشكاً وقلقاً وحيرة. وسيبقى كذلك لا يدع تلك القلوب تطمئن أو تثبت أو تستقر، إلا إذا انقطعت وسقطت هي الأخرى من الصدور. وإن صورة البناء المنهار لهي صورة الريبة والقلق وعدم الاستقرار، تلك صورة مادية وهذه صورة شعورية. وهما تتقابلان في اللوحة الفنية العجيبة التي يرسمها الأسلوب القرآني البديع!، وتتقابلان في الواقع البشري المتكرر في كل زمان، فهذا هو الإعجاز الذي يرسم الواقع النفسي بريشة الجمال الفني في مثل هذا التناسق بمثل هذا اليسر في التعبير والتصوير على السواء؛ فجملة والله عليم حكيم تذييل مناسب لهذا الجعل العجيب، والإحكام الرشيق، وهو أن يكون ذلك البناء سبب حسرة عليهم في الدنيا والآخرة!.. **﴿إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنة**

يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقّاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾: في هذه الآية أنواع من التوكيدات: افتتحت بحرف التوكيد للاهتمام بالخبر، وجيء بالمسند جملة فعلية لإفادتها معنى المضي، إشارة إلى أنّ ذلك أمر قد استقر من قبل.

والاشتراء مستعار للوعد بالجزاء على الجهاد، وأنه عبر عن إيصال الثواب بالبيع والشراء حتى يكون حقاً مؤكداً. وأنّه قال: بأنّ لهم الجنة بحرف التحقيق وبلام التمليك دون أن يقول بالجنة. وأنّه قال: وعداً عليه، فالله لا يخلف الميعاد. وكلمة على للوجوب، وكلمة حقاً تحقيق للوعد. وقوله: في التوراة والإنجيل والقرآن؛ فهو يجري مجرى الإشهاد لجميع الكتب الإلهية، وجميع الأنبئاء والرسل على هذه المبايعة. وقوله: ومن أوفى بعهده من الله تنبيه على أنّه لا يخلف ما وعد به البتّة. وقوله: فاستبشروا تفريع على كون الوعد حقاً على الله. وجملة وذلك هو الفوز العظيم تذييل جامع لصفات ذلك البيع، فأكد بضمير الفصل، وبالجملة الاسمية وبالوصف بالعظيم المفيد للأهمية.

ولو تتبع الباحث في هذه الآية ليستخرج ما تحويه من الحقائق والدقائق لوقف حائراً أمام هذا الإعجاز الفائق والتأنق في هذا الأسلوب الرائق!.. **﴿التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين﴾**: هذه الأوصاف هي أوصاف المؤمنين الذين تقدم ذكرهم في الآية السابقة، فكان أصلها الجر، ولكنها قطعت عن الوصفية، وجعلت أخبار المبتدإ محذوف هو ضمير الجمع اهتماماً بهذه النعوت، اهتماماً أخرجها عن الوصفية إلى الخبرية، فهذه هي الجماعة المؤمنة التي بايعها الله على الجنة، واشترى منها الأنفس والأموال. وهذه هي صفاتها ومميزاتها.. فختم الآية بتكرير البشارة، وفيه من كمال العناية ما فيه!.. **﴿ما كان للنبيء والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنّهم أصحاب الجحيم﴾**: جاءت صيغة النهي بطريق نفي الكون مع لام الجحود مبالغة في التنزه عن هذا الاستغفار.

وزيادة ولو كانوا أولي قربى للمبالغة في استقصاء أقرب الأحوال إلى المعذرة

كما هو مفاد لو الوصلية، فأولى إن لم يكونوا أُولِي قُرْبَى. وهذه المبالغة لقطع المعذرة عن المخالف، وتمهيد لتعليم من اغتر بما حكاه القرآن من استغفار إبراهيم لأبيه، ولذلك جاء التعقيب في قوله: **﴿وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إيّاه فلما تبين له أنّه عدو لله تبرأ منه إنّ إبراهيم لأواه حليم..﴾** فهي من تمام ما قبلها باعتبار ما فيها من قوله: ولو كانوا أولي قربى، وقوله: إلاّ عن موعدة وعدها إيّاه استثناء مفرغ من أعم العلل. والموعدة اسم للوعد، والوعد صدر من أبي إبراهيم لا محالة؛ فسؤال المغفرة له لعله يرفض عبادة الأصنام؛ كما يدل عليه قوله: فلما تبيّن له أنّه عدو لله تبرأ منه، وقوله: إنّ إبراهيم لأواه حليم؛ فلذلك صدر عنه ما صدر من الاستغفار قبل التبين فليس لغيره أن يأتسي به في ذلك، فهذا توكيد لوجوب اجتناب الاستغفار لكل من تبيّن كفرُه... **﴿وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون إنّ الله بكل شيء عليم إنّ الله له ملك السماوات والأرض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير﴾**: جاء هذا الكلام تسلية للذين استغفروا للمشركين قبل ورود النهي عنه؛ فموقع الكلام هنا بعد جميع الكلام المتقدم صيره كلاماً جامعاً تذييلاً مقرراً لحقيقة ثابتة بأن لا مؤاخذة إلا بعد ثبوت النص الشرعي.

وجملة إنّ الله بكل شيء عليم تذييل مناسب للجملة السابقة، وهو يفيد التعليل، والآية التي بعده تذييل ثان في قوة التأكيد لقوله: إنّ الله بكل شيء عليم. وزيادة جملتي يحيي ويميت لتصوير معنى الملك في أتم مظاهره المحسوسة للناس المسلم بينهم أنّ ذلك من تصرف الله تعالى لا يستطيع أحد دفع ذلك ولا تأخيره. وعطف جملة ومالكم من دون الله من ولي ولا نصير لتأييد المسلمين بأنّهم منصورون في سائر الأحوال، فالأموال والأنفس، والقيم والأقدار، والسماوات والأرض، والحياة والموت، والولاية والنصرة كلها بيد الله دون سواه؛ فما الأنفس والأموال؟ وما الأهل والأقرباء؟ وما الأولياء والنصراء؟. كلها بجانب الصلة بالله هباء، وفي الصلة بالله وحده كفاية وغناء...

﴿لقد تاب الله على النبيء والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنّه بهم رءوف رحيم﴾: انتقال من التحريض على الجهاد، والتحذير من التقاعس والتوبيخ على التخلف،

وما طرأ على ذلك التحريض من بيان أحوال الناس تُجاه ذلك التحريض وما عقبه من أعمال المنافقين والضعفاء والجبناء إلى بيان فضيلة الذين انتدبوا للغزو واقتحموا شدائده؛ فالجملة استئناف ابتدائي، وافتتاحها بحرفي القسم والتحقيق تأكيد لمضمونها المتقرر فيما مضى من الزمان حسبما دل عليه الإتيان بالمستندات كلها أفعالاً ماضية. ومن المحسنات افتتاح هذا الكلام بما يؤذن بالبشارة لرضى الله عن المؤمنين الذين غزوا تبوك. وفي تقديم النبيء في تعلق فعل التوبة بالغزاة للتنويه بشأن هذه التوبة، وهذا التنويه خاص بالمهاجرين والأنصار، فهم الذين استجابوا للأمر بالخروج في ساعة هي أعسر الساعات تكاد تزيغ فيها القلوب لشدة هولها. ثم تاب عليهم: تكرير للتأكيد وتنبيه على أنه يتاب عليهم من أجل ما كابدوا من العسرة...

إنّه بهم رءوف رحيم: استئناف تعليلي؛ فإنّ صفة الرأفة والرحمة من دواعي التوبة والعفو، فالرأفة للسوابق، والرحمة للواحق... ﴿**وعلى الثلاثة الذين خلفوا**﴾: معطوف على النبيء بإعادة حرف الجر ليُبْعد المعطوف عليه. والتعريف في الثلاثة تعريف العهد. والتخليف هنا مستعار لتأخير البتّ في شأنهم... ﴿**حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت**﴾: هذا غاية للإرجاء في أمرهم، وضيق الأرض استعارة، فكأنّ الأرض على سعتها ضاقت بهم... ﴿**وضاقت عليهم أنفسهم**﴾: استعارة لِلْغَمِّ والحزَن؛ لأنّ الغم يكون في النفس بمنزلة الضيق... ﴿**وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه**﴾: الظن هنا بمعنى الاعتقاد الجازم. وهو كناية عن أنّهم تابوا إلى الله وانتظروا عفوه... ﴿**ثم تاب عليهم**﴾: العطف بثم مراد به المهلة والتراخي الزمني؛ لأنّهم بقوا في هذه الحالة خمسين ليلة. ﴿**ليتوبوا**﴾ تعليل، والفعل مستعمل في معنى الدوام على التلبس بالمصدر، لا على إحداث المصدر. وجملة ﴿**إنّ الله هو التواب الرحيم**﴾ تذييل مفيد للامتنان... ﴿**ياأيُّها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**﴾: هذه الآية بمنزلة التذييل للقصة؛ فإنّ القصة مشتملة على ذِكْرِ قوم اتقوا الله فصدقوا في إيمانهم وجهادهم فرضى الله عنهم. وذِكْرِ قوم كذبوا في ذلك واختلقوا المعاذير، وحلفوا كذباً فغضب الله عليهم.

وقومٍ تخلفوا عن الجهاد وصدقوا في الاعتراف بعدم العذر فتاب الله عليهم؛

فلما كان سبب فوز الفائزين في هذه الأحوال كلها هو الصدق لا جرم أمر الله المؤمنين بتقواه وأن يكونوا في زمرة الصادقين، مثل أولئك الصادقين الذين تضمنتهم القصة. والأمر بكُونُوا مع الصادقين أبلغ في التخلق بالصدق من نحو: أصدِقُوا؛ فمناسبة هذه الآية لما قبلها واضحة. والتعقيب على القصص في سياق القرآن يتناسق مع ألمع حلقاتها وأعمق مدلولاتها!. والآن وقد انتهى الحديث عن المتخلفين جميعاً بقصة الثلاثة المخلفين يجيء البيان الشامل الحاسم لواجب أهل المدينة ومن حولهم من الأعراب، ويجيء مع البيان الواجب بيان الجزاء عليه، وهو جزاءٌ سخيٌّ كريم، فنحن في جوّ البيعة من جديد... **﴿ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنّهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطأون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدوٍ نيلاً إلا كتب لهم به عمل صالح إنّ الله لا يضيع أجر المحسنين﴾**.

﴿ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون وادياً إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون﴾: وصيغة ما كان لأهل المدينة خبر مستعمل في إنشاء الأمر على طريق المبالغة؛ إذ جعل التخلف ليس مما ثبت لهم، فهم برآءُ منه فيثبت لهم ضده، وهو الخروج مع الرسول إذا غزا؛ ففيه ثناء على أهل المدينة ومن حولهم من الأعراب؛ لِمَا قاموا به. وفيه تعريض بالذين تخلفوا من أهل المدينة ومن الأعراب؛ فأهل المدينة هم الذين بنوا هذه العقيدة، فهم أهلها الأقربون، وهم بها ولها، وهم الذين آووا رسول الله، فليس لهم أن يؤثروا نفوسهم على نفسه؛ فحين يخرج الرسول ليواجه تكاليف الدعوة وأعباءها فلا يحق لأهل المدينة أصحاب الدعوة وحماتها أن يشفقوا على أنفسهم مما يحتمله الرسول. إنّه الواجب الذي يوجبه الحياء من الرسول - بلْه الأمر من الله - ومع هذا فالجزاء عليه ما أسخاه من جزاء!. إنّه على الظمإ جزاء، وعلى النصَب جزاء، وعلى الجوع جزاء، وعلى كل مَوْطِئ قَدَمٍ يغيظ الكفار جزاء، وعلى كل نيل من العدو جزاء، يكتب به للمرء عمل صالحٍ، ويحسب به من المحسنين الذين لا يضيع الله لهم أجرا.

وإنّه على النفقة الصغيرة والكبيرة أجر، وعلى الخطوات لقطع الوادي أجر؛

أجر كأحسن ما يعمل المرء من هؤلاء. . . **﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة﴾**: هذه الجملة معطوفة على مجموع الكلام الذي قبلها، وهي مقابلة لقوله: ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله؛ فتلخص من هذا أنّ النفير للجهاد لا يكون عاماً على جميع المؤمنين، بل هناك نفير آخر لا يقل عن النفير الأول. . . **﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾**: فهذه الآية أصل في وجوب طلب العلم، كما كانت الآيات قبلها أصلاً في وجوب الجهاد. . . **﴿يا أيّها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أنّ الله مع المتقين﴾**: هذه الآية تضع الخطة الحربية في المستقبل، فكان هذا التوجيه خاصاً بالمؤمنين دون النبيء ﷺ؛ لأنّ غزوة تبوك كانت آخر غزوة له. والذين يلونهم من الكفار دولة الروم ودولة الفرس. ولما كانت الدولتان قوتين أُمِر المسلمون بحصول ما يجده الكافرون من الغلظة والشدة والجرأة والصبر على القتال، فالغلظة هنا مستعارة للمعاملة الضارة بالكفار.

وجملة واعلموا أنّ الله مع المتقين تأييد وتشجيع ووعد بالنصر إنِ اتقوا بامتثال الأمر بالجهاد. وافتتحت الجملة باعلموا لاهتمام بما يراد العلم به، فالمعية هنا معية النصر والتأييد. . . **﴿وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيُّكم زادته هذه إيماناً﴾**: الكلام موصول بما قبله بالعطف على ما تقدم من موقف المنافقين عموماً؛ فالآية عود إلى بيان ما بقي عليه المنافقون من استهزاء وكفر، فقولهم: أيُّكم زادته هذه إيماناً؟ خطاب بعضهم لبعض على سبيل التهكم بالمؤمنين وبالقرآن. ولما كان الاستفهام في قولهم أيُّكم للاستهزاء كان متضمناً معنى إنكار أن يكون نزول سورة القرآن يزيد سامعيها إيماناً توهماً منهم بأنّ ما لا يزيدهم إيماناً لا يزيد غيرَهم إيماناً؛ يقيسون على أحوال قلوبهم، فالفاء في قوله: فأما الذين آمنوا للتفريع على حكاية استفهامهم. بحمله على ظاهر حالهم وصرفه عن مقصدهم منه؛ وتلك طريقة الأسلوب الحكيم، وهو تَلَقِّي المخاطَبِ بغير ما يترقب بحمل كلامه على خلاف مراده لنكتة، وهي هنا إبطال ما قصدوه من نفي أن تكون السورة تزيد أحداً إيماناً قياساً على أحوال قلوبهم؛ فأجيب استفهامهم بهذا التفصيل المتفرع عليه، فأثبت أن للسورة زيادة في إيمان بعض الناس وأكثر من الزيادة وهي حصول البشر لهم. . .

﴿فأمّا الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يسْتبشرون. وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون﴾: وارتُقي في الجواب عن مقصدهم من الإنكار بأنّ السورة ليست منفيا عنها زيادة في إيمان بعض الناس فقط؛ بل الأمر أشد! إذ هي زائدة في كفرهم. فالقِسْم الأول المؤمنون زادتهم إيماناً وأكسبتهم بُشْرَى، فحصل من السورة لهم نفعان عظيمان. والقسم الثاني الذين في قلوبهم مرض زادتهم رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون. وقوبل قوله: وهم يستبشرون في جانب المؤمنين بقوله: وماتوا وهم كافرون في جانب المنافقين تحسيناً للازدواج؛ بحيث كانت للسورة فائدتان للمؤمنين، ومصيبتان على المنافقين، فهذا وجه نظام الآية على هذا النسج من البلاغة والبديع...

﴿أولا يرون أنّهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون﴾: هذه الآية متصلة بما قبلها بالعطف، فهي من تمام التفصيل. وقدمت همزة الاستفهام على حرف العطف على طريقة تصدير أدوات الاستفهام. والتصدير للتنبيه على أنّ الجملة في غرض الاستفهام. والاستفهام هنا إنكار وتعجيب لعدم رؤيتهم فتنتهم، فلا تعقبها توبتهم ولا تذكرهم أمر ربّهم. وأتى بجملة ولاهم يذكرون مبتدأة باسم أسند إليه فعل، ولم يقل: ولا يذكرون قصداً لإفادة التقوّي أي: انتفاءُ تذكّرهم محقَّقٌ... **﴿وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنّهم قوم لا يفقهون﴾**: وصلت هذه الآية بالعطف على ما قبلها. وجملة هل يراكم من أحد بيان لجملة نظر بعضهم إلى بعض؛ لأنّ النظر تَفَاهموا به فيما هو سِرٌّ بَيْنَهُم، فلما كان النظرُ نظر تفاهم صح بيان جملته بما يدل على الاستفهام التعجيبي!.

ففي هذا الأسلوب إيجازُ حذف بديعٌ دلّت عليه القرينة. والتقدير: وإذا ما أنزلت سورة فيها فضيحة أمرهم نظر بعضهم إلى بعض بخائنة الأعين مستفهمين متعجبين، فهو مشهد كامل حافل بالحركة ترسمه بضع كلمات فإذا هو شاخص أمام العيون... **﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتّم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم. فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو ربُّ العرش العظيم﴾**: افتتح الكلام بلام التأكيد وحرف التحقيق لقصد الاهتمام بموضوع الكلام؛ لأهمية الغرض الذي سيق من أجله؛ فالكلام مستأنف استئنافاً

ابتدائياً. وفي وقوعه آخر السورة ما يكسبه معنى التذييل والخلاصة؛ فالخطاب موجه أولاً للعرب ثم يوجه الخطاب ثانياً إلى بقية الناس بوساطة العرب، فالعرب آمنوا بدعوته مباشرة، وبقية الناس آمنوا بدعوة العرب. والمجيء مستعمل مجازاً في الخطاب بالدعوة إلى الدين؛ شبّه توجهه إليهم بالخطاب الذي لم يكونوا يترقبونه بمجيء الوافد إلى الناس من مكان آخر، وهو شائع في القرآن. ومعنى من أنفسكم من صميم نسبكم، فتعين أن الخطاب للعرب، وفيه امتنان على العرب وتنبيه على فضيلتهم.

وقد أكّد الله تعالى هذه المنة الخاصة بوصفه هذا الرسول بقوله: عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم. والفاء في قوله: فإن تولوا للتفريع على إرسال النبيء صاحب هذه الصفات إليهم؛ فإنّ صفاته المذكورة تقتضي من كل ذي عقل سليم من العرب الإيمان به واتباعه؛ لأنّه من أنفسهم ومحب لخيرهم رءوف رحيم بمن يتبعه منهم، فتفرع عليه أنّهم محقوقون بالإيمان به، فإن آمنوا فذاك، وإن لم يؤمنوا فإنّ الله حسبه وكافيه. وبعد التفريع التفت الكلام من خطاب العرب إلى خطاب الرسول بما كان مقتضى الظاهر أن يخاطبوا هم به اعتماداً على قرينة حرف التفريع؛ فقيل له: فإن تولوا فقل حسبي الله. والتقدير: فإن توليتم عنه فحسبه الله، وقل حسبي الله؛ فجيء بهذا النظم البديع الإيجاز مع ما فيه من براعة الإيماء إلى عدم تأهلهم لخطاب الله على تقدير حالة توليهم. والتولي هنا مستعار للمكابرة والعناد. ومعنى الأمر بأن يقول: حسبي الله، أن يقول ذلك قولاً ناشئاً عن عقد القلب عليه؛ لأنّ القول يؤكد المعلوم ويرسخه في نفس العالم به؛ ولأنّ في هذا القول إبلاغاً للمعرضين عنه بأنّ الله كافيه إيّاهم. والتوكل مبالغة في وكَل. وهذه الآية تفيد التنويه بهذه الكلمة المباركة؛ لأنّه أمر بأن يقول هذه الكلمة بعينها، ولم يؤمر بمجرد التوكل. وجملة لا إله إلا هو مستأنفة للثناء. وعطفت عليها جملة وهو ربّ العرش العظيم للثناء بعظيم القدرة؛ لأنّ من كان رباً للعرش العظيم ثبت أنه قدير. وفي هاتين الآيتين إشعار بالإيداع والإعذار للناس، وتنبيه إلى المبادرة باغتنام وجود الرسول بين أظهرهم ليتشرفوا بالإيمان به، وهم يشاهدونه ويقتبسون من أنوار هديه؛ وفيهما أيضاً إيماء إلى اقتراب أجل النبيء ﷺ؛ لأن التذكير بقوله: لقد جاءكم رسول، يؤذن بأنّ هذا المجيء الذي مضى عليه زمن طويل يوشك أن ينقضي؛ لأنّ لكل وارد قفولاً، ولكل طالع أفولاً!. وفي

هذا براعة المقطع، مع ارتباط آخر هذه السورة بآخر سورة الأنفال بقوله تعالى: «وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله»!.

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

التوجيه الأول: ﴿إنّما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون﴾: في هذا التوجيه إعلام النبيء ﷺ بموقف المنافقين الذين تخلفوا عنه في غزوة تبوك؛ فجاء الكلام عتاباً لهم وفضيحة لموقفهم المخاذل المخادع، فليس السبيل على أهل الأعذار الحقيقية، إنّما السبيل على القادرين الذين يرضون أن يقعدوا قعدة النساء المخلفات في الدور؛ ويستأذنون في التخلف عن الزحف - وهم أغنياء - أغنياء في المال وفي الصحة وفي القدرة على الزحف، ولكن نفوسهم ترضى ما لا يرضاه القادرون، فيؤثرون السلامة، ويؤثرون الراحة، ويصاحبون المخلفات من النساء اللواتي لم يكتب عليهن جهاد!. هؤلاء هم المؤاخذون بتخلفهم عن الخروج؛ لأنّهم مقصرون نَاكِلون، لا يؤدون حق الله عليهم، وقد أغناهم وأقدرهم، ولا يؤدون حق أنفسهم عليهم، وحق الكرامة والرجولة في أعناقهم؛ فهم معيرون بقعدتهم مع الخوالف، مؤاخذون بنكولهم عن النهوض بالواجب. وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون، فقد أغلق الله فيهم منافذ الشعور والعلم بما ارتضوه لأنفسهم من الخمول والبلادة. وما يؤثر الإنسان السلامة والراحة إلا وقد فرغت نفسه من دوافع التطلع والتذوق والتجربة والمعرفة.

وإنّ بلادة الراحة لتغلق المنافذ والمشاعر، وتطبع على القلوب والعقول؛ فالحركة دليل على الحياة، ومحرك في الوقت ذاته للحياة. ومواجهة الخطر تستثير كوامن النفس، وطاقات العقل، وتشد العضل والعصب، وتكشف عن الاستعدادات المخبوءة التي تنتفض عند الحاجة، وتدرب الطاقات البشرية على العمل، وتشحذها للتلبية والاستجابة، وكل أولئك ألوان من العلم والمعرفة والتفتح يُحرمها طلابُ الراحة والسلامة. ووراء حب الدعة وإيثار السلامة سقوط الهمة، وذلة النفس، وانحناء الهامة، والتهرب من المواجهة والمصارحة... **﴿يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم﴾**: يعتذرون إليكم عن تخلفهم وقعودهم، يعتذرون إليكم عن فعلتهم؛ لأنّهم يخجلون من الظهور بها عارية! ومن الكشف عن أسبابها الحقيقية؛

وهي إيثار الراحة والسلامة، وضعف الإيمان، والإشفاق من الجهاد... ﴿**قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم**﴾: قل: وَفِّرُوا عليكم معاذيرَكم؛ فلن نطمئن إليكم، ولن نصدقكم.

ذلك أنّ الله قد كشف لنا ما تنطوي عليه صدوركم، وقص علينا دوافع أعمالكم، وحدّثنا عن حالكم وتصرفاتكم؛ فلم تَعُدْ خبيئَتُكم مستورة، ولم نكن نجهل حقيقة أمركم، فنأخذ بظاهر أقوالكم. قل لا تعتذروا فلا ثمرة للاعتذار، ولا جدوى للكلام. وإن كان عمل فاعملوا، ﴿**وسيرى الله عملكم ورسوله**﴾، ويرى دوافعه وبواعثه؛ فإن كانت خيراً فهي خير، وإن كانت شراً فهي شر!. وجزاؤكم عند الله في الآخرة، ﴿**ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون**﴾، فلا سبيل إلى الكذب والمداراة بالمعاذير أمام عالِم الغيب والشهادة الذي يعلم من أعمالهم ما لا يعلمون هم وهم فاعلوها... ﴿**سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتُعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنّهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون**﴾: لقد نبأ الله نبيئه نبأ أولئك المتخلفين قبل عودته إلى المدينة من غزوة تبوك، وكشف له عما سيلقونه به ويلقون المؤمنين من المعاذير، وهذه الآية استطراد في النبإ وزيادة فيه، سيؤكدون معاذيرهم بالأيمان؛ سيحلفون بالله كذباً بطبيعة الحال، وهدفهم الحقير أن يرضى المؤمنون عنهم...

﴿**يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإنّ الله لا يرضى عن القوم الفاسقين**﴾: فالحلف الأول على طلب الإعراض عنهم، والحلف الثاني على الرضى عنهم؛ فجاء الرد على طلب الإعراض: فأعرضوا عنهم إنّهم رجس، وجاء الرد على طلب الرضى، فإن ترضوا عنهم فإنّ الله لا يرضى عن القوم الفاسقين. وعندما ينتهي السياق من تحديد التبعة في القعود والتخلف بالقياس إلى أهل المدينة ويكشف عن المنافقين فيهم، وما يتخذونه من الحجج والمعاذير للقعود عن الزحف يستطرد إلى الحديث عن الأعراب: الكفار منهم والمنافقين والمؤمنين، ومواقفهم من البذل والجهاد... ﴿**الأعراب أشد كفراً ونفاقاً وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله**﴾: فالتعبير بالعموم يفيد أنّ هذا الوصف في الأعراب وصف ثابت لا وصف طارئ؛ فكونه وصفاً ثابتاً، وكونها جدارة خاصة لا يمنع أن يكون ذلك بسبب بداوتهم؛ فإذا زالت عنهم صفة البداوة زال عنهم ذلك الوصف.

ولا يمنع كذلك أن يكون منهم مؤمنون، يحوّلهم الإيمان عن طبعهم العام، ويقودهم إلى واحة الإيمان، وإن كان معظم الروايات التي تتحدث عن الأعراب في كتب الأدب والتاريخ والسيرة التي حُفِظَتْ عن مسلمي الأعراب تشهد بأنّ بقية من الغلظة والجفوة قد بقيت فيهم مع الإيمان!. فلا جرم أن يكون الشأن فيهم أن يكونوا أشد كفراً ونفاقاً وأجدر ألاّ يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله؛ لطول ما طبعتهم البداوة بالجفوة والغلظة عندما يَقْهَرُونَ غَيْرَهم!. وما أمر البدو اليوم منا ببعيد!، أو بالنفاق والالتواء عندما يقهرهم غيرُهم، وما أمر الاستعمار معهم وخضوعهم له وتشبثهم به بغريب!. وبالاعتداء وعدم الوقوف عند الحدود بسبب مقتضيات حياتهم في الصحراء. وبعد الوصف الرئيسي العام يجيء التنويع حسبما يقع من التعديلات الطارئة على الوصف العام. **﴿ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرماً ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم﴾**، وربما عجل بذكر المنافقين من الأعراب قبل المؤمنين منهم، إلحاقاً لهم بمنافقي الذين كان يتحدث عنهم في نهاية المقطع السالف؛ وليتصل جوُّ الحديث عن المنافقين من هؤلاء ومن هؤلاء، فهؤلاء الأعراب يتخذون ما ينفقون مغرماً، فهو مضطر لأن ينفق من ماله في غزوات المسلمين؛ إمَّا اتّقاءً للمسلمين؛ وإمّا حفظاً لخط الرجعة حين ينتصرون.

وهو يَعُدُّ ما ينفقه غرامة وخسارة يؤديها كارهاً؛ لا مساعدة للمجاهدين الغازين؛ ولا حُبّاً في انتصار الإسلام والمسلمين!.. ويتربص بكم الدوائر: ينتظر لكم الهزائم والمصائب، فهنا يعاجلهم السياق بدعاء الله - سبحانه - عليهم. ودعاء الله عليهم معناه وقوع مدلول الدعاء بهم «عليهم دائرة السوء»، فهم تحتها وبين جوانحها.

وهناك فريق آخر ممن خالط قلوبهم الإيمان... **﴿ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ألا إنّها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته إنّ الله غفور رحيم﴾**: فهو الإيمان بالله واليوم الآخر باعث الإنفاق عند هذا الفريق؛ لا الخوف من الناس ولا الملق للمنتصرين؛ ولا حساب الربح والخسارة في دنيا الناس الذين لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً، فهو يبتغي بما ينفق القربى من الله ودعوات رسول الله. وهذا شاهد الإيمان بالله

واليوم الآخر ومصداقه في نفس هذا الفريق من الأعراب؛ لذلك يطمئنهم الله بقبول ما أنفقوا، وبتحقيق ما ابتغوا؛ فيبشرهم بحسن العاقبة، سيدخلهم الله في رحمته إنّ الله غفور رحيم.

التوجيه الثاني: **﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعدّ لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم﴾**: في هذا التوجيه بيان القدوة الصالحة والمثل الكامل في الإيمان والفضائل والنصرة في سبيل الله ليحتذي متطلب الصلاح حذوهم، فذكر طبقات ثلاث هي خير هذه الأمة التي هي في جملتها خير أمة أخرجت للناس؛ فالأولى السابقون الأولون من المهاجرين، وهم الذين جاءوا إلى المدينة قبل فتح مكة، فلا هجرة بعد الفتح. والثانية السابقون الأولون من الأنصار. وهم الذين بايعوا رسول الله في العقبة الأولى والثانية ومن آمن من أهل المدينة قبل ظهور النفاق.

والثالثة الذين اتبعوا هؤلاء السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار في الهجرة والنصرة اتباعاً بإحسان؛ فهؤلاء جميعاً رضي الله عنهم ورضوا عنه، ذلك حالهم الواقع الدائم: رضي الله عنهم ورضوا عنه. وهنالك تنتظرهم ثمرة الرضي: وأعدّ لهم جنات تجري تَحتَهَا الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم!.. **﴿وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم﴾**: بعد أن بيّن الله تعالى حال كَمَلَةِ المؤمنين كلهم قفى عليه بذكر مردة المنافقين من البدو والحضر، فهو يقول: إنّ بعض الأعراب الذين حولكم أيُّها المؤمنون منافقون، وإنّ من المدينة نفسها منافقين، وقد وصف هؤلاء بقوله: مردوا على النفاق، فهؤلاء من حدقهم في النفاق لا يعلمهم الرسول بلْهَ غيرُهُ من الناس!.

لا تعلمهم نحن نعلمهم؛ فهم لمرودهم على النفاق يتحامون ما يكون شبهة على إيمانهم، فبهذه المخادعة وبهذا التلوُّن يحسون بعذاب لاذع يُنَغِّصُ عليهم حياتهم سواء مع المؤمنين أو مع أوليائهم من الكافرين: سنعذبهم مرتين: مرة مع المؤمنين عندما يكونون خائفين وجلين. ومرة مع الكافرين عندما يعدونهم مع المؤمنين، فلا يثقون فيهم خوفاً منهم؛ فقد يكونون متلاعبين. والعبرة في هذا

السياق أن هؤلاء المنافقين فريقان: فريق عرفوا بأقوال قالوها، وبأفعال فعلوها. وفريق مردوا على النفاق وحذقوه حتى صار أملس ناعما لا يكاد يشعر أحد بشيء يستنكره منه فيظهر عليه. وكل من الفريقين يوجد في كل عصر، ولاسيما منافقي السياسة في هذا العهد، فهم الذين اتخذهم الأجانب المعْتَدون على بلاد الإسلام دعاة وولائج وأعواناً على استعباد أمتهم واستعمار أوطانهم؛ فما من قطر من هذه الأقطار التي رزئت بالأجانب إلا ولهم فيها أعوان وأنصار من أهلها يزعمون أنهم يخدمون أمتهم ووطنهم من طريق استمالتهم واسترضائهم، وأنهم لولاهم لما وقفوا من الظلم وهضم الحقوق عند الحد الذي هم عليه. ومنهم من يخدمون الأجانب خِدَماً خفية لا تشعر بها الأمة؛ لأنهم مردوا على النفاق. وإنما يحتاج الخونة الخادمون للأجانب إلى النفاق وتلبيس خيانتهم وإخفائها بالكذب والاختلاق إذا كان للرأي العام فطنة وقوة يخشونها.

وأما البلاد التي استحوذ عليها الجهل والضعف فلا يبالي الخائنون برضاء أهلها ولا بسخطهم. وأشد المنافقين مروداً وإتقاناً للنفاق أعوان الملوك والرؤساء المستبدين. وشرُّهم وأضرُّهم الذين يلبسون لباس علماء الدين!.. ﴿**وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم إنّ الله غفور رحيم**﴾: هذه الآية نزلت في جماعة خاصة ممن تخلفوا عن غزوة تبوك، ثم أحسّوا وطأة الذنب، فاعترفوا بذنوبهم، ورجوا التوبة، فكان منهم التخلف، وهو العمل السيء، وكان منهم الندم والتوبة وهو العمل الصالح. وهم جماعة ربطوا أنفسهم بسواري المسجد وحلفوا ألاّ يحلَّهم إلا رسول الله، فلما أنزل الله هذه الآية أطلقهم رسول الله ﷺ وعفا عنهم. والاعتراف بالذنب والشعور بوطأته دليل حياة القلب وحساسيته. ومن ثمَّ، فالتوبة مرجُوَّة القبول: عسى الله أن يتوب عليهم. والمغفرة منتظرة: إنّ الله غفور رحيم... ﴿**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها**﴾: إنّ هذا الأمر بأخذ الصدقة من بعض أموال المسلمين لدليل على صدق الإيمان، ودليل على إخلاص العمل بالتوبة والرجوع إلى الملك الديّان. وهذه الصدقة سواء كانت واجبة أو مستحبة يأخذها الرسول منهم ليطهرهم بها من دنس الشح.

وليزكيهم بها زيادة في هذا الربح... ﴿**وصلّ عليهم إن صلواتك سكن لهم**

والله سميع عليم﴾: إنّ دُعَاءَ الرسول لهم مما يزيدهم طهارة وسموّاً وطمأنينة وسكناً وراحة من القلق والحيرة التي يحس بها المنافقون في أعماق نفوسهم. وتوكيداً لهذه المعاني يعقب باستفهام تقريري يصل القلوب التائبة بالله، ويوثق الصلة بين المنفقِين وبين الله: **﴿ألم يعلموا أنّ الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأنّ الله هو التواب الرحيم﴾**: فالله هو يقبل التوبة، والله هو يأخذ الصدقة، فأية طمأنينة، وأية صلة؟. إنّ الصدقات لا يأخذها الفقراء، إنّما يأخذها الله!. فمن أسعد ممن يقرض الله؟. ومن أكثر طمأنينة ممن يتقبل الله عطاءه؟. ألا فليعلموا هذا، وليعلموا معه أنّ الله هو التواب الرحيم... **﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾**: هذه الآية جاءت بأمر الرسول بأن يحرض المؤمنين على دوام العمل، فهو مناط الحكم وعليه يكون الجزاء، ذلك أنّ الإسلام دين حَياة إيجابية فاعلة، لا تكفي فيه المشاعر والنوايا إذا لم تتحوّل إلى حركة في واقع الحياة.

وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون... **﴿وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم والله عليم حكيم﴾**: هؤلاء هم القسم الأخير من المتخلفين عن غزوة تبوك - غير المنافقين المعتذرين والمخطئين المعترفين - هذا القسم الأخير لم يكن حتى نزول هذه الآية قد بُتَّ في أمرهم بشيء، وكان أمرهم موكولاً إلى الله، لم يُعلم بعدُ للناس؛ فإما توبة ومغفرة، وإما مؤاخذة وعقوبة. والله عليم حكيم.

التوجيه الثالث: ﴿الذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنّهم لكاذبون﴾: في هذا التوجيه لفت أنظار المؤمنين إلى ما حصل أخيراً مما فعل المنافقون بعدما فشلت جميع محاولاتهم من محاربة الإسلام جهاراً نهاراً، فأخذوا طريقاً آخر يحاولون فيه الكيد للإسلام من جديد متظاهرين بالإسلام، فبنوا مسجداً مناوئاً للمسجد الذي بناه الرسول والمؤمنون في المدينة، وهو ما تتحدث عنه الآيات هنا، فسمي هذا المسجد مسجد الضرار. ونهى الله رسوله أن يقوم فيه أبداً... **﴿لا تقم فيه أبداً لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطّهّرين﴾**: إنّ المسجد الذي بناه

الرسول والمسلمون من أول يوم من أيام الإسلام الذي جعله المسلمون أول تاريخهم، فاتفق رأيهم أن يكون التاريخ من عام الهجرة؛ لأنّه الوقت الذي عزَّ فيه الإسلام وأمن فيه النبيء ومن معه من المؤمنين، فوافق هذا ظاهر التنزيل، وقد حاول منافقوا هذا العصر أن يغيروا تاريخ الهجرة، فاختار بعضهم وصمم على هذا الاختيار بالفعل، وجعل تاريخ وفاة الرسول هو التاريخ المعمول به عنده، فوافقه عليه عملاؤه ومناصروه في الكفر والنفاق.

واختار بعض آخر من المنافقين، فبنوا أندية وجعلوها خاصة بهم ليضاروا بها مساجد الله، فسميت زوايا الطرق الصوفية، وتعددت بتعدد طرقهم ونِحلِهم. والذي يقرأ القرآن بتمعن وفَهْم دقيق يعلم علم اليقين كل ما يحاول المنافقون من كيد وإضرار وكفر وتفريق بين المؤمنين وإرصاد لمن حارب الله ورسوله من قبل. وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنّهم لكاذبون؛ فليحذر المؤمنون الصادقون من كيد هؤلاء المنافقين الذين يكيدون للإسلام في الخفاء بعدما فشلوا في الظهور وهم على هذا الطريق سائرون!. والقرآن يرسم للمؤمنين قاعدة ثابتة مستمرة يظهر بها القصد الطيب من القصد الخبيث السيّئ... ﴿**أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم**﴾: وهكذا يظهر الفرق واضحاً بين بناءٍ بُنِيَ على تقوى من الله ورضوان، وبين بناء بُني للتفريق والعدوان!، فكانت النتيجة منه الفشل والحرمان، وهذا حكم عام في كل مكان وزمان.

التوجيه الرابع: ﴿**إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم**﴾: في هذا التوجيه النص الذي يكشف عن حقيقة العلاقة التي تربط المؤمنين الصادقين بالله تعالى، وهي حقيقة البيعة التي في أعناقهم طول الحياة. فمن بايع البيعة ووفى بها فهو المؤمن الحق الذي ينطبق عليه معنى لفظ المؤمن وحقيقته، وإلا فهي دعوى تحتاج إلى التصديق والتحقيق. حقيقة هذه البيعَة - أو المبايعة كما سماها الله كرماً منه وفضلاً وسماحة - إنّ الله سبحانه قد استخلص

لنفسه المؤمنين وأموالهم فلم يعد لهم منها شيء؛ لم يعد لهم أن يستبقوا منها بقية لا ينفقونها في سبيل الله، لم يعد لهم خيار في أن يبذلوا أو يمسكوا. كلا!. إنها بيعة كاملة لشاريها أن يتصرف بها كما يفرض وكما يحدد، وليس للبائع فيها من شيء سوى أن يمضي في الطريق المرسوم. لا يتلفت ولا يتخير ولا يناقش ولا يجادل ولا يقول إلا الطاعة والعمل والاستسلام. والثمن، هو الجنة، والطريق هو الجهاد، والنهاية هي النصر أو الاستشهاد.

من بايع على هذا، من أمضى عقد الصفقة، من ارتضى الثمن ووفّى، فهو المؤمن حقاً؛ فالمؤمنون هم الذين اشْتَرَى الله منهم فباعوا. ومن رحمة الله أن جعل للصفقة ثمناً، وإلاّ فهو مالك الأنفس والأموال، وهو واهب الأنفس والأموال، ولكنّه كرَّم هذا الإنسانَ فجعله مريداً؛ وكرّمه فجعل له أن يعقد العقود ويمضيها - حتى مع الله -، وكرمه فقيده بعقوده وعهوده، وجعل وفاءه بها مقياس آدميته الكريمة، كما جعله مناط الحساب والجزاء. وإنّها لبيعة رهيبة - بلا شك - ولكنها في عنق كل مؤمن، لا تسقط عنه إلا بسقوط إيمانه - والعياذ بالله -، فلقد كانت هذه الكلمات تدخل في قلوب مستمعيها الأولين - على عهد الرسول ﷺ فتتحول من فورها إلى واقع من واقع حياتهم، ولم تكن مجرد معان يتملونها بأذهانهم، ويحسّونها مجردة في مشاعرهم. كانوا يتلقونها للعمل المباشر بها، لتحويلها إلى حركة منظورة، لا إلى صورة متأملة. هكذا أدركها الرعيل الأول من المؤمنين السابقين، لقد أخذوها على أنّها صفقة ماضية بين متبايعين؛ انتهى أمرها وأمضى عقدها ولم يعد إلى مردٍّ من سبيل، فالصفقة ماضية لا رجعة فيها ولا نقص لها، ولا تخلف عن إنفاذها. والجنة الموعودة ثمن مقبوض لا موعود؛ أليس الوعد من الله؟ أليس أنّ الله هو المشتري؟ وهو الذي وعد الثمن وعداً قديماً في كل كتبه: وعداً عليه حقّاً في التوراة والإنجيل والقرآن، ومن أوفى بعهده من الله. أجل! ومن أوفى بعهده من الله؟!. إن الجهاد في سبيل الله بيعة معقودة بعنق كل مؤمن، كل مؤمن على الإطلاق منذ كان الرسل، ومنذ كانت الأديان من عند الله. إنّها السنّة الجارية التي لا تستقيم هذه الحياة بدونها. ولا تصلح الحياة بتركها. لابد للخير أن يغالب، ولابد للحق أن يجاهد، ولابد لكلمة الله أن تعلو، وأن تظل في علاء. ومادام في هذه الأرض كفر، ومادام في هذه الأرض شرٌّ، فالجهاد في سبيل الله بيعة معقودة في عنق كل مؤمن لا مناص منها ولا فكاك،

وإلا فليس بالإيمان: ومن مات ولم يغزو ولم يحدث نفسه بغزو ومات على شعبة من شعب النفاق كما قال رسول الله.

فهذا هو البيع الرابح النافع: فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم!. ولكن الجهاد في سبيل الله ليس مجرد اندفاعة إلى القتال، إنّما هو قمة تقوم على قاعدة من الإيمان المتمثل في صفاتٍ وأعمالٍ. والمؤمنون الذين عقد الله معهم البيعة، والذين تنطبق عليهم حقيقة الإيمان وتتمثل فيهم هم قوم تتمثل فيهم صفات أصلية... **﴿التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر. والحافظون لحدود الله﴾**:

الصفة الأولى: التائبون، وهم الذين رجعوا إلى الله مستغفرين عما فرط منهم من كفر أو نفاق أو عصيان أو تقصير.

الصفة الثانية: العابدون، وهم المتوجهون إلى الله بالعبودية الخالصة اعتقاداً وعبادة ومعاملة.

الصفة الثالثة: الحامدون، وهم الذين تنطوي قلوبهم على الاعتراف بنعمة الله دائماً.

الصفة الرابعة: السائحون، وهم الذين تسيح عقولهم في ملك الله، وتنتقل نفوسهم يبتغون من فضل الله، ويجاهدون في سبيل الله، ويطلبون العلم لوجه الله، فهي سياحة شاملة عامة في العقول والنفوس والأجسام.

الصفة الخامسة: الراكعون الساجدون، وهم الذين يقيمون الصلاة، ويقومون بالصلاة كأنّها صفة ثابتة من صفاتهم، وكأن الركوع والسجود طابع مميز لهم بين الناس، فهذه هي صلاة الإسلام التي أمر الله بها جميع الرسل وأتباعهم على الدوام.

الصفة السادسة: الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، وهم الذين يقومون بالدعوة إلى الخير في الأمة، وبالنهي عن الشر حتى لا يستشرى فيها، فينتشر الفساد ويهلك البلاد والعباد.

الصفة السابعة: والحافظون لحدود الله، وهم الذين يقومون بما عليهم من أمر ونهي حتى يكونوا قدوة يُقتدى بهم؛ فيُمتثَلُ أمرُهم بالمعروف ونهيُهم عن المنكر،

حتى لا يتعدى أحد حدود الله، ولا ينتهك أحد حرمات الله، فهذه هي الجماعة المؤمنة التي عقد الله بيعته معها، وهذه هي صفاتها ومميزاتها؛ توبة ترد العبد إلى الله، وعبادة تصله بالله، وحمد لله على نعم الله، وسياحة بالعقل والنفس في ملك الله وفيما ينفع من مطالب الحياة، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر بعد إقامة ما فرض الله، وحفظ لحدود الله بإقامة منهج الله حتى تستقيم الحياة على ما يُرضي الله!. هذه هي الجماعة المؤمنة التي بايعها الله على الجنة، واشترى منها الأنفس والأموال؛ لتمضي مع سنة الله الجارية منذ أن كانت العقائد والأديان؛ قتال في سبيل الله لإعلاء كلمة الله، وقتل لأعداء الله الذين يصرون على أن يُحادوا الله، أو استشهاد في المعركة التي لا تفتر بين الحق والباطل وبين الهدى والضلال حتى يأتي أمر الله...

﴿ما كان للنبيء والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنّهم أصحاب الجحيم﴾: بالأوصاف التي تقدمت ينفصل المؤمنون بها عن المشركين، فلا صلة ولا ترابط بين أهل الجنة وأهل الجحيم. وفي الاستغفار لهؤلاء بقية من تعلق بقرابات الدم؛ فلا ينبغي أن يكون؛ لذلك ما كان للنبيء والذين آمنوا أن يفعلوه. ما كان لهم قطعاً، وليس من شأنهم أصلاً، فهو مَنْفِيٌّ عنهم باعتبار النبيء نبيئاً وباعتبار المؤمن مؤمناً؛ لأنّ النبيء لا يفعل شيئاً من تلقاء نفسه، ولا يقول شيئاً لم يؤذن له في قوله، والمؤمن باعتباره مؤمناً لا يخرج عن منهاج ربه.

إنّ العقيدة هي العروة الكبرى التي تلتقي فيها سائر الأواصر البشرية والعلاقات الإنسانية، فإذا انبتت وشيجة العقيدة انبتت الأواصر الأخرى من أصولها؛ فلا لقاء بعد ذلك في نسب، ولا لقاء بعد ذلك في صهر، ولا لقاء بعد ذلك في قوم، ولا لقاء بعد ذلك في أرض. إمّا إيمان بالله فالوشيجة الكبرى موصولة، والوشائج الأخرى كلها تنبع منها وتلتقي بها، أو لا إيمان، فلا صلة إذنْ يمكن أن تقوم بين إنسان له النعيم وإنسان له الجحيم... **﴿وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إيّاه فلما تبين له أنّه عدو لله تبرأ منه إنّ إبراهيم لأواه حليم﴾**: هذه الآية تتميم لمعنى الآية السابقة، أي: ما كان إبراهيم أن يستغفر للمشركين مثل النبيء ومن معه من المؤمنين، وما كان استغفاره لأبيه إلا في وقت كان يرجو منه

توبته فيه، فقد قال أبو إبراهيم له: واهجرني مليا، ففهم منه أنّه سيتوب من كفره، فلما تبين له أنّه عدو لله تبرأ منه، وعلل هذا بقوله: إنّ إبراهيم لأواه حليم.

وهذه هي طبيعة الرسل. دائماً يتمنون للناس الهداية والإنابة والرجوع إلى الله، ويحسون في قرارة أنفسهم بالضيق والحرج من كفر الناس وضلالهم، فهم دائماً يتلمسون الأعذار للناس لما فيهم من الرأفة والرحمة، ولكن الله يرفع عنهم هذا الحرج ويزيل منهم هذا الضيق بما ينزل عليهم من الوحي ليوضح لهم معالم الطريق: ﴿**وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون إنّ الله بكل شيء عليم إنّ الله له ملك السماوات والأرض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير**﴾: فموقف الرسل وموقف المؤمنين من حولهم لابد أن يكون واضحاً بعد نزول الوحي ببيان الفرق بين الهدى والضلال، وبين المؤمن الصادق وبين الكافر والمنافق، فليس للعواطف مع القرابة أو الصداقة دخْلٌ، وإنّما الأمر لله وحده. وعلى الرسل والمؤمنين أن يكونوا دائماً مع الشرع المنزل عليهم من ربّهم الذي يملك كل شيء ويتصرف في كل شيء، فهو الولي والنصير وحده، وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير.. ﴿**لقد تاب الله على النبيء والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنّه بهم رءوف رحيم**﴾: هذه الآية تُظهر لنا موقفاً من مواقف الرسول ومعه المهاجرون والأنصار الذين بذلوا نفوسهم وأموالهم دون تردد وتمهل واعتذار في كل وقت طُلب منهم هذا البذل.

وخصوصاً في هذا الموقف الحرج في ساعة العسرة التي امتُحِنت فيها النفوسُ حتى كادت تزيغ فيها القلوب لهول ما فوجئوا به من الأمر بالخروج إلى دولة كانت تخاف منها الدول، وإلى أمة تعد في ذاك الوقت من أقوى الأمم. ومع بُعْد الشقة ووعورة الطريق وشدة الحر، وقلة الزاد في وقت كانت فيه المدينة تترقّبُ طيبَ الثمار، وراحة البال تحت ظلال الأشجار؛ فالذين وقفوا مع الرسول هذا الموقف لحقيق بهم أن يظهر الله فضلهم ويعلن على الملإ توبتهم الثابتة المستقرة الدائمة، فلقد أظهروا من الطاعة والشجاعة والشهامة ما جعلهم فوق البشر!.. ﴿**وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجا من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إنّ الله هو التواب**

الرحيم﴾: هؤلاء الثلاثة الذين ذكروا بالخصوص هنا، هم كعب بن مالك من بني سلمة، ومُرارة بن الربيع العَمْري من بني عمر بن عوف، وهلال بن أمية الواقفي من بني واقف.

كلهم من الأنصار تخلفوا عن غزوة تبوك بدون عذر. ولما رجع النبيء ﷺ من غزوة تبوك سألهم عن تخلفهم فلم يكذبوه بالعذر، ولكنهم اعترفوا بذنبهم وحزنوا. ونهى رسول الله الناس عن كلامهم، وأمرهم أن يعتزلوا نساءهم. ثم عفا الله عنهم بعد خمسين ليلة. وقد ذكر المفسرون القصة بالتفصيل حسبما وردت في روايات كتب السيرة وكتب الحديث. والآية وضّحت ما اعترى هؤلاء الثلاثة من الهمّ والغمّ والضيق والحرج، فألحقوا بهذه التوبة الفريق الأول: ثم تاب عليهم ليتوبوا إنّ الله هو التواب الرحيم... **﴿يا أيّها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾**: هذه الآية تقرر مبدأً عاماً وأصلاً من أصول الإسلام جاء تذييلا لما سبقه من الكلام، فهو مشتمل على ذكر قوم اتقوا الله فصدقوا في إيمانهم وجهادهم فرضى الله عنهم، وعلى ذكر قوم كذبوا في ذلك واختلقوا المعاذير وحلفوا كذباً فغضب الله عليهم وعلى ذكر قوم تخلفوا عن الجهاد وصدقوا في الاعتراف بعدم العذر فتاب الله عليهم؛ فلما كان فوز الفائزين في هذه الأحوال كلها هو الصدق لا جرم أمر الله المؤمنين بتقواه وأن يكونوا في زمرة الصادقين، مثل أولئك الصادقين الذين تضمنتهم القصة...

﴿ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنّهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطأون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً إلا كتب لهم به عمل صالح إنّ الله لا يضيع أجر المحسنين. ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون وادياً إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون﴾: الآن وقد انتهى الحديث عن المتخلفين جميعاً بقصة الثلاثة المخلفين، يجيء البيان الشامل الحاسم لواجب أهل المدينة ومن حولهم من الأعراب. ويجيء مع البيان الواجب بيان الجزاء عليه، وهو جزاء سَخِيٌّ كريم. إنّ أهل المدينة هم الذين تبنّوْا هذه العقيدة، فهم أهلها الأقربون، فهُم بها ولها، وهم الذين آووا رسول الله وبايعوه أن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وأموالهم، فليس لهم أن يتخلفوا عن رسول الله، وليس لهم أن يؤثروا نفوسهم عن نفسه.

وحين يخرج الرسول في الحرِّ أو البرْدِ، في الشدة أو الرخاء، على العسر وعلى اليسر. حين يخرج الرسول ليواجه تكاليف الدعوة وأعباءها فلا يحق لأهل المدينة أصحاب الدعوة وحماتها أن يشفقوا على أنفسهم مما يحتمله الرسول، ولقد كان الصحابة - رضوان الله عليهم - يفدون الرسول بأنفسهم. وما كان تخلفُ القلةِ القليلة في تبوك إلا حادثاً نادراً، ومن ثَم كان غريبا، وكان التأديب فيه قاسياً وشاقاً، وما كانت قصة كعب وزميليه إلا نموذجاً للتربية والتأديب الإلهيين للنفوس المستعدّة، وللجماعة كلها من حول أولئك الثلاثة. وقد أفلح الدرس ونجحت التجربة، فقد سجل القرآن لهؤلاء الأبطال نتيجة هذا النضال: ذلك بأنّهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطأون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً إلا كتب لهم به عمل صالح إنّ الله لا يضيع أجر المحسنين. ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون وادياً إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون. من الأحسن أن يترك النص هكذا يَغْمُرُ ضياؤه الجو بما فيه وما عليه وما ينتج منه دون إلقاءِ شيء عليه من تفسير أو تأويل!.

التوجيه الخامس: ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾:
في هذا التوجيه إعلام المؤمنين بشيء خطير قد يكون مثل النفير للجهاد أو أخطر، فقد توزعت مسؤولية المؤمنين إلى نفيرين: نفير الجهاد لحماية المسلمين من الخارج، ونفير التفقه في الدين لحماية المسلمين من الداخل. والآية تدل على وجوب تعميم العلم والتفقه في الدين والاستعداد لتعليمه في مواطن الإقامة وتفقيه الناس فيه على الوجه الذي يصلح به حالهم، ويكونون به هداة لغيرهم. وأن المتخصصين لهذا التفقه بهذه النية لا يقلون في الدرجة عند الله عن المجاهدين بالمال والنفس لإعلاء كلمة الله والدفاع عن الملة والأمة، بل هم أفضل منهم في غير الحال التي يكون فيها الدفاع فرضاً عينيا. والدلائل على هذا كثيرة، فعلم من هذا أنّ النفير إلى الجهاد يكون بمقدار ما يقتضيه حال العدو والمغزو، وأنّ الذين يبقون للتفقه يبقون بأكثر ما يستطاع، وأنّ ذلك سواء؛ فأفاد مجموع الكلامين أنّ النفر للغزو واجب على الكفاية؛ لتحصيل المقصد الشرعي منه، وأنّ تركه متعين على طائفة كافية منهم لتحصيل المقصد الشرعي مما أمروا بالاشتغال به من العلم في وقت اشتغال الطائفة الأخرى بالغزو.

وقد ضبط العلماء حقيقة الفقه بأنّه العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية بالاجتهاد في المعاملات التي تتجدّدُ حسب ظروف الزمان والمكان، أمّا ما يتعلق بالعبادات فقد ضبطوه بما نقلوه عن الرسول معاينة، وقد تفرغ لهذا الأمر فقهاء الصحابة وفقهاء التابعين وفقهاء تابعي التابعين من العلماء المجتهدين الذين بذلوا مجهودات جبارة ظهرت في مؤلفاتهم، وصارت منهجاً يدرس في المساجد والمعاهد، فقضت على محاولات المنحرفين عن منهج الإسلام الصحيح؛ فبهذا التفقه في الدين حصل الحذر المطلوب من انحراف المنافقين الذين اندسّوا بين صفوف المسلمين يدسُّون المبادئ الهدامة التي تفرق بين المسلمين، فظهرت من هؤلاء المندسين الفرق الكثير من خوارج وشيعة ومعتزلة ومتصوفة لعبت دوراً خطيراً في تاريخ الإسلام القديم والحديث؛ فبالتفقه في الدين نقضي على كل هذه البدع والمهاترات التي شوهت نقاوة المبادئ الصحيحة فيتغلب الطيبُ على الخبيث. فنحن اليوم أشد إحساساً بقيمة هذا النفير، وأشد حاجة إلى الطائفة التي تنفر للتفقه في الدين، ثم تعود لتحذر قومها، وتبين لهم كيف يؤدون واجبهم لله، وكيف يتقون غضب الله. . .

﴿يا أيّها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أنّ الله مع المتقين﴾: هذه الآية بينت للمؤمنين كيف يسيرون في القتال، ويديرون خطة المعركة التي سار عليها الرسول حين أنذر قومه أولاً، ثم دعا بقية العرب ثانياً، ثم اتجه إلى من جاور العرب ثالثة، وهي الغزوة التي غزاها أخيراً على أطراف الشام في تبوك. وقد نجحت هذه الخطة على يد الرسول والمؤمنين معه، فكانت هذه الآية كالوصية بالاستمرار على غزو بلاد الكفار المجاورة لبلاد الإسلام، بحيث كلما استقر بلد للإسلام وكانت تجاوره بلاد كفر، كان حقاً على المؤمنين غزو البلاد المجاورة. ولذلك ابتدأ الخلفاء بفتح الشام والعراق وفارس ومصر وأفريقيا إلى الأندلس. وفي توجيه الخطاب للمؤمنين خاصة إيماء إلى أنّهم مسؤولون عن ممارسة القتال وحدهم دون نبيئهم عندما تم دورهُ في تبليغ الرسالة بإكمال الدين وإتمام النعمة بدخول الناس في دين الله أفواجاً، فقوله واعلموا أنّ الله مع المتقين تحريض وتشجيع بأن لا يهنوا ولا يحزنوا بفقد نبيئهم، فالله معهم ماداموا متمسكين بالصبر والتقوى. . .

﴿وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيُّكم زادته هذه إيماناً فأمّا الذين آمنوا

فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون وأمّا الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون﴾: هذه الآيات آخر ما نزل في المنافقين وتأثير نزول القرآن فيهم وفي المؤمنين ومن قام الدليل على اليأس من إيمانهم بإخبار الله بموتهم على الكفر. إنّ هذه الآية وما بعدها توضح موقف المنافقين من القرآن، فحين ما تنزل سورة من سوره يتساءلون فيما بينهم: أيّكم زادته هذه إيماناً؟!.. فأمّا الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون. وأمّا الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون: وهكذا يظهر الفرق واضحاً بين موقف المؤمنين من القرآن كلما نزلت سورة منه زادتهم إيماناً واستبشروا بها فيما بينهم، وبين موقف المنافقين منه كلما أنزلت سورة منه تساءلوا وقال بعضهم لبعض، وهو تساؤل مُرِيب فيه الاستهزاء وفيه التطاول والتظاهر على المسلمين، فزادتهم رجساً جديداً إلى رجسهم القديم واستمر مرضهم الخطير حتى ماتوا على الكفر...

﴿أولا يرون أنّهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون﴾: إنّ المنافقين يرون انتصار الرسول في غزواته وهم معه يَوَدُّونَ انْهِزَامهُ وكانوا متربصين به الدوائر في كل غزوة يكونون فيها أو يسمعون عنها؛ فيزداد النصر للرسول، ويزداد المنافقون همّاً وغمّاً. وقد تعددت عليهم المصائبُ والفِتَن، والذي يتتبع أحوالهم من أول غزوة في بدر، ثم فعلوا فعلتهم في أُحد، ثم محاولتهم مع اليهود في المدينة، ثم اضطرابهم وإعلان سخطهم في قولهم: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، ثم موقفهم يوم الأحزاب وما قالوا وما فعلوا، ثم في الأخير في غزوة تبوك التي فضحت حالهم وأظهرت ما فعلوا وما قالوا وما كمن في نفوسهم من كفر ونفاق، ثم بعد هذا كله لا يتوبون ولا هم يذكرون، فهل بعد هذا من برهان على انطفاء نور الفطرة والاستعداد للإيمان أقوى من هذا؟.

إن كان وراءه برهان أقوى منه فهو أنّهم يفرون من العلاج الذي من شأنه أن يشفيهم من مرض قلوبهم وهو ما أكد به ما قبله بقوله: **﴿وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض﴾**، فهذه الآية زادت الدليل وضوحاً على رسوخهم في الكفر وعدم الطمع في رجوعهم عنه، بإثباتها أنّهم يكرهون سماع القرآن من الرسول؛

وهو أشد تأثيراً من سماعه من غيره في الهداية: نظر بعضهم إلى بعض: **﴿هل يراكم من أحد؟! . ثم انصرفوا﴾** عن مجلس الرسول دون فائدة تعود عليهم؛ لأنّهم لم يريدوا الاستفادة وإنّما قصدهم التشكيك في الدعوة في مجلس الرسول أو خارجه، كما حكى عنهم في سورة المائدة: «وإذا جاءوكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله أعلم بما كانوا يكتمون». **﴿صرف الله قلوبهم بأنّهم قوم لا يفقهون﴾**: هذا هو السبب في بقائهم على الكفر والنفاق؛ ذلك بأنّهم اتخذوا أنفسهم أعداءً وخصوماً للرسول، فوطنوا أنفسهم على الإعراض عن كل ما جاء به من غير بحث ولا تأمل فيه: أمعقول أم غير معقول؟ أحق أم باطل؟ أخير أم شر؟ أهدى أم ضلال؟ أنافع أم ضار؟. فأنّى يرجى لهم وهذه حالهم أن يهتدوا بتعدد نزول السور وما فيها من الآيات البينات على صدق دعوة الإسلام.

وأول ما ظهر النفاق في يهود أهل المدينة عندما شعروا بعجزهم وعدم مقاومتهم للإسلام بالقوة، فأعلن بعضهم الإسلام، وتسلل البعض الآخر إلى إيقاد العداوة والبغضاء على الإسلام بين قبائل العرب، فوجدوا الفرصة سانحة في بعضهم حيث انتشر النفاق بين العرب في المدينة وفي الأعراب كما أفصحت عنه الآيات السابقة، وما تحدثت عنه آيات في سورة أخرى، فاستمر النفاق في أطوار مختلفة بين ظهور وكمون وحركة وسكون حتى وصل إلى آخر المطاف في هذه السورة حيث أظهرت حقيقته وأشعرت المؤمنين خطورته، فأمرت المؤمنين أن يتفقهوا في الدين ليكونوا من أهل النفاق حذرين.

فقد استمر النفاق مندسّاً بين صفوف المسلمين، وسار معهم على مر السنين، فهو يستتر عندما يكون المسلمون مستيقظين، ويظهر عند الغفلة وضعف اليقين. . فقد تحقق عند أهل العلم من المسلمين أن قوماً من الفرس واليهود وغيرهم لما رأوا الإسلام قد أظهره الله على الدين كله، وعمَّ أهلَ الأرض مشرقاً ومغرباً، ودوخ الدول عجماً وعرباً، وأذل من ناواه وأعزّ مَنْ والاه، فرأى هؤلاء أنّه لا سبيل إلى مناصبته بالكفاح والسلاح، رَجَعُوا بالحيلة والمكيدة؛ فأظهروا الإسلام من غير رغبة فيه وأخذوا أنفسهم بالتعبد والتقشف إظهاراً للصلاح، فلما حمد الناس طريقتهم وغرتهم ما ظهر منهم عندما أَتْقَنُوا خطّتَهم، فولّدوا الأحاديث، ودبّجوا المقالات، وأظهروا البدع والخرافات، وفرّقوا الناس فرقاً وجماعات، «كل

حزب بما لديهم فرحون»، «إنّ الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء إنّما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون»!.

وهكذا استمر حال النفاق، فقد ظهر في التشيع باختلاف نحله، وظهر في الاستشراق في العصور الحديثة متظاهرين بالبحث الدقيق ومثله، فاتفق أعداء الإسلام جميعاً من مختلف الكفر وملله، فوضعوا نظاماً تعليميّاً وتربوياً عملياً، فأظهروا عصبيتهم الدينية والقومية بارتباط منافعهم الاجتماعية والسياسية، فلقنهم رؤساؤهم أنّه يوجد دين اسمه الإسلام بني أساسه على عداوتكم لذاتكم، فيجب عليكم أن لا تنظروا فيه إلا أن يكون للبحث عن مطعن ولو متكلّف تلمزونه به: ولا تفكروا في شيء من حال أهله في دينهم ودنياهم إلا للعداوة والتحقير لهم، وتدبير المكايد للعدوان عليهم. وإذا ظهر لكم شيء حسن من دينهم فوجهوا كل قواكم العقلية وبلاغتكم الكلامية إلى تشويهه وذمه والصد عنه. وقد ظهر هذا واضحاً في هذا العصر عندما ضعف المسلمون بفقد الخلافة القائمة على الحكم، وفقه الدين القائم على البحث ودقة العلم، وانسياق المسلمين إلى الدنيا بدون دين ولا فهم؛ فظهرت المذاهب الهدامة للعقل والجسم، وتعلق المسلمون بخرافات من الجهالة والوهم، فوجد المبشرون والمستشرقون ودعاة الإلحاد وسماسرة الفسوق فرصة في تضليل المسلم عن دينه القيّم. ولقد ظهرت في هذا العصر مذكرات ومقالات تدل على أنّها كانت وراء جماعات تعمل لهدم الإسلام بادعاء خدمة الإسلام بتجديده وفتح الطريق له على أن يسير بسيرة المتحضرين المتمدّنين، ويعني بها قائلها حضارة الدول التي ظهرت في هذا العصر، وهما دولتان: دولة الإلحاد والشرك وعبادة أوثان المال والشيطان، ودولة النفاق المتمسكة بدين الكنيسة المتمثلة في البابا المهيمن الآن على أكثر الأمم بالقوة والسلطان!.

التوجيه السادس: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم. فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم﴾: في هذا التوجيه تذكير العرب بمنة الله عليهم حيث بعث فيهم رسولاً من أنفسهم، وهو محمد ﷺ فذكرهم أولاً بالتنويه بصفاته الجامعة للكمال، ومن أخصها حرصه على هداهم، ورغبته في إيمانهم ودخولهم في جامعة الإسلام ليكون رءوفاً رحيماً بهم. وهذا من مظاهر الرحمة التي جعلها

الله تعالى مقارنة لبعثة رسوله بقوله: وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين؛ بحيث جاء في هاتين الآيتين بما شأنه أن يزيل الحرج من قلوب الفرق التي نزلت فيهم آيات الشدة وعوملوا بالغلظة تعقيباً للشدة بالرفق، وللغلظة بالرحمة. وكذلك عادة القرآن. فقد انفتح بهاتين الآيتين بابُ حظيرة الإيمان ليدخلها من وفقه الله إليها. وفي هذا امتنان على العرب وتنبيه على فضيلتهم، وفيه أيضاً تعريضٌ بتحريضهم على اتباعه وترك مناواته، وأنّ الأجدر بهم الافتخار به والالتفاف حوله، كما قال تعالى في ذكر القرآن وتذكيرهم به: «وإنّه لذكر لك ولقومك وسوف تُسْألون».

وفي هاتين الآيتين إشعار بالإبداع والإعذار للناس، وتنبيه إلى المبادرة باغتنام وجود الرسول بين أظهرهم ليتشرّفوا بالإيمان به وهم يشاهدونه ويقبسون من أنوار هديه؛ لأنّ الاهتداء بمشاهدته والتلقي منه أرجى لحصول كمال الإيمان، والانتفاع بقليل من الزمان لتحصيل وافر الخير الذي لا يحصل مثله في أضعاف ذلك الزمان. فبهاتين الآيتين ظهرت مزايا العرب واضحة وأنّهم أهل لحمل هذه الرسالة إلى جميع الناس؛ فالعرب آمنوا بدعوة الإسلام مباشرة، والعجم آمنوا بدعوة العرب وما شاهدوا من عدلهم وفضائلهم، فالعرب لهم الفضل في انتشار الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها بما لهم من نقاوة الأصل خصوصاً قريشاً التي هي من نسل إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام؛ فبيان فضل العرب على سائر الأمم الذي أعدهم به الله لبعثة سيد البشر من العرب والعجم، بالدين العام الباقي هو أن جميع الشعوب من غير العرب قد فسدت فغرتها الإنسانية وعقائدها الدينية بفساد رؤساء الدين والدنيا فيها، وبتعاون الفريقين على استعبادها واستذلالها لهما، وتسخيرها لتوفير لذاتهما، وتشييد صروح عظمتهما، بسلب حريتهم العقلية بالتقاليد الدينية التي يفرض عليهم الكهنة والأحبارُ والقسوس الخضوع لها بدون أن يكون لهم أدنى رأي أو اختيار أو فَهْم فيها؛ وسلب حرية إرادتهم في حياتهم الشخصية والاجتماعية بما يضع لهم الملوك والحكام من القوانين والنظم الإدارية والعسكرية الاستبدادية، وبتحكمهم فيهم بدون قانون ولا نظام أيضاً؛ فجميع الأمم والشعوب كانت مرهقة مستعبدة في دينها ودنياها إلا العرب ولا سيما عرب الحجاز، فلم يكن عندهم رياسة حكم استبدادية تَسْتَذِلُّهم وتفسد بأسهم وتقهر إرادتهم على ما لا يريدون، ولا رياسة دينية تقهرهم على اتباع تقاليد تعبدية لا يعقلونها؛ بل كانوا على أتم الحرية العقلية واستقلال الإرادة في دينهم ودنياهم، وفي أعلى ذروة من

عزة النفس وشدّة البأس، فبحرية عقولهم كانوا على أتم الاستعداد لِفَهْمِ دينِ العقل والفطرة، وباستقلال إرادتهم كانوا على أكمل الاستعداد للنهوض بما اعتقدوا حقيته وصلاحه وخيريته ولإقامته في قومهم ونشره في غيرهم، والدفاع عنه باختيارهم وتصرفهم في كل ذلك بمقتضى الوازع النفسي دون تحكم رئيس ديني ولا دنيوي؛ فبهذا وقعت مسؤولية الدعوة على العرب عندما التقى أهل مكة بأهل المدينة لا يجمع بينهم إلاّ الدين الجديد، فكان أروع منظر لسلطان الدين شهده التاريخ. ففي هذه السورة وسورة الأنفال قبلها مشهد رائع لموقف المؤمنين مع أعدائهم من المشركين وأهل الكتاب والمنافقين، ففي أول غزوة وقعت بين الشرك والتوحيد انتصر المسلمون على قلتهم وضعفهم - على أعدائهم المشركين على كثرتهم وقوتهم -؛ كما تحدثت عنها سورة الأنفال، وفي سورة الأنفال توجيهات ومطالب وتحذيرات من الوقوع في الفتن والمصائب، وفي النهاية ذكّرت العرب بأنّهم أصحاب رحم واحدة فلا بد لهم من التَّبَرُّءِ من المشركين حتى لا يكون فيهم من ليس منهم.

وقد كان هذا في أول سورة براءة، ثم سارت شوطاً بعيداً مع المشركين المعاهدين ومع أهل الكتاب المنحرفين، ثم في النهاية مع أهل النفاق والشقاق، حتى وصَل بهم الحال إلى ترك المقاومة الظاهرة، فاندسوا بين صفوف المسلمين حتى تسنح لهم الفرصة في أي دور من أدوار المؤامرة، ثم في نهاية هذه السورة يأتي التحذير من هذا الدور الخطير: فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلاّ هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم: بهذا التعقيب يظهر دور العرب في تاريخ الإسلام، فمن استغنى عن دين الإسلام من شعوب العالم العربي وحكوماته، وولى وجهه شطر الغرب، أو أيام العرب الأولى - عصر الجاهلية -، أو استلهم قوانين حياته أو سياسته من شرائع الغرب ودساتيره، أو أسس حياته على العنصرية أو العروبة التي لا شأن لها بالإسلام، ولم يرض برسول الله قائداً ورائداً وإماماً وقدوة فليرد على محمد ﷺ نعمته ويرجع إلى جاهليته الأولى حيث الحكم الروماني والإيراني، وحيث الاستعباد والاستبداد، وحيث الظلم والاضطهاد، وحيث الجهل والضلالة، وحيث الغفلة والبطالة، وحيث العزلة عن العالم، والخمول والجمود، فإن هذا التاريخ المجيد، وهذه الحضارة الزاهية، وهذا الأدب الزاخر الذي قاد العالم مدة طويلة ما هو إلا حسنة من حسنات محمد - عليه

الصلاة والسلام -، فالإسلام هو قومية العالم العربي، ومحمد ﷺ هو روح العالم العربي وإمامه وقائده. والإيمان هو قوة العالم العربي التي حارب بها العالم البشري كله فانتصر عليه، وهو قوته وسلاحه اليوم كما كان بالأمس، به يقهر أعداءه ويحفظ كيانه ويؤدي رسالته. إنّ العالم العربي لا يستطيع أن يحارب الصهيونية أو الشيوعية أو عدواً آخر بالمال الذي يأخذه مستجدياً لأعدائه من دول الغرب أو الشرق، أو تعطيه مقابل ما تأخذه من أرضه من الذهب الأسود، إنّما يحارب عدوه بالإيمان والقوة المعنوية وبالروح التي حارب بها الدولة الرومانية والامبراطورية الفارسية في ساعة واحدة فانتصر عليهما جميعا.

إنّه لا يستطيع أن يحارب أعداءه بقلب يحب الحياة ويكره الموت، وبِجِسْم يميل إلى الدعة والراحة، وعقل يخامره الشك وتتنازع فيه الأفكار والأهواء، أو بيدٍ مضطربة وقلب متشكك ضعيف الإيمان، وقوة متخاذلة في الميدان!. وهذا التعقيب النهائي يعطينا معنى التحذير الذي سبق في قوله تعالى: «ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون». إنّ أخوف ما يخاف على أمة، ويعرضها لكل خطر ويجعلها فريسة للمنافقين ولعبة للعابثين هو فقدان الوعي في هذه الأمة، وافتتانها بكل دعوة، واندفاعها إلى كل موْجةٍ، وخضوعها لكل متسلط، وسكوتها على كل فظيعة، وتحملها لكل ضيم.

وأن لا تعقل الأمور ولا تضعها في مواضعها، ولا تميز بين الصديق والعدو وبين الناصح والغاش، وأن تلدغ من جحر مرة بعد مرة، ولا تنصحها الحوادث، ولا تروعها التجارب، ولا تنتفع بالكوارث، ولا تزال تولي قيادتها من جربت عليه الغش والخديعة والخيانة والأثرة والأنانية، ولا تزال تضع ثقتها فيه وتمكنه من نفسها وأموالها وأعراضها ومفاتيح ملكها، وتنسى سريعاً ما لاقت على يده من الخسائر والنكبات؛ فيجترئ بذلك السياسيون المحترفون، والقادة الخائنون، ويأمنون سخط الأمة ومحاسبتها، ويتمادون في غيهم، ويسترسلون في خيانتهم وعبثهم ثِقَةً ببلاهة الأمة وسذاجة الشعب وفقدان الوعي. إنّ الشعوب الإسلامية والبلاد العربية - مع الأسف - ضعيفة الوعي - إذا تحرّجنا أن نقول: فاقدة الوعي - فهي لا تعرف صديقها من عدوها، ولاتزال تعاملهما معاملة سواء، أو تعامل العدو أحسن مما تعامل الصديق الناصح، وقد يكون الصديق في تعب وجهاد معها

طول حياته بخلاف العدو، فلا تزال تلدغ من جحر واحد ألف مرة ولا تَعْتَبِرُ بالحوادث والتجارب، وهي ضعيفة الذاكرة سريعة النسيان، تنسى ماضي الزعماء والقادة، وتنسى الحوادث القريبة والبعيدة، وهي ضعيفة في الوعي الديني والوعي الاجتماعي، وأضعف في الوعي السياسي، وذلك ما جرَّ عليها وَيْلاً عظيماً وشَقَاءً كبيراً، وسلط عليها القيادة الزائفة وفضحها في كل معركة!. هذا هو سر هذه الخاتمة لهذه السورة التي بيّنت الوضع العربي تحت ضوء أنوارها اللامعة. وبعد هذا، فالإسلام معالمه قائمة، وتوجيهاته دائمة مادام هذا الكتاب موجوداً يتلى بين المؤمن والكافر، يسمعه كل كافر مجاهر ومنافق محاذر؛ لأنّ ربَّه الذي أنزله تعهد بحفظه ونشره في العالم ليكون حجة على الناس جميعاً، ولا عذر لأحدٍ في التولي والإعراض عنه: فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم!. وهنا ينتهي بنا المقال من توجيهات سورة التوبة وسورة الأنفال؛ فموضوعهما موضوع واحد وأغراضهما متحدة على هدف واحد، ولهذا جعلتهما في جزء واحد. وكان الفراغ من تلخيص آخره في يوم السبت آخر يوم من أيام شهر ذي الحجة من عام 1408 من الهجرة. وبالله التوفيق.

1 ـ توجيه القرآن إلى الناس في كل مكان



النص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ الْكِتَٰبِ الْحَكِيمِ ﴿1﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْۗ قَالَ الْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿2﴾ * إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِۖ يُدَبِّرُ الْأَمْرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿3﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًاۖ وَعْدَ اللَّهِ حَقًّاۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ بِالْقِسْطِۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿4﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَآءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَۚ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّۚ نُفَصِّلُ الْأٓيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿5﴾

إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿6﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿7﴾ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿8﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿9﴾ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿10﴾

البيان

مبحث المفردات اللغويّة

﴿**ألر**﴾: ثلاثة حروف من حروف التهجي المعروفة. ﴿**تلك**﴾: اسم إشارة للمؤنث، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب. ﴿**آيات**﴾: جمع آية، وهي القطعة من القرآن مميزة في البداية والنهاية. ﴿**الكتاب**﴾: القرآن. ﴿**الحكيم**﴾: وصف للكتاب بمعنى الحاكم على الكتب بتمييز صحيحها من محرّفها، وبمعنى محكم، وبمعنى ذي الحكمة لاشتماله على الحكمة والحق والحقائق العالية... ﴿**أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم**﴾: الهمزة للاستفهام المستعملة للإنكار، وكان بمعنى حدث. والناس البشر. والعجب الأمر المستغرب. والوحي الإعلام بالأمر الخفي. رجل ذكر من بني آدم... ﴿**أن أنذر الناس**﴾: الإنذار التحذير من الأمر الخطير... ﴿**وبشر الذين آمنوا**﴾: التبشير الإعلام بما يكون في المستقبل من الخير... ﴿**أنّ لهم قدم صدق عند ربهم**﴾: القدم اسم لما تقدم وسلف.

والصدق هنا الخير، وأصل الصدق مطابقة الخبر للواقع، والمعنى هنا: أن

لهم سالف خير عند ربهم، وهو الثواب المعد للمؤمنين عند الله في الجنة. . . ﴿**قال الكافرون إنّ هذا لسحر مبين**﴾: الإشارة إلى الكتاب المتقدم ذكره لما فيه من الإنذار والتبشير، وهو الوحي المنزل على محمد ﷺ. والسحر تخييل ما ليس لكائن كائنا. والمبين اسم فاعل من أبان؛ فبان بمعنى ظهر، وأبان بمعنى أظهر. . . ﴿**إنّ ربّكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش**﴾: تقدم معنى هذه الجملة في سورة الأعراف. . . يدبّر الأمر: التدبير النظر في عواقب الأمور المقدرة وعوائقها لقصد إيقاعها تامة فيما تقصد له محمودة العاقبة. والأمر جنس يعم جميع الشؤون والأحوال فى العالم. . . ﴿**ما من شفيع إلا من بعد إذنه**﴾: الشفيع صاحب الشفاعة، وهو من يتدخل فيمن يهمه أمره لإنقاذه من المضار، ومن يتوسط ليفيد من يريد إفادته، والمشركون كانوا يعتقدون شفاعة آلهتهم؛ فنفاها هنا على هذا الوجه، وأثبتها على وجه رضا الله وقبوله. . . ﴿**ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون**﴾: ذلكم إشارة إلى المعلوم بتلك العظمة. الله ذو الجلال. ربكم ذو الرحمة والإحسان. فاعبدوه: فى الألوهية والربوبية، لا إله ولا ربَّ سواه.

أفلا تذكرون: أتعلمون أنّ الأمر كما فُصِّلَ فلا تتذكرون ذلك حتى تقفوا على فساد ما أنتم عليه، فترتدعوا عنه. . . ﴿**إليه مرجعكم جميعاً وعد الله حقّاً**﴾: المرجع: مصدر ميمي بمعنى الرجوع. والمراد به الرجوع بالبعث يوم القيامة مجتمعين. والوعد: الحق الذي لا يتخلف. . . ﴿**إنه يبدأ الخلق ثم يعيده**﴾: بدء الخلق نشأته الأولى. وإعادته نشأته الثانية. . . ﴿**ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط**﴾: بالعدل المساوي للعمل الصالح والإيمان. . . ﴿**والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون**﴾: الشراب: ما يجرع من المائعات. والحميم: الشراب الحار. والأليم: شديد الألم، وهذا الشراب وهذا العذاب بسبب كفرهم. . . ﴿**هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نوراً**﴾: الجعل هنا بمعنى الإنشاء والإبداع. والضياء مصدر كقيام، أو جمع ضوء كسياط، والضياء النور الساطع القوي المنبعث من ذات الشيء؛ فضياء الشمس منبعث من ذات الشمس، ونور القمر مستفاد من ضياء الشمس. . . ﴿**وقدره منازل**﴾: تقدير منازل القمر جعله في كل ليلة في مكان يراه الرائي فيه على حسب حجم النور الذي ينعكس منه؛ فمنازله هى ليالي الشهر من كونه هلالاً، ثم يكون بدراً، ثم

يعود هلالاً. . . «والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم» **﴿لتعلموا عدد السنين والحساب﴾**: بمعرفة منازل القمر تعرف عدد السنين؛ فللقمر دورة كاملة حول الأرض في مدة لا تزيد على الثلاثين ولا تنقص عن تسع وعشرين، وهو الشهر القمري عند العرب، والسنة اثنا عشر شهراً كما تقدم في سورة التوبة، وبمعرفة السنين يعرف الحساب؛ فاليوم يعرف بالشمس، والشهر يعرف بالقمر، والعام يعرف بتمام اثني عشر شهراً، والأعوام تعرف بالحساب. . . **﴿ما خلق الله ذلك إلاّ بالحق نفصّل الآيات لقوم يعلمون﴾**: الحق هنا: مقابل للباطل، فهو بمعنى الحكمة والفائدة. والتفصيل: التبيين. والآيات: الدلائل، وهذه الدلائل يطلع عليها العالِمون أهل العقول. . . **﴿إنّ في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السماوات والأرض لآيات لقوم يتقون﴾**: اختلاف الليل والنهار: تفاوتهما طولاً وقصراً حسب الزمان، وتقابلها حسب المكان؛ فهذا الاختلاف بين الليل والنهار، وهذه الأصناف المتعددة في السماوات والأرض لدلائل عظيمة تدعو إلى النظر والتدبّر والاعتبار والعظة والاستبصار. . . **﴿إنّ الذين لا يرجون لقاءنا﴾**: لا يظنون ولا يتوقعون لقاء الله يوم القيامة ليجازيهم بما عملوا. . .

﴿ورضوا بالحياة الدنيا﴾: تعلّقوا بالدنيا تعلق المحب بمحبوبه. . . **﴿واطمأنوا بها﴾**: سكنوا إليها وصرفوا هممهم في تحصيل منافعها. . . **﴿والذين هم عن آياتنا غافلون﴾**: المراد بالغفلة هنا: إهمال النظر في الآيات أصلاً. . . **﴿أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون﴾**: الإشارة إلى ما ذكر قبلُ، والمأوى: المسكن والمقر الدائم، وهو النار بدل ما اطمأنوا إليه من متاع الدنيا الذي زال لزوالها، فهو المأوى الذي عملوا من أجله. . . **﴿إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم﴾**: الإيمان الحاصل في القلب هو سبب الهداية، والهداية ينبعث عنها العمل الصالح. . . **﴿تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم﴾**: جنات النعيم فيها منازل، والمنازل تجري تحتها الأنهار. . . **﴿دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام﴾**: الدعوى هنا: الدعاء. وسبحان: مصدر بمعنى التسبيح. واللهم: نداء لله تعالى. والتحية: كلمة تقال عند اللقاء، يقصد بها التكريم. والسلام هنا: السلامة من كل مكروه. . . **﴿وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين﴾**: هذا تعبير عن الرضا الكامل حيث وصلوا إلى دار السلامة في الحياة الدائمة والنعيم المقيم.

مبحث الإعراب

﴿**ألر**﴾ لا محل لها من الإعراب. ﴿**تلك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**آيات**﴾. خبر المبتدإ. ﴿**الكتاب**﴾ مضاف إلى آيات. ﴿**الحكيم**﴾ نعت للكتاب. ﴿**أكان**﴾ الهمزة للاستفهام. ﴿**للناس**﴾ متعلق بكان. ﴿**عجباً**﴾ خبر كان. ﴿**أن أوحينا**﴾ فعل وفاعل دخلت عليه أن المصدرية. ﴿**إلى رجل**﴾ متعلق بأوحينا. ﴿**منهم**﴾ متعلق بمحذوف نعت لرجل، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مرفوع اسم كان مؤخر. ﴿**أن**﴾ حرف تفسير. ﴿**أنذر**﴾ فعل أمر. ﴿**الناس**﴾ مفعول به، والجملة مفسرة لا محل لها من الإعراب. ﴿**وبشر**﴾ معطوف على أنذر. ﴿**الذين**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**آمنوا**﴾ فعل وفاعل صلة الذين. ﴿**أنّ**﴾ حرف توكيد ونصب. ﴿**لهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر أنّ مقدم. ﴿**قدم**﴾ اسمها مؤخر. ﴿**صدق**﴾ مضاف إلى قدم، وأنّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بحرف مقدر متعلق ببشر. ﴿**عند**﴾ متعلق بمحذوف نعت لقدم. ﴿**ربّهم**﴾ مضاف إلى عند. ﴿**قال الكافرون**﴾ فعل وفاعل.

﴿**إنّ هذا**﴾ إنّ واسمها. ﴿**لسحر**﴾ خبر إنّ دخل عليه لام التوكيد. ﴿**مبين**﴾ نعت لسحر، وجملة إنّ هذا في محل نصب مقول القول. ﴿**إنّ ربّكم**﴾ إنّ واسمها. ﴿**الله**﴾ خبرها. ﴿**الذي**﴾ في محل رفع نعت لله. ﴿**خلق**﴾ فاعله هو يعود على الله، والجملة صلة الذي. ﴿**السماوات**﴾ مفعول به منصوب بالكسرة. ﴿**والأرض**﴾ معطوف على السماوات. ﴿**في ستة**﴾ متعلق بخلق. ﴿**أيام**﴾ مضاف إلى ستة. ﴿**ثم استوى**﴾ معطوف على خلق. ﴿**على العرش**﴾ متعلق باستوى. ﴿**يدبّر**﴾ فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة في محل نصب حال من الضمير المرفوع في استوى. ﴿**الأمر**﴾ مفعول به. ﴿**ما**﴾ حرف نفي. ﴿**من شفيع**﴾ مجرور لفظاً مرفوع محلاً؛ لأنه اسم ما. ﴿**إلاّ**﴾ أداة استثناء مفرغ. ﴿**من بعد**﴾ متعلق بفعل مقدر، والتقدير: ما من شفيع يشفع لأحد في وقت من الأوقات إلاّ من بعد إذنه. ﴿**إذنه**﴾ مضاف إلى بعد، وجملة ما من شفيع إعرابها مثل إعراب يدبر الأمر. ﴿**ذلكم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**الله**﴾ خبره. ﴿**ربكم**﴾ خبر ثان. ﴿**فاعبدوه**﴾ فعل أمر لجميع الناس دخل عليه حرف التفريع. ﴿**أفلا تذكرون**﴾ الهمزة للاستفهام، والفاء للعطف على فعل مقدر، ولا للنفي، تذكرون فعل

وفاعل. ﴿**إليه**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**مرجعكم**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**جميعاً**﴾ حال من ضمير المخاطبين، وجملة إليه مرجعكم تعليلية لا محل لها من الإعراب. ﴿**وعد**﴾ مفعول مطلق. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى وعد. ﴿**حقاً**﴾ مفعول مطلق مؤكد لما قبله. ﴿**إنّه**﴾ إنّ واسمها. ﴿**يبدأ**﴾ فعل مضارع، والفاعل ضمير يعود على الله، والجملة في محل رفع خبر إنّ. ﴿**الخلق**﴾ مفعول به. ﴿**ثم يعيده**﴾ معطوف على يبدأ الخلق. ﴿**ليجزي**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**الذين**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**آمنوا**﴾ صلة الذين. ﴿**وعملوا**﴾ معطوف على آمنوا. ﴿**الصالحات**﴾ مفعول به منصوب بالكسرة. ﴿**بالقسط**﴾ متعلق بيجزي، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بلام التعليل متعلق بقوله: ثم يعيده، وتقدير الكلام: ثم يعيد الخلق يوم القيامة لجزاء الذين آمنوا. . . إلخ.

﴿**والذين**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**كفروا**﴾ صلة الذين. ﴿**لهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**شراب**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**من حميم**﴾ متعلق بمحذوف نعت لشراب، وجملة لهم شراب من حميم في محل رفع خبر الذين كفروا. ﴿**وعذاب**﴾ معطوف على شراب. ﴿**أليم**﴾ نعت لعذاب، وجملة والذين كفروا معطوف على قوله: ليجزي؛ فهو عطف استئناف. ﴿**بما**﴾ متعلق بفعل مقدر مناسب للمقام. ﴿**كانوا**﴾ كان واسمها. ﴿**يكفرون**﴾ فعل وفاعل، والجملة في محل نصب خبر كان، وجملة كانوا يكفرون صلة ما لا محل لها من الإعراب. ﴿**هو**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**الذي**﴾ في محل رفع خبر. ﴿**جعل**﴾ فاعله ضمير يعود على الذي، والجملة صلة الموصول. ﴿**الشمس**﴾ مفعول به. ﴿**ضياء**﴾ حال من الشمس. ﴿**والقمر**﴾ معطوف على الشمس. ﴿**نوراً**﴾ حال من القمر. ﴿**وقدّره**﴾ الضمير يعود على القمر. ﴿**منازل**﴾ حال من الضمير. ﴿**لتعلموا**﴾ اللام داخلة على مصدر مجرور متعلق بقدر، وتقدير الكلام: قدّر القمر منازل لعلمكم. ﴿**عدد**﴾ مفعول به. ﴿**السنين**﴾ مضاف الى عدد منصوب بالياء؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم. ﴿**والحساب**﴾ معطوف على عدد. ﴿**ما**﴾ نافية. ﴿**خلق الله ذلك**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**إلاّ بالحق**﴾ متعلق بخلق. ﴿**نفصّل**﴾ الفاعل نحن. ﴿**الآيات**﴾ مفعول به. ﴿**لقوم**﴾ متعلق بنفصل. ﴿**يعلمون**﴾ فعل وفاعل، والجملة في محل جر نعت لقوم. ﴿**إنّ في اختلاف**﴾ الجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر إنّ مقدم.

﴿**الليل**﴾ مضاف إلى اختلاف. ﴿**والنهار**﴾ معطوف على الليل. ﴿**وما**﴾ في محل جر معطوف على اختلاف. ﴿**خلق الله**﴾ فعل وفاعل، والجملة صلة ما. ﴿**في السماوات**﴾ متعلق بخلق. ﴿**والأرض**﴾ معطوف على السماوات. ﴿**لآيات**﴾ إسم إنّ، واللام لتوكيد الكلام. ﴿**لقوم**﴾ متعلق بآيات. ﴿**يتقون**﴾ فعل وفاعل، والجملة في محل جر نعت لقوم. ﴿**إنّ الذين**﴾ إنّ واسمها. ﴿**لا يرجون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي، والجملة صلة الذين. ﴿**لقاءنا**﴾ مفعول به. ﴿**ورضوا**﴾ فعل وفاعل معطوف على قوله: لا يرجون. ﴿**بالحياة**﴾ متعلق برضوا. ﴿**الدنيا**﴾ نعت للحياة مجرور بكسرة مقدرة على الألف. ﴿**واطمأنوا**﴾ معطوف على رضوا. ﴿**بها**﴾ متعلق باطمأنوا. ﴿**والذين**﴾ معطوف على الذين السابقة. ﴿**هم**﴾ مبتدأ. ﴿**عن آياتنا**﴾ متعلق بالخبر الآتي. ﴿**غافلون**﴾ خبر المبتدإ، والجملة صلة الذين. ﴿**أولئك**﴾ مبتدأ أول. ﴿**مأواهم**﴾ مبتدأ ثان. ﴿**النار**﴾ خبر المبتدإ الثاني، والمبتدأ الثانى وخبره خبر المبتدإ الأول، وجملة أولئك مأواهم النار في محل رفع خبر إنّ. ﴿**بما**﴾ متعلق بمأواهم. ﴿**كانوا**﴾ كان واسمها. ﴿**يكسبون**﴾ فعل وفاعل، والجملة في محل نصب خبر كان، وجملة كانوا يكسبون صلة ما. ﴿**إنّ الذين**﴾ إنّ واسمها. ﴿**آمنوا**﴾ صلة الذين. ﴿**وعملوا**﴾ معطوف على آمنوا. ﴿**الصالحات**﴾ مفعول به. ﴿**يهديهم**﴾ فعل مضارع، والضمير المتصل به مفعول. ﴿**ربّهم**﴾ فاعل يهدي. ﴿**بإيمانهم**﴾ متعلق بيهدي. ﴿**تجري**﴾ فعل مضارع. ﴿**من تحتهم**﴾ متعلق بتجري. ﴿**الأنهار**﴾ فاعل تجري، وجملة تجري خبر ثان. ﴿**في جنات**﴾ متعلق بمحذوف خبر ثالث. ﴿**النعيم**﴾ مضاف إلى جنات. ﴿**دعواهم**﴾ مبتدأ مرفوع بضمة مقدرة على الألف. ﴿**فيها**﴾ متعلق بدعواهم. ﴿**سبحانك اللهم**﴾ مقول لقول مقدر، خبر دعواهم مرفوع بضمة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة الحكاية. ﴿**وتحيتهم**﴾ معطوف على المبتدإ. ﴿**فيها**﴾ متعلق بتحيتهم. ﴿**سلام**﴾ خبر. ﴿**وآخر**﴾ مبتدأ. ﴿**دعواهم**﴾ مضاف إليه. ﴿**أن**﴾ تفسيرية. ﴿**الحمد**﴾ مبتدأ. ﴿**لله**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. ﴿**رب**﴾ نعت لله. ﴿**العالمين**﴾ مضاف إلى رب، وجملة أن الحمد لله تفسيرية، والجملة معطوفة على قوله: سبحانك اللهم.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**ألر**﴾: بدئت السورة بذكر بعض الحروف التي يتركب منها كلام العرب للتحدي والتعجيز، وقد سبق الكلام على هذه الحروف في أول سورة البقرة. . . ﴿**تلك آيات الكتاب الحكيم**﴾: الإشارة إلى ما تضمنته هذه الحروف من آيات بينات في هذا الكتاب الحكيم، فهذا الكتاب مكتوب بهذه الحروف التي يعرفها العرب ويؤلفون منها كلامهم؛ فليس بغريب أن يجيء هذا الكتاب على يد رجل من العرب ينذرهم به ويحذرهم من التكذيب به. . . ﴿**أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس**﴾!. واختيار وصف الحكيم من بين أوصاف الكمال الثابتة للقرآن؛ لأن لهذا الوصف مزيد اختصاص بمقام إظهار الإعجاز من جهة المعنى بعد إظهار الإعجاز من جهة اللفظ بقوله: ألر تلك آيات الكتاب الحكيم، ولما اشتملت عليه السورة من براهين التوحيد وإبطال الشرك. وقوله: أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم مستأنف استئنافاً ابتدائياً؛ لأنه مبدأ الغرض الذي جاءت من أجله هذه السورة، وهو الاستدلال على صدق الرسول وإثبات البعث؛ فالهمزة للاستفهام المستعمل في الإنكار. وفائدة إدخال الاستفهام الإنكاري على كان دون أن يقال: أعجب الناس؟ هي الدلالة على التعجيب من تعجبهم المراد به إحالة الوحي إلى البشر، والمعنى: أحدث وتقرر فيهم التعجب من وحينا؛ لأن فعل الكون يشعر بالاستقرار والتمكن، فإذا عبر به أشعر بأنّ هذا غير متوقع حصوله. وللناس متعلق بكان لزيادة الدلالة على استقرار هذا التعجب فيهم؛ لأن أصل اللام أن تفيد الملك، ويستعار ذلك للتمكن. وعجباً خبر كان مقدم على اسمها للاهتمام به؛ لأنه محل الإنكار. وأن أوحينا اسم كان، وجيء فيه بأن والفعل دون المصدر الصريح وهو وحينا؛ ليتوسل إلى ما يفيده الفعل من التجدد وصيغة المضي من الاستقرار تحقيقاً لوقوع الوحي المتعجب منه وتجدده. وذلك ما يزيدهم كمداً. وأن في قوله: أن أنذر الناس تفسيرية لفعل أوحينا؛ لأن الوحي فيه معنى القول؛ فإنذار الناس تحذيرهم من الوقوع في الكفر، فلذلك عطف عليه تبشير المؤمنين بقوله. . . ﴿**وبشّر الذين آمنوا أنّ لهم قدم صدق عند ربهم**﴾: المراد بقدم صدق في الآية قدم خير.

وإضافة قدم إلى صدق من إضافة الموصوف إلى الصفة، ووصفه بالمصدر

للمبالغة في تحققه وثباته. وأكد ذلك بقوله: عند ربهم. . . ﴿**قال الكافرون إن هذا لسحر مبين**﴾: هذه الجملة بدل اشتمال من جملة أكان للناس. . . إلخ، ووجه هذا الإبدال أن قولهم هذا ينبئ عن بلوغ التعجب من دعوى الوحي والرسالة من نفوسهم مزيد الإحالة والتكذيب حتى صاروا إلى القول: إن هذا لسحر مبين؛ فاسم الإشارة راجع الى ما تضمنته جملة أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا، وهذا اعتراف من حيث لا يشعرون بأن ما عاينوه خارج عن طوق البشر، ولكنهم سموه بما قالوا تمادياً في العناد. . . ﴿**إنّ ربّكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر**﴾: كلام مستأنف سيق لإظهار بطلان تعجبهم المذكور، وما بنوا عليه من المقالة غير الإشارة إليه بالإنكار والتعجيب، وحقق فيه حقية ما تعجبوا منه وصحة ما أنكروه بالتنبيه الإجمالي على بعض ما يدل عليها من شؤون الخلق والتقدير، وأحوال التكوين والتدبير، ويرشدهم إلى معرفتها بأدنى تذكير، لاعترافهم به في غير تكبر. وفي إجراء هذه الصفات على الله تعالى تعريض بالرد على المشركين؛ إذ جعلوا لأنفسهم آلهة لا تخلق ولا تعلم؛ فلذلك حسن وقع جملة ﴿**ما من شفيع إلا من بعد إذنه**﴾ عقب جملة الذي خلق بتمامها؛ لأن المشركين جعلوا آلهتهم شفعاء، فإذا أنذروا بغضب الله يقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله؛ فبعد أن وصف الإله الحق بما هو منتف عن آلهتهم نفى عن آلهتهم وصف الشفاعة عند الله، وأكد النفي بمن التي تقع بعد حرف النفي لتأكيد النفي وانتفاء الوصف عن جميع أفراد الجنس الذي دخلت من على اسمه، بحيث لم تبق لآلهتهم خصوصية. وزيادة إلا من بعد إذنه احتراس لإثبات شفاعة محمد ﷺ بإذن الله. وجملة: ﴿**ذلكم الله ربكم**﴾ ابتدائية، فذلكة للجمل التي قبلها ونتيجة لها. والإتيان في صدرها باسم الإشارة لتمييزه أكمل تمييز، وللتنبيه على أن المشار إليه حقيق بما سيذكر بعد اسم الإشارة. وفرع على كونه ربهم أن أمروا بعبادته بقوله: ﴿**فاعبدوه**﴾. وجملة ﴿**أفلا تذكرون**﴾ ابتدائية للتقريع، وهو غرض جديد فلذلك لم تعطف؛ فالاستفهام إنكار لانتفاء تذكرهم إذ أشركوا معه غيره.

والتذكر التأمل، وهو بهذه الصيغة لا يطلق إلا على ذكر العقل لمعقولاته. . . ﴿**إليه مرجعكم جميعاً وعد الله حقاً**﴾: هذه الجملة دليل على وجوب عبادته، وهي بمنزلة النتيجة الناشئة عن إثبات خلقه. وفي تقديم المجرور إفادة القصر؛ فإذا

كان الرجوع إليه لا إلى غيره كان حقيقاً بالعبادة، وكانت عبادة غيره باطلا. وفي هذه الجملة عدة توكيدات. وجملة ﴿**إنّه يبدأ الخلق**﴾ واقعة موقع الدليل على وقوع البعث وإمكانه، بأنه قد ابتدأ الخلق، وثبوت إمكانه يدفع تكذيب المشركين به؛ فإذا ثبت الابتداء بالعيان، فلتكن الإعادة بالبرهان: ﴿**ثم يعيده**﴾؛ فالتعليل بقوله: ﴿**ليجزي الذين آمنوا...**﴾ إلخ إبداء لحكمة البعث. وقدم جزاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات لشرفه ولياقته بذلك العاتم. والباء في ﴿**بالقسط**﴾ صالحة لإفادة معنى التعدية لفعل الجزاء، ومعنى العوض؛ فالإجمال هنا بين معنى الباء، مفيد لتعظيم شأن جزاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات، مع الإشارة إلى أنّه جزاء مماثل لصالح أعمالهم... ﴿**والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون**﴾: الجملة استئناف بياني لإعلام السامع ما جزاء الذين كفروا. وتغيير الأسلوب للإيذان بكمال استحقاقهم للعقاب، وأنّ التعذيب بمعزل عن الانتظام في سلك العلة الغائية للخلق بدءً وإعادة. وإنما يحيق ذلك بالكفرة على موجب سوء اختيارهم، وأما المقصود الأصلي من ذلك فهو الإثابة؛ فلأجل هذا خولف الأسلوب في ذكر جزاء الذين كفروا، فجاء صريحاً بما يعم أحوال العذاب بقوله: لهم شراب من حميم وعذاب أليم. وخص الشراب من الحميم بالذكر من بين أنواع العذاب الأليم؛ لأنه أكره أنواع العذاب في مألوف النفوس... ﴿**هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب**﴾: هذا استدلال آخر على انفراد الله تعالى بالتصرف في المخلوقات، فهذا الدليل قد تضمن أشياء يأخذ المخاطبون بحظ عظيم من التمتع بها، وهو خلق الشمس والقمر على صورتهما، وتقدير تنقلاتهما تقديراً مضبوطا، ألهم الله البشر للانتفاع به في شؤون كثيرة من شؤون حياتهم، وقد ألهمنا الله بعلة تقديره القمر منازل بأنها معرفة الناس عدد السنين والحساب.

وجملة ﴿**ما خلق الله ذلك إلا بالحق**﴾ مستأنفة كالنتيجة للجملة السابقة كلها؛ ففيه تنبيه إلى ما في ذلك من الحكمة ليستدل بذلك على أن خالقهما فاعل مختار حكيم، فلذلك أعقب هذا التنبيه بجملة ﴿**نفصل الآيات لقوم يعلمون**﴾، فهذه الجملة مستأنفة ابتدائية مسوقة للامتنان بالنعمة، ولتسجيل المؤاخذة على الذين لم يهتدوا بهذه الدلائل إلى ما تحتوي عليه من البيان، والإتيان بالفعل المضارع لإفادة التكرار. وجعل التفصيل لأجل قوم يعلمون لما يؤذن به المضارع من تجدد العلم،

وإنما يتجدد لمن هو ديدنه ودأبه؛ فإن العلماء أهل العقول الراجحة هم أهل الانتفاع بالأدلة والبراهين. . . **﴿إنّ في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السماوات والأرض لآيات لقوم يتقون﴾**: استدلال آخر على انفراد الله تعالى بالخلق والتقدير، وهو استدلال بأحوال الضوء والظلمة وتعاقب الليل والنهار، وفي ذلك عبرة عظيمة. وتأكيد هذا الاستدلال بحرف أنّ لأجل تنزيل المخاطبين الذين لم يهتدوا بتلك الدلائل إلى التوحيد منزلة من ينكر أن في ذلك آيات على الوحدانية بعدم جريهم على موجب العلم. وجعلت الآيات هنا لقوم يتقون؛ لأن السياق هنا تعريض بالمشركين؛ فالمتقون هم المتصفون باتقاء ما يوقع في الخسران فيبعثهم على تطلب أسباب النجاح، فيتوجه الفكر إلى النظر والاستدلال بالدلائل. . . **﴿إنّ الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون﴾**: هذا استئناف وعيد للذين لم يؤمنوا ولا فكروا في الحياة الآخرة ولم ينظروا في الآيات نشأ عن الاستدلال على ما كفروا به من ذلك جمعاً بين الاستدلال المناسب لأهل العقول وبين الوعيد المناسب للمعرضين عن الحق، إشارة إلى أنّ هؤلاء لا تنفعهم الأدلة وإنما ينتفع بها الذين يعلمون ويتقون، وأما هؤلاء فهم سادرون في غلوائهم حتى يلاقوا العذاب. وإذ قد تقرر الرجوع إليه للجزاء تأتّى الوعيد لمنكري البعث الذين لا يرجون لقاء ربهم والمصير إليه، ولوقوع هذه الجملة موقع الوعيد الصالح لأن يعلمه الناس كلهم مؤمنهم وكافرهم، عدل فيها عن طريقة الخطاب بالضمير إلى طريقة الإظهار.

وجيء بالموصولية للإيماء إلى أنّ العلة علة في حصول الخبر، وقد جعل عنوان الذين لا يرجون لقاءنا علامة عليهم، فهم لا يؤمنون بالبعث لما هم فيه مما ينافيه! . . **﴿إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربّهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين﴾**: جاءت هذه الآية مستأنفة استئنافاً بيانياً لتكون أحوال المؤمنين مستقلة بالذكر غير تابعة في اللفظ لأحوال الكافرين، وهذا من طرق الاهتمام بالخبر. ومناسبة ذكرها مقابلة أحوال الذين يكذبون بلقاء الله بأضدادها تنويهاً بأهلها وإغاضة للكافرين. وتعريف المسند إليه بالموصولية هنا دون اللام للإيماء بالموصول إلى علة بناء الخبر، وهي أن إيمانهم وعملهم هو سبب

حصول مضمون الخبر لهم. والباء في بإيمانهم للسببية، فهذا الإيمان والعمل الصالح في الدنيا نتج عنه الخير الكثير في العقبى، بحيث لم يبق لهم مطلب يرجونه سوى التسبيح والتسليم والتحميد: دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين.

خلاصة المعنى العام وما فيه من التوجيهات والأحكام

التوجيه الأول: ﴿**ألر. تلك آيات الكتاب الحكيم**﴾: بدئت هذه السورة بثلاثة حروف من حروف الهجاء التي يكوّن العرب منها كلامهم كما بدئت سورة البقرة وآل عمران والأعراف، وكلها تشير بهذه الحروف إلى الكتاب المنزل على الرسول محمد - عليه الصلاة والسلام -. وهذه السورة تسمى سورة يونس؛ لأنها ذكر فيها قوم يونس كما يأتي في آخرها. وهذه سورة مكية؛ لأنها تتكلم على صحة ما جاء به الرسول من أصول الدين وقواعد التوحيد. وآياتها مائة وتسع آيات.

ومناسبتها لما قبلها أن دعوتها شملت الناس جميعاً بعدما كانت سورة التوبة تتحدث مع المعاصرين للدعوة من العرب وأهل الكتاب من مؤمنين وكافرين ومنافقين؛ فالغرض من هذه السورة إثبات رسالة محمد بدلالة عجز الناس من العرب أولاً عن معارضة القرآن دلالة نبّه عليها بأسلوب تعريضي دقيق بني على الكتابة بتهجية الحروف المقطعة في أول السورة كما تقدم في مفتتح سورة البقرة، فلذلك أتبعت تلك الحروف بقوله تعالى: تلك آيات الكتاب الحكيم؛ إشارة إلى أنّ اعجازه لهم هو الدليل على أنّه من عند الله. وأتبع بإثبات الرسالة وإبطال إحالة المشركين أن يرسل الله رسولاً بشراً. والخطاب في قوله: تلك موجّه إلى المخاطب الأول بهذا الكتاب، وهو الرسول محمد ﷺ، ثم يتوجه الخطاب إلى كل من يسمع هذا الخطاب. فالمقصود من الإشارة الحث على النظر في آيات هذا الكتاب ليتبين للناس أنّه من عند الله، فيعلموا صدق من جاءهم به؛ ليقتنعوا فيذعنوا ويؤمنوا الإيمان الصادق الناشئ عن البرهان القاطع... ﴿**أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس**﴾: هذا إنكار ورد وتعجيب من تعجبهم وإنكارهم على الوحي إلى رجل من البشر لينذر الناس مغبة الكفر والضلال والعناد والفسوق فلا يصح التعجب ولا معنى لإنكار هذا الوحي؛ فرسول البشر لا يمكن أن يكون من غير البشر.

وطبيعة الرسالة تخويف الناس وتحذيرهم، وترغيب الناس وتبشيرهم؛ فالإنذار للكافرين والتبشير للمؤمنين... ﴿**وبشر الذين آمنوا أنّ لهم قدم صدق عند ربهم**﴾: فالقدم الصدق الإيمان الصادق الناشئ عن الفطرة البشرية السليمة التي فطر الله الناس عليها... ﴿**قال الكافرون إنّ هذا لسحر مبين**﴾: الكافرون الذين انحرفوا عن الفطرة السليمة التي تقود الإنسان إلى ما فيه نفعه وصلاحه، واتبعوا أهواءهم وشهواتهم؛ فانتكست فطرتهم وانحرفت طبيعتهم، فقالوا عن الحق الواضح الذي جاء به الكتاب الحكيم: إنّ هذا لسحر مبين!.

التوجيه الثاني: ﴿**إنّ ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر**﴾: في هذا التوجيه لفت نظر المخاطبين إلى الدليل القاطع على تفرّد الله بالخلق؛ فأخبرهم أنّ ربّهم هو الله الذي خلق السماوات والأرض وما فيها وعليها وما يحيط بها من خَلْقٍ وحُكْمٍ وأَمْر، فليس لهم ربٌّ غير الله؛ لأنه المتصرف في الملك والملكوت. فيما يراه الناس وما لا يراه الناس، فهو الذي استوى على العرش، وهو الذي يدبر الأمر «ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين...» ﴿**ما من شفيع إلا من بعد إذنه**﴾: فالأمر كله له، والحكم كله إليه، وما من شفعاء يقُربون إلى الله زلفى!، وما من شفيع من خلقه إلاّ حيث يأذن له بالشفاعة وفقاً لتدبيره وتقديره.

واستحقاق الشفاعة بالإيمان والعمل الصالح، لا بمجرد التوسل بالشفعاء... ﴿**ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون**﴾: ذلكم الله الخالق المدبّر الحاكم الذي لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه؛ فهو الخليق بالربوبية، وهو الذي يستحق العبادة دون سواه؛ فالأمر من الثبوت والوضوح بحيث لا يحتاج إلاّ لمجرد التذكر لهذه الحقيقة المعروفة... فاعبدوه ولا تشركوا به شيئا: فإن مرجعكم إليه وحسابكم عليه... ﴿**إليه مرجعكم جميعا**﴾: إليه وحده لا للشركاء والشفعاء... ﴿**وعد الله حقا**﴾: قد وعد فلا خلف ولا تخلف... ﴿**إنه يبدأ الخلق ثم يعيده**﴾: دليل قاطع على الوعد... ﴿**ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط**﴾: فالعدل في الجزاء غاية من غايات الخلق والإعادة، والنعيم بلا منغصات وبدون عقابيل تعقب اللذة غاية كذلك؛ لأنها قمة الكمال البشري التي يمكن أن تصل إليها البشرية.

والبشرية لا تصل إلى شيء من هذا في هذه الأرض، وفي هذه الحياة الدنيا المشوبة بالقلق والكدر، والتي لا تخلو فيها لذّة من غصة، ولو لم يكن في هذه

الحياة الدنيا إلا الشعور بنهاية نعيمها، لكان هذا وحْدَه ناقصاً منها وحائلاً دون كمالها؛ فالبشرية لا تصل في هذه إلى أعلى الدرجات المقدرة لها، وهي التخلص من النقص والضعف ومعقباتها، والاستمتاع بلا كدر ولا خوف من الفوت، ولا قلق من الانتهاء. وهذا كله تبلغه في الجنة كما وصف القرآن نعيمها الحسّي والمعنوي. فلا جرم يكون من غاية الخلق والإعادة إبلاغ المهتدين من البشرية الذين اتبعوا سنة الحياة الصحيحة وناموس الحياة القويم الى أعلى مراتب البشرية. فأما الذين كفروا فقد خالفوا الناموس، وانحرفوا عن الفطرة السليمة، فلم يسيروا في طريق الكمال البشري، بل جانبوه، وهذا يقتضي - حسب السنة التي لا تتخلف - أن لا يصلوا إلى مرتبة الكمال؛ لأنهم جانبوا قانون الكمال، وأن يلقوا عاقبة انحرافهم كما يلقى المريض عاقبة انحرافه عن قوانين الصحة الجسدية؛ هذا يلقاه مرضاً، وأولئك يلقونه تردياً وانتكاساً وغصصاً بلا لذائذ، في مقابل اللذائذ بلا غصص؛ فهو شراب ساخن وعذاب أليم بما كانوا يكفرون. وبعد هذه اللفتة من آيات الله في خلق السماوات والأرض إلى عبادة الله وحده الذي إليه المرجع وعنده الجزاء، يعود السياق إلى الآيات الكونية التالية في وجودها وضخامتها للسماوات والأرض. . .

﴿**هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلاّ بالحق نفصل الآيات لقوم يعلمون**﴾: فهذان مشهدان بارزان من مشاهد الكون ننساهما لطول الألفة، ونفقد وقعهما في القلب بطول التكرار. هذان مشهدان مألوفان مكروران يردّنا القرآن إليهما لِيُثِيرَ في مشاعرنا وهْلَة الجدة، وليحيي في قلوبنا إحساس التطلع الحي، والتأمل الذي لم يبلّده التكرار، والتيقظ لما في خلقهما وطبيعة تكوينهما من التدبير المحكم: الذي جعل الشمس ضياءً فيه اشتعال، والقمر نوراً فيه إنارة، وقدره منازل ينزل في كل ليلة منزلاً يكون فيه على هيئة خاصة كما هو مشهود في القمر بدون حاجة إلى علوم فلكية لا يدركها إلا المتخصصون؛ لتعلموا عدد السنين والحساب. وما تزال المواقيت والمواعيد تضبط بالشمس والقمر لكافة الناس. هل هذا كله عبث؟ هل هذا كله باطل؟ هل هذا كله مصادفة؟. كلا ما يكون كل هذا النظام، وكل هذا التناسق، وكل هذه الدقة التي لا تتخلف معها حركة. ما يكون هذا كله عبثاً ولا باطلاً ولا مصادفة عابرة. . .

ما خلق الله ذلك إلا بالحق: الحق قوامه، والحق أدلته، والحق غايته، والحق ثبات راجح راسخ. وهذه الدلائل التي تشهد به واضحة قائمة دائمة. نفصل الآيات لقوم يعلمون: فالمشاهد التي تعرض هنا في حاجة إلى العلم لإدراك التدبير الكامن وراء المشاهد والمناظر. ومِنْ خلق السماوات والأرض، ومِنْ جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً وتقديره منازل تنشأ ظاهرة الليل والنهار، وهي ظاهرة موحية لمن يفتح قلبه لإيحاء المشاهد والظواهر في هذا الكون العجيب. . . **﴿إنّ في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السماوات والأرض لآيات لقوم يتقون﴾**: واختلاف الليل والنهار تعاقبهما، ويشمل كذلك اختلافهما طولاً وقصراً، وكلتاهما ظاهرتان مشهودتان، ذهبت ألفة المشاهدة بجدة وقعهما في الحس، إلاّ في اللحظات التي تستيقظ فيها النفس، وينتفض فيها الوجدان للمطالع والمغارب، فيقف في الشروق وفي الغروب وقفة الإنسان الجديد في هذا الكون، يتطلع إلى كل ظاهرة جديدة فيه بعين مفتوحة وحس مستجيب، وهي اللحظات التي يحياها الإنسان حياة كاملة حقيقية، وينفض فيها التيبس الذي خلفته الألفة في أجهزة الاستقبال والاستجابة. ولو وقف الإنسان لحظة واحدة يرقب ما خلق الله في السماوات والأرض ويستعرض هذا الحشد الذي لا يحصى من الأنواع والأجناس والهيآت والأحوال والأوضاع والأشكال، لو وقف لحظة واحدة لامتلأ وطابه وفاض بما يغنيه حياته كلها، ويشغله بالتدبر والتفكر والتأثر ما عاش؛ فإن في ذلك كله لآيات لقوم يتقون.

التوجيه الثالث: ﴿إنّ الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون﴾: في هذا التوجيه عرض لحال الذين لا يتدبرون النظام الكوني الموحي بأنّ لهذا الكون خالقاً مدبراً، ولا يدركون أنّ الآخرة ضرورة من ضرورات هذا النظام، يتم فيها تحقيق القسط والعدل، كما يتم فيها إبلاغ البشرية إلى آفاقها العليا، ومن ثَم فهم لا يتوقعون لقاء الله، ونتيجة لهذا القصور يقفون عند الحياة الدنيا، بما فيها من نقص وهبوط، ويرضونها ويستغرقون فيها، فلا ينكرون فيها نقصاً، ولا يدركون أنّها لا تصلح أن تكون نهاية للبشر، وهم يغادرونها لم يستوفوا كل جزائهم على ما عملوا من خير أو اجترحوا من شر، ولم يبلغوا الكمال الذي تهيئهم له بشريتهم. والوقوف عند حدود الدنيا وارتضاؤها يظل يهبط بأصحابه ثم يهبط؛ لأنهم لا

يرفعون رؤوسهم إلى قمة، ولا يتطلعون بأبصارهم إلى أفق، إنما يخفضون رؤوسهم وأبصارهم إلى هذه الأرض وما فيها من قاذورات، غافلين عن آيات الله الكونية التي توقظ القلب وترفع الحس وتحفز إلى التطلع والكمال. . . أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون!. وفي الضفة الأخرى الذين آمنوا وعملوا الصالحات؛ آمنوا فأدركوا أنّ هناك ما هو أعلى من هذه الحياة الدنيا، وعملوا الصالحات بمقتضى هذا الإيمان، تحقيقاً لأمر الله بعمل الصالحات، وانتظاراً للآخرة الطيبة وطريقها هو الصالحات، هؤلاء يهديهم ربّهم بإيمانهم، يهديهم إلى الصالحات بسبب هذا الإيمان الذي يصل ما بينهم وبين الله، ويفتح بصائرهم على استقامة الطريق، ويهديهم إلى الخير بوحي من حساسية الضمير وتقواه؛ فهؤلاء يدخلون الجنة، تجري من تحتهم الأنهار. فما همومهم في هذه الجنة، وما هي شواغلهم، وما هي دعواهم التي يحبون تحقيقها؟.

إنّ همومهم ليست مالاً ولا جاهاً، وإنّ شواغلهم ليست دفع أذى أو تحصيل مصلحة، لقد كفوا شر ذلك كله، ولقد اكتفوا فما لهم من حاجة من تلك الحاجات، ولقد استغنوا بما وهبهم الله، ولقد ارتفعوا عن مثل هذه الشواغل والهموم. إنّ أقصى ما يشغلهم حتى ليوصف بأنّه دعواهم هو تسبيح الله أولاً، وحمده آخراً، يتخلل هذا وذاك تحيات بينهم وبين أنفسهم؛ وبينهم وبين ملائكة الرحمن. إنّه الانطلاق من هموم الحياة الدنيا وشواغلها؛ والارتفاع عن ضروراتها ومطالبها والرفرفة في آفاق الرضا والتسبيح والحمد والسلام؛ فتلك الآفاق اللائقة بكمال الإنسان. . . **﴿إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين﴾**!.

2 ـ موقف الناس من الرسول وترددهم بين الرفض والقبول

النص

وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ (11) وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (12) وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ ۙ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ (13) ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (14) وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (15) قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (16) فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ

إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿17﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ
مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ
قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ
سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿18﴾* وَمَا كَانَ
ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ
يَخْتَلِفُونَ ﴿19﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ
فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿20﴾
وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم
مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ
مَا تَمْكُرُونَ ﴿21﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ
فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ
عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ
أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ
هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿22﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ
فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم مَّتَٰعَ
ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿23﴾
إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ

ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ
زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ
أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ
كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿24﴾ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟
إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿25﴾
* لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ
وَلَا ذِلَّةٌ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿26﴾ وَٱلَّذِينَ
كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ
مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ
قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿27﴾
وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ
وَشُرَكَآؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا
تَعْبُدُونَ ﴿28﴾ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا
عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿29﴾ هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ
وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿30﴾
قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ
وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ
ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿31﴾ فَذَٰلِكُمُ

ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿32﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿33﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿34﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿35﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿36﴾

البيان

مبحث المفردات اللغوية

﴿**ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي إليهم أجلهم**﴾: تعجيل الشيء: تقديمه على أوانه المضروب أو المقدر له أو الموعود به، والاستعجال به: طلب التعجيل. وقضاء الأجل: انتهاء مدته، ومعناه هنا استئصالهم وهلاكهم؛ لأنهم يتعجلون العذاب المحدد بأجل معلوم... ﴿**فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون**﴾: نترك المنكرين للبعث في ضلالهم استدراجاً لهم؛ فالطغيان: مجاوزة الحد في الشر من كفرٍ وظلمٍ وعدوانٍ. والعمه: التردد والتحير في الأمر... ﴿**وإذا مسَّ الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً**﴾: المسّ: الإصابة الحقيقية. والانسان: مراد به الكافر. والضر: أشد المصائب. دعانا: ملحاً في طلبه؛ مضطجعاً لجنبه، أو قاعداً في مكانه، أو قائماً على قدميه حائراً في أمره... ﴿**فلما كشفنا عنه ضره مرَّ كأن لم يدعنا إلى ضر مسه**﴾: الكشف هنا:

الإزالة. مرَّ: مضى واستمر على طريقته التي كان عليها قبل مساس الضر، كأنه لم يكن به شيء مما حصل له... ﴿**كذلك زيّنَ للمسرفين**﴾: كذلك: مثل ذلك التزيين العجيب. زين للمسرفين: الذين أسرفوا إسرافاً ظاهراً، والإسراف: صرف ما ينفع فيما لا ينفع، والمراد به هنا: الإفراط والإكثار في شيء غير محمود... ﴿**ما كانوا يعملون**﴾: إنَّ شأن الأعمال الذميمة إذا تكررت تحسن في أعين أصحابها.

يقضى على المرء في أيام محنته حتى يرى حسناً ما ليس بالحسن

﴿**ولقد أهلكنا**﴾: الإهلاك: الاستئصال والإفناء... ﴿**القرون**﴾: جمع قرن، وهو الجيل من الناس، ويطلق على الزمن الطويل، وفي العرف السارى الآن مائة عام، والمراد بالقرون هنا: الأجيال الماضية قبل نزول القرآن، بدليل قوله: ﴿**من قبلكم... لما ظلموا**﴾: حينما ظلموا بالشرك وردُّوا دعوة الرسل... ﴿**وجاءتهم رسلهم بالبينات**﴾: بالحجة القاطعة التي تظهر وتبين للناس ما خفي عنهم وما يطلب منهم... ﴿**وما كانوا ليؤمنوا**﴾: وما صح لهم الإيمان لفساد استعدادهم... ﴿**كذلك**﴾: مثل ما سبقها... ﴿**نجزي القوم المجرمين**﴾: الذين ظهرت فيهم الجريمة حتى صارت من مقومات حياتهم... ﴿**ثم جعلناكم**﴾: صيرناكم... ﴿**خلائف**﴾: جمع خليفة، وهو من يأتي خلف من تقدمه، وقد تكرر في القرآن كثيراً... ﴿**في الأرض**﴾: بلاد العرب التي كان فيها عاد وثمود ومدين... ﴿**من بعدهم**﴾: الذين أهلكهم الله... ﴿**لننظر**﴾: النظر هنا مستعمل في العلم المحقق... ﴿**كيف تعملون**﴾: لنعلم جواب كيف تعملون؟.. ﴿**وإذا تتلى عليهم**﴾: التلاوة ترديد القراءة ليسمعوها فيفهموها... ﴿**آياتنا**﴾: آيات القرآن المنزل من عند الله... ﴿**بينات**﴾: تبين المعنى وتوضح المراد... ﴿**قال الذين لا يرجون لقاءنا**﴾: هم العرب الذين عارضوا دعوة الرسول في مكة.. ﴿**ائت بقرآن غير هذا**﴾: ائت بكتاب آخر غير هذا الكتاب... ﴿**أو بدله**﴾: غيّر ترتيبه، بأن تجعله متمشياً حسبما نريد منك... ﴿**قل ما يكون لي**﴾: ما يصح لي...

﴿**أن أبدله**﴾: أغير لفظه ولا ترتيب آياته ولا تأويل معناه... ﴿**من تلقاء نفسي**﴾: من جهة نفسي؛ لأنني مبلغ لا متصرف... ﴿**إن أتبع إلاّ ما يوحى إليّ**﴾: ما أتبع إلاّ الوحي ليس لي تصرف بتغيير... ﴿**إني أخاف إن عصيت**

﴿ربي﴾: بالإتيان بقرآن آخر أو تبديله من تلقاء نفسي... **﴿عذاب يوم عظيم﴾**: عذاب يوم القيامة... **﴿قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به﴾**: لو شاء الله أن لا آتيكم بهذا القرآن لما أرسلني به، ولا أعلمكم أنتم بهذا، ولبقيت على الحالة التي كنت عليها من أول عمري... **﴿فقد لبثت فيكم عمراً من قبله﴾**: فقد أقمت فيما بينكم دهراً طويلاً مديداً مقدار أربعين سنة من قبل نزول القرآن عليّ... **﴿أفلا تعقلون﴾**: ألا تلاحظون ذلك فلا تعقلون امتناع صدوره عن مثلي، ووجوب كونه منزلاً من عند الله... **﴿فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾**: لا أحد أظلم ممن اختلق على الله كذباً... **﴿أو كذَّب بآياته﴾**: أنكرها وجحدها ولم يؤمن بها بعد ما جاءته صحيحة مؤيدة بالبرهان القاطع... **﴿إنّه لا يفلح المجرمون﴾**: لا ينجون من محذور ولا يظفرون بمطلوب... **﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم﴾**: هؤلاء المكذبون يخضعون ويتذلّلون للأصنام والأوهام التي لا تضر جاحدَها ولا تنفع عابدها... **﴿ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾**: كذبا وافتراء...

﴿قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض﴾: أتخبرون الله بشيء لا يعلمه موجوداً لا في السماوات ولا في الأرض؟، والذي لا يعلمه الله لا يكون موجوداً... **﴿سبحانه وتعالى عما يشركون﴾**: فالله منزّه عن هذه الافتراآت والترهات التي تنسبونها إلى الله وتعتقدون نفعها!.. **﴿وما كان الناس إلاّ أمة واحدة فاختلفوا﴾**: كان الناس أمة واحدة متفقين على التوحيد؛ لأنّ الله لما فطر الإنسان فطره على عقل سليم موافق للواقع... ثم إنّ البشر أدخلوا على عقولهم الاختلاق البعيد عن الحق، بسبب الاختلاق الباطل والتخيل والأوهام، فاختلفوا... **﴿ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون﴾**: لقد وعد الله بالقضاء النهائي يوم القيامة، ولولا هذا الوعد لقضي بين الناس فيما فيه يختلفون من الحق والباطل في هذه الدنيا... **﴿ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه﴾**: إنهم يطلبون معجزة من الرسول على وفاق ما يريدون من الخوارق، فرد الله عليهم هذا القول، فأمر الرسول بأن يقول لهم... **﴿إنما الغيب لله فانتظروا إني معكم من المنتظرين﴾**: فالأمر لله ليس لي ولا لكم، وإنما علينا الانتظار لما سيصير إليه أمري وأمركم...

﴿وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم إذا لهم مكر في آياتنا﴾: إذا نالت الناس نعمة بعد الضر، كالمطر بعد القحط، والأمن بعد الخوف، والصحة بعد المرض، بادروا بالإنكار واستمروا على الإصرار، حسبما كانوا عليه من المكر والاغترار... **﴿قل الله أسرع مكراً﴾**: مكر الله عقوبته التي هي أعجل من تكذيبهم ومكرهم؛ فمكرهم ينتهي وعذابه محيطٌ بهم دائمٌ لا يزول... **﴿إنّ رسلنا يكتبون ما تمكرون﴾**: المراد بالرسل: الحفظة من الملائكة الذين يكتبون أعمال كل إنسان... **﴿هو الذي يسيركم في البر والبحر﴾**: السير: المضي والانتقال من مكان إلى مكان آخر، والتسيير: جعل الشئ يسير، والمراد هنا: أنّ الله تعالى جعل للناس ما يسيرون عليه في البر والبحر... **﴿حتى﴾**: غاية للتسيير... **﴿إذا كنتم في الفلك﴾**: الفلك اسم لمركب البحر، واسم جمع له بصيغة واحدة... **﴿وجرين بهم بريح طيبة﴾**: الجري: السير السريع في الأرض أو في البحر. والريح الطيبة: الملائمة الرقيقة بالراكبين. **﴿وفرحوا بها﴾**: أحسوا سرور الراحة ومتعة البحر.. **﴿جاءتها ريح عاصف﴾**: شديدة قوية تعصف الأشياء وتكسرها؛ لأنها من قوتها تحطم ما تأتي عليه... **﴿وجاءهم الموج من كل مكان﴾**: الموج اضطراب البحر، وتموُّج سطحه ارتفاعاً وانخفاضاً، واندفاعه من كل ناحية بتأثير العاصفة...

﴿وظنوا أنّهم أحيط بهم﴾: ظنوا الهلاك لشدة ما شاهدوا من أهوال الريح والبحر... **﴿دعوا الله مخلصين له الدين﴾**: أخلصوا في دعائهم لله دون غيره... **﴿لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين. فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق﴾**: البغي: الاعتداء، والمراد به هنا: الإشراك، وسمي الشرك بغياً؛ لأنه اعتداء على حق الخالق... **﴿يا أيّها الناس إنّما بغيكم على أنفسكم﴾**: البغي تعود مضرته على الباغي وحده... **﴿متاع الحياة الدنيا﴾**: المتاع: ما ينتفع به انتفاعاً غير دائم... **﴿ثم إلينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون﴾**: معنى الكلمات هنا واضح... **﴿إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء﴾**: المثل: الحال الماثلة على هيئة خاصة، والمراد هنا: تشبيه حياة الدنيا بحال الأرض التي ينزل عليها الماء فتنبت ويزهو نباتها، ثم بعد ذلك يصير هباء... **﴿فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازيّنت وظن أهلها أنّهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً**

فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس﴾: فهذا مثل ضربه الله للدنيا وللغرور بها لئلا يغتر بها من يعقل ويتفكر. . .

﴿كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون﴾!. . والله يدعو إلى دار السلام: دار السلام: الجنة الباقية الخالدة بخلاف الدنيا الزائلة الفانية، والدعوة إليها بالقرآن المتضمن للتشريع من الأمر والنهي. . . **﴿ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾**: الهداية: الدلالة على المقصود النافع، وقد دلت الشرائع الإلهية على ما ينفع الإنسان وما يضره. والصراط المستقيم: دعوة الشرائع كلها، وأوضحها شريعة القرآن الخاتم لكل الأديان. . . **﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾**: للذين أحسنوا العمل بالإيقان والإخلاص المثوبة الحسنى، وهي الجنة. والزيادة: النعيم الزائد على تلك المثوبة. . . **﴿ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة﴾**: الرهق: الغشيان. والقتر: لون فيه غبرة وسواد. والذلة: الهوان وكسوف البال. . . **﴿أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾**: الإشارة إلى الذين أحسنوا، فهم أصحاب الجنة. . . **﴿والذين كسبوا السيآت﴾**: عملوا الأعمال السيئة بمحض إرادتهم من الشرك والكفر. . . **﴿جزاء سيئة بمثلها﴾**: الجزاء: مقابلة الشيء بالشيء، فجزاء السيئة سيئة تماثلها. . . **﴿وترهقهم ذلة. . .﴾** تغشاهم ذلة الفضيحة وكسوف الخزي. . . **﴿ما لهم من الله من عاصم﴾**: العاصم: المانع والحافظ، فما لهم من عاصم يعصمهم من عذاب الله. . . **﴿كأنما أغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلماً﴾**: كأنما أحيطت بوجوههم ظلمات بعد ظلمات تتشكل وتتلون بتلك الألوان القبيحة. . . **﴿أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾**.

﴿ويوم نحشرهم جميعاً﴾: الحشر: الحشد من أمكنة متعددة ومتنوعة في مكان واحد يحصرهم جميعاً. . . **﴿ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم﴾**: بعد الحشر يأتي الأمر للمشركين بملازمة المكان مع شركائهم، ليحصل الفرز في النهاية. . . **﴿فزيلنا بينهم﴾**: التزييل: التفريق بين العابد والمعبود. . . **﴿وقال شركاؤهم ما كنتم إيّانا تعبدون﴾**: تبرُّؤُ المعبود من عُبَّاده فضيحة وإظهار جريمة العابد، والتبرؤ منهم هنا أمام الله زيادة في القباحة والفظاعة. . . **﴿فكفى بالله شهيداً بيننا وبينكم إنّ كنا عن عبادتكم لغافلين. هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت﴾**: في ذلك المكان الذي نحشرهم فيه تظهر نتيجة كل

عمل عملته كل نفس في الدنيا، فيسوقها إلى الجنة أو إلى النار. . . ﴿**وردوا إلى الله مولاهم الحق**﴾: الرد: الإرجاع، وهو العَوْدُ إلى ما خلقوا لأجله من الجزاء بالإحسان إحساناً وزيادة، وبالإساءة إساءة بقدر الإساءة، وهذا ما كان الكافرون ينكرونه. . . ﴿**وضل عنهم ما كانوا يفترون**﴾: ضاع ما كان يرجونه من معبوديهم المفتراة على الله. ﴿**قل من يرزقكم من السماء والأرض**﴾: الأمر بهذه الأسئلة ليتضح الجواب بالدليل. ومصدر الرزق: المطر من السماء، والنبات من الأرض. . . ﴿**أمن يملك السمع والأبصار**﴾؟: إضراب انتقالي من استفهام إلى آخر؛ فالمتصرف في السمع والأبصار لا يصح أن تكون آلهتهم المفتراة. . . ﴿**ومن يخرج الحيّ من الميت ويخرج الميت من الحيّ**﴾؟: استفهام آخر أقوى وأقوم زيادة في توضيح الدليل؛ فإخراج الحيّ من الميت وإخراج الميت من الحيّ لا يكون إلا من الله القادر العليم الحكيم الحيّ، ﴿**ومن يدبر الأمر**﴾؟.

هذا سؤال أعم وأوعى وأمعن في إظهار الحقيقة؛ فتدبير الأمر: تصريف جميع الأمور كُلِّها بما يناسبها. . . ﴿**فسيقولون الله!**. . **قل: أفلا تتقون**﴾؟: أتعلمون ذلك فلا تخافونه، حيث عبدتم آلهة أخرى لا تفعل شيئا ولا تدري ما يدور ويدار في هذا الكون العجيب!. . ﴿**ذلكم الله ربكم الحق**﴾: اعترافكم يدل على حقيقة قولكم، ولكن عملكم يدل على ضلالكم. . . ﴿**فماذا بعد الحق إلاّ الضلال**﴾: فليس ثَمّ وسط بين الحق والضلال. . . فأنى تصرفون: عن الحق إلى الضلال!؟. . ﴿**كذلك حقت كلمات ربك على الذين فسقوا إنهم لا يؤمنون**﴾: مثل ذلك الحق الذي ظهر دليله حقت عليهم كلمات الله بعدم إيمانهم؛ لأنهم متمسكون بالضلال خارجون عن الحق. . . ﴿**قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده**﴾؟: في هذا الاستفهام استنكار ونفي أن تكون آلهتهم يمكنها أن تتصرف في الخلق بدءً وإعادة؛ فجواب هذا الاستفهام معلوم بداهة. . . ﴿**قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده**﴾: وهذا مسلم عند المخاطبين. . . ﴿**فأنى تؤفكون**﴾؟!. .

﴿**قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق**﴾؟: هذا استدلال على عجز آلهتهم عن الإرشاد إلى الهدى. . . ﴿**قل الله يهدي للحق**﴾: هدى له: لأجله؛ فالهداية هنا لأجل الحق. . . ﴿**أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمّن لا يهدّي إلا أن يهدى**﴾؟!: هذا تفريع استفهام تقريري على ما أفادته الجملتان السابقتان؛

فالذى لا يهتدي لشيء إلاّ أن يهديه غيرُهُ فكيف يكون إلهاً يُعبد؟!.. ﴿**فمالكم؟. كيف تحكمون**﴾؟: تفريع استفهام تعجيبي على اتباعهم من لا يهتدي بحال من لا يفهم... ﴿**وما يتبع أكثرهم إلاّ ظنا إنّ الظن لا يغني من الحق شيئاً إنّ الله عليم بما يفعلون**﴾: هذا حكم على بطلان عبادة غير الله؛ لأنها جاءتهم عن طريق الظن والشك والوهم... فهذا طريق خاطئ لا يغني من الحق شيئاً... فالإيمان الصحيح لا بد فيه من دليل قاطع لا يشوبه ظن.

مبحث الإعراب

﴿**ولو**﴾ الواو للعطف، لو حرف امتناع لامتناع متضمن معنى الشرط. ﴿**يعجل الله**﴾ فعل وفاعل. ﴿**للناس**﴾ متعلق بيُعَجّل. ﴿**الشر**﴾ مفعول به. ﴿**استعجالهم**﴾ مفعول مطلق منصوب بالفتحة، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**بالخير**﴾ متعلق به. ﴿**لقضي**﴾ فعل ماضي مبني للمجهول دخل عليه حرف الجواب. ﴿**إليهم**﴾ متعلق بقضي ﴿**أجلهم**﴾ نائب الفاعل مرفوع بالضمة، والضمير فيه مضاف إليه، وجملة لقضي إليهم أجلهم جواب لو. ﴿**فنذر**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف التفريع، والفاعل نحن. ﴿**الذين**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**لا يرجون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي، والجملة صلة الموصول. ﴿**لقاءنا**﴾ مفعول به منصوب بالفتحة، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**في طغيانهم**﴾ متعلق بالجملة بعده. ﴿**يعمهون**﴾ فعل وفاعل، والجملة في محل نصب حال من الذين لا يرجون. ﴿**وإذا**﴾ ظرف لما يستقبل من الزمان خافض لشرطه منصوب بجوابه. ﴿**مسّ**﴾ فعل ماض. ﴿**الإنسان**﴾ مفعول به. ﴿**الضرُّ**﴾ فاعل. ﴿**دعانا**﴾ جواب إذا، والفاعل ضمير يعود على الإنسان، والضمير المتصل بالفعل في محل نصب مفعول به. ﴿**لجنبه**﴾ متعلق بمحذوف حال من فاعل دعا، أي: دعانا مضطجعاً على جنبه. ﴿**أو قاعداً**﴾ معطوف على الحال قبله. ﴿**أو قائماً**﴾ معطوف عليه. ﴿**فلمّا**﴾ الفاء للتفريع، لمّا ظرفية متضمنة معنى الشرط. ﴿**كشفنا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**عنه**﴾ متعلق بكشفنا. ﴿**ضره**﴾ مفعول به منصوب بالفتحة، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**مرَّ**﴾ فعل ماض، والفاعل هو ضمير يعود على الإنسان، والجملة جواب لمّا. ﴿**كأنْ**﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن. ﴿**لم يدعنا**﴾ الفعل مجزوم بلم، وعلامة جزمه حذف الواو، والضمير المتصل بالفعل مفعول به، والفاعل ضمير يعود على

الإنسان. وجملة لم يدعنا في محل رفع خبر أن، والكاف للتشبيه متعلق بمحذوف حال من فاعل مرَّ. ﴿**إلى ضرٍ**﴾ متعلق يدعو. ﴿**مسّه**﴾ فعل ماض، والفاعل ضمير يعود على الضر، والضمير المتصل بالفعل مفعول به، وجملة مسّه في محل جر نعت لضر. ﴿**كذلك**﴾ الكاف للتشبيه في محل نصب مفعول مطلق، واسم الإشارة في محل جر. ﴿**زين**﴾ فعل ماض مبني للمجهول. ﴿**للمسرفين**﴾ متعلق بزين. ﴿**ما**﴾ في محل رفع نائب الفاعل. ﴿**كانوا**﴾ كان واسمها. ﴿**يعملون**﴾ فعل وفاعل، والجملة في محل نصب خبر كان، وجملة كانوا يعملون صلة ما لا محل لها من الإعراب. ﴿**ولقد**﴾ الواو للعطف، واللام للقسم، وقد للتحقيق. ﴿**أهلكنا**﴾ القرون فعل وفاعل ومفعول. ﴿**من قبلكم**﴾ متعلق بأهلكنا. ﴿**لما**﴾ ظرف متعلق بأهلكنا. ﴿**ظلموا**﴾ فعل وفاعل، وجملة ظلموا في محل جر مضاف إلى الظرف. ﴿**وجاءتهم**﴾ معطوف على ظلموا. ﴿**رسلهم**﴾ فاعل جاءت. ﴿**بالبينات**﴾ متعلق بجاءت. ﴿**وما**﴾ الواو للعطف، وما للنفي. ﴿**كانوا**﴾ كان واسمها. ﴿**ليؤمنوا**﴾ اللام للجحود لوقوعها بعد كان المنفية، والفعل منصوب بأن مضمرة بعد اللام، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بلام الجحود متعلق بمحذوف خبر كان، والتقدير: وما كانوا مريدين للإيمان. ﴿**كذلك**﴾ مثل سابقتها. ﴿**نجزي**﴾ فعل مضارع فاعله نحن.

﴿**القوم**﴾ مفعول به. ﴿**المجرمين**﴾ نعت للقوم منصوب بالياء. ﴿**ثم**﴾ حرف عطف يفيد الترتيب والتراخي. ﴿**جعلناكم**﴾ فعل وفاعل ومفعول أول. ﴿**خلائف**﴾ مفعول ثان. ﴿**في الأرض من بعدهم**﴾ متعلقان بخلائف. ﴿**لننظر**﴾ اللام للتعليل داخل على مصدر الفعل المؤول متعلق بجعلناكم خلائف. ﴿**كيف تعملون**﴾ الجملة في محل نصب مفعول ننظر، أي: لننظر جواب كيف تعملون؟. ﴿**وإذا**﴾ الواو للعطف، إذا ظرف متضمن معنى الشرط. ﴿**تتلى**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول فعل الشرط. ﴿**عليهم**﴾ متعلق بتتلى. ﴿**آياتنا**﴾ نائب الفاعل. ﴿**بينات**﴾ حال من الآيات منصوب بالكسرة. ﴿**قال الذين**﴾ فعل وفاعل، جواب الشرط. ﴿**لا يرجون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي، والجملة صلة الموصول. ﴿**لقاءنا**﴾ مفعول به منصوب بالفتحة، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**ائت**﴾ فعل أمر مبني على حذف الياء، والفاعل أنت، والجملة في محل نصب مقول القول. ﴿**بقرآن**﴾ متعلق بائت. ﴿**غير**﴾ نعت لقرآن مجرور بالكسرة. ﴿**هذا**﴾ في محل جر

مضاف إلى غير. ﴿**أو بدله**﴾ معطوف على ائت. ﴿**قل ما يكون**﴾ فعل مضارع ناقص دخل عليه حرف النفي. ﴿**لي**﴾ متعلق بمحذوف خبر كان مقدم. ﴿**أن أبدله**﴾ أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مرفوع اسم يكون، أي: ما يكون تبديلُه حقاً لي.

﴿**من تلقاء**﴾ متعلق بأن أبدله. ﴿**نفسي**﴾ مضاف إلى تلقاء مجرور بكسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة، ونفس مضاف وياء المتكلم مضاف إليه مبني على السكون في محل جر، وحرك بالفتحة للتخفيف. ﴿**إنْ**﴾ حرف نفي. ﴿**أتبع**﴾ فعل مضارع، والفاعل أنا. ﴿**إلاّ**﴾ أداة استثناء. ﴿**ما**﴾ في محل نصب بدل من مفعول أتبع المقدر، والتقدير: ما أتبع أمراً إلاّ أمراً يوحى إليّ من الله. ﴿**يوحى إليّ**﴾ الجملة صلة ما. ﴿**إنّي**﴾ إنّ واسمها. ﴿**أخاف**﴾ فعل مضارع، والفاعل أنا، والجملة في محل رفع خبر إنّ. ﴿**إنْ عصيت**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف الشرط. ﴿**ربّي**﴾ مفعول عصيت منصوب بفتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، وياء المتكلم في محل جر مضافة إلى ربي.

﴿**عذاب**﴾ مفعول أخاف. ﴿**يوم**﴾ مضاف إلى عذاب. ﴿**عظيم**﴾ نعت ليوم. ﴿**قل لو شاء الله**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف الشرط. ﴿**ما تلوته**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النفي، والجملة جواب لو. ﴿**عليكم**﴾ متعلق بتلوت. ﴿**ولا أدراكم**﴾ الواو للعطف ولا للنفي، أدراكم فعل ماض، والضمير المتصل به مفعول، وفاعله ضمير يعود على الله. ﴿**به**﴾ متعلق بأدراكم. ﴿**فقد**﴾ الفاء للتفريع، وقد للتحقيق. ﴿**لبثت**﴾ فعل وفاعل. ﴿**فيكم**﴾ متعلق بلبثت. ﴿**عمراً**﴾ منصوب على الظرفية متعلق بلبثت. ﴿**من قبله**﴾ كذلك. ﴿**أفلا**﴾ الهمزة للاستفهام، والفاء للتفريع، ولا للنفي. ﴿**تعقلون**﴾ فعل وفاعل، وهذه الجملة مفرعة على مدخول الاستفهام. ﴿**فمن**﴾ الفاء للتفريع، ومن اسم استفهام في محل رفع مبتدأ. ﴿**أظلم**﴾ خبر المبتدإ مرفوع بالضمة. ﴿**ممن**﴾ متعلق بأظلم. ﴿**افترى**﴾ فعل ماض، والفاعل ضمير يعود على من، والجملة صلة من. ﴿**على الله**﴾ متعلق بافترى. ﴿**كذباً**﴾ مفعول به. ﴿**أو كذّب**﴾ معطوف على افترى. ﴿**بآياته**﴾ متعلق بكذّب. ﴿**إنّه**﴾ إنّ واسمها. ﴿**لا يفلح**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف النفي.

﴿**المجرمون**﴾ فاعل، وجملة لا يفلح المجرمون في محل رفع خبر إنّ، وجملة إنّه لا يفلح المجرمون تعليلية لا محل لها من الإعراب. ﴿**ويعبدون**﴾ فعل وفاعل، والجملة معطوفة على قوله: وإذا تتلى عليهم. ﴿**من دون**﴾ متعلق بيعبدون.

﴿**الله**﴾ مضاف إلى دون. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**لا يضرهم**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف النفي، والضمير المتصل بالفعل مفعول به، والفاعل ضمير يعود على ما، والجملة صلة ما. ﴿**ولا ينفعهم**﴾ معطوف على جملة لا يضرهم. ﴿**ويقولون**﴾ فعل وفاعل، والجملة معطوفة على جملة ويعبدون. ﴿**هؤلاء**﴾ مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ. ﴿**شفعاؤنا**﴾ خبره مرفوع بالضمة، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**عند**﴾ متعلق بشفعاؤنا. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى عند، وجملة هؤلاء شفعاؤنا في محل نصب مقول القول. ﴿**قل أتنبئون الله**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف الاستفهام. ﴿**بما**﴾ متعلق بتنبئون. ﴿**لا يعلم**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف النفي، والفاعل ضمير يعود على الله، وجملة لا يعلم صلة ما. ﴿**في السماوات**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**ولا في الأرض**﴾ معطوف على قوله: في السماوات، وجملة أتنبئون الله في محل نصب مقول القول. ﴿**سبحانه**﴾ مفعول مطلق منصوب بالفتحة، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**وتعالى**﴾ فعل ماض دخل عليه واو العطف، والفاعل هو يعود على الله. ﴿**عما**﴾ متعلق بتعالى. ﴿**يشركون**﴾ الجملة من الفعل والفاعل صلة ما. ﴿**وما**﴾ الواو للعطف، وما للنفي. ﴿**كان الناس**﴾ كان واسمها. ﴿**إلاّ**﴾ أداة استثناء. ﴿**أمة**﴾ خبر كان. ﴿**واحدة**﴾ نعت للخبر. ﴿**فاختلفوا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف التعقيب. ﴿**ولولا**﴾ الواو للعطف، لولا حرف امتناع لوجود متضمن معنى الشرط. ﴿**كلمة**﴾ مبتدأ. ﴿**سبقت**﴾ فعل ماض، والفاعل هي ضمير يعود على كلمة، والجملة في محل رفع نعت كلمة. ﴿**من ربّك**﴾ متعلق بسبقت، وخبر المبتدإ محذوف؛ لأنّ الخبر المبتدإ الواقع بعد لولا يحذف غالباً. ﴿**لقضي**﴾ فعل ماض مبني للمجهول. ﴿**بينهم**﴾ ناب مناب الفاعل. ﴿**فيما**﴾ متعلق بقضي. ﴿**فيه**﴾ متعلق بما بعده. ﴿**يختلفون**﴾ فعل وفاعل، والجملة صلة ما، وجملة لقضي بينهم جواب لولا.

﴿**ويقولون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف العطف. ﴿**لولا**﴾ أداة تحضيض. ﴿**أنزل**﴾ فعل ماض مبني للمجهول. ﴿**عليه**﴾ متعلق بأنزل. آية نائب الفاعل.

﴿من ربّه﴾ متعلق بمحذوف نعت لآية، وجملة لولا أنزل في محل نصب مقول القول. **﴿فقل﴾** فعل أمر مفرع عما قبله. **﴿إنّما﴾** كافة ومكفوفة. **﴿الغيب﴾** مبتدأ. **﴿لله﴾** متعلق بمحذوف خبر المبتدإ، وجملة إنّما الغيب لله في محل نصب مقول القول. **﴿فانتظروا﴾** أمر مفرع عما قبله. **﴿إنّي﴾** إنّ واسمها. **﴿معكم﴾** متعلق بما بعده. **﴿من المنتظرين﴾** متعلق بمحذوف خبر إنّ. **﴿وإذا أذقنا الناس﴾** فعل وفاعل ومفعول، فعل الشرط. **﴿رحمة﴾** مفعول ثان. **﴿من بعد﴾** متعلق بأذقنا. **﴿ضراء﴾** مضاف إلى بعد مجرور بالكسرة لمنعه من الصرف لعلة ألف التأنيث الممدودة. **﴿مسّتهم﴾** فعل ماض، والفاعل هي يعود على ضراء، والضمير المتصل بالفعل مفعول، وجملة مسّتهم في محل جر نعت لضراء. **﴿إذا﴾** فجائية دخلت على جواب إذا الشرطية. **﴿لهم﴾** متعلق بمحذوف خبر مقدم. **﴿مكر﴾** مبتدأ مؤخر، والجملة جواب إذا لا محل لها من الإعراب. **﴿في آياتنا﴾** متعلق بالخبر المقدم. **﴿قل الله﴾** مبتدأ. **﴿أسرع﴾** خبره. **﴿مكراً﴾** تمييز للخبر، وجملة الله أسرع في محل نصب مقول القول. **﴿إنّ رسلنا﴾** إنّ واسمها. **﴿يكتبون﴾** فعل وفاعل، والجملة في محل رفع خبر إنّ. **﴿ما﴾** في محل نصب مفعول يكتبون. **﴿تمكرون﴾** فعل وفاعل، والجملة صلة ما، وجملة إنّ رسلنا يكتبون ما تمكرون تعليلية لا محل لها من الإعراب. **﴿هو﴾** في محل رفع مبتدأ.

﴿الذي﴾ في محل رفع خبره. **﴿يسيركم﴾** فعل مضارع، والفاعل هو يعود على الذي، والضمير المتصل بالفعل مفعول، وجملة يسيركم صلة الذي. **﴿في البر﴾** متعلق بالفعل قبله. **﴿والبحر﴾** معطوف على البر. **﴿حتى﴾** ابتدائية يؤتى بها لغاية ما يقصد من مدخلها. **﴿إذا كنتم﴾** فعل الشرط. **﴿في الفلك﴾** متعلق بمحذوف خبر إنّ. **﴿وجرين﴾** فعل وفاعل دخل عليه حرف العطف. **﴿بهم بريح﴾** متعلقان بجرين. **﴿طيبة﴾** نعت لريح. **﴿وفرحوا﴾** فعل وفاعل دخل عليه حرف العطف. **﴿بها﴾** متعلق بالفعل قبله. **﴿جاءتها ريح﴾** جواب إذا. **﴿عاصف﴾** نعت لريح. **﴿وجاءهم الموج﴾** معطوف على جاءتها ريح عاصف. **﴿من كل﴾** متعلق بجاء. **﴿مكان﴾** مضاف إلى كل. **﴿وظنوا﴾** فعل وفاعل دخل عليه حرف العطف. **﴿أنّهم﴾** أنّ واسمها. **﴿أحيط﴾** فعل ماض مبني للمجهول. **﴿بهم﴾** نائب الفاعل، وجملة أحيط بهم في محل رفع خبر أنّ، وأنّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعول ظنوا. **﴿دعوا الله﴾** فعل وفاعل ومفعول. **﴿مخلصين﴾** حال من

الفاعل في دعوا. ﴿**له**﴾ متعلق بمخلصين. ﴿**الدين**﴾ مفعول باسم الفاعل. ﴿**لئن أنجيتنا**﴾ فعل وفاعل ومفعول، فعل الشرط بإن، واللام لام القسم. من هذه متعلق بأنجيتنا. ﴿**لنكونن**﴾ جواب القسم المتضمن لجواب الشرط. ﴿**من الشاكرين**﴾ متعلق بمحذوف خبر نكونن، واسمها واو الجماعة، وفعل نكونن دخلت عليه نون التوكيد. ﴿**فلمّا**﴾ الفاء للتعقيب، لمّا ظرف متضمن معنى الشرط. ﴿**أنجاهم**﴾ فعل الشرط. ﴿**إذا**﴾ فجائية دخلت على جواب الشرط.

﴿**هم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**يبغون**﴾ فعل وفاعل، والجملة خبر المبتدإ. ﴿**في الأرض بغير**﴾ متعلقان بيبغون. ﴿**الحق**﴾ مضاف إلى غير. ﴿**يا أيّها الناس**﴾ تقدم إعراب مثلها. ﴿**إنّما**﴾ كافة ومكفوفة. ﴿**بغيكم**﴾ مبتدأ مرفوع بالضمة. والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**على أنفسكم**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. ﴿**متاعُ**﴾ خبر لمبتدإ محذوف، أي: هو متاع. ﴿**الحياة**﴾ مضاف إلى متاع. ﴿**الدنيا**﴾ نعت للحياة مجرور بكسرة مقدرة على الألف. ﴿**ثم**﴾ حرف عطف للترتيب والتراخي. ﴿**إلينا**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**مرجعكم**﴾ مبتدأ مؤخر مرفوع بالضمة، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**فننبئكم**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف التفريع، وفاعله نحن، والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**بما**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**كنتم**﴾ كان واسمها. ﴿**تعملون**﴾ فعل وفاعل، والجملة في محل نصب خبر كان، وجملة كنتم تعملون صلة ما. ﴿**إنّما**﴾ كافة ومكفوفة. ﴿**مثل**﴾ مبتدأ. ﴿**الحياة**﴾ مضاف الى مثل. ﴿**الدنيا**﴾ نعت للحياة. ﴿**كماءٍ**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. ﴿**أنزلناه**﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة في محل جر نعت لماء. ﴿**من السماء**﴾ متعلق بأنزلنا. ﴿**فاختلط**﴾ فعل ماض دخل عليه حرف التعقيب. ﴿**به**﴾ متعلق باختلط. ﴿**نبات**﴾ فاعل اختلط. ﴿**الأرض**﴾ مضاف إلى نبات.

﴿**ممّا**﴾ متعلق بمحذوف وصف لنبات الأرض. ﴿**يأكل الناس**﴾ فعل وفاعل، والجملة صلة ما. ﴿**والأنعام**﴾ معطوف على الناس. ﴿**حتى إذا أخذت الأرض زخرفها**﴾ فعل وفاعل ومفعول، فعل الشرط (إذا)، وحتى تقدم معناها في جملة حتى إذا كنتم في الفلك. ﴿**وازّينت**﴾ معطوف على أخذت. ﴿**وظنّ أهلها**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف العطف. ﴿**أنّهم**﴾ أنّ واسمها. ﴿**قادرون**﴾ خبرها. ﴿**عليها**﴾ متعلق به، وأنّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول ظنّ.

﴿**أتاها**﴾ جواب الشرط، والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**أمرنا**﴾ فاعل أتى. ﴿**ليلاً**﴾ ظرف زمان منصوب بالفتحة. ﴿**أو نهاراً**﴾ معطوف عليه. ﴿**فجعلناها**﴾ فعل وفاعل ومفعول أول دخل عليه حرف التعقيب. ﴿**حصيداً**﴾ مفعول ثان. ﴿**كأن**﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن. ﴿**لم تغن**﴾ فعل مضارع مجزوم بلم، والفاعل هي يعود على الأرض، وجملة لم تغن في محل رفع خبر كأن. ﴿**بالأمس**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**كذلك**﴾ الكاف بمعنى مثل في محل نصب مفعول مطلق، وذلك في محل جر. ﴿**نفصّل**﴾ فعل مضارع، وفاعله نحن. ﴿**الآيات**﴾ مفعول به منصوب بالكسرة. ﴿**لقوم**﴾ متعلق بنفصّل. ﴿**يتفكرون**﴾ فعل وفاعل، والجملة في محل جر نعت لقوم. ﴿**والله**﴾ مبتدأ دخل عليه حرف العطف. ﴿**يدعو**﴾ فعل مضارع مرفوع بضمة مقدرة على الواو، وفاعله هو يعود على الله، وجملة يدعو في محل رفع خبر المبتدإ. ﴿**إلى دار**﴾ متعلق بيدعو. ﴿**السلام**﴾ مضاف إلى دار. ﴿**ويهدي**﴾ معطوف على يدعو. ﴿**من**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**يشاء**﴾ فعل مضارع مرفوع بالضمة، والفاعل هو يعود على الله، وجملة يشاء صلة من. ﴿**إلى صراط**﴾ متعلق بيهدي. ﴿**مستقيم**﴾ نعت لصراط. ﴿**للذين**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**أحسنوا**﴾ فعل وفاعل، والجملة صلة الذين. ﴿**الحسنى**﴾ مبتدأ مؤخر مرفوع بضمة مقدرة على الألف. ﴿**وزيادة**﴾ معطوف على الحسنى. ﴿**ولا يرهق**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف النفي وحرف العطف. ﴿**وجوههم**﴾ مفعول به منصوب بالفتحة، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**قتر**﴾ فاعل يرهق. ﴿**ولا ذلة**﴾ معطوف على قتر. ﴿**أولئك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**أصحاب**﴾ خبر.

﴿**الجنة**﴾ مضاف إلى أصحاب. ﴿**هم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**فيها**﴾ متعلق بما بعده. ﴿**خالدون**﴾ خبر المبتدإ، وجملة هم فيها خالدون بيان لقوله: أصحاب الجنة. ﴿**والذين**﴾ في محل رفع مبتدأ دخل عليه حرف العطف. ﴿**كسبوا السيآت**﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة صلة الذين. ﴿**جزاء**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**سيئة**﴾ مضاف إلى جزاء. ﴿**بمثلها**﴾ نعت لسيئة مجرور بالكسرة، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**وترهقهم**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف العطف، والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**ذلة**﴾ فاعل ترهق. ﴿**ما**﴾ حرف نفي. ﴿**لهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**من الله**﴾ متعلق بما بعده. ﴿**من عاصم**﴾ مجرور لفظاً بمن، ومرفوع

محلاً بالابتداء، هو مبتدأ ومؤخر. **﴿كأنّما﴾** الكاف للتشبيه، وأنّما كافة ومكفوفة. **﴿أغشيت﴾** فعل ماض مبني للمجهول. **﴿وجوههم﴾** نائب الفاعل مرفوع بالضمة، والضمير فيه مضاف إليه. **﴿قطعاً﴾** مفعول ثانٍ لأغشيت. **﴿من الليل﴾** متعلق بمحذوف نعت (قطعاً). **﴿مظلماً﴾** منصوب على الحال من الليل. **﴿أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾** مثل ما سبق من قوله: أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون. **﴿ويوم﴾** الواو للعطف، يومَ منصوب بفعل مقدر مناسب للسياق. **﴿نحشرهم﴾** فعل مضارع مرفوع بالضمة، والفاعل نحن، والضمير المتصل بالفعل مفعول. **﴿جميعاً﴾** منصوب على الحال من الضمير المفعول. **﴿ثم نقول﴾** معطوف على نحشرهم. **﴿للذين﴾** متعلق بنقول. **﴿أشركوا﴾** فعل وفاعل، والجملة صلة الموصول. **﴿مكانكم﴾** مفعول به منصوب بالفتحة، والضمير فيه مضاف إليه. **﴿أنتم﴾** بدل من ضمير فاعل الفعل المقدر، والتقدير: ألزموا مكانكم أنتم. **﴿وشركاؤكم﴾** معطوف على الفاعل وبدله مرفوع بالضمة، والضمير فيه مضاف إليه. **﴿فزيّلنا﴾** فعل وفاعل دخل عليه حرف التعقيب. **﴿بينهم﴾** متعلق بزيّلنا. **﴿وقال شركاؤهم﴾** فعل وفاعل دخل عليه حرف العطف. **﴿ما﴾** حرف نفي. **﴿كنتم﴾** كان واسمها. **﴿إيّانا﴾** ضمير منفصل في محل نصب مفعول لتعبدون. **﴿تعبدون﴾** الجملة من الفعل والفاعل فى محل نصب خبر كان، وجملة ما كنتم إيّانا تعبدون في محل نصب مقول القول. **﴿فكفى﴾** فعل ماض دخل عليه حرف التعقيب. **﴿بالله﴾** فاعل كفى دخل عليه حرف الجر الزائد فجر لفظاً ورفع محلاً. **﴿شهيداً﴾** منصوب على التمييز. **﴿بيننا﴾** متعلق بشهيداً. **﴿وبينكم﴾** معطوف على بيننا. **﴿إن﴾** مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن، أي: إن الشأن الخطير هو هذا الكلام. **﴿كنّا﴾** كان واسمها. **﴿عن عبادتكم﴾** متعلق بما بعده. **﴿لغافلين﴾** خبر كان، واللام فارقة بين إن المؤكدة وبين غيرها، وجملة كنّا عن عبادتكم لغافلين في محل رفع خبر إن المخففة. **﴿هنالك﴾** ظرف متعلق بما بعده. **﴿تبلو كل﴾** فعل وفاعل. **﴿نفس﴾** مضاف إلى كل. **﴿ما﴾** في محل نصب. **﴿أسلفت﴾** فعل ماض، والفاعل هي، والجملة صلة ما. **﴿وردوا﴾** فعل ماض مبني للمجهول، وواو الجماعة نائب الفاعل، والواو للعطف. **﴿إلى الله﴾** متعلق بردوا. **﴿مولاهم﴾** نعت لله مجرور بكسرة مقدرة على الألف، والضمير فيه مضاف إليه. **﴿الحق﴾** نعت ثان لله مجرور بالكسرة. **﴿وضل﴾** فعل ماض دخل

عليه حرف العطف. ﴿**عنهم**﴾ متعلق بضل. ﴿**ما**﴾ في محل رفع فاعل ضل. ﴿**كانوا**﴾ كان واسمها. ﴿**يفترون**﴾ فعل وفاعل، والجملة في محل نصب خبر كان، وجملة كانوا يفترون صلة ما. ﴿**قل من**﴾ اسم استفهام في محل رفع مبتدأ. ﴿**يرزقكم**﴾ فعل مضارع، والفاعل ضمير يعود على من، والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**من السماء**﴾ متعلق بيرزقكم. ﴿**والأرض**﴾ معطوف على السماء. ﴿**أم**﴾ حرف عطف، وهو للإضراب الانتقالي. ﴿**من يملك**﴾ مثل من يرزقكم في الإعراب. ﴿**السمع**﴾ مفعول يملك. ﴿**والأبصار**﴾ معطوف على السمع. ﴿**ومن يخرج**﴾ معطوف على من يملك... ﴿**الحيّ**﴾ مفعول يخرج. ﴿**من الميّت**﴾ متعلق بيخرج. ﴿**ويخرج الميّت من الحي**﴾ معطوف على يخرج الحي من الميّت، وهو مثله في الإعراب. ﴿**ومن يدبّر الأمرَ**﴾ عطف عام على خاص. ﴿**فسيقولون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه فاء السببيّة وسين الاستقبال. ﴿**الله**﴾ مبتدأ، والخبر محذوف، أي: الله فعل ذلك كله من الرزق وما عطف عليه. ﴿**فقل**﴾ الفاء فاء الفصيحة. ﴿**أفلا تتّقون**﴾ الهمزة للاستفهام، والفاء للعطف على مقدر، والتقدير: أتعلمون ذلك فلا تتقون، ولا نافية، وتتّقون فعل وفاعل، والجمل التي وقعت بعد قل في محل نصب مقول القول. ﴿**فذلكم**﴾ في محل رفع مبتدأ دخل عليه حرف التفريع. ﴿**الله**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**ربّكم**﴾ بدل من الله. ﴿**الحق**﴾ نعت له. ﴿**فماذا**﴾ في محل رفع مبتدإ دخل عليه حرف التفريع، وهو استفهام إنكاري. ﴿**بعد**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. ﴿**الحق**﴾ مضاف إلى بعد. ﴿**إلاّ**﴾ أداة استثناء مفرغ لا عمل لها. ﴿**الضلال**﴾ بدل من المستثنى منه المقدر، والتقدير: لا يكون بعد الحق شيء إلاّ الضلال. ﴿**فأنّى**﴾ اسم استفهام في محل نصب حال من واو الجماعة في. ﴿**تصرفون. كذلك**﴾ الكاف بمعنى مثل في محل نصب نعت لمصدر مقدر، واسم الإشارة في محل جر بالكاف. ﴿**حقّت**﴾ فعل ماض. ﴿**كلمات**﴾ فاعل حقت. ﴿**ربّك**﴾ مضاف إلى كلمات. ﴿**على الذين**﴾ متعلق بحقت. ﴿**فسقوا**﴾ الجملة من الفعل والفاعل صلة الذين. ﴿**أنّهم**﴾ أنّ واسمها. ﴿**لا يؤمنون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي، والجملة في محل رفع خبر أنّ، وأنّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر مرفوع بدل من كلمات، وجملة كذلك حقت كلمات ربّك على الذين فسقوا أنّهم لا يؤمنون تذييلية لا محل لها من الإعراب. ﴿**قل هل**﴾ حرف استفهام. ﴿**من شركائكم**﴾ متعلق بمحذوف خبر

مقدم. ﴿من﴾ في محل رفع مبتدأ مؤخر. ﴿يبدأ﴾ فعل مضارع، والفاعل ضمير يعود على من، والجملة صلة من. ﴿الخلق﴾ مفعول به. ﴿ثم يعيده﴾ معطوف على يبدأ، وتقدير الكلام: هل الذي يبدأ الخلق ثم يعيده كان من شركائكم؟ الجواب لا!. ﴿قل الله﴾ مبتدأ. ﴿يبدأ﴾ الجملة من الفعل والفاعل خبر المبتدإ. ﴿الخلق﴾ مفعول به. ﴿ثم يعيده﴾ عطف عليه. ﴿فأنى تؤفكون﴾ مثل فأنى تصرفون. ﴿قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق قل الله يهدي للحق﴾ إعرابها مثل إعراب هل من شركائكم من يبدأ الخلق... الخ. ﴿أفمن﴾ الهمزة للاستفهام، والفاء للتفريع، ومن في محل رفع مبتدأ. ﴿يهدي﴾ فعل مضارع مرفوع بضمة مقدرة على الياء، والفاعل ضمير يعود على من. ﴿إلى الحق﴾ متعلق بيهدي. ﴿أحقّ﴾ خبر من. ﴿أن يتّبع﴾ فعل مضارع مبني للمجهول منصوب بأن، ونائب الفاعل ضمير يعود على من، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بحرف مقدر متعلق بأحق. ﴿أم من لا يهدي﴾ معطوف بأم المعادلة لهمزة التسوية في قوله أفمن يهدي، ومعنى يهدي يهتدي أدغمت التاء في الدال ونقلت حركتها إلى الهاء، وجملة يهدي خبر من. ﴿إلاّ﴾ أداة استثناء. ﴿أن يهدى﴾ فعل مضارع مبني للمجهول منصوب بأن، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف، ونائب الفاعل ضمير يعود على من، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بالإضافة، والتقدير: أم من لا يهتدي في أي حال إلاّ في حال هداية غيره إيّاه!. ﴿فما لكم﴾ الفاء للتفريع. وما اسم استفهام في محل رفع مبتدأ، لكم متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. ﴿كيف﴾ مبني على الفتح في محل نصب حال من واو الجماعة في تحكمون بعده. ﴿تحكمون﴾ الجملة بيانية لقوله: ما لكم. ﴿وما يتّبع﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف النفي وحرف العطف. ﴿أكثرهم﴾ فاعل يتّبع مرفوع بالضمة، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿إلاّ﴾ أداة استثناء مفرغ لا عمل لها. ﴿ظناً﴾ بدل من المفعول المقدر، والتقدير: وما يتّبع أكثرهم شيئا من العلم يفيد إلاّ شيئا من الظن لا يفيد. ﴿إنّ الظن﴾ إنّ واسمها. ﴿لا يغني﴾ فعل مضارع مرفوع بضمة مقدرة على الياء دخل عليه حرف النفي، والفاعل ضمير يعود على الظن، وجملة لا يغنى في محل رفع خبر إنّ. ﴿من الحق﴾ متعلق بيغني. ﴿شيئاً﴾ مفعول به، وجملة إنّ الظن لا يغني من الحق شيئا تعليلية لا محل لها من الإعراب. ﴿إنّ الله عليم﴾ إنّ واسمها وخبرها. ﴿بما﴾ متعلق بعليم. ﴿يفعلون﴾ فعل وفاعل،

والجملة صلة ما لا محل لها من الإعراب، وجملة إنّ الله عليم بما يفعلون تهديد بالوعيد لا محل لها من الإعراب، وهو تعليل.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي إليهم أجلهم﴾: هذه الجملة موصولة بالعطف على جملة إنّ الذين لا يرجون لقاءنا؛ فحيث ذكر عذابهم الذي هم آيلون إليه ناسب أن يبيّن لهم سبب تأخير العذاب عنهم في الدنيا لتكشف شبهة، وليعلم الذين آمنوا حكمة من حكم تصرف الله في هذا الكون، والقرينة على اتصال هذه الجملة بجملة إنّ الذين لا يرجون لقاءنا قوله في آخر هذه: **﴿فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون﴾**. وقد جاء هذا الأسلوب على إيجاز محكم بديع؛ فذكر في جانب الشر يعجل الدال على أصل جنس التعجيل، ولو بأقل ما يتحقق به معناه، وعبر عن تعجيل الله الخير لهم بلفظ استعجالهم الدال على المبالغة في التعجيل بما تفيده زيادة السين والتاء.

والباء في قوله: بالخير لتأكيد اللصوق فدلت المبالغة بالسين والتاء وتأكيد اللصوق على الامتنان بأنّ الخير لهم كثير ومكين. وجملة فنذر الذين لا يرجون لقاءنا... الخ مفرعة على جملة ولو يعجل الله للناس الخ. وفي موضع الموصول موضع الضمير نوع بيان للطغيان بما في حيز الصلة، وإشعار بعلية الترك والاستدراج... **﴿وإذا مسَّ الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً فلما كشفنا عنه ضره مرَّ كأن لم يدعنا إلى ضر مسّه﴾**: اتصلت هذه الجملة بالعطف على جملة ولو يجعل الله للناس... الخ؛ لأن الغرض الأهم من كلتا الجملتين هو الاعتبار بذميم أحوال الرافضين لدعوة الرسول؛ تفظيعاً لحالهم، وتحذيراً من الوقوع في أمثالها. فلمّا بُيّن في الآية السابقة وجه تأخير عذاب الاستئصال عنهم، وإرجاء جزائهم في الآخرة، بُيّن في هذه الآية حالهم عندما يمس أحدهم شيء من الضر، وعندما يكشف الضر عنه. وفي ذكر الإنسان هنا إيماء إلى التذكير بنعمة الله عليهم؛ إذ جعلهم من أشرف الأنواع الموجودة في الأرض. والسياق ينسق خطوات التعبير وإيقاعه مع الحالة النفسية التي يصورها، والنموذج البشري الذي يعرضه. فيصور منظر الضر في بطء وتلبث وتطويل... دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً: يعرض كل حالة وكل وضع وكل منظر ليصور وقفة هذا الإنسان وقد توقف

التيار الدافع في جسمه أو في ماله أو في قوته، كما يتوقف التيار أمام السد؛ فيقف أو يرتد، حتى إذا ارتفع الحاجز مرّ لا يتوقف ليشكر، ولا يلتفت ليتدبر، ولا يتأمل ليعتبر؛ فاندفع مع تيار الحياة دون كابح ولا زاجر ولا مبالاة!. بمثل هذه الطبيعة استمر المسرفون في إسرافهم لا يحسون ما فيه من تجاوز للحدود. . . **﴿كذلك زيّن للمسرفين ما كانوا يعملون. ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لمّا ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا﴾**: عاد الخطاب إلى الرافضين دعوة الرسول عوداً على بدئه فى قوله: إنّ ربّكم الله، إلى ما بعده من الدلائل والإنذار والتحذير، فكان التماثل بينهم وبين الأمم قبلهم في الغرور بتأخير العذاب عنهم حتى حل بهم الهلاك فجأة. وهذه الآية تهديد وموعظة بما حل بأمثالهم. ولتوكيد التهديد والوعيد أكدت الجملة بلام القسم وقد التي للتحقيق. وكان سبب هذا الإهلاك ثلاثة أمور: لما ظلموا، وجاءتهم رسلهم بالبينات فكذبوا، وما كانوا ليؤمنوا بما فيهم من التكبر والعناد.

وجملة **﴿كذلك نجزي القوم المجرمين﴾** تذييل. والتعريف في القوم المجرمين للاستغراق؛ فلذلك عم القرون الماضية وعم المخاطبين، وبذلك كان إنذاراً لقريش بأن ينالهم ما نال أولئك؛ لاشتراكهم لأولئك المهلكين في الجرائم والجرائر التي هي تكذيب الرسول والإصرار عليه، وفيه تقرير لمضمون ما سبق من قوله تعالى: ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير. . . إلخ. . . **﴿ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون﴾**: وصل الكلام بما قبله بالعطف على أهلكنا، والعطف بثم مؤذن ببعد ما بين الزمنين، وجعل استخلافهم في الأرض علة لعلم الله بأعمالهم، فهو كناية عن ظهور أعمالهم في الواقع إن كانت ممّا يرضي الله أو مما لا يرضيه. . . **﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله﴾**: هنا يتحول السياق من الخطاب الموجه إلى العرب وقت نزول القرآن، إلى عرض نماذج من أعمالهم بعد الاستخلاف؛ فماذا فعلوا؟.

إنّهم عملوا ما عملوا، فقد قالوا هذا القول العجيب الذي لا يصدر عن إنسان يصلح للاستخلاف في الأرض، ويظهر هنا نكتة هذا الاقتراح السخيف بأسلوب الإخبار عن قوم غائبين كأنّهم غير حاضرين؛ لأنهم لا يستحقون الخطاب.

ووصف الآيات ببينات لزيادة التعجيب من اقتراحهم طلب تبديلها بإلغائها أو تغييرها، ولما كان لاقتراحهم معْنًى صريحٌ، وهو الإتيان بقرآن آخر، أو تبديل آيات القرآن الموجودة، ومعنًى التزاميٌّ كنائيٌّ، وهو أنّه غير منزل من عند الله، وأنّ الذي جاء به غير مرسل من الله؛ فكان الجواب عن قولهم جوابين: أحدهما ما لقنه الله بقوله: ﴿**قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي**﴾؛ فهو جواب عن صريح اقتراحهم. وثانيهما ما لقنه بقوله: قل لو شاء الله ما تلوته عليكم؛ فهو جواب عن لازم كلامهم. وقد جاء الجواب عن اقتراحهم كلاماً جامعاً قضَاءً لحقّ الإيجاز البديع، وتعويلا على أنَّ السؤال يبين المراد من الجواب؛ فأحسوا بامتناع تبديل القرآن من جهة الرسول ﷺ، وهذا جواب كافٍ؛ فقد جاء الجواب بأبلغ صيغ النفي، وهو ما يكون لي أن أبدله، أي: ما يكون التبديل ملكاً بيدي.

وجملة ﴿**إن أتّبع إلا ما يوحى إلي**﴾ تعليل لجملة ما يكون لي أن أبدله؛ فالاتباعُ مجازٌ في عدم التصرف، بجامع مشابهة ذلك للاتباع الذي هو عدم تجاوز الاقتفاء في المشي، واقتضت إن النافية وأداة الاستثناء قصر تعلق الاتباع على ما أوحى الله، وهو قصر إضافي؛ فقرينة كون وقوعه جواباً لرد اقتراحهم. وجملة ﴿**إنّي أخاف إن عصيت ربي. . .**﴾ الخ في موضع التعليل لجملة إن أتبع إلا ما يوحى إليّ، ولذلك فصلت عنها. ودلَّ سياق الكلام على أن الإتيان بقرآن آخر غير هذا، بمعنى إبطال هذا القرآن وتعويضه بغيره، وأن تبديله بمعنى تغيير معاني وحقائق ما اشتمل عليه ممتنع. . . ﴿**قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون**﴾: هذا جواب عن لازم اقتراحهم وكنايته عن رميهم الرسول ﷺ بالكذب عن الله فيما ادعى من إرساله وإنزال القرآن عليه، كما تقدم في الجواب قبله، ولكونه جواباً مستقلاً عن معنًى قصدوه من كلامهم جاء الأمر به مفصولاً عن الأول غير معطوف عليه تنبيهاً على استقلاله وأن ليس تكملة للجواب الأول.

وفي هذا الجواب استدلال على أنّه مرسل من الله تعالى، وأنّه لم يختلق القرآن من عنده، بدليلٍ التَفَّتْ في مطاويه أدلة. وقد نظم فيه الدليل بانتفاء نقيض المطلوب على إثبات المطلوب؛ إذ قوله: لو شاء الله ما تلوته، تقديره: لو شاء الله أن لا أتلوه عليكم ما تلوته؛ فإنّ فعل المشيئة يكثر حذف مفعوله في جملة

الشرط؛ لدلالة الجزاء عليه، وإنما بنى الاستدلال على عدم مشيئة الله نفي تلاوته؛ لأن ذلك مُدّعى الكفار لزعمهم أنّه ليس من عند الله، فكان الاستدلال إبطالاً لدعواهم ابتداءً، وإثباتاً لدعواه مآلاً. وهذا الجمع بين الأمرين من بديع الاستدلال، أي: لو شاء الله أن لا آتيكم بهذا القرآن ما أرسلني به، ولبقيت على الحالة التي كنت عليها من أول عمري.

والدليل الثاني مطويّ، هو مقتضى جواب لو؛ فإن جواب لو يقتضي استدراكاً مطرداً في المعنى، بأن يثبت نقيض الجواب؛ فقد يُستغنى عن ذكره وقد يُذكر، فتقديره هنا: لو شاء الله ما تلوته لكنني تلوته عليكم، وتلاوته هي دليل الرسالة؛ لأن تلاوته تتضمن إعجازه علميّا؛ إذ جاء به من لم يكن من أهل العلم والحكمة، وبلاغياً؛ إذ جاء كلاماً أعجز أهل اللغة كلهم مع تضافرهم في بلاغتهم وتفاوت مراتبهم، وليس من شأن أحد من الخلق أن يكون فائقاً على جميعهم، ولا من شأن كلامه أن لا يستطيع مثله أحدٌ منهم، ولذلك فرعت على الاستدلال جملة: فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون؛ تذكيراً لهم بقديم حاله المعروفة بينهم، وهي حال الأمية، فقد كنت بين ظهرانيكم مدة طويلة، وهي أربعون سنة، تشاهدون أطوار نشأتي فلا ترون فيها حالة تشبيه حالة العظمة والكمال المتناهي الذي صار إليه لما أوحى الله إليه بالرسالة، ولا بلاغة قول واشتهاراً بمقاولة أهل البلاغة والخطابة والشعر تشبه بلاغة القول الذي نطق به عن وحي القرآن؛ إذ لو كانت حالته بعد الوحي حالاً معتاداً، وكانت بلاغة الكلام الذي جاء به كذلك لكان له من المقدمات من حين نشأته ما هو تهيئة لهذه الغاية، فقد آل الدليل بهذا الوجه إلى الاستدلال عليهم بمعجزة القرآن والأميّة؛ فلكلمة تلوته هنا من الوقع ما ليس لغيرها؛ لأنها تتضمن تالياً كلاماً، ومتلوّاً، وباعثاً بذلك المتلوّ؛ فبالأول تشير إلى معجزة المقدرة على تلاوة الكتاب مع تحقق الأمّية، وبالثاني تشير إلى القرآن الذي هو معجزة دالة على صدق الآتي به لما فيه من الحقائق والإرشاد الديني، وبالثالث تشير إلى أنّه كلام من عند الله تعالى؛ فانتظمت بهذا الاستدلال دلالة صدق النبيء ﷺ في رسالته عن الله عزّ وجلّ.

وتفريع جملة أفلا تعقلون على جملة الشرط وما تفرع عليها تفريع للإنكار والتعجب على نهوض الدليل عليهم؛ إذ ظهر من حالهم ما يجعلهم كمن لا

يعقل! . . **﴿فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذّب بآياته إنّه لا يفلح المجرمون﴾**: هذه الآية تتمة الرد على اقتراح الرافضين المكذبين؛ فإنه رد عليهم أولاً بِبَيَان حقيقة الأمر الواقع، وهو أن تبديل القرآن ليس من شأن الرسول في نفسه، ولا مما أذن الله له به، بل يعاقبه عليه أشد العقوبة في الآخرة إن فُرِضَ وقُوعُه منه، وثانية بإقامة الحجة العقلية على أنّه كلام الله، ثم عزَّزَ هاتين الحجتين بثالثة، وهي أنّ شر أنواع الظلم والإجرام في البشر شيآن: أحدهما افتراء الكذب على الله، وهو ما اقترحوه عليه لجحودهم، وثانيهما التكذيب بآيات الله، وهو ما اجترحوه بإجرامهم.

وقد بيّن هذا بصيغة الاستفهام الإنكاري؛ فجملة إنّه لا يفلح المجرمون تذييل، وموقعه يقتضي شمول عمومه للمذكورين في الكلام المذيَّل، فيقتضي أنّ أولئك مجرمون وأنّهم لا يفلحون. وتأكيد الجملة وافتتاحها بضمير لقصد الاهتمام بضمونها، وبما فيه من زيادة تقريره في الذهن؛ فإن الضمير لا يفهم منه من أول الأمر إلا شأن مبهم له خطر، فيبقى الذهن مترقباً لما يعقبه، فيتمكن عند وروده عليه فضل تَمَكُّنٍ؛ فكأنّه قيل: إنّ الشأن هذا. . . **﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم﴾**: هذه الآية موصولة بالعطف على ما قبلها، وهي حكاية لجناية أخرى لهم نشأت عنها جنايتهم الأولى. وفي وصفها بأنها لا تضرهم ولا تنفعهم إيذان بسبب عبادتها وضلالهم فيه، وتذكير بأنّ الله هو القادر على نفع من يعبده وضر من يكفر به ويشرك بعبادته غيره في الدنيا والآخرة. . . **﴿ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾**: هذا تبرير من أنفسهم لأنفسهم بصحة عبادتهم الأصنام.

ثم يأتي الرد عليهم بهذا الاستفهام المقصود منه التهكم بهم. . . **﴿قل: أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض﴾**؟!: فمعنى ذلك أنّ هذا لما كان شيئاً اخترعوه وهو غير واقع جعل اختراعه بمنزلة أنّهم أعلموا الله به وكان لا يعلمه، فصار ذلك كناية عن بطلانه؛ لأنّ ما لم يعلم الله وقوعه فهو مُنْتَفٍ. وجملة **﴿سبحانه وتعالى﴾** إنشاء تنزيه، فهي منقطعة عن التي قبلها فلذلك فصلت. . . **﴿وما كان الناس إلاّ أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربّك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون﴾**: هذه الآية جاءت معترضة بين قوله: ويعبدون، وبين قوله: ويقولون لولا أنزل عليه آية، ومناسبة الاعتراض قوله: قل أتنبئون الله

بما لا يعلم. . . الخ؛ لأن عبادة الأصنام واختراع صفة الشفاعة لها هو من الاختلاف الذي أحدثه ضلال البشر في العقيدة السليمة التي فطر الله الناس عليها في أول النشأة، فهي مما يشمله التوبيخ الذي في قوله: أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض.

وصيغة القصر للمبالغة في تأكيد الخبر، وحسن القصر هنا وقوعه عقب الجدال مع الذين غيّروا الدين الحق، وروجوا نحلتهم بالمحاذير الباطلة. وجملة ولولا كلمة سبقت من ربك إخبار بأنّ الحق واحد، وأنّ ذلك الاختلاف مذموم، وهذه الكلمة أجملت هنا، وأشير إليها في سورة الشورى بقوله: ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضي بينهم. . . **﴿ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه فقل إنّما الغيب لله فانتظروا إنّي معكم من المنتظرين﴾**: وصلت هذه الآية بالعطف على قوله: ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم؛ فبعد أن ذكر افتراءهم على الله تعالى، نفى بهتانهم في جانب الرسول ﷺ، والآية التي يريدونها هي الخوارق التي اقترحوها مراراً وتكراراً؛ فقد أمر الله رسوله أن يجيب عن اقتراحهم بما هو الحقيقة المرشدة، وإن كانت أعلى من مداركهم؛ جواباً فيه تعريض بالتهديد لهم، وجاء الكلام بصيغة القصر للرد عليهم في اعتقادهم أنّ في مكنة الرسول الحق أن يأتي بما يسأله قومه من الخوارق. وجملة فانتظروا إني معكم من المنتظرين تفريع على الجملة قبلها، وهذا تعريض بالتهديد لهم أن ما يأتي به الله لا يترقبون منه إلا شراً لهم. والمعية في قوله: معكم مجازية مستعملة في الاشتراك في مطلق الانتظار. . .

﴿وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم إذا لهم مكر في آياتنا قل الله أسرع مكراً إنّ رسلنا يكتبون ما تمكرون﴾: هذه الآية موصولة بالعطف على ما قبلها، ففيها بيان لحال الناس الذين انحرفوا عن الفطرة السليمة ورفضوا الدعوة المستقيمة؛ فهم يمكرون عند الأمن، ويستغيثون عند المحن. ولما كان الكلام متضمناً التعريض بإنذارهم، أمر الرسول أن يعظهم بأنّ الله أسرع مكراً. ودلَّ اسم التفضيل على أنّ مكر الكافرين سريع أيضاً، وذلك لما دلَّ عليه حرف المفاجأة من المبادرة، وهي إسراع. وأطلق على تأجيل الله عذابهم اسم المكر على وجه الاستعارة التمثيلية؛ لأن هيئة ذلك التأجيل في خفائه عنهم كهيئة فعل الماكر، وحسنته المشاكلة.

وجملة إنّ رسلنا يكتبون ما تمكرون استئناف خطاب للمشركين مباشرة، تهديد من الله؛ فلذلك فصلت عن التي قبلها لاختلاف المخاطب، وتأكيد الجملة لكون المخاطبين يعتقدون خلاف ذلك. وعبر بالمضارع في يكتبون ويمكرون للدلالة على التكرر؛ فتتكرر كتابة الملائكة كلما تكرر مكرهم... **﴿هو الذى يسيّركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنُّوا أنّهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين﴾**: هذا كلام مستأنف مسوق لبيان جناية أخرى لهم مبنية على ما مرَّ آنفاً من اختلاف حالهم حسب اختلاف ما يعتريهم من السراء والضراء، والقرآن هنا يعرض حالة من أحوالهم في مشهد كأنّه يقع وتشهده العيون وتتابعه المشاعر وتخفق معه القلوب. يبدأ بتقرير القدرة المسيطرة المهيمنة على الحركة والسكون، هو الذي يسيركم في البر والبحر؛ فحتى هنا ابتدائية تفيد الغاية في التسيير، فالمشهد متكامل من أوله ووسطه وآخره، والأسلوب واضح في عباراته، ودقيق في تصوير مشاهداته...

﴿فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق﴾: تعقيب على ما حصل بينهم أولاً وآخراً. إنّ سرعة الإجابة بالإنجاء تفاجئه سرعة البغي والاعتداء... **﴿يا أيّها الناس إنّما بغيكم على أنفسكم﴾**: توجيه للخطاب إلى أولئك الباغين للتشديد في التهديد، والمبالغة في الوعيد؛ فصيغة قصر البغي على كونه مضراً بهم تنبيه على حقيقة واقعية؛ ليعلموا أنّ التحذير من البغي والتهديد عليه لمصلحتهم هم... **﴿متاع الحياة الدنيا ثم إلينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون﴾**: إنّ بقاءكم على البغي والشرك مدة قصيرة لا تُعَدُّ ولا قيمة لها، فهي متاع كمتاع المسافر؛ فجملة ثم إلينا مرجعكم أفادت التراخي الرتبي؛ لأنّ مضمون هذه الجملة أصرح تهديداً من مضمون جملة إنّما بغيكم على أنفسكم، وتقديم المجرور في قوله: إلينا مرجعكم، لإفادة الاختصاص، وتفريع فننبئكم تفريع وعيد على تهديد، واستعمل الإنباء كناية عن الجزاء؛ لأن الإنباء يستلزم العلم بأعمالهم السيئة، وفي ذكر كنتم والفعل المضارع دلالة على تكرر فعلهم وتمكنه منهم... **﴿إنّما مثل الحياة الدنيا كماءٍ أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض ممّا يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازيّنت وظنَّ أهلها أنّهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصّل الآيات لقوم**

يتفكرون﴾: هذه الآية تنزل منزلة البيان لجملة متاع الحياة الدنيا، وصيغة القصر لتأكيد المقصود من التشبيه وهو سرعة الانقضاء، ولتنزيل السامعين منزلة من يحسب دوام بهجة الحياة الدنيا.

ومن بديع هذا التشبيه تضمنه لتشبيهات مفرقة من أطوار الحالين المتشابهين، بحيث يصلح كل جزء من هذا التشبيه المركب لتشبيه جزء من الحالين المتشابهين؛ ولذلك أطنب وصف الحالين من ابتدائه. وجملة كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون تذييل جامع؛ فهذه الآية من جملة الآيات التي تبين للناس حقائق الأشياء على ما هي عليه أوضح تبيين وأكمل تفصيل... **﴿والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾**: الكلام موصول بالعطف على ما قبلها، ولما كانت جملة كذلك نفصل الآيات تذييلاً، وكان شأن التذييل أن يكون كاملاً جامعاً مستقلاً جعلت الجملة المعطوفة عليها مثلها في الاستقلال فعدل فيها عن الإضمار إلى الإظهار... **﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾**: هذه الآية بيّنت ما يستحق المحسن، وفصلت نوع الاستحقاق، وهو ما أجمله في الآية السابقة. ولما أوقع ذكر الذين أحسنوا جملة البيان علم السامع أنّهم هم الذين هداهم الله إلى صراط مستقيم.

والحسنى هي دار السلام، وتعريفها يفيد الاستغراق، والزيادة يتعين أنّها زيادة لهم ليست داخلة في نوع الحسنى بالمعنى الذي صار علماً بالغلبة، فلا ينبغي أن تفسر بنوع مما في الجنة؛ لأنها تكون حينئذ مما يستغرقه لفظ الحسنى، فتعين أنّها أمر يرجع إلى رفعة الأقدار في دار القرار. وجملة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون نتيجة للمقدمة، فبينها وبين التي قبلها كمال الاتصال؛ ولذلك فصلت عنها ولم تعطف.

واسم الإشارة يرجع إلى الذين أحسنوا، وفيه تنبيه على أنّهم استحقوا الخلود لأجل إحسانهم... **﴿والذين كسبوا السيآت جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كأنّما أغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلما أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾**: هذه الآية موصولة بالعطف على ما قبلها لأنّها تبين ما للمسيئين من جزاء مقابل ما للمحسنين من الحسنى وزيادة. وعبر في جانب

المسيئين بفعل كسبوا السيآت دون فعل أساءوا الذي عبر به في جانب الذين أحسنوا للإشارة إلى أن إساءتهم من فعلهم وسعيهم. ورسم السياق لهؤلاء صورة مزرية منفّرة: نفوس مرهقة بالذلة، ووجوه مغشاة ظلمة فوق ظلمة، والمصير إلى الجحيم، فلا ناصر ولا حميم!.. **﴿ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم إيّانا تعبدون﴾**: هذه الآية موصولة بالعطف على ما قبلها؛ فإنّه لمّا ذكر في الجملتين السابقتين ما يختص به كل فريق من الفريقين من الجزاء وسماته، جاءت هذه الجملة بإجمال حالة جامعة للفريقين ثم بتفصيل حالة يمتاز بها المشركون؛ ليحصل بذلك ذكر فظيع من أحوال الذين بلغوا الغاية في كسب السيآت، وهي سيئة الإشراك الذي هو أكبر الكبائر، فبذلك حصلت المناسبة مع الجملة التي قبلها.

ومن نكت ذكر حشر الجميع هنا التنبيه على أنّ فظيع حال المشركين وافتضاحهم يكون بمرأى ومسمع من المؤمنين؛ فتكون السلامة من تلك الحالة زيادة في النعمة على المسلمين، وتقوية في النكاية للمشركين. وموقف المشركين مع شركائهم واضح هنا أمام الأشهاد؛ فهذه الصورة التي عرضها السياق هنا مشهد حيّ أبلغ من الإخبار المجرد بأنّ الشركاء لم يعصموا عبادهم من الله، ولن يملكوا لهم خلاصاً ولا نجاةً. وجملة **﴿فكفى بالله شهيداً﴾** مؤكدة بالقسم ليثبتوا البراءة مما ألصق بهم، وجواب القسم إن كنّا عن عبادتكم لغافلين، وعطفت جملة القسم بالفاء للدلالة على أنّ القسم متفرع على الكلام المتقدم؛ لأن إخبارهم ينفي أن يكونوا يعبدونهم خبر غريب مخالف لما هو مشاهد؛ فناسب أن يفرع عليه ما يحققه ويبينه مع تأكيد ذلك بالقسم. والإتيان بفاء التفريع عند تعقيب الكلام بجملة قسمية من فصيح الاستعمال، ومن خصائصه أنّه إذا عطف بفاء التفريع كان مؤكداً لما قبله بطريق تفريع القسم عليه، ومؤكداً لما بعده بطريق جواب القسم به، وكفى هنا صيغة خبر مستعمل في إنشاء القسم، والباء مزيدة للتأكيد، وأصله كفى الله شهيداً.

وانتصب شهيداً على التمييز لنسبة الكفاية إلى الله لما فيها من الإجمال. وجملة **﴿إن كنا عن عبادتكم لغافلين﴾** جواب للقسم، وإن مخففة من إنّ، واسمها ضمير شأن ملتزم الحذف، وجملة كنا عن عبادتكم لغافلين مفسرة لضمير الشأن،

فهي خبره، واللام فارقة بين إن المؤكدة المخففة وبين إن النافية، وتقديم قوله عن عبادتكم على عامله للاهتمام وللرعاية على الفاصلة... ﴿**هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت**﴾: تذييل وفذلكة للجمل السابقة؛ فالإشارة إلى مكان الحشر متقدم الذكر، وقدم على عامله للاهتمام به، وتبلو هنا كناية عن التحقق وعلم اليقين... ﴿**وردوا إلى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون**﴾: الضمائر في الجملتين للمشركين؛ فهنالك يتكشف الموقف عن إله واحد حق يرجع إليه الجميع وما عداه باطل، وهنالك لا يجد المشركون شيئاً من دعاويهم ومزاعمهم وآلهتهم، فكله شُرِّدَ عنهم ولم يعد له وجود.

وهكذا يتجلى المشهد الحيّ في ساحة الحشر بكل حقائقه وبكل وقائعه وبكل مؤثراته واستجاباته، تعرضه تلك الكلمات القلائل، فتبلغ من النفس ما لم يبلغه الإخبار المجرد، ولا براهين الجدل الطويل... ﴿**قل من يرزقكم من السماء والأرض أمّن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميّت ويخرج الميّت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون**﴾: هذا انْتقال من غرض إلى غرض في أفانين إبطال الشرك وإثبات التوحيد الخاص بالله تعالى، وهذه الجملة تتنزل منزلة الاستدلال لقوله: مولاهم الحق؛ لأنّها برهان على أنّه المستحق للولاية؛ فاحتج على ذلك بمواهب الرزق الذي به قوام الحياة، وبموهبة الحواس، وبنظام التناسل والتوالد الذي به بقاء الأنواع، وبتدبير نظام العالم وتقدير المقدرات؛ فهذه كلها مواهب من الله وهم كانوا يعلمون أنّ جميع ما ذكر لا يفعله إلا الله؛ إذ لم يكونوا ينسبون إلى أصنامهم هذه الأمور، فلا جرم أن كان المختص بها هو مستحق الولاية والعبادة. وجاء الاستدلال بطريقة الاستفهام والجواب؛ لأنّ ذلك في صورة الحوار، فيكون الدليل الحاصل به أوقع في نفوس السامعين؛ ولذلك كان من طرق التعليم مما يراد رسوخه من القواعد العلمية أن يؤتى به في صورة السؤال والجواب.

وقوله: من السماء والأرض، تذكير بأحوال الرزق؛ ليكون أقوى حضوراً في الذهن. وأم في قوله: أم من يملك السمع للإضراب الانتقالي من استفهام إلى آخر. وقوله: ومن يدبر الأمر تعميم بعد تخصيص. والفاء في قوله: فسيقولون الله فاء السببية، فالجملة قبله منزلة منزلة الشرط؛ فكأنه قيل: إن تقل: من

يرزقكم؟. فسيقولون الله. والفاء في قوله: فقل، فاء الفصيحة. والفاء في قوله: أفلا تتقون فاء التفريع؛ إنّما أخبر الله عنهم بأنّهم سيعترفون بأنّ الرازق والخالق والمدبر هو الله؛ لأنّهم لم يكونوا يعتقدون غير ذلك، كما تكرر الإخبار بذلك عنهم في آيات كثيرة من القرآن... **﴿فذلكم الله ربّكم الحق فماذا بعد الحق إلاّ الضلال فأنّى تصرفون﴾**: هذه الآية فذلكة لما تقدم، فهو تفريع على قوله: أفلا تتقون. والفاء في قوله: فماذا بعد الحق إلاّ الضلال تفريع للاستفهام الإنكاري على الاستنتاج الواقع بعد الدليل، فهو تفريع على تفريع، وتفريع بعد تفريع، والاستفهام هنا إنكاري في معنى النفي؛ ولذلك وقع بعده الاستثناء في قوله: إلاّ الضلال. والفاء في قوله: فأنّى تصرفون للتفريع أيضاً، فهو لتفريع التصريح بالتوبيخ على الإنكار والإبطال، وقد اشتملت هذه الآيات على تسع فاآت من قوله: فسيقولون الله: الأولى جوابية، والثانية فصيحة، والبواقي تفريعية...

﴿كذلك حقت كلمات ربّك على الذين فسقوا أنّهم لا يؤمنون﴾: هذه الآية جاءت تذييلاً للتعجب من استمرارهم على الكفر بعد ما ظهر لهم من الحجج والآيات، وتأييس من إيمانهم... **﴿قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فأنّى تؤفكون﴾**: هذه الآية جاءت مستأنفة على طريقة التكرير لما قبله، فهذا مقام تقرير وتعديد الاستدلال، وهو من دواعي التكرير، وهو احتجاج عليهم بأنّ حال آلهتهم على ضد من صفات الله تعالى؛ فبعد أن أقام عليهم الدليل على انفراد الله تعالى بالرزق وخلق الحواس وخلق الأجناس وتدبير جميع الأمور، وأنه المستحق للإلهية بسبب ذلك الانفراد، بيّن هنا أنّ آلهتهم مسلوبة من صفات الكمال، وأنّ الله متصف بها، وإنّما لم يعطف؛ لأنّه غرض آخر مستقل، وموقع التكرير يزيده استقلالا. والاستفهام إنكار وتقرير بإنكار ذلك؛ إذ ليس المتكلم بطالب للجواب، ولا يسعهم إلاّ الاعتراف بذلك؛ فلذلك أمر النبيء بأن يرتقي معهم في الاستدلال بقوله: الله يبدأ الخلق ثم يعيده؛ فصار مجموع الجملتين قصراً لصفة بدء الخلق وإعادته على الله تعالى قصر إِفْرَاد. وذكر إعادة الخلق في الموضعين مع أنّهم لا يعترفون بها ضرب من الإدماج في الحجج، وهو فن بديع. وقوله: فأنّى تؤفكون، كقوله: فأنّى تصرفون، والمعنى: فإلى أي مكانٍ تُقلبون؟.

والقلب هنا مجازي، وهو إفساد الرأي... **﴿قل هل من شركائكم من يهدي**

إلى الحق قل الله يهدي للحق أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون﴾: هذا تكرير آخر بعد قوله: قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده؛ فهذا استدلال بنقصان آلهتهم عن الإرشاد إلى الكمال النفساني بنشر الحق، وبأنّ الله تعالى هو الهادي إلى الكمال والحق. ومجموع الجملتين مفيد قصر صفة الهداية إلى الحق على الله تعالى دون آلهتهم قصر إفراد. وقوله: أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع... الخ تفريع استفهام تقريري على ما أفادته الجملتان السابقتان من قصر الهداية إلى الحق على الله تعالى دون آلهتهم. وجملة فما لكم كيف تحكمون تفريع استفهام تعجيبي على اتباعهم من لا يهتدي بحال!.

وجملة كيف تحكمون استفهام ينزل منزلة البيان لما في جملة ما لكم من الإجمال؛ ولذلك فصلت عنها، فهو مثله استفهام تعجيبي من حكمهم الضال؛ إذ حكموا بآلهية من لا يهتدي، فهو تعجيب على تعجيب!، والأمر أعجب من العجيب!!.. **﴿وما يتبع أكثرهم إلا ظناً إنّ الظن لا يغني من الحق شيئا إنّ الله عليم بما يفعلون﴾**: هذه الآية وصلت بالعطف على آية قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق، باعتبار عطف تلك على نظيرتيها المذكورتين قبلها؛ فبعد أن أمر الله رسوله بأن يحجّهم فيما جعلوهم آلهة، وهي لا تصرّف ولا تدبير ولا هداية لها، أعقب ذلك بأنّ عبادتهم إيّاها اتباع لظن باطلٍ، وهو وهم ليس فيه شبهة حق؛ فتنكير ظنّاً للتحقير!، وهو ظن واهٍ لا قيمة له. ودلت صيغة القصر على أنّهم ليسوا في عقائدهم المنافية للتوحيد على شيء من الحق رداً على اعتقادهم أنّهم على الحق. وجملة إنّ الظن لا يغني من الحق شيئا تعليل لما دل عليه القصر من كونهم ليسوا على شيء من الحق، فكيف يزعمون أنّهم على الحق؟!. وجملة إنّ الله عليم بما يفعلون استئناف للتهديد بالوعيد.

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

التوجيه الأول: ﴿ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي إليهم أجلهم فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون﴾: في هذا التوجيه بيان لحكمة الله في هذا العالم، حيث جعل فيه رحمته سابقة غضبه؛ فالخيرات المفاضة على ما فيه من المخلوقات كثيرة، والشرور العارضة نادرة، ومعظمها

مسبب عن أسباب مجهولة في نظام الكون وتصرفات أهله؛ فقد ذكر في الآية التي سبقت عذاب المكذبين الرافضين، وأنّهم بهذا التكذيب استهزأوا بهذا الوعيد، وقالوا: اللهم إنّ كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم؛ فبيّن هنا سبب تأخير العذاب عنهم في الدنيا لتكشف شبهة غرورهم، وليعلم الذين آمنوا حكمةً من حِكَم تصرف الله في هذا الكون؛ فبينت هذه الآية أنّ الرفق جعله الله مستمراً على عباده غير منقطع عنهم؛ لأنّه أقام عليه نظام العالم؛ إذ أراد ثبات بنائه، وأنّه لم يقدر توازي الشر في هذا العالم بالخير لطفاً منه ورفقاً؛ فالله لطيف بعباده، وفي ذلك منة عظيمة عليهم، وأنّ الذين يستحقون الشر لو عجل لهم ما استحقوه لبطل النظام الذي وضع عليه العالم، وهذا المعنى جاء واضحاً في آية سورة فاطر عند قوله تعالى: (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم فإنّ الله كان بعباده بصيراً).

ويدخل في هذا المعنى هنا دعاؤهم على أنفسهم عند اليأس، ودعاء بعضهم على بعض عند الغضب... **﴿وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً فلما كشفنا عنه ضره مرَّ كأن لم يدعنا إلى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون﴾**: هذا بيان لطبيعة الإنسان عندما عجز عن كشف الضر الذي ألمّ به؛ من إشراف على غرق وغيره من أنواع التهلكة، أو شدة مسغبة، أو إعضال داء؛ دعا ربه منيباً إليه، ملتجئاً ومتضرعاً في كشفه عنه، في كل حال يكون عليه: مضطجعاً على جنبه، أو قاعداً في كسر بيته، أو قائماً على قدميه حائراً في أمره، فهو لا ينسى حاجته إلى رحمة ربه، ما دام يشعر بمس الضر ولذعه له، ويعلم من نفسه العجز عن النجاة منه. فلما كشفنا عنه ضره مرَّ كأن لم يدعنا إلى ضر مسه، فهو ينسى ما كان فيه من شدة، وينسى ما كان عليه من ضعف واستكانة وتضرع. كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون: هكذا التزيين الشيطاني، زين لهم ما كانوا يعملون من أعمالهم في ماضي أزمانهم في الدعاء وغيره من ضلالاتهم؛ فالإشارة إلى التزيين المستفاد هنا، هو تزيين إعراضهم عن دعاء الله في حالة الرخاء. والمراد بالمسرفين هنا الكافرون المستغرقون في الضلال، فلا يفيقون إلا حين تقهرهم المصائب إلى الالتجاء إلى الله؛ فإذا أحسوا بالانفراج رجعوا إلى ما كانوا عليه من العناد واللجاج...

﴿ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزي القوم المجرمين﴾: وهذا هو عاقبة الإسراف والتمادي فيه إلى نهاية المطاف، فانتهى بهم هذا الإسراف وتجاوز الحد والظلم إلى الهلاك، وهي سنة ماضية لا تتخلف. ما يتفشى الظلم في أمة حتى تدول دولتها وتذهب ريحها وتنتهي؛ إما إلى الهلاك بمعنى الضعف والذل وانتهاء دورها الإيجابي في المجتمع البشري، وإما بمعنى الهلاك الحقيقي الذي كان يأخذ بعض القرون، والمثل أمامنا في تاريخ البشرية البعيد والقريب؛ كلها تشهد بعاقبة تفشي الظلم والإسراف وتجاوز الحد في الأمم والشعوب؛ فإما أن يقوم في هذه الأمم من يأخذ على يد الظالم فيكفه عن ظلمه حاكماً كان أو محكوماً، وإما أن تجري سنة الله وتتحقق، فإذا هو الهلاك المحقق. وتلك القرون التي تتحدث عنها الآية، جاءتهم رسلهم بالبينات، وما كانوا ليؤمنوا؛ لأنهم لم يسلكوا طريق الإيمان وسلكوا طريق الطغيان؛ فأبعدوا فيها فلم يعودوا مهيئين للإيمان، فلقوا جزاء الظالمين المجرمين؛ فلقد تحققت فيهم ثلاث سمات وتتحقق في كل من يسير في هذا الطريق: الإسراف والظلم والإجرام، واستمر هذا حتى جاء دوركم في هذا المقام... **﴿ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون﴾**: فلم نستخلفكم محاباة ولا جزافا، إنما استخلفناكم لتعملوا.

ثم تمضي فيكم السنة التي لا تتخلف ولا تحابي، فإن وفيتم بشروط الخلافة استقامت لكم، وإن سلكتم طريق القرون قبلكم وصلتم إلى نهايتهم التي تعلمون. وهكذا ينبغي أن ندرك؛ فإن سنة الله لا تحابي ولا تتخلف؛ فإذا طلبنا النصر من الله فلنطلبه عن طريقه المرسوم؛ لنطلبه بأن ننهض بتبعات الخلافة في الأرض، لا بالدعاء المجرد، ولا بالالتجاء مع القعود، ولا نقل: إننا مسلمون فلماذا يحكم الله فينا أعداءنا من أنفسنا ومن غيرنا؟!. فالإسلام له معالم، والنصر له تكاليف، وسنة الله ماضية، وعلينا أن ندركها ونعمل بها، وإلا فلسنا بِدَعاً من القرون الأولى.

التوجيه الثاني: **﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله﴾**: في هذا التوجيه لفت النظر إلى موقف مَنْ رَفَضَ تلك الآيات البينات، وهي آيات الكتاب الحكيم التي أنزلها الله على هذا الرسول

الكريم، فهو ينتقل من خطابهم إلى عرض نماذج من أعمالهم بعد الاستخلاف؛ إنّهم يطلبون من الرسول بعدما سمعوا هذه الآيات البينات أن يأتي بقرآن غير هذا القرآن أو يبدل آياته بآيات أخرى يقبلونها ويرضون عنها! فهذا طلب عجيب لا يصدر عن جد، إنّما يصدر عن عبث وهزل، وعن جهل كذلك بوظيفة هذا القرآن وجدية تنزيله.

إنّ هذا القرآن دستور حياة شامل، منسق، بحيث يفي بمطالب هذه البشرية في حياتها الفردية والجماعية، ويهديها إلى طريق الكمال في حياة الأرض بقدر ما تطيق، ثم إلى الحياة الأخرى في نهاية المطاف. ومن يدرك القرآن على حقيقته لا يخطر له أن يطلب سواه، أو يطلب تبديل بعض أجزائه، وأغلب الظن أنّ أولئك الذين لا يتوقعون لقاء الله كانوا يحسبون المسألة مسألة مهارة، ويأخذونها مأخذ المباريات في أسواق العرب في الجاهلية؛ فما على محمد إلا أن يقبل التحدي ويؤلف قرآنا آخر أو يؤلف جزءً مكان جزء... ﴿**قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتّبع إلا ما يوحى إليّ إنّي أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم**﴾: إنّها ليست لعبة لاعب ولا مهارة شاعر، إنما هو الدستور الإنساني الصادر من مدبر الكون كله، وخالق الإنسان وهو أعلم بما يصلحه، فما يكون للرسول أن يبدله من تلقاء نفسه، وإن هو إلا مبلّغ متّبع للوحي الذي يأتيه، وكل تبديل فيه معصية وراءها عذاب يوم عظيم... ﴿**قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون**﴾: إنّه وحي من الله، وتبليغه لكم أمر من الله كذلك، ولو شاء الله ألاّ أتلوه عليكم ما تلوته، ولو شاء الله ألاّ يعلمكم به ما أعلمكم؛ فالأمر كله لله في نزول هذا القرآن وفي تبليغه للناس. قل لهم هذا، وقل لهم: إنّك لبثت فيهم عمراً كاملاً من قبل الرسالة؛ أربعين سنة، فلم تحدثهم بشيء من هذا القرآن؛ لأنك لم تكن تملكه، لم يكن قد أوحي إليك، ولو كان في استطاعتك عمل مثله أو أجزاء منه، فما الذي أقعدك عمراً كاملاً، ألا إنّه الوحي الذي لا تملك من أمره شيئاً إلا البلاغ... ﴿**فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذّب بآياته**﴾: هذه تتمة الرد على اقتراح المشركين؛ فإنه رد عليهم:

أولاً: ببيان حقيقة الأمر الواقع، وهو أن تبديل القرآن ليس من شأن الرسول

في نفسه، ولا مما أذن الله له به، بل يعاقبه عليه أشد العقاب في الآخرة إن فرض وقوعه منه؛ لأنّه كلامه الخاص به.

وثانياً: بإقامة الحجة العقلية على أنّه كلام الله، وأنّه ليس في استطاعة الرسول الإتيان بمثله. ثم عزّز هاتين الحجتين بثالثة أدبية: وهي أن شر أنواع الظلم والإجرام في البشر شيآن: أحدهما / افتراء الكذب على الله، وهو ما اقترحوه عليه بجحودهم. وثانيهما / التكذيب بآيات الله، وهو ما اجترحوه بإجرامهم. وقد بين هذا بصيغة الاستفهام الإنكاري، أي: لا أحد أظلم عند الله، وأجدر بغضبه وعقابه من هذين الفريقين من الظالمين. وأنا أنعي عليكم الثاني منهما، فكيف أرضى لنفسي بالأول وهو شر منه؟. وأي فائدة لي من هذا الإجرام العظيم، وأنا أريد الإصلاح وأدعو إليه، وأحتمل المشاق في سبيله، وأعلم أنّه لا يفلح المجرمون.

ويستمر السياق يعرض ما قالوه وما فعلوه بعد استخلافهم في الأرض غير هذا الهزل في طلب قرآن جديد... ﴿**ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون**﴾: في الآيات السابقة عرض لما قالوه، وفي هذه الآية عرض لما فعلوه من الشرك وعبادة غير الله، زعماً منهم أنّها تضر وتنفع؛ فالنفس حين تنحرف لا تقف عند حد من السخف. وهذه الأرباب المتعددة التي يعبدونها وهي لا تملك أن تضر من كفر بها، ولا تملك أن تنفع من عبدها، ومع هذا يقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، فكيف يشفعون؟. ربما كانوا يفهمون أنّ أرواحاً معينة حلت بها، ولكن الله بيّن لهم أنّه ما من شفيع لديه إلا بإذنه، وهو يقول لهم هنا: إنّه يعلم أنّ هؤلاء ليسوا شفعاء، فهل يا ترى هؤلاء يشفعون لديه دون علمه؟!.. قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض؟: وهل يعلمون هم ما لا يعلمه الله، وينبئون بما لا يعلم له وجوداً في السماوات ولا في الأرض؟!.

إنّه أسلوب ساخر يليق بهذا السخف الذي يلجون فيه!، فلهذا جاء التنزيه معقباً على هذا السخف السفيه... سبحانه وتعالى عما يشركون: ومع هذا التنبيه والتحذير والتوجيه لا زال في الأمة الإسلامية من يلجّون معتقدين في أوليائهم صفة

التأليه؛ فيتقربون إليهم بأنواع القرب، ويفزعون إليهم عندما تشتد بهم الكرب، ويحلفون بأسمائهم فلا يحنثون، ويحلفون بالله فيكذبون!. وقبل أن يمضي في عرض ما قالوه وما فعلوه يعقب على هذا الشرك بأنّه عارض، والفطرة في أصلها كانت على التوحيد: «فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيّم».

ثم جد الخلاف بعد حين... **﴿وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا﴾**: وقد اقتضت مشيئة الله أن يمهلهم جميعاً إلى أجل يستوفونه، وسبقت كلمته بذلك فنفذت لحكمة يريدها... **﴿ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون﴾**. وبعد هذا التعقيب يمضي السياق في الاستعراض لما يقول المستخلفون... **﴿ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه فقل إنّما الغيب لله فانتظروا إنّي معكم من المنتظرين﴾**: فكل الآيات التي يحتويها هذا الكتاب المعجز لا تكفيهم، وكل آيات الله المبثوثة في تضاعيف الكون لا تكفيهم؛ فهم يقترحون خارقة كخوارق الرسل في الأمم قبلهم، غير مدركين طبيعة الرسالة المحمدية وطبيعة معجزتها؛ فهي ليست معجزة وقتية تنتهي بمشاهدة جيل، إنّما هي المعجزة الدائمة التي تخاطب القلب والعقل في جيل بعد جيل، ولا يؤمر الرسول أن يقول لهم هذا، فلا جدوى أن يقال هذا لهؤلاء!، إنما يؤمر أن يحيلهم على الله الذي يعلم ما في غيبه، ويقدر إن كان سيبرز لهم خارقة أو لا يبرز. فقل: إنّما الغيب لله فانتظروا إني معكم من المنتظرين: فهو جواب في طيه الإهمال وفي طيه التهديد. وحين ينتهي السياق من عرض ما يقول المستخلفون وما يفعلون، يعود إلى الحديث عن بعض طبائع البشر حين يذوقون الرحمة بعد الضر، كما تحدث من قبل عنهم حين يصيبهم الضر ثم ينجون منه.

وضرب لهم مثلاً مما يقع في الحياة يصدّق ذلك؛ فيقدمه في صورة مشهد قوي من مشاهد القرآن التصويرية... **﴿وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم إذا لهم مكر في آياتنا قل الله أسرع مكراً إنّ رسلنا يكتبون ما تمكرون﴾**: عجيب هذا المخلوق الإنساني لا يذكر الله إلا في ساعة العسرة، ولا يثوب إلى فطرته، وينزع عنها ما غشاها من شوائب وانحرافات إلا في ساعة المكربة؛ فإذا أمن: فإما النسيان وإما الطغيان، ذلك إلا من اهتدى فبقيت فطرته سليمة حية مستجيبة في كل آن، مجلوة دائماً بجلاء الإيمان...

﴿هو الذي يسيّركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنّهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق﴾: فهذا المشهد الحي الذي يعرض كأنه يقع، وتشهده العيون، وتتابعه المشاعر، وتخفق معه القلوب، يبدأ بتقدير القدرة المسيطرة المهيمنة على الحركة والسكون، ثم ها نحن أولاء أمام المشهد القريب: حتى إذا كنتم في الفلك، وها هي ذي الفلك تتحرك رخاء: وجرين بهم بريح طيبة، وهذه مشاعر أهل الفلك ندركها: وفرحوا بها، وفي هذا الرخاء الآمن، وفي هذا السرور الشامل، تقع المفاجأة فتأخذ الغارين الآمنين الفرحين: جاءتها ريح عاصف، يا للهول!، وجاءهم الموج من كل مكان، وتناوحت الفلك واضطربت بمن فيها، ولاطمها الموج وشالها وحطها، ودار بها كالريشة الضائعة في الخضم، وهؤلاء أهلها في روع يظنون أن لا مناص: وظنوا أنهم أحيط بهم، فلا مجال للنجاة؛ عندئذ فقط، وفي وسط هذا الهول المتلاطم، تنسلخ فطرتهم ممّا ألمَّ بها من أوشاب، وتنفض قلوبهم ما ران عليها من تصورات، وتنبض الفطرة الأصيلة السليمة بالتوحيد: دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين. وتهدأ العاصفة ويطمئن الموج، وتهدأ الأنفاس اللاهثة، وتسكن القلوب الطائرة، وتصل الفلك آمنة إلى الشاطئ، ويوقن الناس بالحياة، وأرجلهم مستقرة على اليابسة، فماذا؟! فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق!. هكذا بغتة ومفاجأة!.

إنّه مشهد كامل لم تفتنا منه حركة ولا خالجة، مشهد حادث؛ ولكنه مشهد نفس، ومشهد طبيعة، ونموذج بشري لطائفة كبيرة من الناس في كل جيل. ومن ثَمّ يجيء التعقيب تحذيراً للناس أجمعين... **﴿يا أيُّها الناس إنّما بغيكم على أنفسكم﴾**: سواء كان بغياً على النفس خاصة بإيرادها موارد التهلكة والزج بها في ركب الندامة الخاسر بالمعصية، أو كان بغياً على الناس؛ فالناس نفس واحدة، على أنّ البغاة ومن يرضون منهم البغي يلقون في أنفسهم العاقبة. إنما بغيكم على أنفسكم... **﴿متاعَ الحياة الدنيا﴾**: لا تزيدون عليه... **﴿ثم إلينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون﴾**: فما قيمة متاع الحياة الدنيا هذا، وما حقيقته؟. يصور السياق هذه الحقيقة في مشهد من مشاهد القرآن التصويرية الحافلة بالحركة والحياة، وهي

مع ذلك من المشاهدات التي تقع في كل يوم، ويمر عليها الأحياء دون انتباه. . .

﴿إنّما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض ممّا يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازيّنت وظن أهلها أنّهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصّل الآيات لقوم يتفكرون﴾: ذلك مثل الحياة الدنيا التي لا يملك الناس إلا متاعها، حين يرضون بها، ويقفون عندها، ولا يتطلعون منها إلى ما هو أكرم وأبقى. هذا ماء ينزل من السماء، وهذا هو النبات يمتصه ويختلط به فيمرع ويزدهر، وها هي ذي الأرض كأنّها عروس مجلوة تتزيّن لعرس وتتبرج، وأهلها مزهوون بها، يظنون أنّها بجهدهم ازدهرت، وبإرادتهم تزيّنت، وأنّهم أصحاب الأمر فيها، لا يغيرهم عليها مغيّر، ولا ينازعهم فيها منازع. وفي وسط هذا الخصب الممرع، وفي نشوة هذا الفرح الملعلع، وفي غمرة هذا الاطمئنان الواثق. . . أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس: في ومضة، وفي جملة، وفي خطفة، وذلك مقصود في التعبير بعد الإطالة في عرض مشهد الخصب والزينة والاطمئنان؛ فهذه هي الدنيا التي يستغرق فيها بعض الناس، ويضيعون الآخرة كلها لينالوا منها بعض المتاع، هذه هي؛ فلا أمن فيها ولا اطمئنان، ولا ثبات فيها ولا استقرار، ولا يملك الناس من أمرها شيئاً إلا بمقدار. هذه هي!. . فهذه الآيات التي تعرض مفصلة واضحة لا يدركها الغافلون الذين اطمأنوا بالحياة الدنيا غارقين في زخارفها وزينتها، هائمين بظاهر جمالها وبزينتها؛ ولكن مثل هذا التفصيل يدركه الذين أدركوا طبيعة الدنيا وعرفوا حقيقتها، كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون. . .

﴿والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾: من هنا يستطيع العاقل أن يفهم معنى تفصيل الآيات؛ ليعلم منها بُعْدَ الشُّقَّة بين دار يمكن أن تطمس في لحظة - وقد أخذت زخرفها وازينت وظن أهلها أنّهم قادرون عليها، فإذا هي حصيد كأن لم تغن بالأمس - وبين دار السلام التي يدعو إليها الرحمن جميع الناس بهذا القرآن؛ فيهدي به من يريد الهداية إلى دين الإسلام، ويضل عنه من رضي بالحياة الدنيا ونسي دار السلام.

التوجيه الثالث: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا

ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾: في هذا التوجيه بيان نتيجة من هداه الله إلى الصراط المستقيم، ومن تورط في متاع الدنيا الذميم؛ فهو يبين ويفصل ويوضح قواعد الجزاء للمهتدين ولغير المهتدين، ويكشف عن رحمة الله وفضله، وعن قسطه وعدله في جزاء هؤلاء وهؤلاء؛ فأما الذين أحسنوا: أحسنوا الاعتقاد، وأحسنوا العمل، وأحسنوا معرفة الصراط المستقيم، وأدركوا القانون الكوني المؤدي إلى دار السلام. فأما هؤلاء فلهم الحسنى جزاء ما أحسنوا، وعليها زيادة من فضل الله غير محدودة، وهم ناجون من كربات يوم الحشر، ومن أهوال الموقف قبل أن يفصل في أمر الخلق، فهم أهل الوجوه البيضاء المسفرة الضاحكة المستبشرة، فلا يرهقها قتر، ولا تكسو ملامحهم الذلة، فالنجاة من هذا كله غنيمة. ومع هذا وبعد هذا دخول الجنة والخلود فيها، فهي زيادة غنيمة مستديمة. . .

﴿والذين كسبوا السيآت﴾: فكانت هي الربح الذي خرجوا به من صفقة الحياة؛ هؤلاء ينالهم عدل الله، فلا يضاعف لهم الجزاء، ولا يزاد عليهم السوء. ولكن **﴿جزاء سيئة بمثلها. . . وترهقهم ذلة﴾**: تغشاهم وتركبهم وتكربهم وتربكهم. . . **﴿ما لهم من الله من عاصم﴾**: يمنعهم من المصير المحتوم؛ نفاذ سنة الله الكونية فيمن يحيد عن الطريق، ويخالف الناموس. ثم يرسم السياق صورة حسية للظلام النفسي، والكدرة التي تغشى وجه المكروب المأخوذ المرعوب. . . **﴿كأنما أغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلماً أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾**: ولكن أين الشركاء والشفعاء؟. وكيف لم يعصموهم من دون الله؟. هذه هي قصتهم في يوم الحشر العصيب. . .

﴿ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم إيّانا تعبدون. فكفى بالله شهيداً بيننا وبينكم إن كنّا عن عبادتكم لغافلين. هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت وردوا إلى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾: هذه هي قصة الشفعاء والشركاء، في مشهد من مشاهد القيامة؛ مشهد حي أبلغ من الإخبار المجرد بأن الشركاء لم يعصموا عبادهم من الله، ولن يملكوا لهم خلاصاً ولا نجاة؛ هؤلاء هم محشورون مع الناس جميعا: مؤمنهم وكافرهم. ثم يصدر الأمر إلى الكفار: مكانكم أنتم وشركاؤكم.

قفوا حيث أنتم، فيقفون حيث هم. ولكن يفرق بينهم سريعاً كما يفرق بين المجرمين بعضهم وبعض، أو بينهم وبين الشهود في مجالس التحقيق. وعندئذ لا يتكلم الذين كفروا، ولكن يتكلم الشركاء، يتكلمون ليبرئوا أنفسهم من الجريمة؛ جريمة أن عبدهم هؤلاء الكفار مع الله. وإعلان أنّهم لم يعلموا بعبادتهم إيّاهم ولم يشعروا، فهم إذن لم يشتركوا في الجناية، ويشهدون الله وحده على ما يقولون. هؤلاء هم الشركاء الذين كانوا يعبدون، فهؤلاء هم ضعاف يطلبون البراءة من إثم أتباعهم، ويجعلون الله وحده شهيداً، ويطلبون النجاة من إثم لم يشاركوا فيه.

عندئذ، وفي هذا الموقف المكشوف تختبر كل نفس ما أسلفت من عمل، وتدرك عاقبته إدراك الخبرة والتجربة؛ فهنالك يتكشف الموقف إلهٌ واحدٌ حقٌّ يرجع إليه الجميعُ، وما عداه باطل. وهنالك لا يجد المشركون شيئاً من دعاويهم ومزاعمهم وآلهتهم، فكلُّه شُرّد عنهم ولم يعُدْ له وجود!. فهذه الآيات في موقف المشركين مع الشركاء، والمرءُوسِين مع الرؤساء، والمتكبرين مع الضعفاء، والمُضَلِّين مع الضالين، والغاوين مع المُغْوِين، قد تكرر بيانها في سور أخرى مجملاً مبهماً، وفي بعضها مفصلاً ومبيناً؛ فمنها ما يسأل الله فيه العابدين، ومنها ما يسأل فيه المعبودين من غير تعيين، ومنها ما عين فيه اسم الملائكة والجن والشياطين، وفي كل منها يتبرأ المضلون من الضالين.

التوجيه الرابع: ﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون﴾: هذا التوجيه موجه أولاً إلى الرسول ليوجهه إلى المشركين الذين لم يكونوا ينكرون وجود الله، ولا أنه الخالق الأول، والرازق الأول، والمدبّر الأول، إنّما كانوا يتخذون الشركاء للزلفى، أو يعتقدون أنّ لهم قدرةً إلى جانب قدرة الله، فهو هنا يأخذ بما يعتقدونه هم أنفسهم؛ ليصحح لهم - عن طريق إيقاظ وعيهم وتدبرهم ومنطقهم الفطري - ذلك الخلطَ والضلالَ. قل: من يرزقكم من السماء والأرض؟. مِنَ المطر الذي يحي الأرض وينبت الزرع، ومن طعام الأرض نباتها وطيرها وأسماكها وحيوانها، ثم سائر ما كانوا يحصلون عليه من الأرض لهم ولأنعامهم، وذلك بطبيعة الحال ما كانوا يدركونه

حينذاك من رزق السماء والأرض، وهو أوسع من ذلك بكثير، وما يزال البشر يكشفون كلما اهتدوا إلى نواميس الكون عن رزق بعد رزق في السماء والأرض، يستخذمونه أحياناً في الخير، ويستخذمونه أحياناً في الشر، حسبما تسلم عقائدهم أو تعتلّ.

وكله من رزق الله المسخر للإنسان، فمن سطح الأرض أرزاقٌ، ومن جوفها أرزاقٌ، ومن سطح الماء أرزاقٌ، ومن أعماقه أرزاقٌ، ومن أشعة الشمس أرزاقٌ، ومن ضوء القمر أرزاقٌ، حتى عفن الأرض كشف فيه عن دواء وترياق. أم من يملك السمع والأبصار؟. يهبها القدرة على أداء وظائفها أو يحرمها، ويصححها أو يسقمها، ويصرفها إلى العمل أو يلهيها، ويُسمعُها ويُريِها ما تحب أو ما تكره، ذلك ما كانوا يدركونه يومئذ من ملك السمع والأبصار، وهو حسبهم لإدراك مدلول هذا السؤال وتوجيهه. وما يزال البشر يكشفون عن طبيعة السمع والبصر، ومن دقائق صنع الله في هذين الجهازين ما يزيد السؤال شمولاً وسعة. وإنّ تركيب العين وأعصابها وكيفية إدراكها للمرئيات، أو تركيب الأذن وأجزائها وطريق إدراكها للذبذبات لَعَالَمٌ وحده يدير الرءوس عندما يقاس هذا الجهاز أو ذاك إلى أدق الأجهزة التي يَعُدُّها الناسُ من معجزات العلم في العصر الحديث. وفي توحيد السمع وجمع الأبصار توجيه يُلفت الأنظار؛ فإدراك السمع لجنس واحد، وهو الأصوات، وإدراك البصر لعدة أنواع من المبصرات، كالألوان والأشكال والهيآت.

ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي؟. وكانوا يعدون الساكن هو الميّت، والنامي أو المتحرك هو الحي؛ فكان مدلول السؤال عندهم مشهوداً في خروج النبتة من الحبة، والحبة من النبتة، وخروج الفرخ من البيضة والبيضة من الفرخ، إلى آخر هذه المشاهدات، وهو عندهم عجيب!. وهو في ذاته عجيب حتى بعد أن عرف أنّ الحبة والبيضة وأمثالها ليست في الموتى بل في الأحياء، بما فيها من حياة كامنة واستعداد؛ فإنّ كمون الحياة بكل استعداداتها ووراثاتها وسماتها وشياتها لأعجب العجب الذي تصنعه قدرة الله!، وإنّ وقفة أمام الحبة والنواة، تخرج منها النبتة والنخلة، أو أمام البيضة والبويضة يخرج منها الفرخ والإنسان، لكافية لاستغراق حياة في التأمل والارتعاش. وإلاّ فأين كانت تكمن السنبلة في الحبة؟. وأين كان يكمن العود؟.

وأين كانت هذه الجذور والساق والأوراق؟!. وأين في النواة يكمن اللب واللحاء والساق السامقة والعراجين والألياف؟. وأين كان يكمن الطعم والنكهة واللون والرائحة والبلح والتمر والرطب والبسر؟!. وأين في البيضة كان الفرخ؟. وأين كان يكمن العظم واللحم والزغب والريش واللون والشيات والرفرفة والأصوات؟. وأين في البويضة كان الكائن البشري العجيب؟. وأين كانت تكمن ملامحه وسماته المنقولة عن وراثات موغلة في الماضي متشعبة المنابع والنواحي؟. أين كانت نبرات الصوت ونظرات العين ولفتات الجيد واستعدادات الأعصاب ووراثات الجنس والعائلة والوالدين؟. وأين أين كانت تكمن الصفات والسمات والشيات؟. وهل يكفي أن نقول: إنّ هذا العالم المترامي الأطراف كان كامناً في النبتة والنواة، وفي البيضة والبويضة؛ لينقضي العجب العاجب الذي لا تفسير له ولا تأويل إلاّ قدرة الله وتدبير الله؟.

وما يزال البشر يكشفون من أسرار الموت وأسرار الحياة، وإخراج الحي من الميت وإخراج الميت من الحي، وتحوُّل العناصر في مراحل إلى موت أو حياة، ما يزيد مساحة السؤال وعمقه وشموله كل يوم وكل لحظة. وإنّ تحول الطعام الذي يموت بالطهي والنار إلى دم حي في الجسم الحي، وتحول هذا الدم إلى فضلات ميتة بالاحتراق لأعجوبة يتسع العجب منها كلما زاد العلم بها. وهي بعد كائنة في كل لحظة آناء الليل وأطراف النهار!. ومن يدبر الأمر؟. كله في هذا الذي ذُكر وفي سواه من شؤون الكون وشؤون البشر. من يدبر الناموس الكوني الذي ينظم حركة هذه الأفلاك على هذا النحو الدقيق ومن يدبر السنن الاجتماعية التي تصرف حياة البشر، والتي لا تخطئ مرة ولا تحيد؟. ومَنْ ومَن..؟. فسيقولون الله، فهم لم يكونوا ينكرون وجود الله، أو ينكرون يده في هذه الشؤون الكبار، ولكن انحراف الفطرة كان يقودهم مع هذا الاعتراف إلى الشرك بالله. فقل: أفلا تتقون: أفلا تخشون الله الذي يرزقكم من السماء والأرض، والذي يملك السمع والأبصار، والذي يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي، والذي يدبر الأمر كله في هذا وفي سواه.

إنّ الذي يملك هذا كله لهو الله، وهو الرب الحق دون سواه... ﴿**فذلكم الله ربكم الحق**﴾: فالحق واحد لا يتعدد، ومن تجاوزه فقد وقع على الباطل،

وقد ضل التقدير. . . ﴿**فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون**﴾؟: فكيف تُوجَّهون بعيداً عن الحق، وهو واضح بيّن تراه العيون؟. بمثل هذا الانصراف عن الحق الواضح الذي يعترف المشركون بمقدماته وينكرون نتائجه اللازمة، ولا يقومون بمقتضياته الواجبة، قدّر الله في سنته ونواميسه أنّ الذين يفسقون وينحرفون عن منطق الفطرة السليم وسنة الخلق الماضية لا يؤمنون. . . ﴿**كذلك حقت كلمات ربك على الذين فسقوا أنّهم لا يؤمنون**﴾: لا: لأنّهم يمنعهم من الإيمان، فهذه دلائله قائمة في الكون، وهذه مقدماته قائمة في اعتقادهم. ولكن؛ لأنّهم هم يحيدون عن الطريق الموصل إلى الإيمان، ويجحدون المقدمات التي في أيديهم، ويصرفون أنفسهم عن الدلائل المشهودة لهم، ويعطلون منطق الفطرة القويم. ثم عودة إلى مظاهر قدرة الله، وهل للشركاء فيها من نصيب؟. . ﴿**قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده؟. قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فأنّى تؤفكون؟. قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق؟. قل الله يهدي للحق. أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتّبع أم من لا يهدي إلا أن يهدى؟. فما لكم؟. كيف تحكمون**﴾؟: فهذه الأمور المسؤول عنها - من إعادة الخلق وهدايتهم إلى الحق - ليست بدائية مشاهداتهم ولا من مسلمات اعتقاداتهم كالأولى. ولكنه يوجه إليهم فيها السؤال ارتكاناً على مسلماتهم الأولى، فهي من مقتضياتها بشيء من التفكير والتدبير. ثم لا يطلب إليهم الجواب، إنّما يقرره لهم اعتماداً على وضوح النتائج بعد تسليمهم بالمقدمات. قل: هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده، فهم مسلّمون بأنّ الله هو الذي يبدأ الخلق غير مسلّمين بإعادته، ولا بالبعث والنشور، والحساب والجزاء. ولكن حكمة الخالق المدبر لا تكمل بمجرد بدء الخلق، ثم انتهاء حياة المخلوقين في هذه الأرض ولم يبلغوا الكمال المقدّر لهم، ولم يلقوا جزاء إحسانهم وإساءتهم، وسيرهم على النهج أو انحرافهم عنه.

إنّها رحلة ناقصة لا تليق بخالق مدبر حكيم، وإنّ الحياة الآخرة لضرورة من ضروريات الاعتقاد في حكمة الخالق وتدبيره وعدله ورحمته، ولا بد من تقرير هذه الحقيقة لهم، وهم الذين يعتقدون بأنّ الله هو الخالق، وهم يسلّمون كذلك بأنّه يخرج الحي من الميت، والحياة الأخرى قريبة الشبه بإخراج الحي من الميت الذي يسلمون به. وإنّه لعجب أن يصرفوا عن إدراك هذه الحقيقة ولديهم مقدماتها، فيوجهون بعيداً عن الحق إلى الإفك والضلال!. . . قل: هل من

شركائكم من يهدي إلى الحق: فينزل كتاباً ويرسل رسولاً ويضع نظاماً ويشرع شريعة، وينذر ويوجه إلى الخير، ويكشف عن آيات الله في الكون والنفس، ويوقظ القلوب الغافلة ويحرك المدارك المعطلة، كما هو معهود لكم من الله ومن رسوله الذي جاءكم بهذا كله، وعرضه عليكم لتهتدوا إلى الحق. وهذه القضية ليست من سابق مسلماتهم، ولكن وقائعها حاضرة بين أيديهم؛ فليقررها لهم الرسول، وليأخذهم بها: قل: الله يهدي للحق: فمن هذه تنشأ قضية جديدة جوابها مقرر: أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدّي إلا أن يهدى؟: والجواب مقرر، فالذي يهدي الناس إلى الحق أولى بالاتباع ممن لا يهتدي هو بنفسه إلا أن يهديه غيرُه، فهذا ينطبق سواء كان المعبود حجارة أو أشجاراً أو كواكب، أو كان من البشر بما في ذلك عيسى؛ فهو ببشريته محتاج إلى هداية الله له، وإن كان هو قد بعث هاديا للناس.

ومن عدا عيسى أولى بانطباق هذه الحقيقة عليه؛ فما لكم كيف تحكمون؟: ما الذي وقع لكم، وما الذي أصابكم؟. وكيف تقدرون الأمور فتحيدون عن الحق الواضح المبين؟. فإذا فرغ من سؤالهم وإجابتهم، وتقرير الإجابة المفروضة التي تحتمها البديهة، وتحتمها المقدمات المسلمة، عقب على هذا بتقرير واقعهم في النظر والاستدلال والحكم والاعتقاد، فهم لا يستندون إلى يقين فيما يعتقدون أو يعبدون أو يحكمون، ولا إلى حقائق مدروسة يطمئن إليها العقل والفطرة، إنّما يتعلقون بأوهام وظنون يعيشون عليها ويعيشون بها، وهي لا تغني من الحق شيئا... ﴿**وما يتبع أكثرهم إلاّ ظنا إنّ الظن لا يغني من الحق شيئا إنّ الله عليم بما يفعلون**﴾: فهم يظنون أنّ لله شركاء، ولا يحققون هذا الظن، ولا يمنحونه علماً ولا عقلاً؛ فهم يظنون أنّ آباءهم ما كانوا ليعبدوا هذه الأصنام لو لم يكن فيها ما يستحق العبادة، ولا يمتحنون هم هذه الخرافة، ولا يطلقون عقولهم من إسار التقليد الظني، وهم يظنون أنّ الله لا يوحي إلى رجل منهم، ولا يحققون لماذا يمتنع هذا على الله، وهم يظنون أنّ القرآن من عمل محمد ولا يحققون إن كان محمد - وهو بشر - قادراً على تأليف هذا الكتاب الحكيم، بينما هم لا يقدرون - وهم بشر مثله -.

فهكذا يعيشون في مجموعة من الظنون لا تحقق لهم من الحق شيئا؛ فالله

وحده هو الذي يعلم علم اليقين أفعالهم وأقوالهم وما يختلج في صدورهم. . . إن الله عليم بما يفعلون: من هذا نعلم أنّ العلم اليقيني واجب في المسائل التي تتعلق بالعقيدة، فلا بد أن تكون العقيدة صحيحة عقلاً ونقلاً؛ فيدخل في هذا الإيمان بوجوب أركان الإسلام وغيرها من الفرائض التي ثبت وجوبها قطعياً، فصارت معلومة من الدين بالضرورة، والإيمان كذلك بتحريم المحظورات التي ثبت تحريمها قطعاً، فصارت حرمتها معلومة من الدين بالضرورة. والعبرة للمؤمن من القرآن في هذه الآية والتي قبلها، وهما من آياته المحكمات؛ فلا بد أن يتحقق في إيمانه بما هو مطلوب منه عقيدة وعملاً: أن يكون غرضه من حياته تزكية نفسه وتكميلها باتباع في كل اعتقاد، والصلاح في كل عمل، وبناؤهما على أساس العلم دون الظن وما دونه من الحرص والوهم؛ فالعلم المفيد للحق والمبين للصلاح في الدين، هو ما كان قطعي الرواية والدلالة من الكتاب والسنة التي قامت بها الجماعة الأولى من الصحابة والتابعين قبل حدوث الآراء والاحتمالات التي حدثت بعد الفتوحات من آراء وتوجيهات من خارج منبع الإسلام، فهو الشرع العام الذي لايجوز للمسلمين التفرق والاختلاف فيه، فهو مناط وحدتهم، ورابطة جامعتهم، وما دونه مما لا يفيد إلا الظن فلا يؤخذ به في الأصول الاعتقادية والأعمال التعبدية مما يدخل تحت قسم العبادات التي جاءت عن طريق العمل والنقل الصحيح، ويؤخذ به في المعاملات المتجددة بين الأفراد والجماعات نتيجة الاجتهاد وبذل الوسع في الاستنباط والقياس؛ فقد غفل عن هذه القواعد بعض من يتنسب إلى العلم فحكم بتحرير بعض العادات المباحة بشبهة أنّها من الباطل أو من الضلال؛ فلا يثبت التحريم بدليل ظني، فقد حرموا على الناس ما لا يحصى بالرأي والأقيسة الوهمية؛ فالحرام والباطل من الأعمال ما ثبت منعه وبطلانه بدليل شرعي قطعي، كما أن الحق ما ثبتت حقيقته بدليل قطعي، وبينهما واسطة هى ما لا دليل فيه بخلاف الاعتقاد فإنه ليس فيه واسطة بين الحق والباطل.

ومن الأشياء العملية ما الأصل فيه الإباحة وهو النافع، ومنه ما سكت الشارع عن فرضه وعن تحريمه وعن قواعد حدوده فيكون من المباح؛ فهو الأكثر في حياة الناس؛ لأن هذا الدين جاء رحمة للناس. والعبرة التي يجب أن يأخذها كل مسلم من هاتين الآيتين: أنّه لا يوجد الآن في الأرض دين متبع، ولا قانون دولي منفذ، ولا نظام حزبي ولا جماعي ملتزم يفرض على الناس الحق والهدى فرضاً دينياً،

والاعتماد في استبانهما على العلم الصحيح، وحصر الاجتهاد والترجيح فيما سواهما، والاعتماد فيه على الوجدان في الشخصيات والشورى في المصالح العامة. ولن يصلح حال البشر الفردي ولا الاجتماعي والدولي إلا بهذه الأصول التي فرضها الإسلام، وجعلها ديناً يدان الله به ليس لأحد تجاوزه، وقد عجزت علوم البشر على اتساعها، وعقولهم على ارتقائها عن الاستغناء عنها بغيرها، فهم كلما ازدادوا علماً يزدادون باطلاً وضلالاً وبغياً. وما واقع الحال عنا ببعيد.

3 ـ دلائل القرآن حجة على كل إنسان

النص

* وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ
ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (37)
أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم
مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (38) بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ
وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ
عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ (39) وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ
وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ (40) وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ
أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ (41) وَمِنْهُم مَّن
يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ (42)
وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِي ٱلْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا۟
لَا يُبْصِرُونَ (43) إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ
أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (44) وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً
مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ
وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ (45) وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ
فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ (46) وَلِكُلِّ

أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ ﴿47﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿48﴾
* قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ
لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً
وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿49﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا
مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿50﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ
ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿51﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ
ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿52﴾ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ
أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿53﴾
وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ
وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ
وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿54﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿55﴾ هُوَ يُحْىِۦ
وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿56﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ
مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿57﴾
قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿58﴾
قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ
حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ

تَفْتَرُونَ ﴿59﴾ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿60﴾ * وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ
مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ
فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ
وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿61﴾
أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿62﴾
الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿63﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ
ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿64﴾ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ
إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿65﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ
مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ
يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ
وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿66﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿67﴾ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا
سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَٰذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ

مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿68﴾ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿69﴾ مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿70﴾

البيان

مبحث المفردات اللغوية

﴿**وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله**﴾: ما كان القرآنُ افتراءَ أحد من المخلوقات. والافتراء: الكذب... ﴿**ولكن تصديق الذي بين يديه**﴾: ولكن كان القرآن تصديق الذي سبقه من الكتب... ﴿**وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين**﴾: هذا القرآن مفصل للكتب السابقة التي أنزلت قبله، فهو يوضحها بإزالة الزيف عنها؛ فالتفصيل هنا: التبيين بأنواعه. ونفي الريب: رفع الشك وعدم اتهام قائله؛ فالريب هنا معناه: تهمة القائل فيما يقول... ﴿**أم يقولون افتراه**﴾: هذا ارتقاء بإبطال دعواهم أن يكون القرآن مفترى من دون الله... ﴿**قل فأتوا بسورة مثله**﴾: السورة ما اشتملت على ثلاث آيات من القرآن فأكثر مثل سورة الكوثر لأقصرها، وسورة البقرة لأكثرها. والمثل: المشابهة... ﴿**وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين**﴾: اطلبوا من استطعتم دعوته لنصرتكم وإعانتكم على تأليف سورة من سور القرآن إن كنتم صادقين في دعواكم... ﴿**بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه**﴾: بل: إضراب انتقالي لبيان كنه تكذيبهم.

والتكذيب: النسبة إلى الكذب. والإحاطة بالشيء: الكون حوله كالحائط، مثل قوله: «وظنوا أنّهم أحيط بهم»، ويكون بمعنى التمكن من الشيء بحيث لا يفوت منه... ﴿**ولما يأتهم تأويله**﴾: لما: تنفي الماضي والحال، بخلاف لم فإنها تنفي الماضي فقط. والتأويل: مشتق من آل إذا رجع إلى الشيء، وهو يطلق على تفسير اللفظ الذي خفي معناه تفسيراً يظهر المعنى، فيؤول واضحاً بعد أن كان خفيا...

﴿**كذلك كذب الذين من قبلهم**﴾: مثل هذا التكذيب كذبت الأمم السابقة رسلَهم... ﴿**فانظر كيف كان عاقبة الظالمين**﴾: ترقب كيف كان عاقبة الظلم والتكذيب... ﴿**ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به**﴾: بعضهم يصدق بالقرآن باطناً في قرارة نفسه ولكنه يعاند في الظاهر، والبعض الآخر مطموس على عقله فيستمر في التكذيب باطناً وظاهراً، فالفريقان مشتركان في التكذيب في الظاهر كما أنبأت عنه مِن التبعيضية... ﴿**وربك أعلم بالمفسدين**﴾: تعريض للمكذبين بالوعيد والإنذار، وبأنهم من المفسدين... ﴿**وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم**﴾: إن استمروا في تكذيبهم وأصروا عليه فاتركهم وقل لهم: لي عملي ولكم عملكم... ﴿**أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون**﴾: فالبراءة هنا تخلي كل فريق عن الآخر بالبعد عن مخالطته، فهي تعني المفارقة التامة من كل وجه... ﴿**ومنهم من يستمعون إليك**﴾: يلقون سمعهم دون فائدة لأنهم صم عن استماع الحق، تاركون ما يهدي إليه العقل... ﴿**أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون**﴾.

﴿**ومنهم من ينظر إليك**﴾: يلقي نظرة إليك دون فائدة؛ لأنه أعمى بصره عن الحق فلم ينتفع بنظره... ﴿**أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون**﴾: ومعنى أبصر استعمل بصيرته مع النظر، وهو التفكر والتأمل، بخلاف نظر... ﴿**إنّ الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون**﴾: إنّ الله لا يظلم الناس بعقابه من لم يستجب العقاب، ولكنّ الناس يظلمون فيستحقون العقاب... ﴿**ويوم نحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم**﴾: وقد خسر الذين كذبوا بلقاء الله يوم نحشرهم. وكأن: مخففة كأنّ حرف تشبيه. والمعنى تشبيه المحشورين بعد أزمان مضت عليهم بمن مضت عليه ساعة من النهار، وساعة من النهار: لحظة مرت بهم واعين بها. والتعارف المقصود منه هنا: هو تعارفهم يوم الحشر عندما يلقى بعضهم بعضاً... ﴿**وإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإلينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون**﴾: إما: إن الشرطية وما المؤكدة، فالمعنى وإن نرينك فتشاهد ما يحل بهم من العقاب، وقد شاهد الرسول ما حل بقريش قبل إيمانهم، أو نتوفينك فلا ترى ما يحل بأعدائك بعدك؛ فإلينا مرجعهم على كل حال سواء أجلوا أو عجلوا، ثم الله شهيد على ما يفعلون؛ فيجازيهم به في الدنيا والآخرة... ﴿**ولكل أمة رسول فإذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون**﴾: الأمة: الجيل من الناس.

والرسول: المبلغ عن الله أمره ونهيه ووعده ووعيده، ومجيء الرسول إلى الأمة حجة لهم أو عليهم، فيقضي على مقتضاه بالعدل دون ظلم يقع على أحد. . . ﴿**ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين**﴾: إن كنتم صادقين فى وقوع الوعيد فعينوا لنا وقته. . . ﴿**قل لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله**﴾: هذا رد على سؤالهم، فقل لهم إنّ الوعد من الله لا مني، فأنا لا أملك شيئاً حتى لنفسي من ضر أو نفع بَلْهَ ما يضر أو ينفع الغير، فالكل تحت مشيئة الله. . . ﴿**لكل أمة أجل**﴾: هذا علة لتأخير الوعيد الذي شكوا فيه، بل أنكروه، ولا يحل العقاب إلا عند حلول الأجل. . . ﴿**إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون. قل أرأيتم**﴾: أخبروني. . . ﴿**إن أتاكم**﴾: حضركم. . . ﴿**عذابه**﴾: الموعود. . . ﴿**بياتاً**﴾: ليلا، والبيات اسم مصدر التبييت، ومعناه هنا المباغتة. . . ﴿**أو نهاراً**﴾: مقابل بياتاً. . . ﴿**ماذا**﴾: استفهام للإنكار والتعجيب. . . ﴿**يستعجل**﴾: يطلب حضوره حالاً. . . ﴿**منه**﴾: بيانية. . . ﴿**المجرمون**﴾: أصحاب الجرم، وهو جرم الشرك، والمراد بهم الذين يقولون: متى هذا الوعد؟. . . ﴿**أَثُمَّ**﴾: الهمزة للاستفهام، وثُم للترتيب والتراخي. . . ﴿**إذا ما وقع**﴾: فعل الشرط. . . ﴿**آمنتم**﴾: جواب الشرط.

﴿**الآن**﴾: همزة الاستفهام دخلت على اسم الزمان الحاضر. . . ﴿**وقد كنتم به تستعجلون**﴾: جملة حالية، والمعنى: الآن تصدقون وقد كنتم تكذبون!. . ﴿**ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد**﴾: هذا عذاب أعظم مما سبقه؛ لأنه عذاب الآخرة الدائم. . . ﴿**هل**﴾: حرف استفهام تضمن معنى النفي. . . ﴿**تجزون إلا بما كنتم تكسبون**﴾: لا تُجزون بشيء أكثر مما كسبتم من فظاعة الأعمال. . . ﴿**ويستنبئونك**﴾: يستخبرونك، فيقولون على طريق الإنكار. . . ﴿**أحق هو**﴾؟!، فهم يستفهمون طالبين من الرسول الإجابة عن هذا السؤال، والحق: الثابت الواقع، وهو: العذاب الموعود. . . ﴿**قل: إي**﴾: حرف جواب يحقق به المسؤول عنه. . . ﴿**وربي**﴾: قسم. . . ﴿**إنه لحق**﴾: جواب القسم. . . ﴿**وما أنتم بمعجزين**﴾: لستم بمفلتين من العذاب، ولن تستطيعوا التخلص منه. . . ﴿**ولو أنّ لكل نفس ظلمت ما في الأرض لافتدت به**﴾: لو أنّ لكل نفس مشركة جميع ما في الأرض خزائن لجعلته فدية لها من العذاب. . . ﴿**وأسروا الندامة لمّا رأوا العذاب**﴾: الندامة: الندم، وهو أسف يحصل في النفس على تفويت شيء ممكن

عمله في الماضي، فإذا تجلد صاحب الندم فلم يظهر قولاً ولا فعلاً فقد أسر الندامة، وإنما يكون ذلك من شدة الهول.

ومعنى ﴿**قضي بينهم**﴾: قضي على كل واحد منهم بما يستحقه... ﴿**بالقسط، وهم لا يظلمون**﴾: فيما فعل بهم من عذاب، بل هو من مقتضيات ظلمهم ولوازمه الضرورية... ﴿**ألا إنّ لله ما في السماوات والأرض**﴾: تعليل لما سبق، وهو أنّ من له ما في السماوات والأرض لا يعجز عن تحقيق ما أخبر بوقوعه، ثم أخبر بتحقيق وعده. وأعقب بتعجيل منكريه، وأعقب بالتصريح بالمهم من ذلك، وهو الإحياء والإماتة والبعث... ﴿**ألا إنّ وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون. هو يحيي ويميت وإليه ترجعون**﴾: مفردات هذه الجمل معلومة... ﴿**يا أيّها الناس قد جاءتكم موعظة من ربّكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين**﴾: الموعظة والوعظ والعظة: التذكير بالعواقب سواء كان بالزجر والترهيب، أو بالاستمالة والترغيب، فهذه وما بعدها جاءت في كتاب جامع لهذه الفوائد والمنافع؛ فإنه كاشف عن أحوال الأعمال حسناتها وسيآتها، مرغب في الأولى، ورادع عن الأخرى، ومبين للمعارف الحقة التي هي شفاء لما في الصدور من الأدواء القلبية كالجهل والشرك والشك والنفاق وغيرها من العقائد الزائفة، وهاد إلى طريق الحق واليقين بالإرشاد إلى الاستدلال بالدلائل المنصوبة في الآفاق والأنفس، وفى مجيئه رحمة للمؤمنين، حيث نجوا به من ظلمات الكفر والضلال إلى نور الإيمان، فوصلوا إلى غاية الكمال... ﴿**قل بفَضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون**﴾: فضل الله ورحمته هنا: القرآن.

والفرح: انفعال نفسي بنعمة حسية أو معنوية، وهو النور الذي يظهر على ملامح الشخص. هو خير مما يجمعون: هو يعود على اسم الاشارة، والضمير في يجمعون يعود إلى المشركين، والمعنى: أنّ هذا الفضل والرحمة التي اختص بها المسلمون خير من متاع الدنيا الزائل الذي افتخر به المشركون... ﴿**قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا**﴾: تقدم أرايتم فيما قبلها. إنزال الرزق: إنزال سبب وجوده، وهو الماء النازل من السماء. فجعلتم منه حراماً: منعتم الانتفاع به. وحلالاً: تنتفعون به دون أن يأتيكم نهي أو أمر من الله الذي رزقكم... ﴿**قل آلله أذن لكم في ذلك أم على الله تفترون**﴾: حيث حرمتم

وحللتم من عند أنفسكم. . . **﴿وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة إنّ الله لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون﴾**: مفردات هذه الآية واضحة. . . **﴿وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلاّ كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه﴾**: الشأن: العمل المهم والحال المهم. وتلاوة القرآن: من أمور الرسول المهمة، وعمل للمؤمنين كذلك. والاستثناء في قوله: إلاّ كنا عليكم شهوداً: استثناء من عموم الأحوال التي اقتضاها عموم الشأن وعموم التلاوة وعموم العمل. والشهود: جمع شاهد، والشاهد الحاضر. والإفاضة في العمل: الاندفاع فيه في بدئه وانتهائه. . . **﴿وما يعزب عن ربّك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلاّ في كتاب مبين﴾**: العزوب: البعد، ومعناه هنا: لا يخفى على الله شيء. والمثقال: اسم آلة لما يعرف به مقدار ثقل الشيء.

والذرة: الهباءة التي لا ترى إلاّ في الضوء القوي المحجور. . . **﴿ألا إنّ أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾**: أولياء جمع وليّ، مأخود من الولْي، وهو القرب. وبيّن معناه هنا بقوله. . . **﴿الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله﴾**: التبديل: التغيير والإبطال. وكلمات الله: الأقوال التي أوحى بها إلى الرسول؛ فالإشارة في قوله: **﴿ذلك هو الفوز العظيم﴾** إلى المذكور من مضمون الجمل الثلاث المتقدمة. . . **﴿ولا يحزنك قولهم﴾**: لا تتأثر بما يقولون من التكذيب والاستهزاء معتزين بقوتهم وكثرتهم. . . **﴿إنّ العزة لله جميعاً هو السميع العليم. ألا إنّ لله من في السماوات ومن في الأرض وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إن يتبعون إلاّ الظن وإن هم إلا يخرصون﴾**: أكثر المفردات في هذه الآية تقدم معناها. . . **﴿هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً إنّ في ذلك لآيات لقوم يسمعون﴾**: جعل الله الليل للسكون فيه بسبب ظلامه، وجعل النهار للتحرك فيه بسبب ضيائه؛ فدلالة هذه الآية لمن يسمعها ويتدبرها. . . **﴿قالوا اتخذ الله ولداً سبحانه هو الغني﴾**: الاتخاذ جعل الشيء لفائدة الجاعل، وهو مشتق من الأخذ؛ لأنّ المتخذ يأخذ الشيء الذي يصطفيه، فالاتخاذ يصدق على أخذ شيء موجود للاستئثار به، ويصدق على تكوين شيء للانتفاع به، وهو هنا صالح للمعنيين؛ لأنّ منهم من يعتقد تولد الولد عن الله تعالى، ومنهم من يعتقد أنّ الله تبنى بعض مخلوقاته.

والولد: اسم مصوغ على وزن فعَل، وهو مأخود من الولادة. وسبحانه: تنزيه عمّا نسب إليه من الولد. هو الغني: لا يحتاج إلى شيء. . . ﴿**له ما في السماوات وما في الأرض. إن عندكم من سلطان بهذا**﴾: إن: حرف نفي. والسلطان: البرهان والحجة؛ لأنه يكسب المستدل به سلطة على مخالفه ومجادله، والمعنى: لا حجة لكم تصاحب مقولكم بأنّ الله اتخذ ولداً!. . ﴿**أتقولون على الله ما لا تعلمون؟!. قل إنّ الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون**﴾: المقول لهم ابتداءهم المشركون. والفلاح: حصول ما قصده العامل من عمله، فنفي الفلاح هنا نفي لحصول مقصودهم. .

﴿**متاع في الدنيا**﴾: المتاع: المنفعة القليلة بقدر ما يتمتع بها المسافر في طريقه، فمادة متاع مؤذنة بأنّه غير دائم. . . ﴿**ثم إلينا مرجعهم**﴾: المرجع: مصدر ميي بمعنى الرجوع. . . ﴿**ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون**﴾.

مبحث الإعراب

﴿**وما**﴾ الواو للعطف، وما للنفي. ﴿**كان هذا**﴾ كان واسمها. ﴿**القرآنُ**﴾ بيان لهذا. ﴿**أن يفترى**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول منصوب بأن، ونائب الفاعل ضمير يعود على القرآن. ﴿**من دون**﴾ متعلق بيفترى. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى دون، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب خبر كان، والتقدير: ما كان هذا القرآنُ افتراءَ مفتر من دون الله. ﴿**ولكن**﴾ الواو للعطف، ولكن للاستدراك. ﴿**تصديق**﴾ خبر كان. ﴿**الذي**﴾ في محل جر مضاف إلى تصديق. ﴿**بين**﴾ متعلق بجملة محذوفة صلة الذي. ﴿**يديه**﴾ مضاف إلى بين مجرور بالياء، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**وتفصيل**﴾ معطوف على تصديق. ﴿**الكتاب**﴾ مضاف إلى تفصيل. ﴿**لا ريب**﴾ لا واسمها. ﴿**فيه**﴾ متعلق بمحذوف خبر لا، وجملة لا ريب فيه استئناف لا محل لها من الإعراب. ﴿**من رب**﴾ متعلق بمحذوف خبر لمبتدإ مقدر، والتقدير: هو كائن من رب العالمين، وهي جملة مستأنفة. ﴿**العالمين**﴾ مضاف إلى رب مجرور بالياء.

﴿**أم**﴾ حرف إضراب انتقالي من النفي إلى الاستفهام الإنكاري التعجيبي، وهو ارتقاء بإبطال دعواهم أن يكون القرآن مفترى من دون الله. ﴿**يقولون**﴾ فعل

وفاعل. ﴿**افتراه**﴾ فعل ماضي، والفاعل ضمير يعود على الرسول، والضمير المتصل بالفعل مفعول، وهو ضمير يعود على القرآن، وجملة افتراء في محل نصب مقول القول. ﴿**قل**﴾: إن كان الأمر كما تقولون. ﴿**فأتوا**﴾ جواب الشرط المقدر مقرون بالفاء. ﴿**بسورة**﴾ متعلق بفعل الأمر قبله. ﴿**مثله**﴾ نعت لسورة مجرور بالكسرة، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**وادعوا**﴾ معطوف على فأتوا. ﴿**مَنْ**﴾ اسم موصول في محل نصب مفعول. ﴿**استطعتم**﴾ فعل وفاعل، والجملة صلة مَنْ. ﴿**من دون**﴾ متعلق بادعوا. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى دون. ﴿**إن كنتم**﴾ كان واسمها. ﴿**صادقين**﴾ خبرها، وهي في محل جزم فعل الشرط، والجواب محذوف لدلالة المذكور عليه. ﴿**بل**﴾ حرف إضراب انتقالي لبيان كنه تكذيبهم.

﴿**كذبوا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**بما**﴾ متعلق بكذبوا. ﴿**لم يحيطوا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي والجزم. ﴿**بعلمه**﴾ متعلق بيحيطوا، وجملة لم يحيطوا بعلمه صلة ما. ﴿**ولمّا يأتهم**﴾ فعل مضارع مجزوم بلمّا معطوف على قوله لم يحيطوا، والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**تأويله**﴾ فاعل يأتهم، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**كذلك**﴾ الكاف للتشبيه في محل نصب نعت لمصدر مقدر، وذلك في محل جر بالكاف. ﴿**كذب الذين**﴾ فعل وفاعل. ﴿**من قبلهم**﴾ متعلق بجملة صلة الذين. ﴿**فانظر**﴾ فعل أمر دخل عليه حرف التفريع. ﴿**كيف**﴾ خبر كان مقدم مبني على الفتح في محل نصب. ﴿**كان عاقبة**﴾ كان واسمها. ﴿**الظالمين**﴾ مضاف إلى عاقبة. ﴿**ومنهم من**﴾ هنا تبعضية في محل رفع مبتدأ. مَن في محل رفع خبره. ﴿**يؤمن**﴾ صلة من. ﴿**به**﴾ متعلق به، ومنهم من يؤمن به عطف على جملة بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه. ﴿**ومنهم من لا يؤمن به**﴾ معطوف على قوله: ومنهم من يؤمن، وهو مثله في الإعراب. ﴿**وربّك**﴾ مبتدأ مرفوع بالضمة، والضمير فيه مضاف إليه.

﴿**أعلمُ**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**بالمفسدين**﴾ متعلق بأعلم، والجملة تعريض بالوعيد. ﴿**وإن كذبوك**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف الشرط، والواو للعطف. ﴿**فقل**﴾ جواب الشرط. ﴿**لي**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**عملي**﴾ مبتدأ مؤخر مرفوع بضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم منع من ظهورها حركة المناسبة، وياء المتكلم في محل جر مضافة إلى عمل. ﴿**ولكم عملكم**﴾ مثلُ ما قبلها في

الإعراب لعطفها عليها، وجملة لي عملي وما عطف عليه في محل نصب مقول القول. ﴿**أنتم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**بريئون**﴾ خبر مرفوع بالواو. ﴿**مما**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**أعمل**﴾ فعل مضارع، والفاعل أنا، والجملة صلة ما. ﴿**وأنا بريء مما تعملون**﴾ مثلها في الإعراب لعطفها عليها، والجملتان بيان لقوله: لي عملي ولكم عملكم. ﴿**ومنهم**﴾ تقدم إعراب مثلها قريبا. ﴿**من يستمعون**﴾ صلة من. ﴿**إليك**﴾ متعلق بالصلة. ﴿**أفأنت**﴾ في محل رفع مبتدأ، دخل عليه حرف التفريع وحرف الاستفهام. ﴿**تسمع**﴾ فعل مضارع، وفاعله أنت، والجملة خبر المبتدإ. ﴿**الصم**﴾ مفعول به. ﴿**ولو**﴾ وصلية دالة على المبالغة. ﴿**كانوا**﴾ كان واسمها. ﴿**لا يعقلون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي، والجملة في محل نصب خبر كان.

﴿**ومنهم من ينظر إليك أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون**﴾ مثل ما سبقها في الإعراب لعطفها عليها. ﴿**إنّ الله**﴾ إنّ واسمها. ﴿**لا يظلم**﴾ فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة في محل رفع خبر إنّ. ﴿**الناس**﴾ مفعول أول. ﴿**شيئاً**﴾ مفعول ثانٍ. ﴿**ولكنّ الناس**﴾ لكنّ واسمها دخل عليها حرف العطف. ﴿**أنفسهم**﴾ مفعول مقدم. ﴿**يظلمون**﴾ فعل وفاعل، والجملة في محل رفع خبر لكنّ، وجملة إنّ الله لا يظلم الناس شيئاً تعليلية. ﴿**ويوم**﴾ الواو للعطف، ويوم ظرف منصوب متعلق بقوله: قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله. ﴿**نحشرهم**﴾ فعل مضارع، والفاعل نحن، والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**كأنْ**﴾ مخففة كأنّ واسمها ضمير يعود على من ذكر. ﴿**لم يلبثوا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف الجزم، والجملة في محل رفع خبر كأن. ﴿**إلاّ**﴾ أداة استثناء مفرغ. ﴿**ساعة**﴾ مفعول به. ﴿**من النهار**﴾ متعلق بمحذوف نعت لساعة. ﴿**يتعارفون**﴾ فعل وفاعل، والجملة في محل نصب حال من الضمير المرفوع في يلبثوا. ﴿**بينهم**﴾ متعلق بيتعارفون. ﴿**قد خسر الذين**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف التحقيق. ﴿**كذبوا**﴾ فعل وفاعل، والجملة صلة الذين.

﴿**بلقاء**﴾ متعلق بكذبوا. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى لقاء. ﴿**وما كانوا مهتدين**﴾ كان واسمها وخبرها دخل عليها حرف النفي وواو العطف. ﴿**وإمّا**﴾ الواو للعطف، وما أدغمت فيها إن الشرطية. ﴿**نرينك**﴾ فعل مضارع مبني على الفتح لدخول نون

التوكيد الثقيلة، والفاعل نحن، والضمير المتصل بالفعل مفعول أول. ﴿**بعض**﴾ مفعول ثان. ﴿**الذي**﴾ في محل جر مضاف إلى بعض. ﴿**نعدهم**﴾ فعل مضارع، والفاعل نحن، والضمير المتصل بالفعل مفعول، وجملة نعدهم صلة الذي. ﴿**أو نتوفينك**﴾ مثل نرينك لعطفها عليها. ﴿**فإلينا**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**مرجعهم**﴾ مبتدأ مؤخر مرفوع بالضمة، والضمير فيها مضاف إليه، وجملة فإلينا مرجعهم جواب الشرط لاقتران الفاء به. ﴿**ثم الله شهيد**﴾ مبتدأ وخبر معطوف على قوله: فإلينا مرجعهم. ﴿**على ما**﴾ متعلق بشهيد. ﴿**يفعلون**﴾ فعل وفاعل، والجملة صلة ما. ﴿**ولكل**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم، والواو للعطف. ﴿**أمة**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**رسول**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**فإذا جاء رسولهم**﴾ فعل وفاعل؛ فعل الشرط، والفاء للتفريع. ﴿**قضي**﴾ فعل ماضٍ مبني للمجهول. ﴿**بينهم**﴾ الظرف ناب مناب الفاعل.

﴿**بالقسط**﴾ متعلق بقضي. ﴿**وهم**﴾ فى محل رفع مبتدأ. ﴿**لا يُظلمون**﴾ الفعل المنفي بلا ونائب الفاعل فى محل رفع خبر المبتدإ. ﴿**ويقولون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف العطف. ﴿**متى**﴾ اسم استفهام في محل رفع مبتدأ. ﴿**هذا**﴾ في محل رفع خبر. ﴿**الوعدُ**﴾ بيان لهذا. ﴿**إن كنتم صادقين**﴾ كان واسمها وخبرها فعل الشرط، وجوابها محذوف يدل عليه ما قبله. ﴿**قل لا أملك**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف النفي، والفاعل أنا. ﴿**لنفسي**﴾ متعلق بأملك. ﴿**ضراً**﴾ مفعول به. ﴿**ولا نفعاً**﴾ معطوف عليه. ﴿**إلاّ**﴾ أداة استثناء منقطع. ﴿**ما**﴾ في محل رفع خبر لمبتدإ مقدر، والتقدير: لكن ضري ونفعي هو. ﴿**ما شاء الله**﴾ فعل وفاعل صلة ما، أي: ما شاءه الله لي من الضر والنفع. ﴿**لكل**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**أمة**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**أجل**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**إذا جاء أجلهم**﴾ فعل وفاعل دخلت عليه إذا الشرطية. ﴿**فلا يستأخرون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي وفاء الربط؛ فالجملة جواب الشرط. ﴿**ساعة**﴾ ظرف زمان منصوب بالفتحة. ﴿**ولا يستقدمون**﴾ معطوف على قوله: فلا يستأخرون ساعة. ﴿**قل أرايتم**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف الاستفهام. ﴿**إن أتاكم**﴾ فعل ماضٍ دخلت عليه إن الشرطية، والضمير المتصل بالفعل مفعول.

﴿**عذابه**﴾ فاعل مرفوع بالضمة، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**بياتاً**﴾ ظرف زمان

منصوب بالفتحة. ﴿**أو نهاراً**﴾ معطوف عليه. ﴿**ماذا**﴾ ما اسم استفهام في محل رفع مبتدأ، وذا في محل رفع خبره. ﴿**يستعجل**﴾ فعل مضارع. ﴿**منه**﴾ متعلق به. ﴿**المجرمون**﴾ فاعل يستعجل، وجملة يستعجل في محل نصب حال، والجملة نابت عن جواب الشرط وسدّت مسدّ مفعولى أرأيتم. ﴿**أَثُمَّ إذا ما وقع**﴾ جملة شرطية دخل عليها حرف العطف وحرف الاستفهام. ﴿**آمنتم**﴾ فعل وفاعل، والجملة جواب إذا. ﴿**به**﴾ متعلق بآمنتم. ﴿**الآن**﴾ استفهام دخل على ظرف الزمان، لنفي نفع الإيمان. ﴿**وقد كنتم**﴾ كان واسمها دخل عليه حرف التحقيق وواو الحال. ﴿**به تستعجلون**﴾ فعل وفاعل وهو متعلَّق به، والجملة في محل نصب خبر كان. وجملة وقد كنتم في محل نصب حال من فاعل آمنتم المقدر. ﴿**ثم**﴾ للعطف والتراخي. ﴿**قيل**﴾ فعل ماضٍ مبني للمجهول. ﴿**للذين**﴾ متعلق بقيل ناب مناب الفاعل. ﴿**ظلموا**﴾ فعل وفاعل صلة الذين. ﴿**ذوقوا**﴾ فعل أمر، وواو الجماعة فاعل، والجملة في محل نصب مقول القول. ﴿**عذاب**﴾ مفعول به. ﴿**الخلد**﴾ مضاف إلى عذاب.

﴿**هل**﴾ حرف استفهام مراد به النفي هنا. ﴿**تجزون**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول، وواو الجماعة نائب الفاعل. ﴿**إلاّ**﴾ أداة استثناء مفرغ. ﴿**بما**﴾ متعلق بتجزون. ﴿**كنتم**﴾ كان واسمها. ﴿**تكسبون**﴾ فعل وفاعل، والجملة في محل نصب خبر كان، وجملة كنتم تكسبون صلة ما. ﴿**ويستنبئونك**﴾ فعل وفاعل ومفعول، والواو للعطف. ﴿**أحق**﴾ مبتدأ دخل عليه حرف الاستفهام. ﴿**هو**﴾ في محل رفع فاعل سد مسد الخبر. ﴿**قل إي**﴾ حرف جواب مثل نعم. ﴿**وربي**﴾ قسم. ﴿**إنّه**﴾ إنّ واسمها. ﴿**لحق**﴾ خبرها، دخل عليها حرف التوكيد، والجملة جواب القسم. ﴿**وما أنتم**﴾ ما واسمها، دخل عليها حرف العطف. ﴿**بمعجزين**﴾ خبر ما، دخل عليه حرف الجر الزائد؛ فَجُرَّ لفظاً ونصب محلاً، وجملة إي وربي في محل نصب مقول القول. ﴿**ولو**﴾ الواو للعطف، ولو متضمنة معنى الشرط. ﴿**أنّ لكل**﴾ متعلق بمحذوف خبر أنّ مقدم. ﴿**نفس**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**ظلمت**﴾ فعل ماضٍ، والفاعل هي يعود على نفس، وجملة ظلمت في محل جر نعت لنفس. ﴿**ما**﴾ في محل نصب اسم إنّ مؤخر.

﴿**في الأرض**﴾ متعلق بمحذوف صلة. ﴿**لافتدت**﴾ جواب لو. ﴿**به**﴾ متعلق

بافتدت. ﴿**وأسروا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف العطف. ﴿**الندامة**﴾ مفعول به. ﴿**لمّا**﴾ ظرف زمان بمعنى حين مبني على السكون في محل نصب متعلق بأسروا. ﴿**رأوا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**العذاب**﴾ مفعول به. ﴿**وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون**﴾ تقدم إعراب مثلها قريباً. ﴿**ألا**﴾ أداة استفتاح. ﴿**إنّ لله**﴾ متعلق بمحذوف خبر إنّ مقدم. ﴿**ما**﴾ في محل نصب اسم إنّ مؤخر. ﴿**في السماوات**﴾ متعلق بمحذوف صلة ما. ﴿**والأرض**﴾ عطف على السماوات. ﴿**ألا إنّ وعد اللهِ حق**﴾ إعرابها مثل سابقتها. ﴿**ولكنّ أكثرهم**﴾ لكنّ واسمها دخل عليها حرف العطف. ﴿**لا يعلمون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي، والجملة في محل رفع خبر لكنّ. ﴿**هو**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**يحيي**﴾ فعل مضارع مرفوع بضمة مقدرة على الياء، والفاعل هو. ﴿**ويميت**﴾ معطوف على يحيي. ﴿**وإليه**﴾ متعلق بما بعده. ﴿**ترجعون**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول، وواو الجماعة نائب الفاعل، والجملة معطوفة على قوله: هو يحيي ويميت. ﴿**يا أيّها**﴾ ياحرف نداء، أيّ منادى مبني على الضم في محل نصب، ها حرف تنبيه. ﴿**الناس**﴾ نعت لأي باعتبار لفظها. ﴿**قد**﴾ حرف تحقيق.

﴿**جاءتكم**﴾ الضمير المتصل مفعول. ﴿**موعظة**﴾ فاعل جاءت. ﴿**من ربّكم**﴾ متعلق بجاءتكم. ﴿**وشفاء**﴾ معطوف على موعظة. ﴿**لما**﴾ متعلق بشفاء. ﴿**في الصدور**﴾ متعلق بمحذوف صلة ما. ﴿**وهدى**﴾ معطوف على موعظة مرفوع بضمة مقدرة على الألف المحذوفة. ﴿**ورحمة**﴾ كذلك. ﴿**للمؤمنين**﴾ متعلق برحمة. ﴿**قل بفضل**﴾ متعلق بقوله: فليفرحوا. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى فضل. ﴿**وبرحمته**﴾ معطوف على قوله: بفضل الله. ﴿**فبذلك**﴾ جواب لشرط مقدر، والتقدير: إن فرحوا بشيء فبذلك فليفرحوا، والفاء في قوله ﴿**فليفرحوا**﴾ سببية، واللام للأمر وهي تجزم الفعل المضارع. ﴿**هو**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**خير**﴾ خبره. ﴿**مما**﴾ متعلق بخير. ﴿**يجمعون**﴾ فعل وفاعل، والجملة صلة ما. ﴿**قل أرأيتم**﴾ تقدم إعراب مثلها. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**أنزل الله**﴾ فعل وفاعل، والجملة صلة ما. ﴿**لكم من رزق**﴾ متعلقان بأنزل. ﴿**فجعلتم**﴾ فعل وفاعل دخل عليه فاء التفريع. ﴿**منه**﴾ متعلق بجعلتم. ﴿**حراماً**﴾ مفعول به. ﴿**وحلالاً**﴾ معطوف. ﴿**قل آلله**﴾ مبتدأ دخل عليه حرف الاستفهام.

﴿**أذن**﴾ فعل ماض، والفاعل هو يعود على الله. ﴿**لكم**﴾ متعلق بأذن. ﴿**أم**﴾

متصلة، وهي معادلة لهمزة الاستفهام؛ لأن الاستفهام عن أحد الأمرين. ﴿**على الله**﴾ متعلق بما بعده. ﴿**تفترون**﴾ فعل وفاعل. ﴿**وما**﴾ اسم استفهام في محل رفع مبتدأ، والواو للعطف. ﴿**ظن**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**الذين**﴾ في محل جر مضاف إلى ظن. ﴿**يفترون**﴾ فعل وفاعل، والجملة صلة الذين. ﴿**على الله**﴾ متعلق بيفترون. ﴿**الكذب**﴾ مفعول به. ﴿**يوم**﴾ متعلق بظن. ﴿**القيامة**﴾ مضاف إلى يوم. ﴿**إنّ الله**﴾ إنّ واسمها. ﴿**لذو**﴾ خبر إنّ مرفوع بالواو، واللام لتوكيد الخبر. ﴿**فضل**﴾ مضاف إلى ذو. ﴿**على الناس**﴾ متعلق بمحذوف نعت لفضل. ﴿**ولكنّ**﴾ الواو للعطف، ولكنّ للاستدراك. ﴿**أكثرهم**﴾ اسم لكنّ منصوب بالفتحة، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**لا يعلمون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. والجملة في محل رفع خبر لكنّ. ﴿**وما**﴾ الواو للعطف، وما للنفي. ﴿**تكون**﴾ اسمها ضمير أنت يعود على المخاطب، وهو الرسول. ﴿**في شأن**﴾ متعلق بمحذوف خبر تكون. ﴿**وما تتلو**﴾ معطوف على قوله: وما تكون في شأن.

﴿**منه**﴾ متعلق بتتلو. ﴿**من قرآن**﴾ مفعول تتلو جر بحرف الجر الزائد. ﴿**ولا تعملون**﴾ معطوف على ما تكون في شأن. ﴿**من عمل**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**إلاّ كنّا**﴾ كان واسمها. ﴿**عليكم شهوداً**﴾ خبرها، وعليكم متعلق به، والاستثناء من عموم الأحوال التي اقتضاها عموم الشأن وعموم التلاوة وعموم العمل. ﴿**إذ**﴾ ظرف. ﴿**تفيضون**﴾ فعل وفاعل. ﴿**فيه**﴾ متعلق بالفعل قبله، والجملة مؤولة بمصدر مجرور مضاف إلى إذ الظرفية، والعامل في الظرف خبر كان، أي: كنّا عليكم شهوداً وقت اندفاعكم في العمل المطلوب منكم. ﴿**وما يعزب**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف النفي وحرف العطف. ﴿**عن ربك**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**من مثقال**﴾ فاعل يعزب جر بحرف الجر الزائد. ﴿**ذرة**﴾ مضاف إلى مثقال. ﴿**في الأرض**﴾ متعلق بمحذوف نعت لذرة. ﴿**ولا في السماء**﴾ معطوف على قوله في الأرض.

﴿**ولا أصغر**﴾ اسم لا مبني على الفتح في محل نصب. ﴿**من ذلك**﴾ متعلق بمحذوف خبر لا. ﴿**ولا أكبر**﴾ معطوف على لا أصغر. ﴿**إلاّ في كتاب**﴾ متعلق بمحذوف خبر لمبتدإ محذوف، وهذه الجملة مستثناة بإلا. ﴿**مبين**﴾ نعت لكتاب. ﴿**ألا**﴾ أداة استفتاح. ﴿**إنّ أولياء**﴾ إنّ واسمها. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى أولياء. ﴿**لا**

خوف﴾ خبر إنّ دخل عليه حرف النفي. **﴿عليهم﴾** متعلق بالخبر. **﴿ولا هم﴾** في محل رفع مبتدأ، دخل عليه حرف النفي وحرف العطف. **﴿يحزنون﴾** فعل وفاعل، والجملة خبر المبتدإ، وجملة ولا هم يحزنون معطوفة على خبر إنّ. **﴿الذين﴾** في محل رفع خبر لمبتدإ مقدر. **﴿آمنوا﴾** فعل وفاعل صلة الذين. **﴿وكانوا﴾** كان واسمها دخل عليها حرف العطف. **﴿يتقون﴾** فعل وفاعل، والجملة في محل نصب خبر كان. **﴿لهم﴾** متعلق بمحذوف خبر مقدم. **﴿البشرى﴾** مبتدأ مؤخر.

﴿في الحياة﴾ متعلق بالبشرى. **﴿وفي الآخرة﴾** معطوف على قوله: في الحياة الدنيا. **﴿لا تبديل﴾** اسم لا مبني على الفتح في محل نصب. **﴿لكلمات﴾** متعلق بمحذوف خبر لا. **﴿الله﴾** مضاف إلى كلمات. **﴿ذلك﴾** في محل رفع مبتدأ. **﴿هو﴾** ضمير فصل. **﴿الفوز العظيم﴾** خبران لذلك. **﴿ولا يحزنك﴾** فعل مضارع مجزوم بلا الناهية، والواو حرف عطف، والضمير المتصل بالفعل مفعول. **﴿قولهم﴾** فاعل يحزنك مرفوع بالضمة، والضمير فيه مضاف إليه. **﴿إنّ العزة﴾** إنّ واسمها. **﴿لله﴾** متعلق بمحذوف خبر إنّ. **﴿جميعاً﴾** منصوب على الحال من العزة. **﴿هو﴾** في محل رفع مبتدأ. **﴿السميع العليم﴾** خبران لهو. **﴿ألا﴾** أداة استفتاح. **﴿إنّ لله﴾** متعلق بمحذوف خبر إنّ مقدم. **﴿من﴾** في محل نصب اسم إنّ مؤخر. **﴿في السماوات﴾** متعلق بمحذوف صلة من. **﴿ومن في الأرض﴾** معطوف على من في السماوات. **﴿وما يتبع﴾** الواو للعطف، وما اسم استفهام في محل نصب مفعول يتبع. **﴿الذين﴾** فاعل يتبع. **﴿يدعون﴾** فعل وفاعل صلة الذين. **﴿من دون﴾** متعلق بيدعون. **﴿الله﴾** مضاف إلى دون. **﴿شركاء﴾** مفعول يدعون. **﴿إن﴾** حرف نفي. **﴿يتبعون﴾** فعل وفاعل. **﴿إلاّ الظن﴾** بدل من مفعول يتبعون المقدر، والتقدير: ما يتبعون شيئاً ثابتاً إلاّ وهماً ظنوه ظناً. **﴿وإن هم إلا يخرصون﴾** معطوف على إن يتبعون، ومعنى هذه الجملة: وما هم على شيء من التحقيق إلا على الخرص والتخمين الموهوم.

﴿هو﴾ في محل رفع مبتدأ. **﴿الذي﴾** في محل رفع خبره. **﴿جعل﴾** فعل ماض، والفاعل هو، والجملة صلة الذي. **﴿لكم الليل﴾** الليل مفعول أول، ولكم المفعول الثاني. **﴿لتسكنوا﴾** فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل

وعلامة نصبه حذف النون، والواو فاعل. ﴿**فيه**﴾ متعلق بتسكنوا. ﴿**والنهار**﴾ معطوف على الليل. ﴿**مبصراً**﴾ المفعول الثاني لجعل. ﴿**إنّ في ذلك**﴾ متعلق بمحذوف خبر إنّ مقدم. ﴿**لآيات**﴾ اسم إنّ مؤخر منصوب بالكسرة، واللام لتوكيد الجملة. ﴿**لقوم**﴾ متعلق بآيات. ﴿**يسمعون**﴾ فعل وفاعل، والجملة في محل جر نعت لقوم. ﴿**قالوا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**اتخذ الله ولداً**﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة في محل نصب مقول القول. ﴿**سبحانه**﴾ مفعول مطلق منصوب بالفتحة، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**هو**﴾ فى محل رفع مبتدأ. ﴿**الغني**﴾ خبره مرفوع بالضمة. ﴿**له**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**ما**﴾ في محل رفع مبتدأ مؤخر. ﴿**في السماوات**﴾ متعلق بمحذوف صلة ما. ﴿**وما في الأرض**﴾ معطوف على ما في السماوات.

﴿**إنْ**﴾ حرف نفي. ﴿**عندكم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**من سلطان**﴾ مبتدأ مؤخر جُرّ بمن الزائدة. ﴿**بهذا**﴾ متعلق بسلطان. ﴿**أتقولون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف الاستفهام. ﴿**على الله**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول تقولون. ﴿**لا تعلمون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي، والجملة صلة ما. ﴿**قل**﴾ فعل أمر. ﴿**إنّ الذين**﴾ إنّ واسمها. ﴿**يفترون**﴾ صلة الذين. ﴿**على الله**﴾ متعلق بيفترون. ﴿**الكذب**﴾ مفعول به. ﴿**لا يفلحون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي، والجملة في محل رفع خبر إنّ. ﴿**متاع**﴾ خبر لمبتدإ محذوف، أي: هو متاع. ﴿**في الدنيا**﴾ متعلق بمتاع. ﴿**ثم**﴾ حرف ترتيب وتراخ. ﴿**إلينا**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**مرجعهم**﴾ مبتدأ مؤخر مرفوع بالضمة. والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**ثم نذيقهم**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف العطف، والضمير المتصل به مفعول، والفاعل نحن. ﴿**العذاب**﴾ مفعول به. ﴿**الشديد**﴾ نعت لعذاب. ﴿**بما**﴾ متعلق بنذيقهم. ﴿**كانوا**﴾ كان واسمها. ﴿**يكفرون**﴾ فعل وفاعل، والجملة في محل نصب خبر كان.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله**﴾: وُصل الكلام بما قبله بالعطف على مجموع ما تقدم عطف الغرض على الغرض، والقصة على القصة، وهو مفيد تفصيل ما أجمله ذكر الحروف المقطعة في أول السورة، والجمل الثلاث التي بعد

تلك الحروف. وهذا الكلام مسوق للتحدي بإعجاز القرآن، وهي مفيدة المبالغة في نفي أن يكون مفترى من غير الله؛ فدلالة ذاته كافية في أنّه غير مفترٍ... **﴿ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين﴾**: لما نفى عن القرآن الافتراء أخبر عنه بأنّه تصديق وتفصيل؛ فجرت أخباره كلها بالمصدر تنويهاً ببلوغه الغاية في هذه المعاني حتى اتحد بأجناسها... **﴿أم يقولون افتراه﴾**: من بديع الأسلوب وبليغ الكلام أن قدّم وصف القرآن بما يقتضي بعده عن الافتراء، وبما فيه من أجلّ صفات الكتب، وبتشريف نسبته إلى الله تعالى.

ثم أعقب ذلك بالاستفهام عن دعوى المشركين افتراءه؛ ليتلقى السامع هذه الدعوى بمزيد الاشمئزار والتعجب من حماقة أصحابها؛ فلذلك جعلت دعواهم افتراءه في حيز الاستفهام الإنكاري التعجيبي!.. **﴿قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين﴾**: هذا أمر من الله لنبيئه أن يجيبهم عن دعوى الافتراء بتعجيزهم، فأمرهم أن يأتوا بسورة واحدة تشابه سور القرآن... **﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله﴾**: إضراب انتقالي لبيان كنه تكذيبهم، وأنّ حالهم في المبادرة بالتكذيب قبل التأمل أعجب من أصل التكذيب؛ إذ أنّهم بادروا إلى تكذيبه دون نظر في أدلة صحته التي أشار إليها قولُه: وما كان هذا القرآن أن يفترى... واختيار التعبير عن القرآن بطريق الموصولية في قوله: بما لم يحيطوا بعلمه؛ لما تؤذن به صلة الموصول من عجيب تلك الحالة المنافية لتسليط التكذيب؛ فهم قد كذبوا قبل أن يختبروا، وهذا من شأن الحماقة والجهالة!. فالمعنى أنّهم سارعوا إلى التكذيب بالقرآن في بديهة السماع قبل أن يفقهوه ويعلموا كُنْهَ أمْرِهِ، وقبل أن يتدبروه؛ وإنما يكون مثل هذا التكذيب عن مكابرة وعداوة وعناد.

وجملة ولما يأتهم تأويله موصولة بما قبلها بالعطف، وهذا ارتقاء في وصفهم بقلة الأناة والتثبت. وجملة **﴿كذلك كذب الذين من قبلهم﴾** استئناف خوطب به النبيء، ولكل من يتأتّى منه السماع، والإشارة بذلك إلى تكذيبهم المذكور. والمراد بتكذيب الذين من قبلهم الأمم المكذبون رُسُلَهُمْ كما دل عليه المشبّهُ به. ومما يقصد من هذا التشبيه أمور:

أحدها: أنّ هذه عادة المعاندين الكافرين؛ ليعلم المشركون أنّهم مماثلون للأمم التي كذبت الرسل فيعتبروا بذلك.

الثاني: التعريض بالنذارة لهم بحلول العذاب بهم.

الثالث: تسلية النبيء بأنّه ما لقي من قومه إلا مثل ما لقي من سبقه من الرسل من أممهم؛ فلذلك فُرّع على جملة التشبيه خطاب النبيء بقوله... ﴿**فانظر كيف كان عاقبة الظالمين. ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربّك أعلم بالمفسدين**﴾: وصل الكلام بالعطف على جملة بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه؛ لأنّ الإخبار عن تكذيبهم بأنّه دون الإحاطة بعلم ما كذبوا به يقتضي أنّ تكذيبهم به ليس عن بصيرة وتأمل، وما كان بهذه المثابة كان حال المكذبين فيه متفاوتاً حتى يبلغ إلى أن يكون تكذيباً مع اعتقاد نفي الكذب عنه؛ ولذلك جاء موقع هذه الآية عقب الأخرى موقع التخصيص للعام في الظاهر، أو البيان للمجمل من عدم الإحاطة بعلمه، فكان حالهم في الإيمان بالقرآن كحالهم في اتباع الأصنام؛ إذ قال فيهم: وما يتبع أكثرهم إلا ظناً، فأشعر لفظ أكثرهم بأنّ منهم من يعلم بطلان عبادة الأصنام، ولكنهم يتبعونها مشايعة لقومهم ومكابرةً للحق، وكذلك حالهم في التكذيب بنسبة القرآن إلى الله؛ فمنهم من يؤمن به ويكتم إيمانه مكابرة وعداء، ومنهم من لا يؤمن به ويكذب عن تقليدٍ لكبرائهم، والفريقان مشتركان في التكذيب في الظاهر؛ كما أنبأت عنه مِنْ التبعيضية.

واختيار المضارع للدلالة على استمرار الإيمان به من بعضهم، واستمرار عدم الإيمان به من البعض الآخر. وجملة ربّك أعلم بالمفسدين تعريض بالوعيد والإنذار، وبأنّهم من المفسدين... ﴿**وإن كذّبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون**﴾: لما كان العلم بتكذيبهم حاصلاً مما تقدم من الآيات تعيّن أنّ التكذيب المفروض هنا بواسطة أداة الشرط هو التكذيب في المستقبل. ومعنى لي عملي ولكم عملكم: المتاركة، وهو مما أجري مجرى المثل؛ ولذلك بني على الاختصار ووفرة المعنى، فأفيد فيه معنى الحصر بتقديم المعمول؛ فجملة أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون بيان لجملة لي عملي ولكم عملكم، ولذلك فُصِلَتْ... ﴿**ومنهم من يستمعون إليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون. ومنهم من ينظر إليك أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون**﴾: تقسيم آخر بالنسبة لموقف المشركين من النبيء؛ فأفاد سياق الكلام أنّهم يستمعون إلى النبيء، وينظرون إليه ولا ينتفعون بذلك؛ فجملة أفأنت تسمع

الصم ولو كانوا لا يعقلون تفريع على جملة من يستمعون إليك، وفي هذا التفريع بيان لسبب عدم انتفاعهم بالسمع والبصر، هذان الاستفهامان مستعملان في التعجيب من حالهم.

ولما كان الغرض هنا التعجيب من حالهم؛ إذ لم يصلوا إلى الهدى كان عدم فهمهم وعدم تبصرهم كناية عن كونهم لا يعقلون، وكونهم لا بصائر لهم... **﴿إنّ الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون﴾**: المقصود من هذا التعليق المعلل لما قبله التعريض بالوعيد. ومعنى هذا أنّ الله لا يظلم الناس بالعقاب ولكنهم يظلمون أنفسهم بالاعتداء على ما أراد منهم فيعاقبهم عدلاً؛ لأنهم ظلموا فاستوجبوا العقاب. وتقديم المعمول على عامله لإفادة تغليظهم بأنّهم ما جنوا بكفرهم إلا على أنفسهم... **﴿ويوم نحشرهم كأن لم يلبثوا إلاّ ساعة من النهار يتعارفون بينهم قد خسر الذين كذّبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين﴾**: كلام موصول بما قبله بالعطف. وتقديم الظرف على عامله للاهتمام؛ لأنّ المقصود الأهم تذكيرهم بذلك اليوم وإثبات وقوعه، مع تحذيرهم ووعيدهم بما يحصل لهم فيه، فظهر خسرانهم يومئذ بأنّهم نفوا البعث فلم يستعدوا ليومه بقبول ما دعاهم إليه الرسول...

﴿وإمّا نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإلينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون﴾: هذه الآية جاءت موصولة بما قبلها بالعطف بياناً لذلك، وإنذاراً بأنّهم أن أمهلوا فأبقى عليهم في الدنيا فإنّهم غير مُفْلِتِينَ من المصير إلى عقاب الآخرة حين يرجعون إلى تصرف الله دون حائل. وجاء الكلام على طريقة إبهام الحاصل من الحالين لإيقاع الناس بين الخوف والرجاء، فالمعنى إن وقع عذاب الدنيا بهم فرأيته أنت، أو لم يقع فتوفّاك الله فمصيرهم إلينا على كل حال؛ فمضمون أو نتوفينّك قسيم لمضمون نرينّك بعض الذي نعدهم، والجملتان معاً جملتا شَرْطٍ، وجواب الشرط قوله: فإلينا مرجعهم. ولما جعل جواب الشرطين إرجاعهم إلى الله المُكَنَّى به عن العقاب الآجل تعين أنّ التقسيم الواقع في الشرط ترديد بين حالتين لهما مناسبة بحالة تحقق الإرجاع إلى عذاب الله على كلا التقديرين.

وجملة ثم اللّهُ شهيد على ما يفعلون معطوف على التراخي لاشتمالها على التعريض بالجزاء على سوء أفعالهم؛ فالخبر مستعمل في معناه الكنائي. وإظهار

اسم الله هنا لإدخال الروعة وتربية المهابة. والتعبير بالمضارع (يفعلون) للإشعار إلى أنّه عليم بما يحدث عنهم من الأفعال في المستقبل... ﴿**ولكل أمة رسول فإذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون**﴾: الآية موصوله بما قبلها، وهي بمنزلة السبب لمضمون ما قبلها، والمقصود من هذا ما تفرع عليه من قوله: فإذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط. ولمّا أشعر قوله: قضي بينهم بأنّ القضاء قضاءُ زجر لهم على مخالفتهم، وأنّه عقاب شديد يكاد من يراه أو يسمعه أن يجول بخاطره أنّه مبالغ فيه، أتى بجملة وهم لا يُظلمون، وهي حال مؤكدة لعاملها الذي هو قضي بينهم بالقسط للإشعار بأنّ الذنب الذي قضي عليهم بسببه ذنب عظيم... ﴿**ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين**﴾: لا زال الكلام موصولاً بعضه ببعض لتسجيل ما لديهم من التهكم والاستهزاء بكل ما أنذروا به من وعيد وتهديد، فحكى قولهم بصيغة المضارع لقصد استحضار الحالة.

والسؤال مستعمل في الاستبطاء، وهو كناية عن عدم اكتراثهم به، وأنّهم لا يأبهون به؛ لينتقل من ذلك إلى أنّهم مكذبون بحصوله بطريق الإيماء بقرينة قولهم: إن كنتم صادقين... ﴿**قل لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله**﴾: جاء الأمر بالرد إلى الرسول مع أنّ السؤال موجه للمؤمنين جميعا - متى هذا الوعد إن كنتم صادقين -؛ لأنّ الرسول هو الذي أخبرهم بالوعيد، وهذا الجواب يقتضي إبطال كلامهم بالأسلوب المصطلح على تلقيبه في فن البديع بالمذهب الكلامي، أي: بطريق برهاني؛ لأنّه إذا كان لا يستطيع لنفسه ضراً ولا نفعاً فعدم استطاعته ما فيه ضر غيره بهذا الوعد أَوْلَى، فكان معنى الجواب: أنّ الوعد من الله لا مِنِّي، وأنا لا أقدر على إنزاله بكم؛ لأنّ له أجلاً عند الله، والدليل على ذلك هذا الكلام...

﴿**لكل أمة أجل إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون**﴾: فموقع هذا الكلام من موقع لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعاً موقع العلّة؛ وصورة الاستدلال بالطريق البرهاني: أن قضية لكل أمة أجل قضية كلية تشمل كل أُمّة، ولمّا كان المخاطبون من جملة الأمم كانوا مشمولين لحكم هذه القضية؛ فكأنه قيل لهم: أنتم أمّة من الأمم، ولكل أمة أجل، فأنتم لكم أجل، فترقبوا حلُولَه... ﴿**قل أرأيتم إن أتاكم عذابه بياتاً أو نهاراً ماذا يستعجل منه المجرمون أثم إذا ما وقع آمنتم**

به الآن وقد كنتم به تستعجلون﴾: هذا جواب ثان عن قولهم: متى هذا الوعد إن كنتم صادقين؟. باعتبار ما يتضمنه قولهم من الوعد بأنّهم يؤمنون إذا حق الوعد الذي توعدهم به. ووقع في خلال هذا الجواب تفنن في تخييل التهويل لهذا العذاب الموعود بقوله: إن أتاكم عذابه بياتاً أو نهاراً، تخييلا يناسب تحقق وقوعه؛ فإن هذين الوقتين لا يخلو حلول الحوادث عن أحدهما. وفي قوله: ماذا يستعجل منه المجرمون إظهار في مقام الإضمار عِوَضَ أن يقال: ماذا يستعجلون منه؛ لقصد التسجيل عليهم بالإجرام.

وللتنبيه على خطئهم في استعجال الوعيد. وعطفت جملة أثم إذا ما وقع بحرف الممهلة للدلالة على التراخي الرتبي كما هو شأن ثم في عطفها الجمل، والمستفهم عنه هو حصول الإيمان في وقت وقوع العذاب، وهذا الاستفهام مستعمل في الإنكار بمعنى التغليظ وإفساد رأيهم. وكلمة الآن استفهام إنكاري عن حصول إيمانهم عند حلول ما توعدهم، فعبر عن وقت وقوعه باسم الزمان الحاضر. وهذا الاستحضار من تخييل الحالة المستقبلة واقعة. وفي قوله: وقد كنتم به تستعجلون تبكيت لهم على استهزائهم وتكذيبهم بالوعيد الذي سيحل بهم، وتشديد للتوبيخ والتقريع، وزيادة في التنديم والتحسير... **﴿ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون إلاّ بما كنتم تكسبون﴾**: هذا تأكيد للتوبيخ، والعتاب بوعيد العذاب والعقاب، وهذا العذاب أعظم من العذاب الذي سبق الحديث عنه؛ فإن ذلك عذاب الدنيا، وأما عذاب الخلد فهو عذاب الآخرة، فلهذا جاء العطف بثُمّ.

وصيغة المضي في قوله: قيل للذين ظلموا، مستعملة في معنى المستقبل تنبيهاً على تحقيق وقوعه... والذين ظلموا هم القائلون: متى هذا الوعد. وأظهر في مقام الإضمار لتسجيل وصف الظلم عليهم. والذوق مستعمل في الإحساس، وهو مجاز مشهور بعلاقة الإطلاق. والاستفهام في هل تجزون إنكاري بمعنى النفي؛ ولذلك جاء بعده الاستثناء. وجملة هل تجزون إلاّ بما كنتم تكسبون استئناف بياني؛ لأن جملة ذوقوا عذاب الخلد تُثِيرُ سؤالاً في نفوسهم عن مقدار ذلك العذاب، فيكون الجواب على أنّه على قدر فظاعة ما كسبوه من الأعمال مع إفادة تعليل تسليط العذاب عليهم... **﴿ويستنبئونك أحق هو قل أي وربي إنّه لحق**

وما أنتم بمعجزين﴾: لا زال الكلام موصولاً بعضه ببعض؛ فالجملة معطوفة على جملة ويقولون متى هذا الوعد. وضمير الجمع عائد إليهم، فهم المستنبئون لا غيرهم، وضمير هو عائد على عذاب الخلد. وجملة أحق هو استفهامية بيانية، وجاء الجواب مؤكداً بالأمر.

وإي بمعنى نعم، ووربي وهو قسم. وأكد الجواب الثاني بإنّ واللام وجملة وما أنتم بمعجزين. . . **﴿ولو أنّ لكل نفس ظلمت ما في الأرض لافتدت به﴾**: موصول بما قبله مؤكد له إعلاما لهم بهول ذلك العذاب عساهم أن يحذروه. . . **﴿وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون﴾**: عطف كلام على كلام. وعبر بالإسرار المستقبل بلفظ الماضي تنبيهاً على تحقيق وقوعه حتى كأنه قد مضى. وجملة وقضي بينهم بالقسط عطف على جملة وأسروا الندامة. وجملة وهم لا يظلمون حالية. . . **﴿ألا إنّ لله ما في السماوات والأرض ألا إنّ وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون هو يحيي ويميت وإليه ترجعون﴾**: هذا تذييل تنهية للكلام المتعلق بصدق الرسول والقرآن وما جاء به من الوعيد وترقب يوم البعث ويوم نزول العذاب بالمشركين، وقد اشتمل هذا التذييل على مجمل تفصيل ذلك الغرض، وعلى تعليله بأنّ من هذه شؤونه لا يعجز عن تحقيق ما أخبر بوقوعه، فكان افتتاحه بأنّ الله هو المتوحد بملك السماوات والأرض؛ فهو يتصرف في الناس وأحوالهم في الدنيا والآخرة تصرفاً لا يشاركه غيرُه.

وافتتح هذا التذييل بحرف التنبيه، وأعيد فيه حرف التنبيه للاستيعاب لسماعه، وللتنبيه على أنّه كلام جامع هو حَوْصَلَةُ الغرض الذي سمعوا تفصيلَه آنفاً. وتوكيد الخبر بحرف إنّ للرد على المشركين فيما قالوا وفعلوا، وقدم خبر إنّ على اسمها للاهتمام باسمه تعالى؛ ولإفادة القصر لرد اعتقادهم الشركة في ملك الله. وتقييد نفي العلم بالأكثر إشارة إلى أنّ منهم من يعلم ذلك ولكنه يَجْحَدُهُ مَكَابَرَةً. هو يحيي ويميت واليه ترجعون: زيادة في توضيح الكلام وتوكيده ودليله، وهو تحذير وإنذار للمخاطبين. . . **﴿يا أيّها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين﴾**: ابتداء كلام لغرض جديد يخاطب فيه جميع الناس بالتعريف بشأن القرآن وهديه، فالكلام الآن منعطف إلى الغرض المفتتح بقوله: وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله. وافتتاح الكلام بقد لتأكيده؛

لأنّ في المخاطبين كثيراً ممن ينكر هذه الأوصاف للقرآن. والمجيء مستعمل مجازاً في الإعلام بالشيء.

وقد أومأ وصف القرآن بالشفاء إلى تمثيل حال النفوس بالنسبة إلى القرآن، وإلى ما جاء به بحال المعتل السقيم الذي تغير نظامُ مِزاجه من حالة الاستقامة فأصبح مضطرب الأحوال خائر القوى، فهو يترقب الطبيب الذي يدبر له بالشفاء، ولا بد للطبيب من موعظة للمريض يحذره بها مما هو سبب نَشْء علته ودوامها، ثم ينعت له الدواء الذي به شفاؤه من العلة، ثم يصف له النظام الذي ينبغي له سلوكه؛ لتدوم له الصحة والسلامة، ولا ينتكس له المرض، فإن هو انتصح بنصائح الطبيب أصبح معافًى سليماً، وحيى حياةً طيّبةً لا يعتوره ألم ولا يشتكي وصَباً. وقد كان هذا التمثيل لكماله قابلا لتفريق تشبيه أجزاء الهيئة المشبهة بأجزاء الهيئة المشبه بها، فزواجر القرآن ومواعظه يشبه بنصح الطبيب على وجه المكنية، وإبطاله العقائد الضالة يشبه بنعت الدواء للشفاء من المضار على وجه التصريحية، وتعاليمه الدينية وآدابه تشبه بقواعد حفظ الصحة على وجه المكنية، وعبر عنها بالهدى، ورحمته للعالمين تشبه بالعيش في سلامة على وجه المكنية.

ومعلوم أنّ ألفاظاً يصح أن تكون مستعملة في حقائق معانيها كما هنا، ويصح أن تجعل تخييلا كأظفار المنية، ثم إنّ ذلك يتضمن تشبيه شأن باعث القرآن بالطبيب العليم بالأدواء وأدويتها، ويقوم من ذلك تشبيه هيئة تلقي الناس للقرآن وانتفاعهم به ومعالجة الرسول إيّاهم بتكرير النصح والإرشاد بهيئة المرضى بين يدِي الطبيب وهو يصف لهم ما فيه بُرْؤُهُمْ وصلاح أمزجتهم، فمنهم القابل المنتفع، ومنهم المتعاصي الممتنع؛ فالأوصاف الثلاثة الأول ثابتة للقرآن في ذاته، سواء في ذلك من قبلها وعمل بها، أوْ مَنْ أعرض عنها ونبذها، إلا أنّ وصفه بكونه هُدًى، لمّا كان وصفاً بالمصدر المقتضي للمبالغة بحيث كأنّه نفس الهُدَى، كان الأنسب أن يراد به حصول الهدى به بالفعل، فيكون في قران الوصف الرابع. والوصف الرابع وهو الرحمة خاص بمن عمل بمقتضى الأوصاف الثلاثة الأوَل فانتفع بها، فكان القرآن رحمة له في الدنيا والآخرة. وجاءت هذه الأوصاف مُنَكَّرَةً للتفخيم. . .

﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون﴾: هذا تلوين

للخطاب، وتوجيه له إلى الرسول ليأمر الناس بأن يغتنموا ما في مجيء القرآن العظيم من الفضل والرحمة، والإشارة في قوله: فبذلك للمذكور، وهو مجموع الفضل والرحمة، واختير للتعبير عنه اسم الإشارة لما فيه من الدلالة على التنويه والتعظيم مع زيادة التمييز والاختصار. ولما قصد توكيد الجملة كلها بما فيها من صيغ القصر قرن اسم الإشارة بالفاء تأكيداً لفاء التفريع التي في «فليفرحوا»؛ لأنّه لما قُدِّمَ على متعلقه قرن بالفاء؛ لإظهار التفريع في ابتداء الجملة، وقد حذف فعل ليفرحوا، فصار مفيداً مفاد جملتين متماثلتين مع إيجاز بديع. وجملة هو خير مما يجمعون مبينة للمقصود من القصر المستفاد من تقديم المجرورين، وما يجمعون مراد به الأموال والمكاسب، وضمير يجمعون عائد إلى الناس.

وقد أجملت الآية وجه تفضيل هذا الفضل والرحمة على ما يجمعونه لقصد إعمال النظر في وجوه تفضيلية... **﴿قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالاً. قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون﴾**: هذا كلام مستأنف جيء به لمناسبة وقوعه عقب ما تقدم من حكاية تكذيبهم بالقرآن، وادعائهم أنّه مفترى، ثم إبطال قولهم بالحجة القاطعة؛ فجاء هذا الكلام مظهراً خطل عقولهم واختلال تكذيبهم؛ فإنّه بعد أن كان تكذيباً بما لم يحيطوا بعلمه، فإنّهم قد ارتكبوا في دينهم بما يلزمهم منه مماثلة الحالة التي أنكروها، فإنّهم قد وضعوا ديناً فجعلوا بعض أرزاقهم حراماً عليهم وبعضها حلالاً لهم، فإن كان ذلك حقاً بزعمهم فمن الذي أبلغهم تلك الشرائع عن الله؟. ولماذا تقبلوها عمن شرّعها لهم ولم يكذبوه وهم لا يستطيعون أن يلتزموا ذلك؟.

وإن كان من تلقاء أنفسهم فقد افتروا على الله، فلزمهم ما ألصقوه بالنبيء فعلق بهم وبرأ الله منه رسوله، ثم إنّ اختيار الاستدلال عليهم بشيء من تشريعهم في خصوص أرزاقهم يزيد هذا الاستدلال مناسبة بآخر الكلام الذي قبله؛ ليظهر ما فيه من حسن التخلص إليه. والاستفهام في أرأيتم، وآلله أذن لكم أم على الله تفترون تقريري، باعتبار إلزامهم أحد الأمرين: إما أن يكون الله أذن لهم، أو أن يكونوا مفترين على الله، وقد شِيبَ التقريرُ في ذلك بالإنكار على الوجهين. وتقديم اسم الله وهو مسند إليه على خبره الفعلي لتقوية الحكم مع الاهتمام. وتقديم المجرور على عامله في قوله: أم على الله تفترون للاهتمام بهذا المتعلق

تشنيعاً لتعليق الافتراء به. . . **﴿وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة﴾**: كلام مسوق من قبل الله تعالى لبيان هول ما سيلقونه غير داخل تحت القول المأمور به. والتعبير عنهم بالموصول في موقع الإضمار لقطع احتمال الشق الأول من الترديد، والتسجيل عليهم بالافتراء وزيادة الكذب، مع أنّ الافتراء لا يكون إلا كذباً؛ لإظهار كمال قبح ما افتعلوا وكونه كذباً في اعتقادهم أيضاً. وجملة. . . **﴿إنّ الله لذو فضل على الناس﴾**: تذييل للكلام المفتتح بقوله: يا أيّها الناس قد جاءتكم، وفيه قطع لعذر المشركين وتسجيل عليهم بالتمرد بأنّ الله تفضل عليهم بالرزق والموعظة والإرشاد فقابلوا ذلك بالكفر دون الشكر، وجعلوا رزقهم أنّهم يكذبون، في حين قابله المؤمنون بالفرح والشكر فانتفعوا به في الدنيا والآخرة. . . **﴿ولكن أكثرهم لا يشكرون﴾**.

﴿وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلاّ كنّا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه﴾: وصل الكلام بما قبله بالعطف، وهو عطف غرض على غرض؛ فيكون الكلام قد ابتدئ بشؤون النبيء ﷺ التي منها ما هو من خواصه كقيام الليل، وأثنى بما هو من شؤونه بالنسبة إلى الناس، وهو تلاوة القرآن على الناس، وثلّث بما هو من شؤون الأمة. ووقع النفي مرتين: مرة بحرف ما، ومرة أخرى بحرف لا؛ لأنّ حرف ما أصله أن يخلص المضارع للحال، وحرف لا الأصل فيه تخليصه المضارع للاستقبال. ويعلم من قرينة العموم في الأفعال الثلاثة بواسطة النكرات الثلاث المتعلقة بتلك الأفعال، والواقعة في سياق النفي، أنّ ما يحصل في الحال وما يحصل في المستقبل من تلك الأفعال سواءٌ، وهذا من بديع الإيجاز والإعجاز!.

وكذلك الجمع بين صيغ المضارع في الأفعال المهمة، وبين صيغ الماضي في الفعل الواقع في موضع الحال منها؛ فهو للتنبيه على أنّ ما حصل ويحصل وسيحصل سواءٌ في علم الله تعالى. والاستثناء في قوله: إلاّ كنا عليكم شهوداً استثناء من عموم الأحوال التي اقتضاها عموم الشأن وعموم التلاوة وعموم العمل. . . **﴿وما يعزب عن ربّك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين﴾**: وصل الكلام بما قبله بالعطف، فهو بمنزلة التذييل لما فيه من زيادة التعميم في تعلق علم الله تعالى بجميع

الموجودات، بعد الكلام على تعلقه بعمل النبيء والمسلمين. والعزوب: البعد، وهو مجاز هنا للخفاء وفوات العلم؛ لأنّ الخفاء لازم للشيء البعيد. ومن في قوله من مثقال ذرة مزيدة لتأكيد عموم النفي الذي في ما يعزب، وذكرت الذرة مبالغة في الصغر والدقة؛ للكناية بذلك عن إحاطة العلم بكل شيء. وتقديم الأرض هنا، لأنّ ما فيها أعلق بالغرض الذي فيه الكلام، وهو أعمال الناس. وجملة ولا أصغر من ذلك ولا أكبر تعميم بعد تخصيص حتى لا يبقى الذهن محصوراً في مثقال الذرة، فعلم الله أوسع من ذلك. . .

﴿ألا إنّ أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون. لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم﴾: هذا الكلام استئناف وبيان على وجه التبشير والوعد لما هو نتيجة لأعمال المؤمنين، وغاية لما ذكر قبله من كونه تعالى مُهَيْمِناً على نبيئه وأمته في كل ما يأتون وما يذرون، وإحاطة علمه سبحانه بجميع ما في السماء والأرض، وكون الكل مُثْبَتاً في الكتاب المبين. وافتتاح الكلام بأداة التنبيه إيماء إلى أهمية شأنه. وزيادة في الأهمية أكد بإنّ بعدها. وفي التعبير بأولياء الله دون أن يؤتى بضمير الخطاب - كما هو مقتضى وقُوعِهِ عقب قوله: وما تعملون من عمل - يؤذن بأنّ المخاطبين قد حق لهم أنّهم من أولياء الله مع إفادة حكم عام شملهم ويشمل من يأتي على طريقتهم. وجملة لا خوف عليهم ولا هم يحزنون خبر. وجملة الذين آمنوا وكانوا يتقون بيان.

.

وجملة لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة وعْدٌ لهم بما يحصل في الدنيا من الفضل والتكريم، وفي الآخرة من النعيم الكريم. وجملة لا تبديل لكلمات الله مبيّنة لمعنى تأكيد الوعد الذي تضمنه قوله: لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة؛ تذكيراً لهم بأنّ ما وعدهم الله به من البشارة أمْرٌ ثابت لا يتخلّف؛ لأنّه من كلمات الله. وجملة ذلك هو الفوز العظيم مؤكدة لجملة لهم البشرى ومقررة لمضمونها فلذلك فصلت. والإشارة بذلك إلى المذكور من مضمون الجمل الثلاث المتقدمة. واختيار اسم الإشارة لأنّه أجمع لما ذكر، وفيه كمال تمييز له لزيادة تقرير معناه. وذكر ضمير الفصل بعد اسم الإشارة لزيادة التأكيد ولإفادة القصر. . . **﴿ولا يحزنك قولهم إنّ العزة لله جميعاً هو السميع**

العليم﴾: وصلت الآية بما قبلها بالعطف عطف الجزئي على الكلي؛ لأن الحزن المذكور هنا نوع من أنواع الحزن المنفي.

وعطف بالواو ليعطي مضمون الجملة المعطوف استقلالاً، وإنّما وجه النهي إلى قولهم للمبالغة في نهي النبيء عن الحزن؛ لما أنّ النهي عن التأثير نهي عن التأثر بأصله ونفي له بالمرة. وجملة إنّ العزة لله جميعاً تعليل لدفع الحزن عنه، ولذلك فصلت عن جملة النهي، وافتتحت بحرف التأكيد للاهتمام بها، والتعريف في العزة تعريف الجنس المفيد للاستغراق بقرينة السياق، وجميعاً حال من العزة مؤكدة مضمون الجملة قبلها. وجملة هو السميع العليم مستأنفة، وإجراء هذا الخبر على اسم الله الواقع ركناً في الجملة التعليلية يجر معنى التعليل إلى هذه الجملة فتفيد الجملة تعليلاً آخر، أو تكملة للتعليل الأول... **﴿ألا إنّ لله من في السماوات ومن في الأرض﴾**: الجملة مستأنفة استئنافاً ابتدائياً، ومناسبة وقوعها عقب جملة ولا يحزنك قولهم: أنّ أقوالهم دحضت بمضمون هذه الجملة، وأما وقوعها عقب جملة إنّ العزة لله جميعاً فلأنّها حُجَّة على أنّ العزة لله؛ لأنّ الذي له من في السماوات ومن في الأرض تكون له العزة الحق. وافتتاح الجملة بحرف التنبيه مقصود منه إظهار أهمية العلم بمضمونها وتحقيقه، ولذلك عقب بحرف التأكيد، وزيد ذلك تأكيداً بتقديم الخبر في قوله: لله من في السماوات ومن في الأرض، وباجتلاب لام الملك... **﴿وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء﴾**: موصولة بما قبلها بالعطف. والجملة استفهامية، جوابها: **﴿إن يتبعون إلاّ الظن وإن هم إلاّ يخرصون... هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً إنّ في ذلك لآيات لقوم يسمعون﴾**: تنبيه على تفرده تعالى بالقدرة الكاملة والنعمة الشاملة؛ ليدلهم على توحده سبحانه باستحقاق العبادة، وتقرير لما سلف من كون جميع الموجودات تحت قدرته وملكته المفصح عن اختصاص العزة به سبحانه. وفي هذا الكلام آيات بينات لا يدركها إلاّ من يسمعها فيعيها ويعمل بمقتضاها... **﴿قالوا اتخذ الله ولداً﴾**: شروع في ذكر ضرب آخر من أباطيلهم، وبيان بطلانه.

وجملة **﴿سبحانه﴾** إنشاء تنزيه للرد عليهم، فالجملة جواب لذلك المقال؛ ولذلك فصلت عن التي قبلها. وجملة **﴿هو الغني﴾** بيان لوجه التنزيه. وجملة **﴿له**

ما في السماوات وما في الأرض﴾ مقررة لوصف الغنى. وجملة **﴿إن عندكم من سلطان بهذا﴾** جواب ثان لقولهم: اتخذ الله ولدا؛ فلذلك فصلت كما فصلت جملة سبحانه، فبعد أن استدل على إبطال قولهم سجّل عليهم أنّهم لا حجة لهم في قولهم هذا. وجملة **﴿أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾** جواب ثالث ناشئ عن الجوابين؛ لأنّهم لمّا أبْطل قولهم بالحجة، ونُفي أن تكون لهم على قولهم حجة كانوا أحرياء بالتوبيخ والتشنيع، ولكونها جواباً فصلت... **﴿قل إنّ الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون﴾**: استئناف افتتح بأمر النبيء ﷺ أن يقول لتنبيه السامعين إلى وعي ما يرد بعد الأمر بالقول أنّه أمر مهم بحيث يطلب تبليغه، وذلك أنّ المقول قضية عامة يحصل منها وعيد للذين قالوا: اتخذ الله ولداً، وأمثال ذلك؛ فذلك كله افتراء على الله، فنفي الفلاح هنا نفي لحصول مقصودهم من الكذب والتكذيب.

وجملة متاع في الدنيا استئناف بياني؛ لأنّ القضاء عليه بعدم الفلاح يتوجه عليه أن يسأل سائل: كيف نراهم في عزة وقدرة على أذى المسلمين، وصد الناس عن اتباع الرسول، فيجاب السائل بأنّ ذلك تمتيع في الدنيا لا يعبأ به؛ فمادّةُ متاع مؤذِنَةٌ بأنّه غير دائم، وتنكيره مؤذن بتقليله، وتقييده بأنّه في الدنيا مؤكد للزوال وللتقليل. وثم في قوله: ثم إلينا مرجعهم للتراخي الرتبي؛ لأنّ مضمونه هو محقة أنّهم يفلحون، وتقديم إلينا على متعلقه، وهو المرجع للاهتمام بالتذكير به واستحضاره. وجملة ثم نذيقهم العذاب الشديد بيان لجملة ثم إلينا مرجعهم، وحرف ثم هذا مؤكد لنظيره الذي في الجملة قبله. وقوله: بما كانوا يكفرون يؤذن بتكرر ذلك منهم وتجدده بأنواع الكفر.

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

التوجيه الأول: ﴿وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين﴾: لما كان الغرض الأول في هذه السورة إبطال تعجب المشركين من الإيحاء بالقرآن إلى النبيء ﷺ، وتبيين عدم اهتدائهم إلى آياته البينات الدالة على أنّه من عند الله، وكيف لم ينظروا فى أحوال الرسول الدالة على أنّ ما جاء به وحْيٌ من الله، وكيف سألوه

مع ذلك أن يأتي بقرآن غيره، أو يبدل آياته بما يوافق أهواءهم، ثم انتقل بعد ذلك إلى سؤالهم أن تنزل عليه آية أخرى من عند الله غير القرآن، وتخلل ذلك كله وصف افترائهم الكذب في دعوى الشركاء لله، وإقامة الأدلة على انفراد الله بالخلق والرزق والإحياء والإماتة، وعلى إثبات البعث وإنذارهم بما نال الأمم من قبلهم، وتذكيرهم بنعم الله عليهم وإِمْهَالِهِم، وبيان خطئهم في اعتقاد الشرك اعتقاداً مبنياً على سوء النظر والقياس الفاسد، لا جرم عاد الكلام إلى قولهم في القرآن بإبطال رأيهم الذي هو من الظن الباطل أيضاً بقياسهم أحوال النبوءة والوحي بمقياس عاداتهم، كما قاسوا حقيقة الإلهية بمثل ذلك، فقارَعَتْهم هذه الآية بذكر صفات القرآن في ذاته الدالة على أنّه حق من عند الله، وتحدَّتْهُم بالإعجاز عن الإتيان بمثله: وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله؛ فهو بخصائصه الموضوعية والتعبيرية: بهذا الكمال في تناسقه، وبهذا الكمال في العقيدة التي جاء بها، وفي النظام الإنساني الذي يتضمن قواعده، وبهذا الكمال في تصوير طبيعة البشر وطبيعة الحياة وطبيعة الكون، لا يمكن أن يكون مفترًى من دون الله، وما كان من شأنه أصلاً أن يفترى؛ فليس الافتراء هو المنفي، ولكن جواز وجوده هو المنفي.

ولما نفى عن القرآن الافتراء أخبر عنه بأنّه تصديق الذي بين يديه من الكتب التي سبق بها الرسُلُ؛ تصديقاً في أصل العقيدة، وفي الدعوة إلى الخير، وتفصيل الكتاب الواحد الذي جاء به الرسل جميعاً من عند الله، تتفق أصوله وتوجيهاته، وتختلف تفصيلاته. وهذا القرآن يفصل كتاب الله، ويبين وسائل الخير الذي جاء به، ووسائل تحقيقه وصيانته؛ فالعقيدة في الله واحدة، والدعوة إلى الخير واحدة.

ولكن صورة هذا الخير فيها تفصيل. والتشريع الذي يحققه فيه تفصيل يناسب نمو البشرية وقتها، وتطورات البشرية بعدها، بعد أن بلغت سن الرشد فخوطبت بالقرآن خطاب الراشدين، ولم تخاطب بالخوارق المادية التي لا سبيل فيها للعقل والتفكير، فهو لا ريب فيه، وهو تنزيل من رب العالمين. . . ﴿**أم يقولون افتراه**﴾: بل أيقولون افترى محمدٌ القرآن بعد ما تبين لهم من الدلائل على صدقه وبراءته من الافتراء؛ فمع هذا يقولون: هو من صنع محمد!؛ فمحمدٌ بشرٌ ينطق باللغة التي ينطقون بها، ولا يملك من حروفها إلا ما يملكون: ألف، لام، ر، ألف، لام،

ميم، صاد؛ فدونهم إِذَنْ، ومعهم من يستطيعون جمعهم؛ فليفتروا كما افترى بزعمهم، فليفتروا سورة واحدة لا قرآناً كاملاً. . . **﴿قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من اسطعتم من دون الله إن كنتم صادقين﴾**: وقد ثبت هذا التحدي، وثبت العجز عنه، وما يزال ثابتاً ولن يزال.

والذين يدركون بلاغة هذه اللغة ويتذوقون الجمال الفني والتناسق فيها يدركون أنّ هذا النسق من القول لا يستطيعه إنسان، وكذلك الذين يدرسون النظم الاجتماعية، والأصول التشريعية، ويدرسون النظام الذي جاء به هذا القرآن، يدركون أنّ النظرة فيه إلى تنظيم الجماعة الإنسانية ومقتضيات حياتها من جميع جوانبها، والفرص المدخرة فيه لمواجهة الأطوار والتقلبات في يسر ومرونة، كل أولئك أكبر من أن يحيط به عقلٌ بشريٌّ واحدٌ، أو مجموعة العقول في جيل واحد، ومثلهم الذين يدرسون النفس البشرية ووسائل الوصول إلى التأثير فيها وتوجيهها، ثم يدرسون وسائل القرآن وأساليبه؛ فليس هو إعجاز اللفظ والتعبير وأسلوب الأداء وحده، ولكنه الإعجاز المطلق الذي يسلمه الخبراء في هذا وفي النظم والتشريعات والنفسيات وما إليها؛ فإنّ الفوارق لبعيدة جدا، حيث يبدو القصور البشري، ومواضع الزلل وقصور الأسس عن مواجهة التطورات والاحتمالات وعلاج الأمر علاجاً كاملاً من شتى نواحيه بدون إفراط ولا تفريط، إلى جوار الكمال العجيب والتكامل الذي يثير الدهشة والتناسق بين الجزئيات جميعاً في الأصل الكبير. ويضرب السياق عن المضي في الجدل بعد هذا التحدي؛ ليقرر أنّهم لا يتبعون إلا الظن، فهم يحكمون على ما لم يعلموه، والحكم يجب أن يسبقه العلم، وألا يعتمد على مجرد الهوى أو مجرد الظن.

والذي حكموا عليه هنا هو الآخرة وما فيها من حساب، أو هو المصير الذي ينتظر المكذبين مما يقع في الدنيا من عقاب؛ فقد كذبوا بهذا وذاك، وليس لديهم من علم يقوم عليه التكذيب، ولما يأتهم تأويله الواقعي بوقوعه. . . **﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله﴾**: فشأنهم في هذا شأنُ المكذبين من قبلهم الظالمين للحق ولأنفسهم، فليتأمل المتأمل كيف كان مصير الأولين ليعرف حقيقة مصير الآخرين. . . **﴿كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين. ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم بالمفسدين﴾**.

﴿وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون﴾: لما بيّن الله سبحانه وتعالى في الآيات السابقة حال مشركي قريش في اتهام النبيء بافتراء القرآن وبتكذيبهم بوعيده لهم، فرد عليهم بالتحدي والإعجاز الذي وقفوا عنده حائرين، فبيّن هنا موقفهم في حقيقة الأمر، فقسمهم إلى قسمين: منهم من يصدق بحقيقته في قرارة نفسه ولكنه يظهر تكذيبه مدارة لقومه، ومنهم من لا يؤمن به ويكذب تقليداً دون بحث؛ لغباوة في فهمه، وإن أصروا على التكذيب بعدما قَارَعْتَهُم به من الحجة فاعلم أنّهم لا تنجع فيهم الحجج، وأعلِنْ لهم بالبراءة منهم كما تبرؤوا منك، فهي لمسة لوجدانهم باعتزالهم وأعمالهم، وتركهم لمصيرهم منفردين بعد بيان ذلك المصير المخيف. ويمضي السياق يستعرض حال بعضهم من الرسول ﷺ وهم يستمعون إليه بآذانهم وقلوبهم مغلقة، وينظرون إليه بعيونهم وبصيرتهم مطموسة، فلا يثوبون من السمع والنظر بشيء، ولا يهتدون إلى الطريق... **﴿ومنهم من يستمعون إليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون﴾**.

﴿ومنهم من ينظر إليك أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون﴾: إنّ هؤلاء الخلائق الذين يستمعون ولا يعقلون ما سمعوا، وينظرون ولا يميزون ما نظروا - إن هؤلاء لكثير في كل زمان وفي كل مكان - والرسول ﷺ لا يملك لهم شيئاً؛ لأنّ حواسهم وجوارحهم مطموسة الاتصال بعقولهم وقلوبهم؛ فكأنها معطلة لا تؤدي حقيقة وظيفتها، والرسول لا يُسمِعُ الصمّ ولا يُبصِرُ العمي، فذلك من شأن الله وحده عز وجلّ. والله سَنَّ سُنَّةً وترك الخلق لمقتضى السنّة، وأعطاهم الأسماع والأبصار والعقول ليهتدوا بها، فإذا هم عطّلوها حقّت عليهم سنّتُه التي لا تتخلف ولا تُحابي... **﴿إن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون﴾**.

التوجيه الثاني: **﴿ويوم نحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم قد خسر الذين كذّبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين﴾**: في هذا التوجيه لفت النظر إلى ما يلقاه هؤلاء المكذبون يوم الحشر؛ ففيه تتحقق خسارة الذين كذّبوا بلقاء الله الذين ضلوا عن الهدى وما كانوا مهتدين. في هذا التوجيه نظر، فإذا المحشورون مأخوذون بالمفاجأة شاعرون أنّ رحلتهم الدنيوية كانت قصيرة

قصيرة!، حتى لكأنّها ساعة من النهار قضوها في التعارف، ثم أسدل الستار. إنّه لتشبيه ولكنه حقُّ اليقين، وإلاّ فهل ينتهي البشر في هذه الأرض من عملية التعارف. إنّهم يجيئون ويذهبون وما يكاد أحدهم ينتهي من التعرف إلى الآخرين، وما تكاد الجماعة فيهم تنتهي من التعرف إلى الجماعات الأخرى، ثم يذهبون، وإلاّ فهل هؤلاء الأفراد الذين يتنازعون ويتخاصمون ويقع من سوء التفاهم بينهم وبين بعضهم في كل ساعة ما يقع، فهل هؤلاء تم تعارفهم كما ينبغي أن يكون؟.

وهذه الشعوب المتناحرة، والدول المتخاصمة، لا تتخاصم على حق عام، ولا على منهج سليم، إنّما تتعارك على الحطام والأعراض، هذه، هل عرف بعضها بعضا؟!. وهل عرف أنّ في الأرض متسعاً للجميع - لوْ تَمَّ التعارف بين الجميع -؟!. إنّه تشبيه لتمثيل قصر الحياة الدنيا، ولكنّه يصور حقيقة أعمق فيما يكون بين الناس في هذه الحياة، ثم يرحلون. إنّ هذه الحياة لا تتجاوز لحظة من الزمن، وهي اللحظة التي تمر بالإنسان بشرط أن يكون شاعراً بها؛ ففترة الغفلة، وفترة السكرة، وفترة الطيش في غَمْرَة اللذّة، وفترة النوم، كُلُّهَا تمضي على الإنسان وهو غافل عنها:

ما مضى فات والمؤمّل غيبُ ولك الساعة التي أنت فيها

ومن هذا المشهد الخاطف ليوم الحشر، وما سبقه من أيام الحياة في الأرض إلى حديث مع الرسول ﷺ في شأن وعيد الله للمكذبين، ذلك الوعيد الغامض لا يدرون إن كان سيعاجلهم غداً، أم إنّهم سيُنظرون إلى يوم الدين؛ لِيَبْقَى مُصَلَّتاً فوق رؤوسهم لعلهم يتقون ويهتدون، وشيئاً فشيئاً تنتهي الجولة التي بدأت بالحديث عن الوعيد إلى نهايتها يوم لا ينفع الفداء ولو كان ما في الأرض كله، ويوم يَقْضِي الله بالقسط لا يظلم أحداً، وذلك على طريقة القرآن في وصل الدنيا بالآخرة.

تبدأ هذه الجولة بتقرير أنّ مرجع القوم إلى الله، سواء وقع بعض الوعيد الذي كلف الرسول أن يبلغه لهم في حياته أو بعد وفاته، فالمرجع إلى الله في الحالين وهو شهيد على ما يفعلون في حضور الرسول بالحياة، وفي غيبته بالوفاة، فلن يضيع شيء من أعمالهم، ولن تعفيهم وفاة الرسول مما يوعدون... **﴿وإمّا نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإلينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون﴾**:

فالأمور مدبرة سائرة حسب التدبير، لا يخرم منها حرف، ولا يتغير بالطوارئ والظروف، ولكن كل قوم ينظرون حتى يجيء رسولهم، فينذرهم ويبين لهم، وبذلك يستوفون حقهم الذي فرضه الله على نفسه بألاّ يعذب قوماً إلا بعد الرسالة، وبعد الإعذار لهم بالتبيين، وعندئذ يقضي بينهم بالقسط حسب استجابتهم للرسول... **﴿ولكل أمة رسول فإذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون. ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾**: هذا الوعيد الذي يسألون عنه في تحدٍّ واستعجال، والأرجح أن يكون هو القضاء بينهم بالقسط، كما قضى الله بين الأمم التي جاءت رسلها فكذبت، فأخذ الله المكذبين!. والجواب... **﴿قل لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله لكل أمة أجل إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾**: وإذا كان الرسول لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً، فهو لا يملك لهم الضر والنفع بطبيعة الحال، إلا ما شاء الله؛ بإرادة الله يمكن أن أدفع الضرَّ وأستجلب الخير حسب مشيئته وبقدرها، فالأمر إذن لله يحقق وعيده في الوقت الذي يشاؤه؛ ولكن السنة التي لا تتخلف أن لكل أمة أجلاً؛ فإذا جاء هذا الأجل فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون.

والأجل قد ينتهي بالهلاك الحسي؛ هلاك الاستئصال كما وقع للأمم الخالية، وقد ينتهي بالهلاك المعنوى؛ هلاك الهزيمة والضياع، وهو ما يقع للأمم؛ إما لفترة تعود بعدها للحياة، وإما دائماً فتضمحل وتنمحي شخصيتها وتنتهي إلى اندثارها كأمة، وإن بقيت كأفراد، وكل أولئك وفق سنة الله التي لا تتبدل. لا مصادفةً ولا جزافاً ولا ظلماً ولا محاباةً؛ فالأمة التي تأخذ بأسباب الحياة تَحْيَا، والأمم التي تنحرف عنها تضعف أو تضمحل أو تموت بحسب انحرافها، والأمة الإسلامية منصوص على أنّ حياتها باتباع رسولها، والرسول يدعوها لما يحييها لا بمجرد الاعتقاد، ولكن بالعمل الذي تنص عليه العقيدة في شتّى مرافق الحياة. ثم يبادرهم السياق بلمسة وجدانية تنقلهم من موقف السائل المستهزئ المتحدي إلى موقف المهدّد الذي قد يفاجئه المحظور في كل لحظة من ليل أو نهار... **﴿قل أرأيتم إن أتاكم عذابه بياتاً أو نهاراً ماذا يستعجل منه المجرمون﴾**؟!. فهذا العذاب المغيب الذي لا يُعلم موقعه وموعده، والذي قد يحل بياتاً وأنتم نيام، أو نهاراً لا يجديكم في رده الصحو، ما الذي يستعجل منه المجرمون؟. وهو عذاب لا خير لهم فى استعجاله على كل حال. وبينما هم فى مفاجأة السؤال الذي ينقل مشاعرهم إلى

تصور الخطر وتوقعه تفجؤهم الآية التالية بوقوعه فعلاً، وهو لم يقع بعد، ولكن التصوير القرآني يرسمه واقعاً، ويغمر به المشاعر ويلمس به الوجدان...

﴿**أثم إذا ما وقع آمنتم به؟. آلآن وقد كنتم به تستعجلون**﴾؟!: فكأنّما قد وقع، وكأنّما قد آمنوا به، وكأنّما يخاطبون بهذا التبكيت في مشهد حاضر يشهدونه الآن!. وتتمة المشهد الحاضر... ﴿**ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون إلاّ بما كنتم تكسبون**﴾: وهكذا نجد أنفسنا مع السياق فى ساحة الحساب والعذاب، وقد كنا منذ لحظات وفقرات فى الدنيا نشهد خطاب الله لرسوله عن هذا المصير. والشوط الأخير فى هذه الجولة: هو استنباء القوم للرسول؛ إن كان هذا الوعيد حقاً، فهم مزلزلون من الداخل تجاهه، يريدون أن يستوثقوا وليس بهم من يقين. والجواب بالإيجاب حاسم مؤكد بيمين... ﴿**ويستنبئونك أحق هو؟. قل إي وربي إنّه لحق وما أنتم معجزين**﴾: إي وربي الذي أعرف قيمة رُبوبيتهُ، فلا أقسم به حانثاً، ولا أقسم به إلاّ في جد وفي يقين؛ إنّه لحق وما أنتم معجزين، ما أنتم بمعجزين أن يأتي بكم، وما أنتم معجزين أن يحاسبكم وأن يجازيكم. وبينما نحن معهم على هذه الأرض في استنباء وجواب، إذا نحن فجأة - مع السياق في نقلة من نقلات الأسلوب القرآني المصور - في ساحة الحساب والجزاء. مبدئاً على وجه الفرض والتقدير...

﴿**ولو أنّ لكل نفس ظلمت ما في الأرض لافتدت به**﴾: فلا يقبل منها حتى على فرض وجوده معها، ولا تكتمل الآية حتى يكون الفرض قد وقع وقضي الأمر... ﴿**وأسروا الندامة لمّا رأوا العذاب**﴾: أخذتهم وهلة المفاجأة فسُقِط في أيديهم؛ فالتعبير يرسم للخيال صورة الكمد يظلل الوجوه دون أن تنطق الشفاه!. ﴿**وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون**﴾!. وانتهى المشهد الذي بدأ منذ نصف آية فرضاً وانتهى واقعاً... ﴿**ألا إنّ لله ما في السماوات والأرض ألا إنّ وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون. هو يحيي ويميت وإليه ترجعون**﴾: هذه الآية جاءت لتؤكد معنى القدرة الكفيلة بتحقق الوعد؛ فالذي يملك ما في السماوات والأرض يملك أن يجعل وعده حقاً، فلا يعجزه عن تحقيقه مُعْجِزٌ، ولا يعوقه عن تصديقه معوِّق، فوعده حق لا يشك في هذا إلا جاهل؛ فالذي يملك الموت والحياة يملك الرجعة والحساب. إنّه تعقيب سريع للتوكيد السريع بعد الاستعراض المثير.

التوجيه الثالث: ﴿**يا أيّها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين**﴾: في هذا التوجيه نداء للناس جميعاً ليعرفهم بشأن القرآن وهديه؛ فالكلام الآن منعطف إلى الغرض المفتتح بقوله: وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين، فكان هذا النداء هنا عاماً لجميع الناس، ولم يأت فيه ما يقتضي توجيهه لخصوص المشركين. وفي هذه الآية أسس إصلاح البشر؛ فأجملت في أربع قضايا: الأولى / الموعظة الحسنة، وهي الوصية بالحق والخير، واجتناب الباطل والشر. الثانية / شفاء ما في الصدور، وهو زوال النقائص والضلالات وكل ما فيه حرج على النفس من حقد وحسد وبغي وعدوان. الثالثة / الهدى، وهو بيان الحق المنقذ من الضلال، في الاعتقاد بالبرهان، وفي العمل ببيان الحكم والمصالح في أحكام الأعمال. الرابعة / الرحمة للمؤمنين، وهي ما تثمره لهم هداية القرآن، وتفيضه على قلوبهم من رحمة ربهم الخاصة. وهذه الصفات الأربع مرتبة على سنة الفطرة البشرية؛ فالموعظة التعاليم التي تُشعِرُ النفس بنقصها وخطر أمراضها الاعتقادية والخلقية، وتزعجها إلى مداواتها وطلب الشفاء منها.

والشفاء تخليةِ يتبعها طلب التحلية بالصحة الكاملة، والعافية التامة، وهو الهدى، ومن ثمراته هذه الرحمة التي لا توجد على كمالها إلاّ في المؤمنين المهتدين؛ فبهذا الفضل الذي آتاه اللهُ عبادَه، وبهذه الرحمة التي أفاضها عليهم من الإيمان، فبذلك - وحده - فليفرحوا، فهذا الذي يستحق الفرح، لا المال، ولا أعراض هذه الدنيا. إنّ ذلك هو الفرح العلوي الذي يطلق النفس من عقال المطامع الأرضية والأعراض الزائلة، فيجعل هذه الأعراض خادمة للحياة لا مخدومة، ويجعل الإنسان فوقها وهو يستمتع بها لا عبداً خاضعاً لها. والإسلام لا يحقر أعراض الدنيا ليهجرها الناس ويزهدوا فيها، إنّما يحقرها ليستمتع بها الناس وهم أحرار الإرادة طلقاء اليد، مطمحهم أعلى من هذه الأعراض، وآفاقهم أسمى من دنيا الأرض؛ الإيمان عندهم هو النعمة، وتأدية مقتضيات الإيمان هو الهدف، والدنيا بعد ذلك مملوكة لهم لا سلطان لها عليهم، فهكذا كان السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ينظرون إلى قسم الحياة؛ كانوا يعدّون الفضل الأول، والرحمة الأولى هي ما جاءهم من الله من موعظة وهدى، فأما المال، وأما

الثراء، وأما النصر ذاته فهو تابع؛ لذلك كان النصر يأتيهم، وكان المال ينثال عليهم، وكان الثراء يطلبهم. إنّ طريق هذه الأمة واضح.

إنّه في هذا الذي يسنه لها قرآنها، وفي سيرة الصدر الأول الذين فهموه من رجالها، فهم الذين فهموا قول الله تعالى لنبيئه: ﴿**قل: بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون**﴾. وبمناسبة ما يجمعون من الأرزاق المادية يبدأ السياق جولة جديدة حول ما يحرمونه من رزق الله على أنفسهم اتباعاً لأوهام الجاهلية وأساطيرها. ولما كان تحريمها افتراء على الله، فإنّ الجولة تمتد حتى تسلمهم إلى يوم القيامة حيث يلقون الله الذي يفترون عليه بهذه الأساطير، بدلاً من شكره على رزقه وفضله الوافر الكثير... ﴿**قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالاً**﴾.

﴿**قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون. وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة إنّ الله لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون**﴾: ماذا ترون في رزق الله الذي أنزله لكم - وكل ما جاء من عند الله في عليائه إلى البشر فهو منزل من ذلك المقام الأعلى - ماذا ترون في هذا الرزق الذي أعطاه لكم ليكون حلالا - إلاّ ما حرمه عليكم بنص صريح - فإذا أنتم من تلقاء أنفسكم تُحرِّمون أنواعاً منه على أنفسكم دون إِذْنٍ من الله. والتحريم لا يكون إلا بإذن منه وأمر، فإذا كان ذلك افتراء منكم عليه فماذا تنتظرون أن يكون حالكم عند لقائه يوم القيامة؟. وختمت الآية بهذا التعليق: إنّ الله لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون؛ لقطع عذر كلِ من يحرم ويحلّل من تلقاء نفسه دون الرجوع إلى مصدر التشريع الحق، وتسجيل عليهم بالتمرد بأنّ الله تفضل عليهم بالرزق والموعظة والإرشاد فقابلوا ذلك بالكفر دون الشكر، وجعلوا رزقهم أنّهم يكذبون في حين قابله المؤمنون بالفرح والشكر فانتفعوا به في الدنيا والآخرة.

التوجيه الرابع: ﴿**وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلاّ كنّا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربّك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلاّ في كتاب مبين**﴾: في هذا التوجيه يتجه الخطاب إلى الرسول ﷺ، ثم إلى من معه من المسلمين، فيكون الكلام قد ابتدئ بشؤون النبيء التي منها ما هو من خواصه كقيام الليل، وثنّى بما

هو من شؤونه بالنسبة إلى الناس، وهو تلاوة القرآن على الناس، وثلّث بما هو من شؤون الأمة التي كلفت بما يتلو عليها الرسول من قرآن؛ فالخطاب وإن كان موجهاً أولاً إلى الرسول وإلى من معه من المؤمنين، فهو موجه ثانياً إلى كل مخاطب من أي عامل من العاملين، ففيه ترغيب وترهيب وتحريض وتحذير. فأنت أيُّها الإنسان تحت الرعاية والرقابة؛ كما أنّ كل شيء في الكون تحت الرعاية والعناية. هذه هي اللمسة الجديدة للمشاعر والضمائر في السياق؛ ليخرج منها إلى طمأنينة الرسول ومن معه بأنّهم في رعاية الله وولايته، لا يضرهم المكذبون الذين يتخذون مع الله شُرَكَاءَ وهم واهمون. ولمّا بيّن الله تعالى لعباده سعة علمه، ومراقبته لما في الكون جميعا، وذكّرهم بفضلِه وما يجب عليهم من شكره، بيّن لهم في هذه الآيات الثلاث حال الشاكرين المتقين؛ فقال. . . **﴿ألا إنّ أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾**.

﴿لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم﴾: إنّ أولياء الله الذين يتحدث عنهم السياق هم المؤمنون حق الإيمان، المتقون حق التقوى، والإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل، والعمل هو تنفيذ ما أمر الله به، واجتناب ما نهى الله عنه. هكذا يجب أن نفهم معنى الولاية لله؛ لا كما يفهمه العوام من أنّهم المهبولون المخبولون؛ فهذه الآيات الثلاث من أقوى ما يعتمد عليه في تفسير حقيقة الولي شرعاً؛ فكرامتهم عند الله هي البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخره، والبشرى في الدنيا النصر والتأييد ورفع الكلمة والمكانة، وفي الآخرة الفوز بالجنة والخلود فيها إلى ما لا نهاية، وهي تفسر معنى قوله: لا خوف عليهم ولا هم يحزنون؛ فهذا أمر ثابت لا يتخلف ولا يتبدل، وهو فوز عظيم لا يتحول. وفي ظل هذه الحماية والرعاية لأولياء الله يخاطب النبيء ﷺ وهو أولى الأولياء بما يطمئنه تجاه المكذبين والمغترين، وكانوا في ذلك الوقت هم أصحاب القوة والجاه. . . **﴿ولا يحزنك قولهم إنّ العزّة لله جميعا هو السميع العليم﴾**: ويفرد الله بالعزة هنا، ولا يضيفها إلى الرسول والمؤمنين - كما في الموضع الآخر -؛ لأنّ السياق سياق حماية الله لأوليائه، فيفرده بالعزة جميعا، وهي أصلاً لله وحْدَه، والرسول والمؤمنون يستمدونها منه - ليجرد منها الناس جميعاً، ومشركوا قريش العتاة داخلون في الناس. أمّا الرسول فهو في الحماية الإلهية التي أضفاها على أوليائه، فلا يحزن لما يقولون والله معه،

فهو السميع العليم؛ السميع الذي يسمع قولهم ويعلم كيدهم، ويحمي أولياءه مما يُقال ومما يُكاد. وفي ملك يده كل من في السماوات، وكل من في الأرض من إنس وجن وملائكة، ومن عُصَاةٍ وتُقَاة؛ فكل ذي قوة من خلقه داخل في سلطته وملكه...

﴿ألا إنّ لله من في السماوات ومن في الأرض. وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إن يتّبعون إلاّ الظن وإن هم إلا يخرصون﴾: سؤال وجواب لإبطال ما ادّعوه، وزَيْفِ ما تمسكوا به... **﴿هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً إنّ في ذلك لآيات لقوم يسمعون﴾**: هذه الآية فيها لفت الأنظار إلى مظهر قدرة الله في الليل والنهار، التي غفل عنها الناس بالألفة والتكرار؛ فالمالك للحركة والسكون، الذي يجعل الليل مظلماً ليسكن فيه الناس، ويجعل النهار مبصراً يقود الناس فيتحركون، ويبصرهم فيبصرون، فهو الممسك بمقاليد الحركة والسكون، وهو قادر على الناس، وهو قادر على حماية أوليائه من الناس، ورسوله في مقدمة أوليائه ومن معه من المؤمنين. إنّ في ذلك لآيات لقوم يسمعون؛ فيتدبرون ما يسمعون. وختام هذا الدرس جولة مع نوع آخر من أنواع الشرك والافتراء تبدأ بالحجة في الدنيا وتنتهي بالعذاب في الآخرة على طريقة القرآن... **﴿قالوا اتخذ الله ولداً سبحانه هو الغني له ما في السماوات وما في الأرض إن عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾**.

﴿قل إنّ الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون. متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون﴾: فعقيدة أنّ لله - سبحانه - ولداً عقيدة ساذجة، منشؤها قُصُورٌ في التصور، يعجز عن إدراك الفارق الهائل بين حقيقة الله الأزلية الباقية، وبين الطبيعة البشرية المخلوقة الفانية، والقصور كذلك عن إدراك حكمة السنة التي جرت بتوالد أبناء الفناء، وأنّها تكملة طبيعية لما فيهم من نقص وقصور لا يكونان لله تعالى؛ فالبشر يَمُوتُون، والحياة باقية إلى أجل معلوم، فإلى أن ينقضي هذا الأجل فحكمة الخلق تقتضي امتداد البشر، والولد وسيلة لهذا الامتداد، والبشر يهرمون ويشيخون فيضعفون، والولد تعويض عن القوة الشائخة بقوة فتية تؤدي دورها في عمارة الأرض - كما شاء الله -، وتعين الضعفاء والشيوخ على بقية الحياة، والبشر يكافحون فيما يحيط بهم،

ويكافحون أعداءهم من الحيوان والناس؛ فهم في حاجة إلى التساند، والولد أقرب من يكون إلى العون في هذه الأحوال، والبشر يستكثرون من المال الذي يجلبونه لأنفسهم بالجهد الذي يبذلونه، والولد يعين على الجهد الذي يجلب المال، وهكذا إلى سائر ما اقتضته حكمة الخالق لعمار هذه الأرض، حتى ينقضي الأجل، ويقضي الله أمراً كان مفعولا، وليس شيء من ذلك كله متعلقاً بذات الله سبحانه؛ فلا الحاجة إلى الامتداد، ولا الحاجة إلى العون عند الشيخوخة، ولا الحاجة إلى النصير، ولا الحاجة إلى المال، ولا الحاجة إلى شيءٍ ما، مما يخطر أو لا يخطر على البال متعلقة بذات الله تعالى.

ومن ثَمّ تنتفى حكمة الولد؛ لأنّ الحقيقة الإلهية لا يتعلق بها غرض خارج عن ذاتها يتحقق بالولد، وما قضت حكمة الله أن يتوالد البشر إلاّ لأنّ طبيعتهم قاصرة تحتاج إلى هذا النوع من التكملة، فهى تقتضي الولد اقتضاء، وليست المسألة جزافا. ومن ثم كان الرد على هذه الفرية: قالوا اتخذ الله ولداً، وكان الرد: سبحانه هو الغني له ما في السماوات وما في الأرض. ثم يجبههم بالواقع وهو أنّهم لا يملكون برهاناً على ما يدّعون، ويسمي البرهان سلطاناً؛ لأن البرهان قوة، وصاحب البرهان قوي ذو سلطان: إن عندكم من سلطان بهذا. ما عندكم من حجة ولا برهان على ما تقولون: أتقولون على الله ما لا تعلمون؟!.

وقول الإنسان ما لا يعلم منقصة لا تليق، فكيف إذا كان هذا القول بلا علم على الله - سبحانه!. إنّه جرِيمَةٌ إذَنْ أكبر من كل جريمة، فهو أوّلاً ينافي ما يستحقه الله من عباده من تنزيه وتعظيم؛ لأنّه وصف له بمقتضيات الحدوث والعجز والنقص والقصور - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً؛ ولأنّه ضلالٌ في تصور العلاقة بين الخالق والمخلوق، ينشأ عنه ضلال في تصور كل علاقات الحياة والناس والمعاملات؛ فكلها فرع من تصور هذه العلاقة، وكل ما ابتدعته الكنيسة لها من سلطان إنّما نشأ عن تصور العلاقة بين الله تعالى وعيسى ابن مريم من صلة الأبوة والبنوة، وحكاية الخطيئة، ومنها نشأت مسألة الاعتراف بالذنب أمام القسيس، ومسألة قيام كنيسة المسيح بتوصيل الناس بأبي المسيح - بزعمهم -، إلى نهاية السلسلة التي متى بدأت الحلقة الأولى فيها بفساد تصور العلاقة بين الخالق والمخلوق فسدت الحلقات التالية كلها في كل ضروب الحياة، فليست

المسألة مجرد فساد في التصور الاعتقادي، ولكنه مسألة الحياة برُمَّتها، وكل ما وقع بين الكنيسة وبين العلم والعقل من عداء انتهى إلى تخليص المجتمع من سلطان الكنيسة بتخليصه من سلطان الدين نفسه إنّما نشأ من هذه الحلقة؛ حلقة فساد تصور العلاقة بين الله وخلقه، وجر في ذيوله شراً كثيراً تعاني البشرية كلها ويلاته في التيارات المادية وما وراءها من بلايا وأرْزَاءَ، ومن ثَمّ كان حرص العقيدة الإسلامية على تجلية هذه العلاقة تجلية كاملة لا لبس فيها ولا إبهام؛ فالله خالق أزلي باقٍ، لا يحتاج إلى الولد. والعلاقة بينه وبين الناس جميعاً هي علاقة الخالق بالمخلوق دون استثناء. وللكون والحياة والأحياء سنن ماضية لا تتخلف ولا تحابي، فمن اتّبع هذه السنن أفلح وفاز، ومن حاد عنها ضل وخسر؛ الناس في هذا كلهم سواء، وكلهم مرجعهم إلى الله، وليس هنالك من شفعاء ولا شركاء، وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً، ولكل نفس ما عملت ولا يظلم ربّك أحداً. عقيدة بسيطة واضحة، لا تدع مجالاً لتأويل فاسد، ولا تنحني أو تنحرف بالقلب في دروب ومنحنيات، ولا في سحب وضباب. ومن ثَمّ يقف الجميع سواء أمام الله، وكلهم مخاطب بالشريعة، وكلهم مكلف بها، وكلهم حفيظ عليها. وبذلك تستقيم العلاقات بين الناس بعضهم وبعض، نتيجة استقامة العلاقة بينهم وبين الله... قل إنّ الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون: إنّه البلاغ الأخير في هذا الموضوع الخطير!.

4 - ما وقع للأمم السابقة عبرة لما سيقع للأمم اللاحقة

النص

* وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ
عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ
فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ
عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿71﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ
فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَأُمِرْتُ
أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿72﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ
فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا
فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿73﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا
إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ
مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿74﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ
بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟
وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿75﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟
إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿76﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا
وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿77﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا
وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿78﴾

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ (79) فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ
قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ (80) فَلَمَّا أَلْقَوْا
قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ
إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ (81) وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ
وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ (82) * فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ
عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ
لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ (83) وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ
إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ (84)
فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (85)
وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (86) وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ
وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بِيُوتًا وَاجْعَلُوا بِيُوتَكُمْ
قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (87) وَقَالَ مُوسَىٰ
رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
رَبَّنَا لِيَضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ
عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (88)
قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ
الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (89) وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ
فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ

قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ
وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ (90) ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ
ٱلۡمُفۡسِدِينَ (91) فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ
وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ (92) * وَلَقَدۡ بَوَّأۡنَا
بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدۡقٖ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخۡتَلَفُواْ
حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا
كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ (93) فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ
فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَۚ لَقَدۡ
جَآءَكَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ (94)
وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ
ٱلۡخَٰسِرِينَ (95) إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ (96)
وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ (97)
فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ لَمَّآ
ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ
إِلَىٰ حِينٖ (98) وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ
أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ (99) وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ
أَن تُؤۡمِنَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَجۡعَلُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ
لَا يَعۡقِلُونَ (100) قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ

وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿101﴾
فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ
قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿102﴾ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا
وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿103﴾
* قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ
تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ
وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿104﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ
حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿105﴾ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ
وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿106﴾
فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ
قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿102﴾ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا
وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿103﴾

البيان

مبحث المفردات اللغوية

﴿**واتل عليهم نبأ نوح**﴾: اقرأ أيُّها الرسول على هؤلاء المشركين المكذبين لك من قومك خبر نوح. . . ﴿**إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت**﴾: كبر: شق وعظم؛ فالكبر في الأصل وفرة حجم الجسم بالنسبة لأمثاله من أجسام نوعه، ثم استعمل كما هنا للمشقة والحرج. والمقام: مصدر ميمي مرادف للقيام. والتذكير: الإعلام بالآيات والدلائل، ويطلق

على الوعظ والنصح المشتمل على عواقب الأمور. والتوكل: التعويل على من يدبر أمره... ﴿**فأجمعوا أمركم وشركاءكم**﴾: إجماع الأمر: العزم على الفعل بعد التردد بين فعله وفعل ضده. والشركاء هنا: معبوداتهم التي كانوا يرجونها ويخافونها... ﴿**ثم لا يكن أمركم عليكم غمة**﴾: الغمة: اسم مصدر للغم، وهو الستر، والمراد هنا انبهام الحال وعدم تبين السداد فيه... ﴿**ثم اقضوا إلي ولا تنظرون**﴾: أنفذوا وتمّموا ما ترونه من الإضرار بي. والإنظار: التأخير، ونفيه تنفيذه على وجه السرعة... ﴿**فإن توليتم**﴾: انصرفتم عني مصرين على إعراضكم عن تذكيري... ﴿**فما سألتكم من أجر**﴾: فما طالبتكم على هذا التذكير ولا على غيره من مسائل الدعوة والنصح أدنى شيء من الأجر والمكافآت...

﴿**إن أجري إلاّ على الله**﴾: ما أجري وثوابي على دعوتكم وتذكيري إلاّ على الله الذي أرسلني... ﴿**وأمرت أن أكون من المسلمين**﴾: من المنقادين المذعنين لأمر الدين الحق، وهو الإسلام... ﴿**فكذبوه فنجيناه ومن معه في الفلك**﴾: فأصروا على تكذيبه بعد أن أقام لهم الحجة. والفلك: السفينة التي صنعها نوح بأمر الله... ﴿**وجعلناهم خلائف**﴾: جمع خليفة، وهو اسم للذي يخلف غيره... ﴿**وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا**﴾: أغرقوا بالطوفان الذي أرسله الله عليهم... ﴿**فانظر كيف كان عاقبة المنذرين**﴾: فلينظر كل عاقل كيف تكون نهاية المكذبين في الدنيا قبل الآخرة. والمنذرون: هم الذين أنذروا بالعذاب فكذبوا به... ﴿**ثم بعثنا من بعده رسلاً إلى قومهم**﴾: بعثنا من بعد نوح رسلاً مثله إلى أقوامهم الذين كانوا مثل قومه... ﴿**فجاءوهم بالبينات**﴾: الحجج الواضحة الدالة على الصدق... ﴿**فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل**﴾: انتفى إيمانهم بسبب استمرار تكذيبهم... ﴿**كذلك نطبع على قلوب المعتدين**﴾: الطبع على القلب والختم أيضاً جعل مانعا لدخول شيء عليه من الخارج؛ فالشيءُ المطبوع عليه مُنْتَهٍ أَمْرُهُ. والمعتدي: هو المتعدي الظالم الذي يدري ما يعمل من المآثم... ﴿**ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون إلى فرعون وملائه بآياتنا فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين**﴾: موسى وهارون تقدم الكلام عليهما، وكذلك فرعون وملأوه... ﴿**فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا إنّ هذا لسحر مبين**﴾: الحق: يطلق اسماً على ما قابل الباطل، ويطلق وصفاً على الثابت الذي لا ريبة فيه، وهم قلبوا الحقائق فجعلوا الحق الثابت الواضح سحراً، فأنكر موسى عليهم وصفهم الآيات الحق

بأنّها سحر. . . ﴿**قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا**﴾؟: ولمّا نفى موسى عن آيات الله أن تكون سحراً ارتقى فأبان لهم فساد السحر وسوء عاقبة معالجيه تحقيراً لهم، فقال عاطفاً على الاستفهام: ﴿**ولا يفلح الساحرون. . .**﴾

﴿**قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا**﴾: تلفتنا: مضارع لفت من باب ضرب متعدياً؛ إذا صرف وجهه عن النظر إلى شيء مقابل لوجهه، ثم استعمل في التحويل عن العمل أو الاعتقاد إلى غيره تحويلاً لا يبقى بعده نظر إلى ما كان ينظره، وهو المراد هنا. وزادوا على هذا قولهم. . . ﴿**وتكون لكما الكبرياء في الأرض**﴾: الكبرياء: العظمة والتفوق على الناس. والأرض: هي المعهودة بينهم، وهي أرض مصر. . . ﴿**وما نحن لكما بمؤمنين**﴾: لما تبين لنا مقصدكما فما نحن لكما بمتبعين ولا مذعنين. . . ﴿**وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم**﴾: أمر فرعون خاصته أن يحضروا جميع من في مصر من الراسخين في علم السحر. . . ﴿**فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون**﴾: الإلقاء رمي شيء في اليد إلى الأرض. . . ﴿**فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر**﴾: معنى جئتم به أظهرتموه لنا، والسحر بيان لما. . .

﴿**إنّ الله سيبطله**﴾: إبطال السحر إظهار أنّه تخييل ليس بحقيقة. . . ﴿**إنّ الله لا يصلح عمل المفسدين**﴾: نفي إصلاح عمل المفسدين قاعدة عامة يدخل تحتها كل عمل يُرَادُ به باطلٌ. . . ﴿**ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون**﴾: الإحقاق: التثبيت، ومنه سمي الحق حقاً؛ لأنه الثابت. والكلمات: الشرائع التي أنزلها الله على الرسول؛ لأنّها تبين وتميز الباطل من الحق. ولو وصلية، وهي تقتضي أنّ الحالة التي بعدها غاية فيما يُظن فيه تخلف حكم ما قبلها، فيكون غير ذلك من الأحوال أجدر وأولى بتحقيق الحكم السابق معه. . . ﴿**فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه**﴾: فعل آمن أصله أأْمن بهمزتين، إحداهما أصلية في الكلمة لأن الكلمة مشتقة من الأمانة، والثانية همزة مزيدة للتعدية، والفرق بين آمن به وآمنه واضح. والذرية: الصغار من الأولاد، والمراد هنا الأحداث من بني إسراءيل. . . ﴿**على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم**﴾: على بمعنى مع، أي: مع خوف من فرعون وخوف من ملإ الذرية، وهم بقية بني إسراءيل. والفتون: الابتلاء والاختبار الشديد للحمل على الشيء أو على تركه، ويستعمل في الاضطهاد والتعذيب

للارتداد عن الدين. . . **﴿وإنّ فرعون لعالٍ في الأرض وإنّه لمن المسرفين﴾**: عاتٍ شديد العتو مستبدٌّ غالب قوي القهر في أرض مصر. والإسراف: تجاوز حد الاعتدال في الإنفاق، ثم استعمل في تجاوز حد الاعتدال في أي عمل من قول أو فعل، فهو إسراف مذموم؛ لأنّه وصف الجبابرة والمترفين. . . **﴿وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين﴾**: إن كنتم آمنتم بالله حقاً كما أظهرتْه أقوالكم فعليه اعتمدوا في نصركم ودفع الضر عنكم ولا تعتمدوا في ذلك على أنفسكم بمصانعة فرعون. والإسلام: الانقياد الظاهري.

والإيمان: الإذعان الباطني. . . **﴿فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين﴾**: فامتثلوا الأمر؛ إذ علموا أنّه يتوقف عليه إنجاز الوعد، وصرحوا به في القول مع الدعاء بأن يحفظهم الله من فتنة القوم الظالمين بالفعل. . . **﴿ونجنا برحمتك من القوم الكافرين﴾** سألوا الله النجاة من القوم الكافرين: فهو عطف عام على خاص. . . **﴿وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتاً﴾**: التبوؤ: اتخاذُ مكانٍ للسكن والاستقرار، والبوء الرجوع؛ لأنّ الساكن يرجع إلى مسكنه كلما تباعد عنه أو فارقه لحاجة، والمراد هنا: أن يجعلا لقومهما مساكن خاصة بهم، وأن يجعلوها قبلة: مجتمعة متقابلة متجهة إلى القبلة لأجل الصلاة والانتفاع بدخول شعاع الشمس فيها: **﴿واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين. . . وقال موسى ربنا إنّك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالاً في الحياة الدنيا﴾**: الزينة ما يتزين به الناس وما يحسن في أنظارهم من طرائف الدنيا كالحلي والجواهر والمباني الضخمة. والأموال: ما به قوام المعاش. . . ربنا ليضلوا عن سبيلك: بسبب ما حصل لهم من الزينة والأموال ضلوا عن سبيل الله فلم يهتدوا إلى الحق. . . **﴿ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم﴾**: طمس الأموال: إتلافها وإخفاؤها في الأرض وإضاعتها هنا وهناك. والشد على القلب: توقيفه على ما هو عليه من القساوة والغلظة، فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم. . . **﴿قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون﴾**: هذا جواب من الله لدعاء موسى وهارون. والاستقامة: حقيقتها الاعتدال، وهي مستعملة هنا في معنى ملازمة الحق والرشد؛ فالأمر هنا أمر بملازمة الدعوة دون انحراف عنها بسبب إغراء الجهلة والمنتفعين باتباع الطغاة. . . **﴿وجاوزنا ببني إسرائيل البحر﴾**: جعلناهم قاطعين ومخلفين البحر وراءهم. . .

﴿**فأتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدواً**﴾: أتبعهم: لحقهم فأدركهم. والبغي: الظلم. والعدو: التعدي، وهو تجاوز الحد في الظلم... ﴿**حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنّه لا إله إلا الذي آمنت به بنوا إسرائيل وأنا من المسلمين**﴾: أدركه الغرق: غمره الماء فغرق؛ فجعلت حتى لبيان غاية الاتباع، وجعلت الغاية أن قال آمنت... الخ، فهو يعترف بما جاء به موسى دون تفصيل، فيؤمن بما آمن به بنوا إسرائيل، فيكون مثلهم من المسلمين فقط!. فقيل له... ﴿**الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين**﴾: فإيمان فرعون في هذا الوقت لا ينفع ولا يفيد؛ لأنّ صاحبه كان عاصياً لله ومفسداً للدين الذي أرسله الله إليه، ومفسداً في الأرض بالجور والظلم والتعدي على الحق... ﴿**فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية: البدن**﴾: الجسم بدون روح، والمعنى: أنّ فرعون بعد ما غرق ومات خرجت جثته ليراه من يظن أنّ فرعون لا يُغْلَبْ، وليكون عبرة لمن يسمع هذه القصة كما ذكر في القرآن...

﴿**وإنّ كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون. ولقد بوأنا بني إسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات**﴾: التبوؤ: الاستقرار في المكان. والمبوأ الصدق: هو المكان الآمن. والرزق من الطيبات: ما يأتي للإنسان سالماً دون كد ومهانة نفس، وهذا الكلام مَنٌّ على بني إسرائيل، حيث أخرجهم الله من ضيق العبودية إلى سعة الحرية، ولكن بنوا إسرائيل هم بنوا إسرائيل... ﴿**فما اختلفوا حتى جاءهم العلم**﴾: فخالفوا نبيئهم موسى، واختلفوا فيما بينهم حتى تفرقوا وتقطعوا في الأرض أمماً... ﴿**إنّ ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون. فإن كنت في شك ممّا أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربّك فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين**﴾: هذا تعريض بالمكذبين الذين يستمعون هذه القصص ولم يعتبروا بخبرها؛ فالمعنى فإن كنتم شاكين في صدق ما أنزلنا على محمد ممّا أصاب المكذبين قبلكم فاسألوا أهل الكتاب يخبروكم بأنّ ذلك صِدْقٌ، لقد جاءكم الحق من رب محمد فلا تكونوا شاكين ولا تكذبوا بآيات الله فتكونوا خاسرين... ﴿**إنّ الذين حقت عليهم كلمات ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم**﴾: هؤلاء لا تجدي فيهم الحجة لأنّهم أهل مكابرة، وكل من كان كذلك لا يؤمن، وهو معنى حقت عليهم كلمات ربك.

ولو وصليّة كما تقدم في مثلها، والمعنى أنّهم لا يؤمنون إلا حين لا ينفعهم الإيمان... **﴿فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلاّ قوم يونس لمّا آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين﴾**: لولا حرف يرد لمعانٍ منها التوبيخ، وهو هنا مستعمل في لازم التوبيخ؛ فالكلام تعريض بأهل مكة وتحريض لهم على الإيمان قبل نزول العذاب، مثل ما حصل لقوم يونس عندما آمنوا رفع الله عنهم عذاب الدنيا، فتمتعوا بحياتهم... **﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا﴾**: لو تقتضي انتفاء جوابها لانتفاء شرطها، فهو لم يشأ ذلك فلم يؤمن كل الناس بل بعضهم يؤمن وبعضهم يكفر كما اقتضت حكمة الله في خلق الإنسان... أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين: الإكراه: الإلْجَاءُ والقسر بالقوة أو بالإغراء والتمويه... **﴿وما كان لنفس أن تؤمن إلاّ بإذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون﴾**: هذه الآية مقررة لمضمون ما قبلها؛ فالإيمان والكفر راجعان إلى تقدير التكوين في النفوس والعقول...

﴿قل انظروا ماذا في السماوات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون﴾: النظر هنا: مستعمل فيما يصلح للنظر القلبي والنظر البصري، فيستدلون بذلك على قدرة الله وعلمه وحكمته. هذه الآيات وما فيها من النذر لا تغني شيئاً عن قوم لا يؤمنون، وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون... **﴿فهل ينتظرون إلاّ مثل أيام الذين خلوا من قبلهم﴾**: فلا يترقبون شيئاً آخر بعد هذه الآيات والنذر إلاّ مثل ما حصل للأمم المكذبة من الهلاك؛ فأطلقت الأيام على ما يقع فيها من الأحداث العظيمة، ومن هذا إطلاق أيام العرب. وجملة **﴿قل فانتظروا﴾** مفرعة على جملة فهل ينتظرون. وجملة **﴿إنّي معكم من المنتظرين﴾** بيان لجملة انتظروا... **﴿ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك حقاً علينا ننجي المؤمنين﴾**: الله وعد وعداً حقاً بنجاة الرسل والذين معهم بعد إهلاك المكذبين، وهي سنة الله في خلقه السابقين واللاحقين.

مبحث الإعراب

﴿واتل﴾ فعل أمر، وفاعله ضمير المخاطب، والواو للعطف. **﴿عليهم﴾** متعلق باتل. **﴿نبأ﴾** مفعول به. **﴿نوح﴾** مضاف إلى نبأ. **﴿إذ﴾** ظرف في محل نصب بدل من نبأ نوح. **﴿قال﴾** فاعله ضمير يعود على نوح. **﴿لقومه﴾** متعلق

بقال. ﴿**يا قوم إنْ كان**﴾ جملة شرطية، واسم كان ضمير الشأن. ﴿**كبر**﴾ فعل ماضٍ. ﴿**عليكم**﴾ متعلق به. ﴿**مقامي**﴾ فاعل كبر مرفوع بضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم. ﴿**وتذكيري**﴾ معطوف على مقامي، وهو مثله في الإعراب. ﴿**بآيات**﴾ متعلق بتذكيري. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى آية، وجملة كبر في محل نصب خبر كان، وجملة كان كبر في محل جزم فعل الشرط. ﴿**فعلى الله**﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط، والجار والمجرور متعلق بما بعده. ﴿**توكلت**﴾ وهو فعل وفاعل، والجملة في محل جزم جواب الشرط. ﴿**فأجمعوا**﴾ فعل أمر دخل عليه حرف التفريع. ﴿**أمركم**﴾ مفعول به منصوب بالفتحة، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**وشركاءكم**﴾ معطوف على أمركم. ﴿**ثم لا يكن أمركم**﴾ ثم للترتيب والتراخي، لا ناهية، يكن مجزوم بها، أمركم اسم يكن.

﴿**عليكم**﴾ متعلق بالخبر بعده. ﴿**غمّة**﴾ خبر يكن. ﴿**ثم اقضوا**﴾ فعل أمر دخل عليه حرف العطف. ﴿**إليّ**﴾ متعلق باقضوا. ﴿**ولا تنظرون**﴾ معطوف على اقضوا، والفعل مجزوم بلا الناهية، وحذف مفعوله تخفيفاً، والنون المكسورة للوقاية. ﴿**فإن توليتم**﴾ جملة شرطية دخل عليها حرف التفريع. ﴿**فما سألتكم**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النفي، والفاء لربط جواب الشرط. ﴿**من أجرٍ**﴾ في محل نصب مفعول ثان، وجر لفظه بمن الزائدة. ﴿**إنْ**﴾ حرف نفي. ﴿**أجري**﴾ مبتدأ مرفوع بضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم. ﴿**إلاّ**﴾ أداة استثناء مفرغ لا عمل لها. ﴿**على الله**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. ﴿**وأمرت**﴾ الفعل مبني للمجهول معطوف على جواب الشرط. ﴿**أن أكون**﴾ اسم أكون ضمير المتكلم. ﴿**من المسلمين**﴾ متعلق بمحذوف خبر أكون، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بحرف مقدر متعلق بأمرت، والتقدير: أمرت بكوني من المسلمين.

﴿**فكذبوه**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف التعقيب. ﴿**فنجيناه**﴾ مرتب عليه، وهو مثله في الإعراب. ﴿**ومن**﴾ فى محل نصب معطوف على الضمير المنصوب. ﴿**معه في الفلك**﴾ متعلقان بمحذوف صلة مَنْ. ﴿**وجعلناهم خلائف**﴾ فعل وفاعل ومفعولان. ﴿**وأغرقنا الذين**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف العطف. ﴿**كذّبوا**﴾ فعل وفاعل صلة الذين. ﴿**بآياتنا**﴾ متعلق بكذبوا. ﴿**فانظر**﴾

فعل أمر دخل عليه حرف التعقيب. ﴿**كيف**﴾ في محل نصب خبر كان. ﴿**كان عاقبة**﴾ كان واسمها. ﴿**المنذرين**﴾ مضاف إلى عاقبة، وجملة كيف كان عاقبة المنذرين في محل نصب مفعول انظر. ﴿**ثم بعثنا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف العطف. ﴿**من بعده**﴾ متعلق ببعثنا. ﴿**رسلاً**﴾ مفعول به. ﴿**إلى قومهم**﴾ متعلق ببعثنا. ﴿**فجاءوهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف الترتيب. ﴿**بالبينات**﴾ متعلق بجاءوهم. ﴿**فما**﴾ الفاء للتفريع، وما نافية. ﴿**كانوا**﴾ كان واسمها. ﴿**ليؤمنوا**﴾ الفعل منصوب بأن مضمرة وجوباً بعد لام الجحود، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بلام الجحود، والجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر كان، أي: ما كانوا مريدين للإيمان.

﴿**بما**﴾ متعلق بيؤمنوا. ﴿**كذّبوا**﴾ صلة ما. ﴿**به من قبل**﴾ متعلقان بكذبوا. ﴿**كذلك**﴾ الكاف في محل نصب نعت لمصدر مقدر، واسم الإشارة في محل جر بالكاف. ﴿**نطبع**﴾ فاعله نحن. ﴿**على قلوب**﴾ متعلق بنطبع. ﴿**المعتدين**﴾ مضاف إلى قلوب. ﴿**ثم بعثنا من بعدهم موسى**﴾ مثل إعراب ثم بعثنا من بعده رسلا. ﴿**وهارون**﴾ معطوف على موسى. ﴿**إلى فرعون**﴾ متعلق ببعثنا. ﴿**وملئه**﴾ معطوف على فرعون مجرور بالكسرة، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**بآياتنا**﴾ متعلق ببعثنا أيضاً. ﴿**فاستكبروا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف التفريع. ﴿**وكانوا قوماً مجرمين**﴾ كان واسمها وخبرها، والواو للحال، والجملة في محل نصب حال من الواو في استكبروا. ﴿**فلمّا**﴾ ظرف متضمن معنى الشرط، والفاء فاء الفصيحة. ﴿**جاءهم الحق**﴾ فعل الشرط. ﴿**من عندنا**﴾ متعلق بجاءهم. ﴿**قالوا**﴾ جواب الشرط. ﴿**إن هذا**﴾ إن واسمها. ﴿**لسحر**﴾ خبرها. ﴿**مبين**﴾ نعت لسحر، وجملة إن هذا لسحر مبين في محل نصب مقول القول. ﴿**قال موسى**﴾ فعل وفاعل. ﴿**أتقولون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف الاستفهام، وجملة أتقولون في محل نصب مقول القول. ﴿**للحق**﴾ متعلق بأتقولون. ﴿**لمّا**﴾ حين متعلق بأتقولون. ﴿**جاءكم**﴾ الفاعل ضمير يعود على الحق. ﴿**أسحرٌ**﴾ خبر مقدم دخل عليه حرف الاستفهام. ﴿**هذا**﴾ في محل رفع مبتدأ مؤخر. ﴿**ولا يفلح الساحرون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي وواو الحال، والجملة حال من واو الجماعة في قوله: أتقولون؛ لأنّ قولهم هذا دل على أن موسى ساحر.

﴿**قالوا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**أجئتنا**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف

الاستفهام. ﴿**لتلفتنا**﴾ الفعل منصوب بأن مضمرة بعد اللام، والفاعل ضمير المخاطب، والضمير المتصل بالفعل مفعول، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بلام التعليل متعلق بأجئتنا. ﴿**عمّا**﴾ متعلق بتلفتنا. ﴿**وجدنا**﴾ فعل وفاعل صلة ما. ﴿**عليه**﴾ متعلق بوجدنا. ﴿**آباءنا**﴾ مفعول به منصوب بالفتحة، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**وتكون**﴾ معطوف على تلفتنا. ﴿**لكما**﴾ متعلق بتكون الكبرياء فاعل تكون. ﴿**في الأرض**﴾ متعلق بما تعلق به لكم. ﴿**وما نحن**﴾ ما واسمها، والواو للعطف. ﴿**لكما**﴾ متعلق بالخبر بعده. ﴿**بمؤمنين**﴾ خبر ما جر بحرف الجر الزائد لفظاً ونصب محلاً. ﴿**وقال فرعون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف العطف. ﴿**ائتوني**﴾ فعل أمر، وواو الجماعة فاعل، والنون للوقاية، وياء المتكلم في محل نصب مفعول به. ﴿**بكل**﴾ متعلق بائتوني. ﴿**ساحر**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**عليم**﴾ نعت لساحر. ﴿**فلمّا جاء السحرة**﴾ فعل وفاعل، ولما ظرف متضمن معنى الشرط، والفاء للتعقيب. ﴿**قال لهم موسى**﴾ جواب الشرط. ﴿**ألقوا**﴾ فعل أمر. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول به.

﴿**أنتم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**ملقون**﴾ خبر المبتدإ، والجملة صلة ما، وجملة ألقوا مقول القول. ﴿**فلمّا ألقوا**﴾ جملة شرطية دخل عليها حرف التعقيب. ﴿**قال موسى**﴾ فعل وفاعل جواب الشرط. ﴿**ما**﴾ اسم موصول في محل رفع مبتدأ. ﴿**جئتم**﴾ فعل وفاعل صلة ما. ﴿**به**﴾ متعلق بجئتم. ﴿**السحر**﴾ خبر المبتدإ مرفوع بالضمة، وجملة ما جئتم مقول القول. ﴿**إنّ الله**﴾ إنّ واسمها. ﴿**سيبطله**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف التنفيس، وفاعله ضمير يعود على الله، والضمير المتصل بالفعل مفعول، وجملة سيبطله في محل رفع خبر إنّ. ﴿**إنّ الله لا يصلح**﴾ مثل إنّ الله سيبطله في الإعراب. ﴿**عمل**﴾ مفعول به. ﴿**المفسدين**﴾ مضاف إلى عمل، والجملتان تعليل لقول موسى. ﴿**ويحق الله الحق**﴾ معطوف على قوله: إنّ الله سيبطله. ﴿**بكلماته**﴾ متعلق بيحق. ﴿**ولو كره المجرمون**﴾ جملة حالية. ﴿**فما آمن**﴾ الفاء للتفريع، وما للنفي. ﴿**لموسى**﴾ متعلق بآمن. ﴿**إلاّ ذرية**﴾ فاعل آمن. ﴿**من قومه**﴾ متعلق بمحذوف نعت لذرية. ﴿**على خوف**﴾ مثله.

﴿**من فرعون**﴾ متعلق بخوف، ﴿**وملئهم**﴾ معطوف على فرعون. ﴿**أن يفتنهم**﴾ الفاعل ضمير يعود على فرعون، والضمير المتصل بالفعل مفعول، وأن وما دخلت

عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول بالمصدر. ﴿**وإنّ فرعون**﴾ إنّ واسمها. ﴿**لعالٍ**﴾ خبر إنّ مرفوع بضمة مقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين. ﴿**في الأرض**﴾ متعلق بعالٍ. ﴿**وإنّه**﴾ معطوف على إنّ فرعون. ﴿**لمن المسرفين**﴾ متعلق بمحذوف خبر إنّ. ﴿**وقال موسى**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف العطف. ﴿**يا قوم**﴾ منصوب بفتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة للتخفيف. ﴿**إن كنتم**﴾ كان واسمها دخل عليها حرف الشرط. ﴿**آمنتم**﴾ فعل وفاعل، والجملة في محل نصب خبر كان. ﴿**بالله**﴾ متعلق بآمنتم. ﴿**فعليه توكلوا**﴾ جواب الشرط، وقرن بالفاء لتقدم الجار والمجرور على متعلقه. ﴿**إن كنتم مسلمين**﴾ الجملة من كان واسمها وخبرها فعل الشرط، وجوابه محذوف يدل عليه ما قبله. ﴿**فقالوا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف التعقيب. ﴿**على الله**﴾ متعلق بما بعده. ﴿**توكلنا**﴾ فعل وفاعل.

﴿**ربنا**﴾ منادى منصوب بالفتحة، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**لا تجعلنا**﴾ لا دعائية جزمت الفعل المضارع، والفاعل ضمير المخاطب (ربنا)، والضمير المتصل بالفعل مفعول أول. ﴿**فتنة**﴾ مفعول ثانٍ. ﴿**للقوم**﴾ متعلق بفتنة. ﴿**الظالمين**﴾ نعت للقوم. ﴿**ونجّنا**﴾ فعل دعاء معطوف على لا تجعلنا. ﴿**برحمتك من القوم**﴾ متعلقان بنجنا. ﴿**الكافرين**﴾ نعت للقوم. ﴿**وأوحينا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف العطف. ﴿**إلى موسى**﴾ متعلق بأوحينا. ﴿**وأخيه**﴾ معطوف على موسى مجرور بالياء لأنّه من الأسماء الخمسة. ﴿**أن**﴾ تفسيرية. ﴿**تبوءا**﴾ فعل أمر، والألف فاعل. ﴿**لقومكما بمصر**﴾ متعلقان بتبوءا. ﴿**بيوتاً**﴾ مفعول به. ﴿**واجعلوا**﴾ معطوف على تبوءا. ﴿**بيوتكم**﴾ مفعول أول منصوب بالفتحة، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**قبلة**﴾ مفعول ثان. ﴿**وأقيموا**﴾ معطوف على ما قبله. ﴿**الصلاة**﴾ مفعول به. ﴿**وبشر**﴾ فعل أمر عطف على ما قبله. ﴿**المؤمنين**﴾ مفعول به. ﴿**وقال موسى**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف العطف. ﴿**ربنا**﴾ منادى منصوب بالفتحة، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**إنّك**﴾ إنّ واسمها. ﴿**آتيت**﴾ فعل وفاعل، والجملة في محل رفع خبر إنّ. ﴿**فرعون**﴾ مفعول أول. ﴿**وملأه**﴾ معطوف على فرعون منصوب بالفتحة، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**زينة**﴾ مفعول ثان. ﴿**وأموالاً**﴾ معطوف على زينة. ﴿**في الحياة**﴾ متعلق بآتيت. ﴿**الدنيا**﴾ نعت للحياة مجرور بكسرة مقدرة على الألف. ﴿**ربنا**﴾ منادى كما سبق. ﴿**ليضلوا**﴾ منصوب

بأن مضمرة بعد اللام. ﴿**عن سبيلك**﴾ متعلق بيضلوا. ﴿**ربنا**﴾ مثل ما سبقه. ﴿**اطمس**﴾ فعل دعاء. ﴿**على أموالهم**﴾ متعلق باطمس. ﴿**واشدد**﴾ معطوف على اطمس. ﴿**على قلوبهم**﴾ متعلق باشدد. ﴿**فلا يؤمنوا**﴾ جواب للدعاء السابق مرتب عليه، ولا نافية. ﴿**حتى يروا**﴾ الفعل منصوب بأن مضمرة بعد حتى، وهي بمعنى إلى تجر المصدر المؤول مع أن المقدرة متعلق بيؤمنوا. ﴿**العذاب**﴾ مفعول به. ﴿**الأليم**﴾ نعت له.

﴿**قال**﴾ الفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**قد أجيبت**﴾ فعل ماضٍ مبني للمجهول دخل عليه حرف التحقيق. ﴿**دعوتكما**﴾ نائب الفاعل مرفوع بالضمة، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**فاستقيما**﴾ فعل أمر، وألف المثنى فاعل دخل عليه حرف التعقيب. ﴿**ولا تتبعان**﴾ عطف النهي على الأمر، والفعل مجزوم بلا الناهية، والنون للتوكيد. ﴿**سبيل**﴾ مفعول به. ﴿**الذين**﴾ في محل جر مضاف إلى سبيل. ﴿**لا يعلمون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي، والجملة صلة الذين. ﴿**وجاوزنا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف العطف. ﴿**ببني**﴾ متعلق بجاوزنا. ﴿**إسرائيل**﴾ مضاف إلى بني مجرور بالفتحة لمنعه من الصرف للعلمية والعجمة. ﴿**البحر**﴾ مفعول به. ﴿**فأتبعهم**﴾ فعل ماضٍ دخل عليه حرف التعقيب، والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**فرعون**﴾ فاعل. ﴿**وجنوده**﴾ معطوف على فرعون. ﴿**بغياً**﴾ مفعول لأجله. ﴿**وعدواً**﴾ معطوف عليه. ﴿**حتى**﴾ ابتدائية. ﴿**إذا**﴾ فجائية، ﴿**أدركه**﴾ فعل ماضٍ، والضمير المتصل به مفعول. ﴿**الغرق**﴾ فاعل. ﴿**قال**﴾ فاعله ضمير يعود على فرعون. ﴿**آمنت**﴾ فعل وفاعل، وهو مقول القول. ﴿**أنّه**﴾ أنّ واسمها. ﴿**لا**﴾ نافية. ﴿**إله**﴾ اسم لا مبني على الفتح في محل نصب، وخبرها محذوف.

﴿**إلاّ**﴾ أداة استثناء لا عمل لها. ﴿**الذي**﴾ في محل رفع بدل من خبر لا المقدر، والتقدير: لا إله موجود إلا الذي. ﴿**آمنت به بنوا إسرائيل**﴾ الجملة من الفعل والفاعل صلة الذي، وجملة آمنت مقول القول، وأنّه في تأويل مصدر مجرور بحرف جر مقدر متعلق بآمنت، والتقدير: آمنت بعدم وجود إله غير إله بني إسرائيل، وجملة لا إله إلا الذي في محل رفع خبر أَنَّ. ﴿**وأنا**﴾ في محل رفع مبتدأ دخل عليه حرف العطف. من المسلمين متعلق بمحذوف خبر المبتدإ.

﴿**الآن**﴾ حرف الاستفهام داخل على فعل مقدر متعلق به الظرف، والتقدير: أتؤمن الآن؟. ﴿**وقد عصيت**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف التحقيق وواو الحال، والجملة في محل نصب حال من فاعل الفعل المقدر.

﴿**قبلُ**﴾ متعلق بعصيت. ﴿**وكنت**﴾ كان واسمها دخل عليه حرف العطف. ﴿**من المفسدين**﴾ متعلق بمحذوف خبر كان. ﴿**فاليوم**﴾ منصوب على الظرفية دخل عليه حرف التعقيب متعلق بما بعده. ﴿**ننجيك**﴾ فعل مضارع، وفاعله نحن، والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**ببدنك**﴾ متعلق بننجيك. ﴿**لتكون**﴾ الفعل منصوب بأن بعد اللام، واسم تكون ضمير المخاطب. ﴿**لمن**﴾ متعلق بتكون. ﴿**خلفك**﴾ متعلق بمحذوف صلة مَنْ. ﴿**آية**﴾ خبر تكون. ﴿**وإنّ كثيراً**﴾ إنّ واسمها. ﴿**من الناس**﴾ متعلق بمحذوف نعت لكثيراً. ﴿**عن آياتنا**﴾ متعلق بما بعده. ﴿**لغافلون**﴾ خبر إنّ. ﴿**ولقد**﴾ الواو للعطف، واللام للقسم، وقد للتحقيق. ﴿**بوأنا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**بني**﴾ مفعول به منصوب بالياء. ﴿**إسرائيل**﴾ مضاف إلى بني مجرور بالفتحة. ﴿**مبوأ**﴾ مفعول مطلق. ﴿**صدق**﴾ مضاف إلى مبوأ. ﴿**ورزقناهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف العطف.

﴿**من الطيبات**﴾ متعلق برزقناهم. ﴿**فما اختلفوا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي وحرف التفريع. ﴿**حتى**﴾ غائية. ﴿**جاءهم العلم**﴾ فعل ماضٍ، والضمير المتصل بالفعل مفعول، والعلم فاعل. ﴿**إنّ ربّك**﴾ إنّ واسمها. ﴿**يقضي**﴾ فعل مضارع مرفوع بضمة مقدرة على الياء، والفاعل ضمير يعود على ربك. ﴿**بينهم يوم القيامة فيما**﴾ متعلقات بيقضي. ﴿**كانوا**﴾ كان واسمها. ﴿**فيه**﴾ متعلق بما بعده. ﴿**يختلفون**﴾ فعل وفاعل، وجملة يختلفون خبر كان، وجملة كان صلة ما، وجملة يقضي خبر إنّ. ﴿**فإن**﴾ الفاء للتفريع، وإن الشرطية. ﴿**كنت**﴾ كان واسمها. ﴿**في شك**﴾ متعلق بمحذوف خبر كان، والجملة من كان واسمها وخبرها في محل جزم فعل الشرط. ﴿**مما**﴾ متعلق بشك. ﴿**أنزلنا**﴾ فعل وفاعل، والجملة صلة ما. ﴿**إليك**﴾ متعلق بأنزلنا. ﴿**فاسأل**﴾ جواب الشرط، والفاء رابطة للجواب لأنّه طلبيّ. ﴿**الذين**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**يقرأون**﴾ فعل فاعل صلة الذين. ﴿**الكتاب**﴾ مفعول به. ﴿**من قبلك**﴾ متعلق بيقرءون. ﴿**لقد جاءك الحق**﴾ اللام للقسم، وقد للتحقيق، والضمير المتصل مفعول به، والحق فاعل جاء. ﴿**من**

ربك﴾ متعلق بجاء. **﴿فلا﴾** الفاء للتفريع ولا للنهي. **﴿تكوننّ﴾** كان واسمها، والفعل مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد في محل جزم. **﴿من الممترين﴾** متعلق بمحذوف خبر تكوننّ. **﴿ولا تكوننّ من الذين﴾** مثلها في الإعراب. **﴿كذّبوا﴾** فعل وفاعل صلة الذين. **﴿بآيات﴾** متعلق بكذبوا. **﴿الله﴾** مضاف إلى آيات. **﴿فتكون﴾** الفعل منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية، واسم تكون ضمير المخاطب. **﴿من الخاسرين﴾** متعلق بمحذوف خبر تكون. **﴿إنّ الذين﴾** إنّ واسمها.

﴿حقت﴾ فعل ماضٍ. **﴿عليهم﴾** متعلق به. **﴿كلمات﴾** فاعل حقّت. **﴿ربك﴾** مضاف إلى كلمات، والجملة صلة الذين. **﴿لا يؤمنون﴾** فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي، والجملة في محل رفع خبر إنّ. **﴿ولو﴾** وصلية للمبالغة. **﴿جاءتهم كل آية﴾** آية مضاف إلى كل، وكل فاعل، والضمير المتصل بالفعل مفعول. **﴿حتى يروا﴾** الفعل منصوب بأن مضمرة بعد حتى. **﴿العذاب﴾** مفعول به. **﴿الأليم﴾** نعت للعذاب. **﴿فلولا﴾** حرف تحضيض دخل عليه حرف التفريع. **﴿كانت قرية﴾** كان واسمها. **﴿آمنت﴾** فاعله ضمير القرية، والجملة خبر كان. **﴿فنفعها﴾** عطف على آمنت. **﴿إيمانها﴾** فاعل نفع. **﴿إلاّ﴾** أداة استثناء. **﴿قوم﴾** منصوب على الاستثناء. **﴿يونس﴾** مضاف إلى قوم مجرور بالفتحة للعلمية والعجمة. **﴿لما آمنوا﴾** فعل وفاعل دخلت عليه أداة الشرط. **﴿كشفنا﴾** فعل وفاعل جواب الشرط. **﴿عنهم﴾** متعلق بكشفنا. **﴿عذاب﴾** مفعول به. **﴿الخزي﴾** مضاف إلى عذاب. **﴿في الحياة﴾** متعلق بكشفنا. **﴿الدنيا﴾** نعت للحياة مجرور بكسرة مقدرة على الألف. **﴿ومتعناهم﴾** معطوف على كشفنا. **﴿إلى حين﴾** متعلق بمتعناهم. **﴿ولو شاء ربك﴾** فعل وفاعل دخل عليه حرف الشرط وحرف العطف.

﴿لآمن﴾ جواب الشرط. **﴿مَن﴾** فاعل آمن. **﴿في الأرض﴾** متعلق بمحذوف صلة مَنْ. **﴿كلهم﴾** توكيد للفاعل مرفوع بالضمة، والضمير فيه مضاف إليه. **﴿جميعاً﴾** منصوب على الحال من ضمير الفاعل. **﴿أفأنت﴾** في محل رفع مبتدأ، والفاء للتفريع، والهمزة للاستفهام. **﴿تكره﴾** فعل مضارع فاعله ضمير المخاطب، والجملة في محل رفع خبر المبتدإ. **﴿الناس﴾** مفعول به. **﴿حتى يكونوا﴾** الفعل منصوب بأن مضمرة بعد حتى، واو الجماعة اسم يكون. **﴿مؤمنين﴾** خبر يكون

منصوب بالياء. ﴿**وما**﴾ الواو للعطف، وما للنفي. ﴿**كان**﴾ فعل ماضٍ ناقص. ﴿**لنفس**﴾ متعلق بمحذوف خبر كان مقدم. ﴿**أن تؤمن**﴾ أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مرفوع اسم كان. ﴿**إلاّ**﴾ حرف استثناء. ﴿**بإذن**﴾ متعلق بتؤمن. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى إذن. ﴿**ويجعل**﴾ فعل مضارع، والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**الرجس**﴾ مفعول أول. ﴿**على الذين**﴾ متعلق بمحذوف مفعول ثان. ﴿**لا يعقلون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي، والجملة صلة الموصول. ﴿**قل انظروا**﴾ فعلي أمر. ماذا ما في محل رفع مبتدأ، وذا في محل رفع خبره. ﴿**في السماوات**﴾ متعلق بمحذوف صلة ذا.

﴿**والأرض**﴾ معطوف على السماوات. ﴿**وما تغني الآياتُ**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي وواو العطف. ﴿**والنذرُ**﴾ معطوف على الآيات. ﴿**عن قوم**﴾ متعلق بتغني. ﴿**لا يؤمنون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي، والجملة في محل جر نعت لقوم. ﴿**فهل**﴾ الفاء للتفريع، وهل للاستفهام الإنكاري. ﴿**ينتظرون**﴾ فعل وفاعل. ﴿**إلاّ**﴾ أداة استثناء مفرغ. ﴿**مثل**﴾ مفعول به. ﴿**أيام**﴾ مضاف إلى مثل. ﴿**الذين**﴾ مضاف إلى أيام في محل جر. ﴿**خلوا**﴾ فعل وفاعل صلة الذين. ﴿**من قبلهم**﴾ متعلق بخلوا. ﴿**قل**﴾ فعل أمر. ﴿**فانتظروا**﴾ فعل أمر دخل عليه حرف التفريع، والجملة مقول القول. ﴿**إنّي**﴾ إنّ واسمها. ﴿**معكم من المنتظرين**﴾ متعلقان بمحذوف خبر إنّ. ﴿**ثم ننجي**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف العطف، والفاعل نحن. ﴿**رسلنا**﴾ مفعول به منصوب بالفتحة، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**والذين**﴾ في محل نصب معطوف على رسلنا. ﴿**آمنوا**﴾ صلة الموصول. ﴿**كذلك**﴾ الكاف في محل نصب نعت لمصدر مقدر، وذلك في محل جر بالكاف. ﴿**حقاً**﴾ مفعول مطلق منصوب بالفتحة. ﴿**علينا**﴾ متعلق بحقاً. ﴿**ننجي**﴾ فعل مضارع مرفوع بضمة مقدرة على الياء، والفاعل نحن. ﴿**المؤمنين**﴾ مفعول به منصوب بالياء.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**واتل عليهم نبأ نوح**﴾: الكلام متصل بما قبله بالعطف، ووجه الربط بين ما سبق وبين ما يأتي في الآيات هو الانتقال من منازعة المشركين بالحجج الساطعة على بطلان دينهم، وبالدلائل الواضحة على تفنيد أكاذيبهم وتكذيبهم، وما تخلل

ذلك من الموعظة والوعيد بالعذاب العاجل والآجل والإرهاب، إلى التعريض لهم بذكر ما حل بالأمم المماثلة أحوالها لأحوالهم، استقصاءً لطرائق الحجاج على أصحاب اللجاج؛ فإن نوحاً - عليه السلام - مع قومه مثَل لحال محمد ﷺ مع المشركين من قومه في ابتداء الأمر وتطوره، ففي ذكر عاقبة قوم نوح تعريض للمشركين بأنّ عاقبتهم كعاقبة أولئك، فذكر قصة نوح مع قومه عظة للمشركين؛ فبهذا يظهر حسن موقع. . .

﴿إذ قال لقومه ياقوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت﴾: فإنّ تقييد النبإ بزمن قوله لقَومه إيماء إلى أنّ محاورته قومَه وإصرارهم على الإعراض هو محل العبرة؛ لأنّه وجه الشبه بين المشركين وبين قوم نوح. وافتتاح خطاب نوح قومَه بياقومِ إيذان بأهمية ما سيلقيه إليهم؛ فالنداء هنا مستعمل مجازاً في طلب الإقبال المجَازي، وهو توجيه أذهانهم إلى فهم ما سيقوله. واختيار التعبير عنهم بوصف كونهم قومَه تحبيب لهم في نفسه ليأخذوا قوله مأخذ قول الناصح المتطلب الخيرَ لهم. وجملة فعلى الله توكلت جواب شرط إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله، باعتبار أنّ ذلك الشرط تضمن أنّ إنكاره عليهم قد بلغ من نفوسهم ما لا طاقة لهم بحمله، وأنّهم متهيئون لمدافعته، فأنبأهم أن احتمال صدور الدفاع منهم، وهم في كثرة ومنعة، وهو في قلة وضعف، لا يصده عن استمرار الدعوة، وأنّه وإن كان بينهم وحيداً، فذلك لا يوهنه؛ لأنّه متوكل على الله، فلأجل هذا قدم المجرور على عامله في قوله: فعلى الله توكلت فقط لا على غيره.

والفاء في قوله: **﴿فأجمعوا أمركم﴾**، للتفريع على جملة على الله توكلت، فللجملة المفرعة حكم جواب الشرط. وصيغة الأمر في قوله: فأجمعوا أمركم، مستعملة في التسوية، بمعنى أنّ عزمهم لا يضيره بحيث هو يغريهم بأخذ الأهبة التامة لمقاومته. وزاد ذكر شركائهم للدلالة على أنّه لا يخشاها؛ لأنّها في اعتقادهم أشد بطشاً من القوم، وذلك تهكم بهم. وعطْفُ جملة **﴿ثم لا يكن أمركم عليكم غمة﴾** بثُم الدالة على التراخي الرتبى؛ لما تضمنته الجملة الثانية **﴿ثم اقضوا إلى ولا تنظرون﴾** من الترقي في قلة مبالاته بما يهيؤونه له من الضر. . . **﴿فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجري إلاّ على الله وأمرت أن أكون من المسلمين﴾**: الفاء

لتفريع الكلام على الكلام؛ فجملة الشرط وجوابه مفرعتان على الجملتين السابقتين. ولما كان توليهم عن دعوته قد وقع واستمر تعيّن أن جعل التولي في جملة الشرط مراد به ما كان حصل، ليرتب عليه جواب الشرط الذي هو شيء قد وقع أيضاً، وإنما قصد إقرارهم به قطعاً لتعللاتهم، واستقصاء لقطع معاذيرهم. وجملة إن أجري إلاّ على الله تعميم لنفي تطلبه أجراً على دعوتهم سواء منهم أو من غيرهم؛ فالقصر حقيقي، وبه يحصل تأكيد جملة فما سألتكم من أجر مع زيادة التعميم.

وجملة وأمرت أن أكون من المسلمين معطوفة على جملة الجواب، وهذا تأييس لهم. . . ﴿**فكذّبوه فنجيناه ومن معه في الفلك وجعلناهم خلائف وأغرقنا الذين كذّبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين**﴾: الفاء للتفريع الذكري، وأما الفاء التي في جملة فنجيناه فهي للترتيب والتعقيب، وهذا نظم بديع وإيجاز معجز؛ إذ رجع الكلام إلى التصريح بتكذيب قومه الذي لم يذكر قبل؛ بل أشير إليه ضمناً؛ فكان كرد العجز على الصدر. وتقدم ذكر تنجيته قبل ذكر الإغراق الذي وقع الإنجاء منه، للإشارة إلى أنّ إنجاءه أهم عند الله من إغراق مكذبيه، ولتعجيل المسرة للمسلمين السامعين لهذه القصة. وصيغة الجمع في قوله: وجعلناهم خلائف باعتبار الذين معه في الفلك تفرع على كل زوجين منهم أُمّةٌ.

وتعريف قوم نوح بطريق الموصولية للإيماء إلى سبب تعذيبهم بالغرق، وأنّه التكذيب بآيات الله؛ إنذاراً للمشركين من العرب؛ ولذلك ذيل بقوله: فانظر كيف كان عاقبة المنذرين، فهو تهويل لما جرى عليهم، وتحذير لمن كذّب الرسول المخاطب بهذا الكلام، وهو تسلية له - عليه الصلاة والسلام -. . . ﴿**ثم بعثنا من بعده رسلاً إلى قومهم فجاءوهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين**﴾: ثم للتراخي الرتبي؛ لأنّ بعثة الرسل كثيرين إلى أمم تلقوهم بمثل ما تلقى به نوحاً قومه أعجب من شأن قوم نوح، حيث تمالأت تلك الأمم على طريقة واحدة من الكفر. وليست ثم لإفادة التراخى في الزمن للاستغناء عنه بقوله: من بعده.

وقد أبهم الرسل في هذه الآية، ووقع في آيات أخرى التصريح بأنّهم هود وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب وغيرهم ممن لم يقص خبرهم. والفاء في قوله:

فجاءُوهم بالبينات للتعقيب. والفاء في قوله: فما كانوا ليؤمنوا للتفريع. وصيغ النفي بصيغة لام الجحود مبالغة في انتفاء الإيمان عنهم بأقصى أحوال الانتفاء؛ فدلت صيغة الجحود على أنّ الرسل حاولوا إيمانهم محاولة متكررة. وقوله: كذلك نطبع على قلوب المعتدين تذييل مقرر لمضمون ما سبقه، وهو استعارة لعدم دخول الإيمان قلوبهم... **﴿ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون إلى فرعون وملئه بآياتنا فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين﴾**: ثم هنا مثل سابقتها للتراخي الرتبي؛ غير أنّ الأولى تميزت بكثرة المبعوثين، وهذه تميزت بتفوقها على جميع ما سبقها من شرائع الرسل. والسين والتاء في استكبروا للمبالغة في التكبر؛ لكون موسى ليس منهم. وتفريع استكبروا على جملة بعثنا يدل على أنّ كل إعراض منهم وإنكار في مدة الدعوة والبعثة هو استكبار.

وجملة وكانوا قوماً مجرمين في موضع الحال من ضمير استكبروا؛ فكان استكبارهم على موسى من جملة إجرامهم... **﴿فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا إنّ هذا لسحر مبين﴾**: لما رأوا المعجزات التي هي حق ثابت وليست بتخيلات وتمويهات، وعلموا أنّ موسى صادق فيما ادعاه تدرجوا من مجرد الإباء المنبعث عن الاستكبار إلى البهتان المنبعث عن الشعور بالمغلوبية؛ فاعتذارهم عن ظهور الآيات بأنّها سحر هو اعتذار المغلوب العديم الحجة، وقد حملهم استشعارُهم وَهَنَ معذرتهم على أن أبرزوا دعواهم في صورة الكلام المتثبت صاحبُه فأكدوا الكلام بما دل عليه حرف التوكيد ولام الابتداء: إنّ هذا لسحر مبين، وزادوا ذلك ترويجاً بأن وصفوا السحر بكونه مبيناً. وجملة **﴿قال موسى﴾** مجاوبة منه عن كلامهم ففصلت من العطف كما علم من أمثال هذا السياق. واستفهام **﴿أتقولون﴾** إنكاري. وجملة **﴿أسحر هذا﴾** مستأنفة للتوبيخ والإنكار، والإشارة تفيد التعريض بجهلهم وفساد قولهم؛ فالتقدير: أتقولون هذا القول للحق لما جاءكم؟!. ولما نفى موسى عن آيات الله أن تكون سحراً ارتقى فأبان لهم فساد السحر وسوء عاقبة معالجيه تحقيراً لهم؛ لأنّهم كانوا ينوّهون بشأن السحر؛ فجملة **﴿ولا يفلح الساحرون﴾** معطوف على جملة أسحر هذا...

﴿قالوا أجئتنا لتلفتنا عمّا وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرض وما نحن لكما بمؤمنين﴾: هذا استئناف وقع جواباً عن قول موسى؛ فبنوا جوابهم

على إنكارهم على تخطئة موسى فيما جاء به، وعلى سوء ظنهم به وبهارون في الغاية التي يتطلبانها مما جاء به موسى. وإنّما واجهوا موسى بالخطاب؛ لأنّه صاحب الدعوة، ثم أشركاه مع أخيه هارون في سوء ظنهم بهما في الغاية من عملهما، فهذه الغاية هي محل الإنكار عنهم؛ لأنّ موسى جاء لقصد لفتهم وتحويلهم عمّا وجدوا عليه آباءهم. وعطف وتكون لكما الكبرياء في الأرض على الفعل المعلل به، والمعطوف هو العلة في المعنى؛ لأنّهم أرادوا أنهم تفطنوا لغرض موسى وهارون، فهما يحاولان نفعاً لأنفسهما لا صلاحاً للمدعوّين. وإنّما شرّكوا هارون في هذا الظن من حيث إنّه جاء مع موسى ولم يباشر الدعوة، فظنوا أنّه جاء معه لينال من سيادة أخيه حظاً لنفسه. وجملة وما نحن لكما بمؤمنين عطف على جملة أجئتنا، وهي في قوة النتيجة لتلك الجملة بما فيها من العلة.

وتقديم لكما على متعلقه؛ لأنّ المخاطبَيْن هما الأهم من جملة النفي. وجِيئَت الجملة إسميةً لإفادة الثبات والدوام... ﴿**وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم**﴾: هذه الجملة موصولة بما قبلها بالعطف، والمخاطب بقوله: ائتوني هم ملأُ فرعون وخاصته الذين بيدهم تنفيذ أمره، والعموم في قوله بكل ساحر عليم عموم عرفي؛ فجاء حرف التعقيب في قوله: ﴿**فلما جاء السحرة**﴾، للدلالة على الفور في إحضارهم، وهو تعقيب بحسب المتعارف في الإسراع بمثل الشيء المأمور به... ﴿**قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون**﴾: جملة جوابية المقصود منها إظهار قوة حجته... ﴿**فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر**﴾: تعقيب لقوله: ألقوا ما أنتم ملقون، فسحرهم هو السحر؛ ففي الجملة حصر... ﴿**إنّ الله سيبطله إنّ الله لا يصلح عمل المفسدين**﴾: الجملة الأولى تأكيد لبيان بطلان السحر، والجملة الثانية تعليل لبطلانه، وتذييل للكلام بما فيه نفي الإصلاح. وجملة...

﴿**ويحق الله الحق بكلماته**﴾: معطوفة على جملة إنّ الله سيبطله. وجملة... ﴿**ولو كره المجرمون**﴾: في موضع الحال، ولو وصلية. وأراد بالمجرمين فرعون وملأه؛ فعدل عن ضمير الخطاب إلى الاسم الظاهر؛ لما فيه من وصفهم بالإجرام تعريضاً بهم... ﴿**فما آمن لموسى إلاّ ذرية من قومه**﴾: هذا تفريع على ما تقدم من المحاورة... ﴿**على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم**﴾: يفيد هذا النص أنّ

الذين أظهروا إيمانهم وانضمامهم لموسى من بني إسرائيل كانوا هم الفتيان الصغار، وأنّ هؤلاء الفتيان كان يُخشَى من فتنتهم وردهم عن اتباع موسى خوفاً من فرعون وتأثير كبار قومهم ذوي المصالح عند أصحاب السلطان. . . **﴿وإنّ فرعون لعالٍ في الأرض وإنّه لمن المسرفين﴾**: هذه الجملة تفيد معنى التعليل لخوفهم من فرعون، وتأكيد الخبر بإنّ للاهتمام بتحقيق بطش فرعون، والعلو مستعار للغلبة والاستبداد. وقوله: وإنّه لمن المسرفين زيادة في تأكيد الخبر، وهو أبلغ في وصفه بالإسراف من أن يقال: وإنّه لمسرفٌ. . . **﴿وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين﴾**: وصلت الآية بالعطف على آية وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم. والمقصود من هذا النداء إثارة صدق إيمان قومه وإلهاب قلوبهم بجعل إيمانهم معلقاً بالشرط محتمل الوقوع. وتقديم المجرور على متعلقه في قوله: فعليه توكلوا، لإفادة القصر.

وجملة إن كنتم مسلمين شرط ثانٍ مؤكد للشرط الأول، وهذا من مسألة تعليق الشرط على الشرط. . . **﴿فقالوا على الله توكلنا ربنا لاتجعلنا فتنة للقوم الظالمين. ونجنا برحمتك من القوم الكافرين﴾**: أجابوا مسرعين دون تردد بقولهم: على الله توكلنا، ثم ذيّلوا قولهم بالتوجه إلى الله بسؤالهم منه أن يقيهم ضرّ فرعون، ثم سألوا ما فيه صلاحهم فطلبوا النجاة من القوم الكافرين، فزيادة برحمتك هنا للتبرؤ من الإدلال بإيمانهم؛ لأنّ المنة لله عليهم. . . **﴿وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتاً﴾**: وصل الكلام بما قبله؛ لأنّ مجموعة قصص هي حكاية أطوار لقصة موسى وقومه. أسند فعل الأمر هنا إلى موسى وهارون على طريقة المجاز العقلي؛ لأنّهما سبب في التبوّئ. . .

﴿واجعلوا بيوتكم قبلة﴾: أسند الفعل إلى الجميع؛ لأنّ كل واحد مطلوب منه هذا الجعل، فلا يخص موسى وهارون فقط؛ إذ كل أحد مكلف بأن يجعل بيته قبلة، في هذا الأمر استعداد خاص لبني إسرائيل بالتجمع في مكان واحد استعداداً للخروج من مصر فى الوقت المختار، فكلمة قبلة هنا تعني التجمع، واختيار المناسب صحياً وروحياً باعتبار أنّ البيوت قبلة تواجه الشمس وقت الطلوع، والكعبة وقت أداء الصلاة؛ فلهذا جاء الأمر بقوله: **﴿وأقيموا الصلاة﴾**. وعطف جملة **﴿وبشر المؤمنين﴾** على ما قبله يؤذن بأنّ ما أمروا به من اتخاذ البيوت أمر

بحالة مشعرة بترقب أخطار تحتاج إلى قوة الإيمان... ﴿**وقال موسى ربّنا إنّك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالاً في الحياة الدنيا**﴾: لازال الكلام موصولاً بما قبله عطف بقية ما جرى في القصة مما فيه عبرة وموعظة، وهو مقدمة لخبر خروج موسى ومن معه من أرض مصر؛ فهذه المقدمة لتعريف كرامة موسى على ربه بأن استجاب له دعاءه. ومهد موسى لدعائه تمهيداً يدل على أنّ ما سأله من الله لزجر فرعون وملئِه إنّما هو لمصلحة الدين لا للانتقام منه لقومه ولنفسه؛ فسأل الله سلب النعمة عن فرعون وملئه وحلول العذاب بهم لخضد شوكتهم وتذليل تَحَيُّرِهم. وافتتح الدعاء بالنداء لمناسبتِه لمقام الدعاء.

ونودي الله بوصف الربوبية تذللاً لإظهار العبودية. وأعيد النداء بين الجملة المعلِّلة والجملة المعلَّلة لتأكيد التذلل والتعرض للإجابة، ولإظهار التبرؤ من قصد الاعتراض... ﴿**ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم**﴾: وأعيد النداء ثالث مرة لزيادة تأكيد التوجه والتضرع؛ فموسى يتجه إلى ربه بتكرار النداء - وقد يئس من فرعون وملئه أن يكون فيه خير، وأن يرجى لهم صلاح - اتّجه إليه يدعو إلى فرعون وملئه الذين يملكون المال والزينة، فتضعف إزاءَهما قلوبُ الكثيرين، فتنتهي إلى التهاوي أمام الجاه والمال!. اتجه موسى إلى ربّه يدعوه أن يدمر هذه الأموال، وأن يشد على قلوب أهلها فلا يؤمنوا إلا حيث لا ينفعهم الإيمان؛ فاستجاب الله الدعاء... ﴿**قال قد أجيبت دعوتكما**﴾: فافتتاح الجملة بقد والفعل الماضي يفيد تحقيق الحصول في المستقبل فشبه بالمضي...

﴿**فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون**﴾: هذا تفريع على إجابة الدعوة، فعلم من هذا التفريع أنّ الاستقامة شكر على الكرامة. وأعقب حتّهما على الاستقامة بالنهي عن اتباع طريق الذين لا يعلمون وإن كان ذلك مشمولاً للاستقامة تنبيهاً على توخي السلامة من العدول عن طريق الحق اهتماماً بالتحذير من الفساد... ﴿**وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدواً**﴾: هذه الجملة موصولة بالعطف على جملة وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوآ لقومكما، عطف الغرض على التمهيد. وتركيب الجملة إيجاز؛ لأنَها قامت مقام خمسْ جُمَلٍ: جملة تفيد أنّ فرعون حاول اللحاق ببني إسرائيل إلى أقصى أحوال

الإمكان والطمع في اللحاق، وهو قوله: فأتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدوا. وجملة تفيد أنّه لم يلحقهم. وجملة تفيد أنّه غمره الماء فغرق، وهو قوله: ﴿**حتى إذا أدركه الغرق**﴾. وجملة تفيد أنّه لم يسعه إلاّ الإيمان؛ لأنّه قهرته أدلة الإيمان، وهو قوله: ﴿**قال آمنت أنّه لا إله إلا الذي آمنت به بنوا إسرائيل وأنا من المسلمين**﴾. وجملة تفيد أنه ما آمن حتى أيِس من النجاة لتصلبه في الكفر، وهو قوله: ﴿**الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين**﴾.

والفاء في قوله: ﴿**فاليوم ننجيك ببدنك**﴾ فاء الفصيحة تفصح عن شرط مقدر في الكلام يدل عليه السياق؛ فالكلام جارٍ مجرى التهكم. وقوله: ﴿**لتكون لمن خلفك آية**﴾ علة لإخراجه من غمرة الماء ميتاً كاملاً؛ فهم مضطرون إلى الاعتراف بأنّه غرق فمات فأخرج جثة هامدة. وقوله: ﴿**وإنّ كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون**﴾ تذييل لموعظة المشركين، والمراد منه دفع توهم النقص عن آيات الله عندما يحرم كثير من الناس الاهتداء بها، فهي في ذاتها دلائل هدى؛ سواء انتفع بها بعض الناس أم لم ينتفعوا، فالتقصير منهم. . . ﴿**ولقد بوأنا بني إسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات**﴾: لازال الكلام موصولاً بما قبله؛ فإنّ جميع تلك الجمل مقصود منها موعظة الكفار من العرب بأحوال من سبقهم في مشابهة كفرهم بكفرهم، وبما حل بهم من أنواع العذاب جزاء كفرهم، فسياق الكلام في هذا الموضوع عرض حال بني إسرائيل بعد نجاتهم وإهلاك عدوهم بجعلهم أمام التاريخ نموذجاً ماثلاً للأعيان، فقد من الله عليهم بكل أنواع الخير، ووعدهم النصر والتأييد لو ساروا على النهج الصحيح، ولكنهم انحرفوا بمجرد ما خرجوا من مصر وكانت حالهم فيها معروفة. . .

﴿**فما اختلفوا حتى جاءهم العلم**﴾: إنّ اختلافهم بعدما حصل لهم العلم بحقيقة الأمر؛ فاختلافهم حصل من عهد موسى واستمر إلى آخر المطاف، عندما بَعَثَ الله محمداً ﷺ وأخبر بني إسرائيل تفصيل ما حصل لهم من النعم والنقم؛ فاستمر اليهودُ على الكفر وبث الفُرْقة والاختلاف بين الناس الذي أوردهم مورد الهلاك إلى هذا اليوم. ولما كان المقام هنا مقام النصرة والإيمان وخذلان الطغيان، فإنّ السياق لا يطيل في عرض ما وقع بعد ذلك من بني إسرائيل، ولا يفصل اختلافهم بعد ما جاءهم العلم، ولكن يطوي هذه الصفحة، ويكلها بما فيها إلى

يوم القيامة... ﴿**إنّ ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون**﴾: فيبقى للقصة جلالها ويظل للمشهد الأخير تأثيره!.. ﴿**فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك**﴾: تفرع الكلام هنا على سياق القصص التي جعلها الله مثلاً لأهل مكة وعِظَةً بما حل من أمثالهم؛ فانتقل بهذا التفريع من أسلوب إلى أسلوب كلاهما تعريض بالمكذبين، فالمقصود من هذا الكلام إقامة الحجة على المشركين بشهادة أهل الكتاب، فجملة... ﴿**لقد جاءك الحق من ربك**﴾: مستأنفة استئنافاً بيانياً بجواب ناشيء عن الشرط وجوابه، كأن السامع يقول: فإذا سألتهم ماذا يكون؟. فقيل: لقد جاءك الحق من ربك.

ولما كان المقصود من ذلك علم السامعين بطريق التعريض لا علم الرسول؛ لأنّه ليس بمحلٍّ الحاجة لإعلامه بأنّه على الحق قُرِنَت الجملة بحرفي التأكيد، وهما: لام القسم وقد؛ لدفع إنكار المعرَّض بهم، وبذلك كان تفريع ﴿**فلا تكونن من الممترين**﴾ تعريضاً أيضاً بالمشركين بأنّهم يُحذر الكون منهم. وكذلك عطف ﴿**ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله**﴾، وهو أصرح في التعريض بهم، فتكون من الخاسرين. وهذا يقتضي أنّهم خاسرون... ﴿**إنّ الذين حقت عليهم كلمات ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم**﴾: هذه الآية تبين سر إصرار الكفرة على ما هم عليه من الكفر والضلال، فهم لا تجدي فيهم الحجة؛ لأنّهم أهل مكابرة، وليسوا طالبين للحق، وهذا مسوق مساق التأييس من إيمانهم؛ فالجملة فى موضع التعليل للقصص السابقة.

والموصول للعموم الجامع جميع الأمم التي هي بمثابة الأمم المتحدث عنهم. ولو وصلية للمبالغة... حتى يروا العذاب الأليم: ورؤية العذاب كناية عن حلوله بهم... ﴿**فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين**﴾: الفاء هنا ربطت الكلام بما قبله. ولولا هنا حرف مستعمل في لازم التوبيخ كناية عن التغليظ، والمقصود التعريض بأنّ مشركي أهل مكة يوشك أن يكونوا على سنن أهل القرى، وفيه تحريض لأهل مكة على الإيمان مثل ما حصل لقوم يونس، وفى الآية إيماء إلى أنّ أهل مكة يعاملهم الله معاملة قوم يونس، وقد وقع ذلك يوم فتح مكة... ﴿**ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا**

مؤمنين﴾: الآية موصولة بالعطف على قوله: إنّ الذين حقت عليهم كلمات ربك لا يؤمنون؛ لتسلية النَّبِيء على ما لقيه من قومه. وهذه الجملة كالمقدمة الكلية لجملة أفأنت تكره الناس، وهي المقصودة من التسلية. والتأكيد بكلهم للتنصيص على العموم المستفاد من مَنْ الموصولة فإنّها للعموم. والتأكيد بجميعاً لزيادة رفع احتمال العموم العرفي دون الحقيقي، والمعنى: لو شاء الله لجعل مدارك الناس متساويةً منساقةً إلى الخير، فكانوا سواءً في قبول الهُدى والنظر الصحيح. وجملة أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين مفرعة على التي قبلها. والاستفهام فيها إنكاري؛ فنُزّل النبيء لحرصه على إيمان أهل مكة، وحثيث سعيه لذلك بكل وسيلة صالحة منْزِلَة من يُحَاول إكراههم على الإيمان، حتى ترتب على ذلك التنزيل إنكاره عليه.

ولأجل كون هذا الحرص الشديد هو محل التنزيل ومصب الإنكار وقع تقديم المسند إليه على المسند الفعلي، فقيل: أفأنت تكره الناس، دون أن يقال: أفتكره الناس؛ لأنّ تقديم المسند إليه على مثل هذا المسند يفيد تَقَوِّي الحكم؛ فيفيد تقوية صدور الإكراه من النبيء؛ لتكون تلك التقوية محل الإنكار. وهذا تعريض بالثناء على النبيء، ومعذرة له على عدم استجابتهم إياه، ومن بلغ المجهودَ حق له العذْرُ!.. **﴿وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون﴾**: الكلام موصول بالعطف على ما قبله؛ فهو بيان لتبعية إيمان النفوس المؤمنة لمشيئة الله تعالى وجوداً بعد بيان الدوران الكلي عليها وجوداً وعدماً؛ فالإذن هنا إذْنُ التكوين، وهو خلق النفس مستعدّةً لقبول الحق بما لها من العقل السليم والنظر الصحيح. ويومئ إلى هذا المعنى من الإذن قوله في مقابله: ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون. ويزيد الأمر إيضاحاً بأنّ الآيات والنذر لا تغني عن الذين لا يؤمنون؛ لأنّهم لا يدبرونها وهي معروضة أمامهم في السماوات والأرض...

﴿قل انظروا ماذا في السماوات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون﴾: افتتحت الجملة بقل للاهتمام بمضمونها، وقد طوي في الكلام جواب الأمر؛ لوقوع الأمر عقب أسباب الإيمان، والتقدير: انظروا تروا آيات موصلة إلى الإيمان. وجملة وما تغني الآيات والنذر معترضة ذُيّلت بها الجملة التي قبلها،

وعطف النذر على الآيات لزيادة التعميم. ولفظ قوم لا يؤمنون يفيد أنّ انتفاء الإيمان عنهم وصف عُرفوا به وأنّه مستقر من نفوسهم، فهو من مقومات قوميّتهم... ﴿**فهل ينتظرون إلاّ مثل أيام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا إني معكم من المنتظرين**﴾: هذه الآية تفريع على جملة وما تغني الآيات والنذر، باعتبار ما اشتملت عليه من ذكر النذر، ووقع الاستفهام بهل لإفادتها تحقيق السؤال، والاستفهام مجازٌ تهكُّمي إنكاري بقرينة الاستثناء المفرغ؛ فهو متضمن للنفي. وجملة قل فانتظروا مفرعة على جملة هل ينتظرون، وفصل بين المفرع والمفرع عنه بقل لزيادة الاهتمام. وجملة إنّي معكم من المنتظرين استئناف بياني ناشئ عن جملة انتظروا، فهذا مستعمل كنايةً عن تَرَقُّبِهِ النَّصْرَ. ثم يختم هذا المقطع من السياق بالنتيجة الأخيرة لكل رسالة ولكل تكذيب، وبالعبرة الأخيرة من ذلك القصص وذلك التعقيب... ﴿**ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك حقاً علينا ننجي المؤمنين**﴾: وهذه الجملة تذييل لما قبلها مقرر لمضمونه؛ فهى الكلمة التي كتبها الله على نفسه: أن تبقى البذرة المؤمنة وتنجو بعد كل إيذاءٍ وبعد كل تكذيب. هكذا كان - والقصص المروى في السورة شاهد -، وهكذا يكون: كذلك حقا علينا ننجّي المؤمنين؛ فليطمئن المؤمنون!

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

التوجيه الأول: ﴿**واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إليّ ولا تنظرون**﴾: في هذا التوجيه أمر للرسول بأن يقصَّ على قومه نبأ نوح فيما يختص بتحدّيه لقومه، ثم ما كان من نجاته ومَنْ آمنوا معه واستخلافهم في الأرض، وهلاك المكذبين وهم أقوى وأكثر عدداً؛ فالمناسبة ظاهرة لإيراد هذا القَصَص بالنسبة لسياق السورة، وبالنسبة لهذه المعاني القريبة قبلها، فالقصص في القرآن يجيء في السياق ليؤدي وظيفة فيه؛ ويتكرر في المواضع المختلفة بأساليب تتفق مع مواضعه من السياق. والحلقات التي تُعرض منه في موضع تفي بحاجة ذلك الموضع. وقد يعرض غيرها من القصة الواحدة في موضع آخر؛ لأنّ هذا الموضع تناسبه حلقة أخرى من القصة. وسنرى فيما يعرض من قصتي نوح وموسى هنا، وفي طريقة العرض مناسبة ذلك لموقف

المشركين في مكة من النبيء والقلة المؤمنة معه، واعتزاز هذه القلة المؤمنة بإيمانها في وجه الكثرة والقوة والسلطان.

إنّ الحلقة التي تعرض هنا من قصة نوح هي الحلقة الأخيرة؛ حلقة التحدي الأخير، بعد الإنذار الطويل والتذكير الطويل والتكذيب الطويل. ولا يذكر في هذه الحلقة موضوع السفينة ولا من ركب فيها ولا الطوفان ولا التفصيلات في هذه الحلقة؛ لأنّ الهدف هو إبراز التحدّي والاستعانة بالله وحده، ونجاة نوح ومن معه وهم قلة، وهلاك المكذبين له وهم كثرة وقوة؛ لذلك يختصر السياقُ هنا تفصيلاتِ القصّة إلى حلقة واحدة، ويختصر تفصيلات الحلقة الواحدة إلى نتائجها الأخيرة. ويبرز السياق هذا العرض في صورة التحدي الخطير، عندما يقول نوح هذا القول الصريح المثير، الذي لا يقوله القائل إلا وهو مالئ يديه من قوته، واثق كل الوثوق من الغلبة والفوز، حتى ليغري خصومه بنفسه ويحرضهم بمثيرات القول على أن يهاجموه!. إنّه الإيمان الذي يصل صاحبه بمصدر القوة الكبرى المسيطرة على هذا الكون بما فيه ومن فيه، فليس هذا التحدّي غُرُوراً، وليس كذلك تهوُّراً، وليس انتحاراً.

إنّما هو تحدّي القوة الكبرى لِلْقُوَى الهزيلة الفانية التي تتضاءَلْ وتتصاغر أمام أصحاب الإيمان، وكأنما توقع نوح أن ينكل القوم أمام التحدي، وأن يداخل نفوسهم الضعف والهزيمة الداخلية تجاه قوة إيمانه - كما يقع في أغلب الأحيان عند اصطدام قوى البغي والطغيان بقوة العقيدة والإيمان -، فقال لهم. . . ﴿**فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجري إلاّ على الله وأمرت أن أكون من المسلمين**﴾: فإن أعرضتم عني وابتعدتم فأنتم وشأنكم، فما كنت أسألكم أجراً على الهداية فينقص أجري بتوليكم، فلن يزحزحني هذا عن عقيدتي، فقد أمرت أن أسلم نفسي كلها لله، وأنا عندما أمر الله. فماذا كان؟. . ﴿**فكذبوه فنجيناه ومن معه في الفلك وجعلناهم خلائف وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا**﴾: هكذا باختصار: نجاته هو ومن معه فى الفلك - وهم المؤمنون - واستخلافهم في الأرض على قلتهم، وإغراق المكذبين على قوتهم وكثرتهم. . . ﴿**فانظر كيف كان عاقبة المنذرين**﴾: ويعجل السياق بإعلان نجاة نوح ومن معه؛ لأنَّ نوحاً والقلة المؤمنة كانوا يواجهون خطر التحدي للكثرة الكاثرة، فلم تكن النتيجة هلاك هذه الكثرة،

بل كان قبلها نجاة القلة من جميع الأخطار، واستخلافها في الأرض، تعيد تعميرها وتجديد الحياة فيها، وتأدية الدور الرئيسي فترة من الزمان. والمقصود من هذا إنذار الذين يواجهون دعوة الرسول بالإعراض والرفض، ولا يعتبرون بما وقع لقوم نوح المكذبين المعرِضين الرافضين، فقد هلكوا واستخلف المؤمنين الصادقين.

التوجيه الثاني: ﴿**ثم بعثنا من بعده رسلاً إلى قومهم فجاءوهم بالبينات. . .**﴾: في هذا التوجيه بيان عبرة أخرى من عبر مكذبي الرسل، وسنة من سننه فيهم تكملة لما بينه في حال قوم نوح مع رسولهم عسى أن يعتبر بها أهل مكة، فيعلموا كيف يتقون عاقبة المكذبين من قوم نوح وغيرهم. وقد أبهم الرسل في هذه الآية، ووقع في آيات أخرى التصريح بأنّهم: هود وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب، وقد ذكر القرآن من الرسل خمسة وعشرين رسولاً سماهم بأسمائهم. وقد يكون هناك رسل آخرون كما قال تعالى: «ورسلاً لم نقصصهم عليك»، «منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك». والمقصود من الرسل هنا من كانوا قبل موسى؛ فهؤلاء الرسل جاء كل واحد منهم إلى قومه ببينة خاصة به، فترتب على ذلك أنّهم لم يؤمنوا بسبب ما تمسكوا به من الكفر والعناد، وتقليد الآباء والأجداد. وفي هذا ما يوحي بأنّه يعد المكذبين جماعة واحدة على اختلاف أجيالهم؛ لأنّهم ذوو طبيعة واحدة؛ فهؤلاء ما كان يمكن أن يؤمنوا بما كذب به أسْلاَفٌ لهم، فهم منهم، طبيعتهم واحدة، وموقفهم تجاه البينات واحد: لايفتحون لها قلوبهم، ولا يتدبرونها بعقولهم، هم معتدون متجاوزون حدَّ الاعتدال والاستقامة على طريق الهدى؛ ذلك أنّهم يعطلون مداركهم التي أعطاها الله لهم ليتدبروا بها ويتبينوا. وبمثل هذا التعطيل تغلق قلوبهم وتوصد منافذها: ﴿**كذلك نطبع على قلوب المعتدين**﴾. فهي سنة مطردة لا تتبدل ولا تتغير؛ فالقلب الذي يغلقه صاحبه ينطبع على هذا ويجمد ويتحجر، فلا يستفيد من الدليل، ولا يتعظ بآيات الإنذار والتنكيل، فلا سبيل إلى إرجاعه قهْراً إلى سواء السبيل!. وفى هذا إنذار عظيم لمشركي العرب الذين كذبوا سيد الرسل وخاتمهم؛ فإنّه إذا كان قد أصاب من كذب بأولئك الرسل وما جاءوا به من الآيات، من العذاب والنكال، فماذا يكون لهؤلاء، وقد ارتكبوا أكبَر من أولئك من الكفر والضلال؟.

التوجيه الثالث: ﴿**ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون إلى فرعون وملئه بآياتنا**

فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين﴾: في هذا التوجيه ذكر قصة موسى مع فرعون ومع قومه مثل قصص من سبقه من الرسل وقومهم؛ فيبدؤها السياق هنا من مرحلة التكذيب والتحدي، وينهيها عند غرق فرعون وجنده، على نطاق أوسع مما في قصة نوح ملماً بالمواقف ذات بموقف المشركين في مكة من الرسول ﷺ وموقف القلة المؤمنة التي معه، وجعل موسى وهارون مبعوثين كليهما من حيث إنّ الله استجاب طلب موسى أن يجعل معه أخاه هارون وزيراً ومؤيداً ومُعْرِباً عن مقاصد موسى، فكان بذلك مأموراً من الله بالمشاركة في أعمال الرسالة، فالمبعوث أصالة هو موسى، وأما هارون فبعث معيناً وناصراً. وفرعون حاكم مصر وطاغيتها الجبار، وملؤه خاصته وبطانته وأولياؤه المقربون. والآيات التي بعث بها موسى إلى فرعون وملئه هي الآيات التسع التي ذكرت في سورة الأعراف، ولكنها لا تذكر هنا ولا تفصل؛ لأنّ السياق لا يقتضيها. والإجمال في هذا الموضع يُغْنِي، والمهم هو تلقّي فرعون وملئه لآيات الله: فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين. فالمراد أنّهم تكبروا عن تلقّى دَعْوة موسى؛ لأنّهم احتقروه، وأحالوا أن يكون رسولاً من الله وهو من قوم مُسْتَعْبَدِين؛ استعبدهم فرعونُ وقومُه.

وهذا وجه اختيار التعبير عن إعراضهم عن دعوته بالاستكبار، كما حكى عنهم. . . فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون؟!: فقد كان الفراعنةُ طغاةً جبابرةً، فكانوا يعتبرون أنفسهم آلهة للقبط، وكانوا قد وضعوا شرائع لا تخلو عن جور، وكانوا يستعبدون الغرباء، وقد استعبدوا بني إسرائيل وأذلوهم قروناً، فإذا سألوا حقهم استأصلوهم ومثلوا بهم وقتلوهم. وكان القبط يعتقدون أوهاماً ضالة وخرافات؛ فلذلك قال الله فيهم: وكانوا قوما مجرمين. . . **﴿فلما جاءهم الحق من عندنا﴾**: بهذا التحديد من عندنا؛ ليصور شناعة الجريمة فيما قالوه عن هذا الحق الصادر من عند الله. . . **﴿قالوا إنّ هذا لسحر مبين﴾**: بهذا التوكيد المتبجح الذي لا يستند مع هذا إلى دليل، وهي كلمة تعارف عليها المكذبون فى جميع العصور!. فهكذا قال مشركوا قريش على تباعد الزمان والمكان، وعلى بعد ما بين معجزات موسى ومعجزات القرآن. . . **﴿قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا؟. ولا يفلح الساحرون﴾**!: في السؤال الأول استنكار لوصف الحق بالسحر، وفي السؤال الثانى تعجيب من أن يقول أحد عن هذا إنّه سحر؛ فالسحر لا يستهدف هداية الناس، ولا يتضمن عقيدة، وليس له فِكْرَةٌ معينة عن المعبود

الحق، وعلاقة الخلق بالخالق، فما يختلط السحر بهذا ولا يلتبس، وما كان الساحرون ليؤدوا عملاً يستهدف مثلَ هذه الأغراض، ويحقق مثل هذا الاتّجاه، وما كانوا ليفلحوا وكل عملهم تخييل وتزييف.

وهنا يكشف الملأعن حقيقة الدوافع التي تصدهم عن التسليم بآيات الله... **﴿قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرض وما نحن لكما بمؤمنين﴾**: وإذنْ فهو الخوف من تحطيم معتقداتهم الموروثة، التي يقوم عليها نظامهم السياسي والاقتصادي، فهو الخوف على السلطان في الأرض. وهذا السلطان الذي يسْتَمِدُّونه من خرافات عقائدهم الموروثة، إنّها العلة القديمة الجديدة، التي تدفع بالطغاة إلى مقارعة الدعوات وانتحال شتى المعاذير، ورمي الدعاة بأشنع التُّهَم، والفجور في مقوامة الدعوات والدعاة. إنّها هي الكبرياء في الأرض، وما تقوم عليه من معتقدات باطلة يحرص المتجبّرون على بقائها متحجّرة في قلوب الجماهير بكل ما فيها من زيف، وبكل ما فيها من فساد، وبكل ما فيها من أوهام وخرافات؛ لأنّ تفتح القلوب للعقيدة الصحيحة، واستنارة العقول بالنور الجديد خَطرٌ على القيم الموروثة، وخطر على مكانة الطغاة ورهبتهم في قلوب الجماهير، وخطر على القواعد التي تقوم عليها هذه الرهبة وتستند.

إنّها الخوف على السلطان القائم على الأوهام والأصنام. وما كان رجال من أذكياء قريش مثلاً ليخطئوا إدراك ما في رسالة محمد من صدق وسُمَوٍّ، وما في عقيدة الشرك من تهافت وفساد، ولكنهم كانوا يخشون على مكانتهم الموروثة، القائمة على ما في العقيدة من خرافات وتقاليد، كما خشي الملأ من قوم فرعون على سلطانهم في الأرض، فقالوا - متبجّحين -: وما نحن لكما بمؤمنين. وتعلق فرعون وملؤه بحكاية السحر، وأرادوا - في أغلب الظن - أن يفرقوا الجماهير بها بأن يعقدوا حلقة للسحرة يتحدُّون بها موسى وما معه من آيات تشبه السحر في ظاهرها؛ ليخرجوا منها في النهاية بأنّ موسى ليس إلا ساحراً ماهراً، وبذلك ينتهي الخطر الذي يخشونه على معتقداتهم الموروثة، وعلى سلطانهم في الأرض وهو الأساس... **﴿وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم. فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون﴾**.

﴿فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر إنّ الله سيبطله إنّ الله لا يصلح

عمل المفسدين. ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون﴾: ويلاحظ هنا اختصار في موقف المباراة؛ لأنّ نهايته هي المقصودة. وفي قول موسى: ما جئتم به السحر، رد على تهمة السحر التي وجهت إليه، فالسحر هو هذا الذي يصنعه هؤلاء؛ لأنّه ليس أكثر من تخييل وسحر للأنظار لا هدف له إلاّ اللعب بالعقول؛ لا تصحبه دعوة، ولا تقوم عليه فكرة، فهذا هو السحر، لا آيات الله التي جاءهم بها حقاً من عند الله. وفي قوله: إنّ الله سيبطله تتجلى ثقة المؤمن الواثق بربه، المطمئن إلى أنّ ربّه لا يرضى أن ينجح السحر، وهو عمل غير صالح. إنّ الله لا يصلح عمل المفسدين: الذين يضللون الناس بالسحر. ويحق الله الحق بكلماته: كلماته التنزيلية، وكلماته التكوينية. ولو كره المجرمون: فإنّ كراهيتهم لا تعطل مشيئة الله، ولا تقف دون آياته. وقد كان، وبطل السحر وعلا الحق، ولكن السياق يختصر المشاهد هنا؛ لأنّها ليست مقصودة في هذا المجال. ويُسدل الستار هنا ليرفع على موسى ومن آمن معه وهم قليل، وهذا إحدى عبر القصة المقصودة. . .

﴿فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم﴾: يفيد هذا النص أنّ الذين أظهروا إيمانهم وانضمامهم لموسى من بني إسرائيل كانوا هم الفتيان الصغار، لا مجموعة الشعب الإسرائيلي، وأنّ هؤلاء الفتيان كان يخشى من فتنتهم وردهم عن اتباع موسى؛ خوفاً من فرعون وتأثير كبار قومهم ذوي المصالح عند أصحاب السلطان، والأذلاّء الذين يلوذون بكل صاحب السلطة وبخاصة من إسرائيل!. فقد كان فرعون ذا سلطة ضخمة وجبروت، كما كان مسرفاً في الطغيان؛ لا يقف عند حد، ولا يتحرّج من إجْراءٍ قاسٍ. وهنا لابُدّ من إيمان يرجح المخاوف، ويُطَمْئِن القلوب، ويثبّتُها على الحق الذي تنحاز إليه. . . **﴿وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين﴾**: فالتوكل على الله حين لا يكون في طوق المرء مزيد، دلالة الإيمان ومقتضاه، وعنصر القوة الذي يضاف إلى رصيد القلة الضعيفة أمام الجبروت الطاغي، فإذا هي أقوى وأثبتُ. وقد ذكر لهم موسى الإيمان والإسلام، وجعل التوكل على الله مقتضى هذا وذاك؛ مقتضى الاعتقاد في الله، ومقتضى إسلام النفس له خالصة، والعمل بما يُريدُ. . .

﴿فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين. ونجنا برحمتك

من القوم الكافرين﴾: فاستجاب المؤمنون لهتاف الإيمان على لسان نبيئهم، وأعقبوه بالدعاء ألا يجعلهم الله فتنة للقوم الظالمين، ونجنا برحمتك من القوم الكافرين؛ فالمؤمنون يدعون الله أن يعصمهم من تسلط الظالمين عليهم، ولو لاستدراج الظالمين، ودعاؤهم الله ألا يجعلهم فتنة للقوم الظالمين، وأن ينجيهم برحمته من القوم الكافرين ليس دليل ضعف، ولا هو ينافي الاتكال على الله والتقوّي به؛ بل هو أدل على التوجه بالاتكال والاعتماد على الله، والمؤمن لا يتمنى البلاء، ولكن يثبت عند اللقاء. وعقب هذا التميز، وفي فترة الانتظار بعد الجولة الأولى، وإيمان من آمن بموسى، أوحى الله إليه وإلى هارون أخيه، أن يتخذا لبني إسرائيل بيوتاً خاصة بهم؛ وذلك لفرزهم وتنظيمهم استعداداً للرحيل من مصر في الوقت المختار، وكلفهم بتطهير بيوتهم وتزكية نفوسهم، وتلك هي التعبئة الروحية إلى جوار التعبئة النظامية، وهما مَعاً ضروريتان للأفراد والجماعات. . . **﴿وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتاً واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين﴾**: بعد الإعداد والاستعداد؛ وللبشرى هنا قيمتها في لقاء التجربة على ثقة من نصر الله بعد التعبئة التي أراد.

واتجه موسى إلى ربه - وقد يئس من فرعون وملئه أن يكون فيه خير وأن يرجى لهم صلاح - اتجه إليه يدعو على فرعون وملئه الذين يملكون المال والزينة، تضعف إزاءهما قلوب الكثيرين، فتنتهي إلى التهاوي أمام الجاه والمال؛ اتجه موسى إلى ربه يدعوه أن يدمر هذه الأموال، وأن يشد على قلوبهم أهلها فلا يؤمنوا إلا حيث لا ينفعهم إيمان؛ فاستجاب الله الدعاء. . . **﴿وقال موسى ربنا إنّك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم. قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون﴾**: فظهور الزينة والأموال على المفسدين سبب واضح في ضلال الناس عن سبيل الله، فمرة بالاعتزاز بها واعتبارهم أقوى الناس وأنجحهم في هذه الحياة، ومرة أخرى بالافتخار بها وأنّ لهم قوة تجعلهم فوق أن يهديهم هادٍ ليبين لهم طريق النجاة!. ووجود النعمة في أيدي المفسدين لاشك يزعزع كثيراً من القلوب التي لا يبلغ من يقينها بالله أن تدرك أنّ هذه النعمة ابتلاء واختبار، وأنّها كذلك ليست شيئاً ذا قيمة إلى جانب فضل الله في الدنيا والآخرة.

وموسى يتحدث هنا عن الواقع المشهود في عامة الناس، ويطلب لوقف هذا الضلال، ولتجريد القوة الباغية الضالة من وسائل البغي والعدوان، بأن يطمس الله على هذه الأموال بتدميرها والذهاب بها في دهاليز الخرائب، بحيث لا ينتفع بها أصحابها، أما دعاؤه بأن يشد الله على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم، فهو دعاء من يئس من صلاح هذه القلوب، ومن أن يكون لها توبة أو إنابة؛ دعاء بأن يزيدها الله قسوةً واستغلاقاً حتى يأتيهم العذاب، وعندئذ لن يقبل منهم الإيمان؛ لأنّ الإيمان عند حلول العذاب لا قيمة له، ولا يدلّ على توبة حقيقية باختيار الإنسان. قال: قد أجيبت دعوتكما: كتبت لها الإجابة وقضي الأمر. فاستقيما: تثبتا في طريقكما واستمرا على هداكما حتى يأتي الأجل.

ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون: زيادة تنبيه على توخي السلامة من العدول عن طريق الحق... **﴿وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدوا حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنّه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا المسلمين﴾**: إنّه الموقف الحاسم والمشهد الأخير في قصة التحدي والتكذيب، والسياق يعرضه مختصراً مجملاً؛ فمن مشهد مجاوزة البحر ببني إسرائيل إلى سرعة فرعون وجنوده يتقصي آثارهم بغياً وعدواً، ومن مشهد البغي والعدو مباشرة إلى مشهد الغرق في ومضة؛ إذ به يصرخ معلناً إيمانَه بالذي آمنت به بنو إسرائيل!. وأنّه من المسلمين، فقد سقط عن فرعون الباغي العادى القوي الطاغي، لقد سقطت عنه كل أرديته التي تنفخ فيه فتظهره لقومه ولنفسه قوة هائلة مخيفة؛ فالآن لقد تضاءل وتصاغر واستخذى!. فهو لا يكتفي بأن يعلن إيمانه بأن لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل، فيزيد من استسلام وأنا من المسلمين. المسلمين... **﴿آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين﴾**!: آلآن حيث لا اختيار ولا قرار؟!. آلآن وقد سبق العصيان والاستكبار؟!.. **﴿فاليوم ننجيك ببدنك﴾**: فلا تأكله الأسماك. ولا يذهبُ مُنَكَّراً مع التيار لا يُعرف للناس، ذلك ليدرك مَن وراءك من الجماهير كيف كان مصيرك... **﴿لتكون لمن خلفك آية﴾**!: آية يتعظون بها ويعتبرون؛ ويرون عاقبة التصدي لقوة الله ووعيده بالتكذيب... **﴿وإنّ كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون﴾**: لا يوجهون إليها مداركهم ولا يتدبرونها في الآفاق وفي أنفسهم، وفيه ذم للغفلة وعدم التفكير في أسباب الحوادث وعواقبها.

التوجيه الرابع: ﴿ولقد بوأنا بني إسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم إنّ ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾: في هذا التوجيه تعقيب لما حصل لبني إسرائيل بعد خروجهم من مصر وإغراق عدوهم فرعون. والسياق هنا لا يذكر إلاّ اختلافهم بعد وفاق؛ اختلافهم في دينهم ودنياهم، لا على جهل ولكن بعد ما جاءهم العلم، وبسبب هذا العلم واستخدامه في التأويلات الباطلة. ولما كان المقام هنا مقام نصرة الإيمان وخذلان الطغيان، فإنّ السياق لا يطيل في عرض ما حصل بعد ذلك من بني إسرائيل، ولا يفصل اختلافهم بعد ما جاءهم العلم؛ ولكن يطوي هذا الصفحة ويكلها بما فيها الله في يوم القيامة. ثم بعد التعقيب على هذه الخاتمة لقصة موسى وقصة نوح من قبلها يبدأ الخطاب إلى الرسول ﷺ تثبيتاً بما حدث للرسل قبله، وبياناً لعلة تكذيب قومه له: أن ليس ما ينقصهم هو الآيات والبينات؛ إنّما هي سنة الله في المكذبين من قبلهم، وسنة الله في خلق الإنسان باستعداداته للخير والشر والهدى والضلال. . .

﴿فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك. لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين. إنّ الذين حقت عليهم كلمات ربك لايؤمنون. ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم﴾: هذه الآيات الأربع فذلكة هذا السياق الذي كان ذكر قصص الأنبياء شواهد فيه، وهي تقرير صدق القرآن في دعوته ووعده ووعيده، وكونه لا مجال للامتراء فيه، وبيان الداعية النفسية للمكذبين بآياته، وتوجيه الاعتبار إلى أهل مكة مقروناً بالإنذار بأسلوب التعريض والتلطف في العبارة، وهذا التعريض يترك الفرصة لمن يريد منهم أن يرجع ليرجع، وهو في الوقت نفسه أمكن من توجيه الخطاب إليهم؛ فإذا كان ما جاء إلى الرسول هو الحق الذي لا مرية فيه. فما تعليل إصرار قوم على التكذيب ولجاجهم فيه؟. تعليله أنّ كلمة الله وسننه قد اقتضت أنّ من لا يأخذ بأسباب الهدى لا يهتدى، ومن لا يفتح بصيرته على النور لا يراه، ومن يعطل مداركه لا ينتفع بوظيفتها، فتكون نهايته إلى الضلال، مهما تكن الآيات والبينات!. فهم لا تجدى فيهم الحجة؛ لأنّهم أهل مكابرة، وليسوا طالبين للحق؛ لأنّ طبيعتهم غير قابلة لحقائق الإيمان؛ فالذين لم يؤمنوا بما يجيء به من الآيات هم ممن علم الله أنّهم لا يؤمنون.

ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم: فلا ينفعهم الإيمان حينئذ؛ لأنّه لم يجيء عن اختيار، ولم تعد هنالك فرصة لتحقيق مدلوله في الحياة، فقد تحققت فيهم كلمات ربك كما تحققت فيمن كان قبلهم. وعند هذا الموقف الذي تظهر فيه حتمية سنن الله العامة، وانتهاؤها إلى نهايتها المرسومة متى تعرض الإنسان لها باختياره، تفتح نافذة مضيئة بآخر شعاع من أشعة الأمل والنجاة، ذلك أن يعود المكذبون عن تكذيبهم قبيل وقوع العذاب... ﴿**فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين**﴾: هذا تفريع على ما سبق من بيان سنة الله في الأمم مع رسلهم، وهو تخصيص ينسحب على الماضي، فيفيد أنّ مدلوله لم يقع. فلولا كانت قرية آمنت من هذا القرى التي مر ذكرها، لكن القرى لم تؤمن، إنّما آمنت منها قلة، فكانت الصفة الغالبة هي صفة عدم الإيمان، ذلك فيما عدا قرية واحدة، وهي قرية قوم يونس. ولا يفصل السياق هنا؛ إنّما القصد منها؛ الإهابة بالمكذبين من أهل مكة أن يتعلقوا بخيوط النجاة الأخيرة، فلعلهم ينجون كما نجا قوم يونس. ومن ثَمَّ ترد القاعدة الكلية لعلة الكفر والإيمان... ﴿**ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا**﴾: لو شاء الله لخلق هذا الجنس البشري خلقة أخرى، فجعله لا يعرف إلا طريقاً واحداً، هو طريق الإيمان كالملائكة مثلا، أو لجعل له استعداداً واحداً يقود جميع أفراده إلى الإيمان، ولكن حكمة الخالق التي قد ندرك بعض مراميها، وقد لا ندرك، دون أن ينفي عدمُ إدراكنا لها وجودها.

هذه الحكمة اقتضت خلقة هذا الكائن البشري باستعداد للخير والشر وللهدى والضلال، ومنحته القدرة على اختيار هذا الطريق أو ذاك، وقدّرت أنّه إذا أحسن استخدام مواهبه اللدنية من حواس ومشاعر ومدارك، ووجهها إلى إدراك دلائل الهدى في الكون والنفس وما يجيء به الرسل من آيات وبينات فإنّه يؤمن ويهتدي بهذا الإيمان إلى طريق الخلاص، وعلى العكس حين يعطل مواهبه ويغلق مداركه ويسترها عن دلائل الإيمان يقسو قلبه ويغلق وينتهي بذلك إلى التكذيب أو الجحود إلى ما قدره الله للمكذبين الجاحدين من جزاء؛ فإيمان إذنْ متروك للاختيار. لا يكره عليه أحد؛ لأنّه لا مجال للإكراه في مشاعر القلب وتوجيهات الضمير... ﴿**أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين**﴾؟: وهو سؤال للإنكار فإنّ هذا الإكراه لا يكون... ﴿**وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله**﴾: فهو وفق إذنه العام الأول،

وسننه الماضية؛ فلا تصل إلى الإيمان وقد سارت في الطريق الآخر الذي لا يؤدى إليه؛ فالذين عطلوا عقولهم عن التدبر ينالهم الرجس بسبب تعطيلهم لمداركهم عن التعقل والتدبر.. ﴿**ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون**﴾: ويزيد الأمر إيضاحاً بأنّ الآيات والنذر لا تغني عن الذين لا يؤمنون؛ لأنّهم لا يتدبرونها، وهي معروضة أمامهم في السماوات والأرض...

﴿**قل انظروا ماذا في السماوات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون**﴾: فماذا ينتظرون إذن؟. إنّ سنة الله لا تتخلف، وعاقبة المكذبين معروفة وليس لهم أن يتوقعوا سواها، وقد ينظرهم الله فلا يأخذهم أخذ استئصال، ولكن الذين يصرون على التكذيب لابد لهم من النكال... ﴿**فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم؟. قل فانتظروا إنّي معكم من المنتظرين**﴾: ويختم هذا المقطع من السياق بالنتيجة الأخيرة لكل رسالة ولكل تكذيب، وبالعبرة الأخيرة من ذلك القصص وذلك التعقيب... ﴿**ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك حقاً علينا ننجّي المؤمنين**﴾: فهي الكلمة التي كتبها الله على نفسه؛ أن تبقي البذرة المؤمنة، وتنجو بعد كل إيذاء وبعد كل تكذيب، هكذا كان - والقصص المروي في السورة شاهد - وهكذا يكون؛ فليطمئن المؤمنون.

5 ـ توجيه الناس بالنداء العام إلى بيان حقيقة دعوة الإسلام

النص

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (104) وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (105) وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ (106) وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ۚ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (107) قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ (108) وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (109)﴾

البيان

مبحث المفردات اللغوية

﴿**قل ياأيها الناس**﴾: المراد بالناس في هذا النداء أمة الدعوة الذين لمّا يستجيبوا للدعوة. . . ﴿**إن كنتم في شك من ديني**﴾: الشك في الدين هو الشك

في كونه حقاً، وكونه من عند الله... **﴿فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله﴾**: نفي لعبادة غير الله من ملَك أو بشَر أو كوكب أو شجر أو حجر؛ مما اتخذتم من الأصنام والأوثان... **﴿ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم﴾**: الله الذي يحيي ويميت، ويقبض النفس عند انتهاء أجلها؛ الله يتوفى الأنفس حين موتها... **﴿وأمرت أن أكون من المؤمنين﴾**: المتصفين بصفة الإسلام، دين الله الذي لا يقبل سواه، المفسر بقوله... **﴿وأن أقم وجهك للدين حنيفاً﴾**: والإقامة: جعل الشيء قائما. والحنيف: دين التوحيد المحض الذي مال عن كل التوجهات إلى التوجه إلى الله وحده... **﴿ولا تكونن من المشركين﴾**: نهي مؤكد لمعنى الأمر الذي قبله تصريحاً بمعنى (حنيفا)... **﴿ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك﴾**: لا تدع غير الله تعالى دعاء عبادة بالتقرب إليه وهو لا ينفعك إن عبدته ولا يضرك إن كفرت به... **﴿فإن فعلت فإنّك إذنْ من الظالمين﴾**: هذا الكلام جاء على وجه الفرض على حد قوله: لئن أشركت ليحبطن عملك، والمقصود من هذا الفرض تنبيه الناس على فظاعة هذا الفعل... **﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله﴾**: المس هنا: الإصابة، وأصله وضع اليد على جسم لاختبار ملمسه. والضر: كل ما فيه ألم أو كدر أو ضيق للنفس حسّاً ومعنًى. والكاشف: الذي يزيل الغطاء عن الشيء، وهو هنا إزالة الضر.

والإرادة بالخير: تقديره والقصد إليه. والفضل: الخير، وهو النفع المقابل للضر. والرادّ: المانع المتعرض لمنع الفضل... **﴿يصيب به من يشاء من عباده﴾**: الإصابة: اتصال شيء بآخر وروده عليه... **﴿وهو الغفور الرحيم﴾**: سبقت رحمتُه غضبَه، ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة، وهذا ترغيب وترهيب... **﴿ياأيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم﴾**: الحق هو الدين الذي جاء به القرآن... **﴿فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنّما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل﴾**: من اهتدى بهذا الكتاب الذي جاء بالحق من عند الله فإنما يهتدى لنفسه في الدنيا والآخرة، ومن ضل عن هذا الكتاب فضلالهُ على نفسه، بما يفوته من فوائد الاهتداء في الدنيا، وما يصيبه من العذاب على كفره وجرائمه في الآخرة، وما أنا بموكل من عند الله بأموركم ولا مسيطر عليكم فأكرهكم على الإيمان... **﴿واتبع ما يوحى إليك﴾**: في هذا القرآن عِلْماً وعمَلاً وتعلِيماً... **﴿واصبر﴾**: كما صبر أولوا العزم من الرسل... **﴿حتى يحكم الله﴾**:

حتى يقضي الله بينك وبين من يعارض دعوتك. . . ﴿**وهو خير الحاكمين**﴾: خير الحاكمين بين كل خصمين في هذه القضيّة وفي غيرها؛ فخيرٌ أصله أخير، فحذفت الهمزة لكثرة الاستعمال.

مبحث الإعراب

﴿**قل ياأيها الناس**﴾ تقدم إعراب مثلها. ﴿**إن**﴾ حرف شرط جازم. ﴿**كنتم**﴾ كان واسمها. ﴿**في شك**﴾ متعلق بمحذوف خبر كان. ﴿**من ديني**﴾ متعلق بمحذوف نعت لشك، وجملة كان واسمها في محل جزم فعل الشرط. ﴿**فلا أعبد**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف النفي وفاء الجزاء. ﴿**الذين**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**تعبدون**﴾ فعل وفاعل، والجملة صلة الذين. ﴿**من دون**﴾ متعلق بتعبدون. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى دون، والجملة واقعة موقع جواب الشرط. ﴿**ولكن أعبد الله**﴾ معطوف على فلا أعبد على وجه الاستدراك. ﴿**الذي**﴾ في محل نصب نعت لله. ﴿**يتوفاكم**﴾ صلة الموصول. ﴿**وأمرت**﴾ فعل ماضٍ مبني للمجهول، وضمير المتكلم نائب الفاعل. ﴿**أنْ**﴾ حرف مصدر ونصب. ﴿**أكون**﴾ منصوب بأن، واسم أكون ضمير المتكلم. ﴿**من المؤمنين**﴾ متعلق بمحذوف خبر أكون، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بالباء المقدرة متعلق بأمرت، وجملة أمرت عطف على جملة فلا أعبد الواقع موقع جواب الشرط. ﴿**وأن أقم**﴾ فعل أمر دخل عليه حرف المصدر وحرف العطف. ﴿**وجهك**﴾ مفعول به منصوب بالفتحة، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**للدِّين**﴾ متعلق بأقم. ﴿**حنيفاً**﴾ حال من الدِّين. ﴿**ولا تكونن**﴾ كان واسمها دخل عليها حرف النفي وحرف العطف، واتصلت بها نون التوكيد فبني مضارعها على الفتح.

﴿**من المشركين**﴾ متعلق بمحذوف خبر تكوننّ. ﴿**ولا تدع**﴾ جُزم الفعل بلا الناهية، وهو معطوف على قوله: قل ياأيها الناس. ﴿**من دون**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى دون. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**لا ينفعك**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف النفي، والفاعل هو يعود على ما، والضمير المتصل بالفعل مفعول، والجملة صلة ما. ﴿**ولا يضرك**﴾ معطوف عليه مثله في الإعراب. ﴿**فإن فعلت**﴾ جملة شرطية دخل عليها حرف التفريع. ﴿**فإنّك**﴾ إنّ واسمها، والفاء رابطة لجواب الشرط. ﴿**إذن**﴾ ظرفية جوابية متعلقة بما تعلق به. ﴿**من**

الظالمين﴾ خبر إنّ. **﴿وإن يمسسك﴾** جملة شرطية دخل عليها واو العطف. **﴿الله﴾** فاعل **﴿بضر﴾** متعلق بيمسسك. **﴿فلا كاشف﴾** لا واسمها دخل عليها حرف الربط. **﴿له﴾** متعلق بمحذوف خبر لا، والجملة جواب الشرط. **﴿إلا هو﴾** مبني على الفتح في محل رفع بدل من فاعل كاشف، والتقدير: فلا كاشف أحد له إلا هو. **﴿وإن يردك بخير فلا راد لفضله﴾** عطف على الشرط وجوابه، وهو مثله في الإعراب. **﴿يصيب﴾** فعل مضارع مرفوع بالضمة، والفاعل ضمير يعود على الله.

﴿به﴾ متعلق بيصيب. **﴿مَنْ﴾** في محل نصب مفعول. **﴿يشاءُ﴾** فعل مضارع، والفاعل ضمير يعود على الله. **﴿من عباده﴾** متعلق بيصيب. **﴿وهو﴾** مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. **﴿الغفور الرحيم﴾** خَبَرَانِ لَهُ، والواو للعطف، والجملة تذييل. **﴿قل ياأيها الناس﴾** تقدم إعراب مثلها. **﴿قد جاءكم﴾** فعل ماضٍ دخل عليه حرف التحقيق، والضمير المتصل به مفعول. **﴿الحقُّ﴾** فاعل جاء. **﴿من ربّكم﴾** متعلق بجاء. **﴿فمن اهتدى﴾** جملة شرطية دخل عليها حرف التفريع. **﴿فإنّما يهتدي﴾** جواب الشرط. **﴿لنفسه﴾** متعلق بيهتدي. **﴿ومن ضل فإنّما يضل عليها﴾** معطوف على الشرط والجواب قبله. **﴿وما أنا﴾** ما واسمها دخل عليها حرف العطف. **﴿عليكم﴾** متعلق بالخبر بعده. **﴿بوكيل﴾** خبر ما جُرّ لفظاً ونصب محلاً. **﴿واتبع﴾** معطوف على قل. **﴿ما﴾** في محل نصب مفعول. **﴿يوحى﴾** فعل مضارع مبني للمجهول. **﴿إليك﴾** متعلق بيوحى، وجملة يوحى إليك صلة ما. **﴿واصبر﴾** معطوف على واتبع. **﴿حتى يحكم الله﴾** فعل وفاعل دخل عليه حرف الغاية، والفعل منصوب بأن مضمرة بعد حتى، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بحتى متعلق باصبر. **﴿وهو خير﴾** مبتدأ وخبر. **﴿الحاكمين﴾** مضاف إلى خير، والجملة تذييلية لا محل لها من الإعراب.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿قل ياأيها الناس إن كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله﴾: هذه الآيات الأربع، والآيتان اللتان بعدها ختم للسورة بالنداء العام في الدعوة إلى عقيدة الإسلام، وجاء النداء عاماً لجميع الناس تعميماً للتبليغ، وإظهاراً لكمال العناية بشأن ما بلغ إليهم. والتعبير في قوله: إن كنتم في شك يدل على

الشك في شكهم؛ لأنّه نزل منزلة ما لا ينبغي أن يشكّوا فيه لشدة ظهوره. وفي قوله: في شك للظرفية المجازية المستعملة في التمكن. ومن في قوله: من ديني للابتداء المجازي. وجملة فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله واقعة موقع جواب الشرط ودالة عليه في المعنى؛ فتقدير الجواب: فأنا على يقين من فساد دينكم فلا أتبعه. وعوملت الأصنام معاملة العقلاء فأطلق عليها اسم الموصول الذي لجماعة العقلاء مجاراة لما يعتقدونه. . .

﴿ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم﴾: الجمع بين نفي أن يعبد الأصنام وبين إثبات أنّه يعبد الله يقوم مقام صيغة القصر. وفي تخصيص التوفي بالذكر متعلقاً بهم ما لا يخفى من التهديد. . . **﴿وأمرت أن أكون من المؤمنين﴾**: وصل بما قبله بصيغة الخبر، وعطف عليه. . . **﴿وأن أقم وجهك للدين حنيفاً﴾**: بصيغة الطلب. . . **﴿ولا تكونن من المشركين﴾**: عطف على أقم داخل تحت الأمر. . . **﴿ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك﴾**: معطوف على قوله: قل: ياأيها الناس، وهو توكيد للنهي المذكور، وتفصيل لما أجمل فيه إظهاراً لكمال العناية بالأمر، وكشفاً عن وجه بطلان ما عليه المشركون. وتقديم النفع على الضرر غني عن بيان السبب. . . **﴿فإن فعلت فإنّك إذن من الظالمين﴾**: تفريع على ما تقدم؛ للإشارة إلى أنّه لا معذرة لمن يأتي ما نُهي عنه بعد أن أُكد نهيه وبُيّنت علتُه؛ فمن فعله فقد ظلم نفسه واعتدى على حق ربه. وأكد الكون من الظالمين على ذلك التقدير بإنّ لزيادة التحذير، وأتى بإذنْ للإشارة إلى سؤال مقدر؛ كأن سائلا سأل: فإن فعلت فماذا يكون؟.

والمقصود من هذا الفرض تنبيه الناس على فظاعة عظم هذا الفعل حتى لو فعله أشرف المخلوقين لكان من الظالمين. . . **﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو﴾**: عطف على جملة ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك؛ لقصد التعريض بإبطال عقيدة المشركين أن الأصنام شفعاء عند الله. . . **﴿وإن يردك بخير فلا راد لفضله﴾**: تحقيق لسلب الضرر الوارد قبله. وإطلاق الإرادة هنا كناية عن الإصابة. وتنكير ضر وخير للنوعية الصالحة للقلة والكثرة. وجملة. . . **﴿يصيب به من يشاء من عباده﴾**: واقعة موقع البيان لما قبلها والحوصلة له؛ لذلك فصلت عنها. والتذييل بجملة. . . **﴿وهو الغفور الرحيم﴾**: يشير إلى أن إعطاء الخير فضل من الله ورحمة وتجاوز منه تعالى عن سيآت عباده الصالحين، ويشير أيضاً

إلى أنّ الله قد تجاوز عن كثير من سيآت عباده المسرفين، وأنّه لولا تجاوزه عن كثير لمسهم الله بضر شديد في الدنيا والآخرة. . .

﴿قل ياأيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم﴾: استئناف ابتدائي، هو تذييل لما مضى في السورة كلها، وحوصلة لما جرى من الاستدلال والمجادلة والتخويف والترغيب؛ ولذلك جاء ما في هذه الجملة كلاماً جامعاً وموادعة قاطعة. وافتتاحها بقل للتنبيه على أنّه تبليغ عن الله تعالى فهو جدير بالتلقي. وافتتاح المقول بالنداء لاستيعاء سماعهم لأهمية ما سيقال لهم. والخطاب لجميع الناس من مؤمن وكافر، والمقصودُ منه ابتداءً المشركون؛ ولذلك أطيل الكلام في شأنهم. وقد ذكر معهم من اهتدى تشريفاً لهم. وأُكد الخبر بحرف قد تسجيلاً عليهم بأنّ ما فيه الحق قد أُبلغ إليهم، وتحقيقاً لكونه حقاً. والحق هو الدين الذي جاء به القرآن، ووصفه بمن ربكم للتنويه بأنّه حق مبين لا يخلطه باطل ولا ريب، فهو معصوم من ذلك. واختيار وصف الرب المضاف إلى ضمير الناس على اسم الجلالة للتنبيه على أنّه إرشاد من الذي يُحِبُّ صلاحَ عبادِه، ويدعوهم إلى ما فيه نفعهم. وتفريع جملة **﴿فمن اهتدى فإنّما يهتدي لنفسه﴾** على جملة قد جاءكم للإشارة إلى أنّ مجيء الحق الواضح يترتب عليه أنّ اتباعه غنم لمتبعه وليس مزية له على الله؛ ليتوصل من ذلك إلى أن المعرض عنه قد ظلم نفسه ورتب عليها تبعة الإعراض. . .

﴿ومن ضل فإنّما يضل عليها﴾: فاللاّم في قوله: فلنفسه دالة على أنّ الاهتداء نعمة وغنًى، وأنّ الإعراض ضر على صاحبه. ووجه الإتيان بطريقتي الحصر للرد على المشركين. وجملة. . . **﴿وما أنا عليكم بوكيل﴾**: معطوفة على جملة فمن اهتدى، فهي داخلة في حيز التفريع. والإتيان بالجملة الاسمية المنفية للدلالة على دوام انتفاء ذلك الحكم وثباته في سائر الأحوال. . . **﴿واتبع ما يوحى إليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين﴾**: عطف على قل. واصبر عطف على اتبع، وحتى غاية لهذا الصبر. ولما كان الحكم يقتضي فريقين حذف متعلقه تعويلاً على قرينة السياق، أي: حتى يحكم الله بينك وبينهم. وجملة وهو خير الحاكمين ثناء وتذييل لما فيه من العموم؛ فالتعريف في الحاكمين للاستغراق بقرينة التذييل. والأخيرية من الحاكمين أخيرية وفاء الإنصاف في إعطاء الحقوق، وهي كناية عن

معاقبة الظالم؛ لأنّ الأمر بالصبر مشعر بأنّ المأمور به معتدى عليه، ففي الإخبار بأنّ الله خير الحاكمين إيماء بأنّ الله ناصر رسوله والمؤمنين على الذين كذبوا وعاندوا، وهذا كلام جامع فيه براعة المقطع. ويرتبط آخر السورة بأولها؛ فالله خير الحاكمين، والقرآن الذي أنزله حكيم. «تلك آيات الكتاب الحكيم»!. ففيه رد العجز على الصدر.

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

التوجيه الأول: ﴿قل ياأيها الناس إن كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين﴾:
في هذا التوجيه تكليف الرسول ﷺ بأن يوجه للناس هذا النداء العام الشامل يعلن فيه موقفه الحاسم الصارم، فهو ماضٍ في خطته، مستقيم على طريقته؛ فقل للناس جميعاً - وإن كان الذين يتلقون الخطاب إذ ذاك هم مشركوا قريش - إن كنتم في شك من أن ديني الذي أدعوكم إليه هو الحق، فإنّ شككم لا يحولني عن يقيني، ولا يجعلني أعبد آلهتكم التي تعبدونها من دون الله، ولكن أعبد الله الذي يملك آجالَكم وأعمارَكم. وإبراز هذه الصفة لله هنا له قيمته وله دلالته؛ فهو تذكير بقهر الله فوقهم، وانتهاء آجالهم إليه، فهو أمر يشهده كل واحد من الناس، فهو أولى بالعبادة من تلك الآلهة المزعومة التي لا تحيي ولا تميت، فهي ميتة لا تعي شيئاً ولا تدري ما يفعل بها، فأنا عبد مأمور من الله الحي القيّوم، فأنا عند الأمر لا أتعداه، فلا أعبد آلهة تَفْنَى ولا تدوم، وأنا مأمور كذلك بأن أقيم وجهي للدين القيم الذي لا عوج فيه، تاركاً كل ما عليه الناس من دين موهوم، فكلها شرك وضلال وأوهام استقرت في أذهان الناس على العموم؛ فلهذا جاء النهي صريحاً واضحاً والأمر كذلك كما هو معلوم...

﴿ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنّك إذن من الظالمين. وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم﴾: هذه خلاصة العقيدة كلها مما تضمنته السورة؛ يكلف الرسول ﷺ أن يعلنها للناس، ويوجه إليه الخطاب بها كأنّما على مشهد منهم، وهم هم المقصودون بها، إنّما هو أسلوب من التوجيه الموحي المؤثّر.

التوجيه الثاني: ﴿**قل ياأيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنّما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنّما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل**﴾: في هذا التوجيه الإعلان الأخير، والكلمة الفاصلة؛ ولكلٍّ أن يختار لنفسه، فهذا هو الحق قد جاءهم من ربهم، فليس الرسول ﷺ موكلاً بالناس يسوقهم إلى الهدى سوْقاً، أو يُصرّف لهم أمورهم في خاصة أنفسهم، إنّما هو مبلغ وهم موكولون إلى إرادتهم، وإلى اختيارهم وإلى تبعاتهم. هذا النداء خاتمة البلاغ للناس في هذه السورة التي بدئت بقوله: أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس، فهو بلاغ عام للناس عامة بمقتضى بعثة الرسول العامة، وهو إجمال لما فصل في هذه السورة وسائر السور المباركة، وكلها تدور حول هذا المبدإ الثابت الأصيل.
﴿**واتبع ما يوحى إليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين**﴾: وفي الختام يتوجه الخطاب إلى الرسول ﷺ باتباع ما أُمِرَ به من وحي ربه، وقد امتثل أمر ربه، وصبر حتى حكم الله بينه وبين قومه، وأنجز وعده له لمن اتبعه من المؤمنين؛ فاستخلفهم في الأرض وجعلهم الأئمة الوارثين مدة إقامتهم لهذا الدين. فجزاه الله عن أمته أفضل ما جزى نبيئاً عن قومه، وجعلنا من المهتدين بما جاء به من كتاب ربه وسنته المبينة له، علماً وعملاً وإرشاداً وتعليماً، وصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن اتبعه إلى يوم الدين، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

6 ـ تكملة الغرض المقصود بفاتحة سورة هود



النص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿1﴾ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿2﴾ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿3﴾ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿4﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿5﴾

البيان

مبحث المفردات اللغوية

﴿**أ ل ر**﴾: ثلاثة حروف من حروف الهجاء العربية، وتقدم مثلها في سورة يونس. . . ﴿**كتاب أحكمت آياته**﴾: الإحكام: إتقان الصنع، مشتق من الحكمة، وهي إتقان الأشياء بحيث تكون سالمة من الإخلال التي تعرض لنوعها. وآيات القرآن: الجمل المستقلة بمعانيها المختتمة بفواصل. . . ﴿**ثم فصلت من لدن**

حكيم خبير﴾: ثم حرف للتراخي في الرتبة كما هو شأنها في عطف الجمل. والتفصيل: التوضيح والبيان، وهو مشتق من الفصل بمعنى التفريق بين الشيء وغيره بما يميزه. الحكيم: المتقن. والخبير: العالم بالخفايا... **﴿ألا تعبدوا إلا الله﴾**: أن مفسرة لقوله: أحكمت آياته. ولا ناهية عن عبادة غير الله... **﴿إنّني لكم منه نذير وبشير﴾**: نذير بعواقب الشرك والبعد عن الله، وبشير بعواقب الإيمان الحق والتمسك بما جاء من عند الله... **﴿وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه﴾**: الاستغفار: طلب المغفرة، بمعنى طلب عدم المؤاخذة بذنب مضى. والتوبة: الإقلاع عن عَمَلِ ذَنْبٍ والعزم على أن لا يعود إليه... **﴿يمتعكم متاعاً حسناً إلى أجل مسمى﴾**: المتاع: اسم مصدر التمتع بما يُنْتَفَعُ به، ويطلق على منافع الدنيا. والحسن: تقييد لنوع المتاع. وإلى أجل مسمى: هو غاية التمتيع، والمقصود بالأجل أجل كل واحد، وهو نهاية حياته...

﴿ويؤت كل ذى فضل فضله﴾: الإيتاء: الإعطاء. والفضل: إعطاء الخير، والفضل الأول: العمل الصالح، والفضل الثاني: ثواب الآخرة... **﴿وإن تولوا فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير﴾**: تولوا أصله تتولوا حذفت إحدى التاءين تخفيفاً، والتولي: الإعراض عن دعوة الرسول. والخوف: توقع المكروه. وعذاب يوم كبير: شدّة ما يقع فيه من الأهوال والمصائب... **﴿إلى الله مرجعكم وهو على كل شئ قدير﴾**: المرجع: مصدر ميمي بمعنى الرجوع، وهو رجوعهم إلى ربهم بالموت والبعث والحساب... **﴿ألا إنّهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه﴾**: الثني: الطيّ، وأصل اشتقاقه من اسم الاثنين، يُقال: ثَنَاهُ إذا جعله ثانياً؛ فالذي يثني الشيء يجعل أحد طاقيه ثانياً للذي قبله، فثني الصدر إمالتها وحنيها تشبيهاً بالطيّ، ومعنى ذلك الطأطأة. والاستخفاء: الإخفاء... **﴿ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون إنّه عليم بذات الصدور﴾**: الاستغشاء: التغشي بما يستر، والمراد هنا التغطي بالثياب. والإسرار: الإخفاء. والإعلان: الإظهار. وذات الصدور: ما في النفوس من خفايا الأفكار.

مبحث الإعراب

﴿الـر﴾. تقدم القول في مثلها. **﴿كتاب﴾** مبتدأ، فهو كتاب معين. **﴿أُحكمت﴾** فعل ماضٍ مبني للمجهول. **﴿آياتُه﴾** نائب الفاعل مرفوع بالضمة،

والضمير فيه مضاف إليه، وجملة أحكمت آياته خبر كتابٌ. ﴿**ثم فصلت**﴾ معطوف على أحكمت. ﴿**من لدن**﴾ تتعلق بالفعلين السابقين. ﴿**حكيم خبير**﴾ مضافان إلى الظرف. ﴿**أنْ**﴾ تفسيرية. ﴿**لا تعبدوا**﴾ لا الناهية جزمت الفعل. ﴿**إلا الله**﴾ بدل من المفعول المقدر، والتقدير: لا تعبدوا أحداً إلا الله. ﴿**إنّني**﴾ إنّ واسمها. ﴿**لكم منه**﴾ متعلقان بما بعدهما. ﴿**نذير**﴾ خبر إنّ. ﴿**وبشير**﴾ معطوف عليه. ﴿**وأن استغفروا**﴾ معطوف على ألاّ تعبدوا، فهي مفسرة مثلها. ﴿**ربّكم**﴾ مفعول به منصوب بالفتحة، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**ثم توبوا**﴾ معطوف على استغفروا. ﴿**إليه**﴾ متعلق بتوبوا. ﴿**يمتعكم**﴾ فعل مضارع مجزوم في جواب الأمر، والضمير المتصل به مفعول، والفاعل ضمير يعود على ربِّكم. ﴿**متاعاً**﴾ مفعول مطلق. ﴿**حسناً**﴾ نعت له. ﴿**إلى أجل**﴾ متعلق بيمتعكم. ﴿**مسمّى**﴾ نعت لأجل مجرور بكسرة مقدرة على الألف المحذوفة. ﴿**ويؤت**﴾ معطوف على يمتع مجزوم بحذف حرف العلة. ﴿**كلَّ**﴾ مفعول أول. ﴿**ذي**﴾ مضاف إلى كل مجرور بالياء. ﴿**فضل**﴾ مضاف إلى ذي مجرور بالكسرة.

﴿**فضلَه**﴾ مفعول ثانٍ منصوب بالفتحة، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**وإن تولوا**﴾ جملة شرطية معطوف على قوله: وأن استغفروا ربّكم. ﴿**فإنّي**﴾ إنّ واسمها دخل عليها فاء الجزاء. ﴿**أخاف**﴾ فعل مضارع، والفاعل ضمير المتكلم، والجملة في محل رفع خبر إنّ، وجملة فإنّي أخاف في محل جزم جواب الشرط. ﴿**عليكم**﴾ متعلق بأخاف. ﴿**عذاب**﴾ مفعول به. ﴿**يوم**﴾ مضاف إلى عذاب. ﴿**كبير**﴾ نعت ليوم. ﴿**إلى الله**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**مرجعُكم**﴾ مبتدأ مؤخر مرفوع بالضمة، والضمير فيه مضاف إليه، والجملة تعليلية لا محل لها من الإعراب. ﴿**وهو**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**على كل**﴾ متعلق بالخبر بعده. ﴿**شيء**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**قدير**﴾ خبر المبتدإ، والجملة معطوفة على الجملة قبلها، فهي تعليلية مثلها. ﴿**ألآ**﴾ أداة استفتاح. ﴿**إنّهم**﴾ إنّ واسمها. ﴿**يثنون صدورهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة في محل رفع خبر إنّ. ﴿**ليستخفوا**﴾ الفعل منصوب بأن مضمرة بعد اللام، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور باللام متعلق بيثنون. ﴿**منه**﴾ متعلق بقوله: ليستخفوا. ﴿**ألا**﴾ مثل سابقتها. ﴿**حين**﴾ منصوب على الظرفية متعلق بما يأتي من قوله: يعلم. ﴿**يستغشون ثيابهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة في محل جر مضافة إلى الظرف. ﴿**يعلم**﴾

فعل مضارع، والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**يسرون**﴾ فعل وفاعل، والجملة صلة ما. ﴿**وما يعلنون**﴾ معطوف على ما يسرون، وهو مثله في الإعراب. ﴿**إنّه عليم**﴾ الجملة من إنّ واسمها وخبرها تعليلية. ﴿**بذات**﴾ متعلق بعليم. ﴿**الصدور**﴾ مضاف إلى ذات مجرور بالكسرة.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**ألر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير**﴾: وجه ربط هذه السورة بما قبلها؛ سورة هود أشبه السور بسورة يونس قبلها في موضوعها وفي جوها، وهي مثلها مكية. والموضوع الرئيسى للسورة هو العقيدة: توحيد الله، والاعتقاد برسالة الرسول من عنده وتنزيل القرآن عليه، واليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب، وهو نفسه موضوع سورة يونس. وسياق السورة رحلة وجولات في آفاق الكون، وفي أطواء النفس، وفي مشاهد القيامة، ومع الغابرين فى التاريخ كسورة يونس، إلاّ أن القصص هنا يستغرق معظم السورة؛ فهذا القصص الذي يستغرق معظم سورة هود مرتبط كل الارتباط بما قبله وما بعده من السورة، متناسق مع السياق حتى في التعبير أحْياناً؛ فالقصة والمشهد والعظة والتعقيب تتناسق كلها تناسقاً عجيباً، وتكشف عن بعض وظيفة القصة في القرآن الكريم. بدأت السورة بثلاثة حروف من حروف الهجاء مثل السورة التي قبلها، للتحدي وإعجاز العرب؛ فهذا القرآن مؤلف من حروفهم التي يعبرون بها فى كلامهم، ومع ذلك فلم يستطيعوا أن يأتوا بقرآن مثل هذا القرآن، ولا بعشر سور منه، بل حتى سورة منه ولو كانت قصيرة مثل سورة الكوثر؛ فهذه الحروف تركب منها كتاب أحكمت آياته بحيث سلمت من مخالفة الواقع، ومن إخلال المعنى واللفظ. ثم فصلت من لدن حكيم خبير: فالحكيم مقابل لأحكمت، والخبير مقابل لفصلت. . .

﴿**أن لا تعبدوا إلاّ الله**﴾: أن تفسيرية لما في معنى أحكمت آياته ثم فصلت من الدلالة على أقوال محكمة ومفصلة، فكأنه قيل: أُوحِي اليك في هذا الكتاب أن لا تعبدوا إلا الله، فهذه الجملة تفسيرية لما أحكم من الآيات، لأن النهي عن عبادة غير الله وإيجاب عبادة الله هو أصل الدين. . . ﴿**إنّني لكم منه نذير وبشير**﴾: الجمع بين النذارة والبشارة لمقابلة ما تضمنته الجملة الأولى من طلب

ترك عبادة غير الله بطريق النهي، وطلب عبادة الله بطريق الاستثناء؛ فالنذارة ترجع إلى الجزء الأول، والبشارة ترجع إلى الجزء الثاني. . . **﴿وأن استغفروا ربّكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعاً حسناً إلى أجل مسمّى ويؤت كل ذي فضل فضله﴾**: وصلت الجملة بالعطف على قوله: ألا تعبدوا إلا الله، وهو تفسير ثانٍ يرجع إلى ما في الجملة الأولى من لفظ التفصيل، فهذا ابتداء التفصيل، لأنّه بيان وإرشاد لوسائل نبذ عبادة ما عدا الله تعالى، ودلائل على ذلك وأمثالٌ ونُذُرٌ؛ فالمقصود تقسيم التفسير، وهو وجه إعادة حرف التفسير في هذه الجملة وعدم الاكتفاء بالذي في الجملة المعطوف عليها. . .

﴿وإن تولوا فإنّي أخاف عليكم عذاب يوم كبير﴾: هذا إتمام ما جاء تَفْسِيراً لأُحكمت آياتُه ثم فُصّلت، وهو مما أوحي به إلى الرسول أن يبلغه إلى الناس. وتوكيد جملة الجزاء بإنّ، وبكون المسند إليه فيها اسماً مُخْبَراً عنه بالجملة الفعلية لقصد شدة تأكيد توقع العذاب. وتنكير يوم للتهويل، وهو مقابل للجزائين في قوله: يمتعكم متاعاً حسناً إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله، ووصف بالكبير لزيادة تهويله. والمراد بالكبر الكبر المعنوي، وهو شدة ما يقع فيه؛ فوصف اليوم بالكبر مجاز عقلي. . . **﴿إلى الله مرجعكم وهو على كل شئ قدير﴾**: جملة في موضع التعليل فلذلك فصلت. وتقديم المجرور على عامله للاهتمام والتقوّي. وجملة وهو على كل شئ قدير دليل على تحقق الرجوع إليه. . . **﴿ألا إنّهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه﴾**: حُوّل أسلوب الكلام عن مخاطبة النبيء بما أمر بتبليغه إلى إعلامه بحال من أحوال الذين أُمر بالتبليغ فى جهلهم بإحاطة علم الله تعالى بكل حال من الكائنات من الذوات والأعمال ظاهرها وخفيها؛ فقدم لذلك إبطال وهَم من أوهام أهل الشرك أنّهم في مكنة من إخفاء بعض أحوالهم عن الله تعالى، فكان قوله: ألا إنّهم يثنون صدورهم تمهيداً لقوله: يعلم ما يسرون وما يعلنون؛ جمعاً بين إخبارهم بإحاطة علم الله بالأشياء وبين إبطال توهماتهم وجهلهم بصفات الله. وقد نشأ هذا الكلام عن قوله: إلى الله مرجعكم. وافتتاح الكلام بحرف التنبيه (ألا) للاهتمام بمضمونه لغرابة أمرهم المحكي، وللعناية بتعليم إحاطة علم الله تعالى.

وضمائر جماعة الغائبين عائدة إلى المشركين الذين أمر النبيء بالإبلاغ إليهم.

وضمائر الغيبة للمفرد عائدة إلى الله تعالى. والحركة المصورة منهم هنا حركة مألوفة عندما يريد الإنسان ألاّ يواجه، فهو يحني رأسه ويثني صدره ليخفي وجهه؛ فهو تجسيم للإعراض والهرب من المواجهة على طريقة القرآن في تجسيم المعانى والأحاسيس. ولا يكمّل السياقُ الآية حتى يبين عبث هذه الحركة... ﴿**ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون إنّه عليم بذات الصدور**﴾: فالله الذي أنزل هذه الآيات معهم حين يستخفون وحين يبرزون؛ فإعادة ألا في هذه الجملة زيادة تأكيد الخبر وتحقيقه، وزيادة وما يعلنون تصريح بما فُهِمَ من الكلام السابق لدفع توهم علمه بالخفيّات دون الظاهر. وجملة إنّه عليم بذات الصدور نتيجة وتعليل للجملة قبله. واختيار مثال المبالغة وهو عليم لاستقصاء التعبير عن إحاطة العلم بكل ماتسعه اللغة الموضوعة لمتعارف الناس، فتقصر ألفاظ تعبر عن الحقائق العالية بغير طريقة استيعاب ما يصلح من المعبرات لتحصيل تقريب المعنى المقصود!.

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

التوجيه الأول: ﴿**ألر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ألاّ تعبدوا إلاّ الله إنّني لكم منه نذير وبشير**﴾: في هذا التوجيه لفت النظر إلى ما في هذا الكتاب من إحكام في آياته وتفصيل في مدلولاته، وتوجيه الناس إليها بما يسمعون من الرسول في دعوته وإرشاداته؛ فلينظر الناس إلى ما تضمنه هذا الكتاب من أغراض محكمة مفصلة؛ إنّه يذكر أُمَّهات العقيدة وأصولها: ألا تعبدوا إلا الله، فهو التوحيد. إنّني لكم منه نذير وبشير، فهي الرسالة... ﴿**وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه**﴾: فهي العودة إلى الله من الشرك والمعصية إلى التوحيد والعبادة... ﴿**يمتعكم متاعاً حسناً إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله**﴾: فهي بشرى للتائبين... ﴿**وإن تولوا فإنّي أخاف عليكم عذاب يوم كبير**﴾: فهو الوعيد للمتولّين... ﴿**إلى الله مرجعكم**﴾: فهو اليوم الآخر... ﴿**وهو على كل شيء قدير**﴾: فهي السيطرة المطلقة الملازمة للتوحيد؛ هذا هو الكتاب، فهذه هي القضايا الهامة التي جاء ليقررها ويقيم عليها بناءَه كلَّه بعد تقريرها؛ فالتوحيد هو مفرق الطريق بين الفوضى والنظام فى عالم العقيدة، وبين تحرير البشرية من عقال الوهم والخرافة والسلطان الزائف، أو استعبادها للآلهة ونزواتهم، وللوسطاء عند

الآلهة من البشر، وللملوك والحكام الذين يتلقون سلطانهم من الآلهة أو من كهنتها!.

وما من نظام اجتماعي أو أخلاقي أو سياسي أو اقتصادي أو دولي يمكن أن يقام على أسس واضحة فاصلة ثابتة لا تخضع للهوى والتأويلات المغرضة إلا حين تستقرُّ عقيدة التوحيد واضحة بسيطة دقيقة لا لبس فيها ولا غموض. والإقرار بالرسالة أساس للتصديق بهذه القضايا التي جاءت لتقريرها، وكل شك في أن هذا من عند الله، كفيل بتحطيم احترامها الملزم فى عالم الضمير. والذين يظنون أنها من عند محمد - مهما أقروا بعظمة محمد - لا يمكن أن تنال من نفوسهم الاحترام المُلْزِم الذي يتحرجون معه أن ينفلتوا منها في الكبير أو الصغير. إنّ الشعور بأنّ هذه العقيدة من عند الله هو الذي يطارد ضمائر العصاة حتى يتوبوا في النهاية إلى الله، وهو الذي يمسك بضمائر الطائعين، فلا تتلجلج ولا تحيد. والاستغفار من الشرك والمعصية هو دليل حساسية القلب وانتفاضه وشعوره بالإثم ورغبته في التوبة. والتوبة بعد ذلك هي الإقلاع الفعلي عن الذنب، والأخذ في مقابله من أعمال الطاعة، ولا توبة بغير هذين الدليلين، فهما الترجمة العملية للتوبة، وبهما يتحقق وجودها الفعلي، الذي ترجى معه المغفرة والقبول. والبشرى للتائبين والوعيد للمتولّين هما قوام الرسالة وقوام التبليغ.

والاعتقاد باليوم الآخر ضروري لاكتمال العقيدة بأنّ للحياة حكمة، وأنّ الخير الذي تدعو إليه الرسالات هو غاية الحياة؛ ومن ثَمّ لابدّ أن يلقى العامل جزاءه، فإن لم يلقه في هذه الحياة الدنيا فجزاؤه مضمون في العالم الآخر، الذي تصل فيه الحياة البشرية إلى الكمال المقدر لها. أمّا الذين يزيغون عن نهج الحياة وحكمتها فهؤلاء يرتكسون وينتكسون إلى درك العذاب، وفي هذا ضمان للفطرة السليمة ألاّ تنحرف، فإن غلبتها شهوة أو استبدّ بها ضعف عادت تائبة ولم تلجَّ في العصيان. ومن ثم تصلح هذه الأرض لحياة البشر، وتمضي الحياة على سُنّتها في طريق الخير؛ فالاعتقاد باليوم الآخر ليس معطلاً لحياة هذه الأرض ولا صارفاً عنها - كما يعتقد بعضُ الناس -، إنّما هو الحافز على الخير فيها، والحافز على إصلاحها وإنمائها، على أن يراعى في هذا الإنماء أنّه ليس هدفاً في ذاته، إنّما هو وسيلة لتحقيق حياة لائقة بالانسان الذي نفخ الله فيه من روحه، وكرّمه على كثير من

خلقه، ورفعه عن درك الحيوان، لتكون أهداف حياته أعلى من ضرورات الحيوان؛ ولتكون دوافعه وغاياته أرفع من دوافع الحيوان وغاياته. ومن ثم كان مضمون الرسالة أو مضمون آيات الكتاب المحكمة المفصلة بعد توحيد الله وإثبات الرسالة من عنده الدعوة إلى الاستغفار والتوبة، وهما بدء الطريق للعمل الصالح، والعمل الصالح ليس طيبة في النفس وشعائر مفروضة تقام، إنّما هو الإصلاح في الأرض بكل معاني الإصلاح؛ من بناء وعمارة ونشاط ونماء وإنتاج.

والجزاء المشروط: يمتعكم متاعاً حسناً إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله. والمتاع الحسن قد يكون بالنوع كما يكون بالكم في هذه الحياة الدنيا، أما في الآخرة فهو بالنوع والكم وبما لم يخطر على قلب بشر؛ فلننظر في المتاع الحسن في هذه الحياة؛ إنّنا نشاهد كثيراً من الطيبين الصالحين، المستغفرين التائبين، العاملين في الحياة، مضيقاً عليهم في الرزق؛ فأين إذن هو المتاع الحسن؟. وهو سؤال نعتقد أنّه يتحرك على ألسنة الكثيرين!، ولابد لإدراك المعنى الكبير الذي يتضمنه النص القرآني أن ننظر إلى الحياة من زاوية أوسع، وننظر إليها في محيطها الشامل العام. إنّه ما من جماعة يسود فيها أو يغلب عليها نظام صالح، قائم على إيمان بالله، وعمل طيب منتج في الحياة إلاّ كان لها التقدم والرخاء والحياة الطيبة بصفة عامة كجماعة؛ وإلا ساد فيها العدل بين الجهد والجزاء بالقياس إلى الأفراد بصفة خاصة؛ فإذا شاهدنا في جماعة ما أنّ الطيبين العاملين المنتجين مضيق عليهم في الرزق فذلك شاهد على أنّ هذه الجماعة لا يسودها نظام مستمد من الإيمان بالله، قائم على العدل بين الجهد والجزاء. على أن الأفراد الطيبين الصالحين المنتجين حتى في هذه الجماعة يمتعون متاعاً حسناً - حتى ولو ضيق عليهم في الرزق -، وحتى لو كانت الجماعة تطاردهم وتؤذيهم؛ كما كان المشركون يؤذون القلة المؤمنة. وليس هذا خيالاً، وليس ادّعاءً؛ فطمأنينة القلب إلى العاقبة والاتصال بالله، والرجاء في نصره، وفي إحسانه وفضله، عوض عن كثير، ومتاع حسن للإنسان الذي يرتفع درجة عن الحسن المادي الغليظ. فذو الفضل يلقى جزاءه في اللحظة التي يبذل فيها الفضل؛ يجده رضًى نفسياً وارتياحاً شعورياً، واتصالاً بالله وهو يبذل الفضل عملاً أو مالاً متجهاً به إلى الله. أمّا جزاء الله له بعد ذلك فهو الفضل العظيم في النعيم المقيم: «من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون».

هذا الجزاء الدنيوي والأخروي مكفول لمن استجاب للدعوة التي جاء بها هذا الرسول الكريم من لدن حكيم خبير. أمّا جزاء الفريق الآخر المعارض المقابل للفريق الأول فهو ما يعرضه السياق في التوجيه الآتي.

التوجيه الثاني: ﴿وإن تولوا فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير إلى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير. ألا إنّهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون إنّه عليم بذات الصدور﴾: في هذا التوجيه يأتي عرض الجزاء مجملاً في كميته مفصلاً في كيفيته شأن ما تأتي به آيات هذا الكتاب المحكمة المفصلة؛ فالذين يتولون عن هذه الدعوة عليهم الخوف الشديد من هول ما يأتي به ذلك اليوم الكبير الفريد؛ فاليوم الكبير حين يطلق هكذا ينصرف إلى اليوم الموعود، «فذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وما نؤخره إلا لأجل معدود»!، والدليل على ذلك قوله: إلى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير. وبعد إعلان خلاصة الكتاب الذي أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير، وبعد عرض نتيجة ما يدعو إليه هذا الكتاب يمضي السياق يعرض كيف يتلقى فريق من الفريق المعرض الرافض المتولي عن هذه الدعوة في تلك الآيات عندما يقدمها لهم البشير النذير، فيصور الوضع الحسي الذي يتخذونه، والحركة المادية المصاحبة لإعراضهم عنه، وهي إحناء رؤوسهم وثني صدورهم للتخفي، ويكشف عن العبث في تلك المحاولة وعلم الله يتابعهم في أخفى أوضاعهم؛ فالحركة المصورة هنا حركة مألوفة عندما يريد الإنسان أن لا يواجه، فهو يحني رأسه ويثني صدره ليخفي وجهه، فهو يتحلْبَدُ في حركاته في جميع اتجاهاته. ويبدو أن بعضهم كان يأتي بهذه الحركة عندما يبدأ الرسول في قراءة القرآن على الناس، أو في إبلاغهم ما كلف إبلاغه، أو ربما كانت تجسيماً للإعراض والتولي والهرب من المواجهة على طريقة القرآن في تجسيم المعاني والأحاسيس وحركات النفس في الصور الحسية المصاحبة لها أو الدالة عليها، وهو كثير في القرآن، ولا يكمّل السياقُ الآية حتى يبين عبث هذه الحركة. والله الذي أنزل هذه الآيات معهم حين يستخفون وحين يبرزون.

ويصور هذا المعنى على الطريقة القرآنية في وضع خفي دقيق من أوضاعهم، حيث يأوون إلى فرشهم ويخلون إلى أنفسهم، والليل لهم ساتر وأغطيتهم لهم

ساترة، ومع ذلك، فالله يعلم في هذه الخلوة ما يسرون وما يعلنون، فالله يعلم ما هو أخفى، وليْسَتْ أغطيتُهم بساتر دون علم الله تعالى، ولكن الإنسان يحس عادة في مثل هذه الخلوة أنّه وحيد لا يراه أحد؛ فالتعبير هكذا يلمس وجدانه، ويوقظه إلى هذه الحقيقة التي قد يسهو عنها، فيخيل إليه أن ليس هناك من عين تراه؛ فجميع أخطاء أهل الضلالة في الجاهلية والأديان الماضية التي انحرف أهلها عن حقيقتها تسري هذه الخيالات إلى عقولهم، وسببها النظر السقيم والأقيسة الفاسدة، وتقدير الحقائق العالية بمقادير متعارفهم وعوائدهم، والقياس الغائب على الشاهد. وقد ضل كثير من فرق المسلمين في هذه المسالك، لولا أنّهم ينتهون إلى معلومات ضرورية من الدين تعصمهم عند الغاية عن الخروج عن دائرة الإسلام. وهنا أنهي الكلام في الجزء الحادي عشر.

وكان الفراغ من كتابته يوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول من عام ألف وأربعمائة وتسعة من هجرة الرسول الذي يحتفل المسلمون اليوم بسيرته العطرة - صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه ومن سار على منهجه وسنته النيّرة.